أنتوني لونشتاين
ANTONY LOEWENSTEIN

مختبر فلسطين

كيف تُصدّر إسرائيل تقنيات الاحتلال إلى العالَم

THE PALESTINE LABORATORY

How Israel Exports the Technology of Occupation around the World

ترجمة: د. عامر شيخوني

مراجعة: د. عماد يحيى الفرجي

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مكتبة ياسمين

مقدمة المترجم 8

المقدمة 10

الفصل الأول بَيع الأسلحة لكل مَن يريدها 35

الفصل الثاني كارثة 11 سبتمبر كانت جيدة للأعمال 77

الفصل الثالث منع كل فرصة للسلام 115

الفصل الرابع تسويق الاحتلال الإسرائيلي للعالَم 159

الفصل الخامس النداء المستمر للهيمنة الإسرائيلية 192

الفصل السادس الرقابة الإسرائيلية الشاملة في دماغ هاتفك 230

الفصل السابع شركات وسائل التواصل الاجتماعي لا تُحبّ الفلسطينيين 287

الخاتمة 326

شكر وتقدير 340

قراءات إضافية مفيدة 344

Notes 348

مكتبة ياسمين

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

أنتوني لونشتاين

ANTONY LOEWENSTEIN

مختبر
فلسطين

كيف إسرائيل
تقنيات الاحتلال إلى العالم

THE PALESTINE LABORATORY

How Israel Exports the Technology of Occupation around the World

ترجمة

د.عامر شيخوني

مراجعة

د. عماد يحيى الفرجي

الطبعة الأولى: آذار/مارس 2024 م

ردمك: 978-614-01-3711-0

تصميم الغلاف: علي القهوجي

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

تضامنًا مع الفلسطينيين والإسرائيليين
الذين يناضلون في سبيل مستقبل عادل

خطّ الهدنة سنة 1949

المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية حتى سنة 2020

مقدمة المترجم

تنبع أهمية هذا الكتاب من أنه ركّز الضوء على تجارة السلاح الإسرائيلية وتصرفاتها غير الأخلاقية باستخدام أدوات قمعها في فلسطين المحتلّة من أجل التسويق والدعاية لأسلحتها العسكرية والإلكترونية. كما يرجع جزء من أهميته إلى أنه صادر عن مؤلّف يهودي امتلك هو وأسرته خلفية ثقافية يهودية وصهيونية، إلا أنه تنبّه إلى السلوك العنصري وغير الأخلاقي لدى الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي منذ نشأته حتى الآن، خاصة في غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية، وإلى مخالفاته الفاضِحة للقانون الدولي ولقرارات الأمم المتحدة وحقوق الإنسان. غير أن ما حدث في قطاع غزة يوم 7 أكتوبر كان زلزالًا مدمّرًا حطّم كثيرًا من أساطير الجيش الإسرائيلي.

ما هي نتائج هجوم 7 أكتوبر في قطاع غزة؟

في السابع من أكتوبر 2023، حطّمت المقاومة الفلسطينية الصامدة في غزة أساطير وأوهامًا كثيرة حاول الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي ترسيخها منذ نشأته، خاصة بعد حرب 1967 واحتلال كامل أراضي فلسطين التاريخية وسيناء وهضبة الجولان.

1. أسطورة أن الجيش الإسرائيلي لا يُقهر، إلا أن المقاومة الفلسطينية أصابت جيش إسرائيل بجروحٍ أليمة، وشهد العالم اختراق جدران وأبراج دفاعاته حول غزة، وأسر ضباطه وجنوده في تلك المنطقة.

2. أسطورة أن إسرائيل تمتلك أجهزة مراقبة وتجسس إلكترونية وبشرية متقدمة جدًا لا يمكن اختراقها، فقد تمكّنت المقاومة الفلسطينية في غزة من اختراق أجهزة المراقبة الإسرائيلية في سياج

مكتبة ياسمين

وأبراج الجدار الذي نصبته حول كامل محيط حدود قطاع غزة مع إسرائيل، وعلى الرغم من بساطة أسلحتها فقد استطاعت المقاومةُ الفلسطينية في غزة أن تشلَ أجهزة المراقبة الإسرائيلية، وتُشوِّش عليها، وتخترقها. كما أظهر هجوم المقاومة ضعف أجهزة المراقبة وضعف عناصر التجسس البشرية في مخابرات إسرائيل.

3. أسطورة القدرة الفائقة لبرامج التجسس الإلكتروني الإسرائيلية وقدرتها على اختراق الهواتف المحمولة في كل مكان، إذ اتَّضح في غزة عدم قدرة برامج إسرائيل الإلكترونية على اختراق الهواتف المحمولة لدَى المواطنين في غزة قبل وأثناء وبعد هجوم المقاومة يوم 7 أكتوبر، وفشلها في معرفة موعد الهجوم ومكانه، وفشلها في الرَّد السريع على هذا الهجوم، وفشلها في اكتشاف أماكِن احتجاز المختطفين الإسرائيليين حتى بَعد أكثر من أربعة أشهر على هجوم المقاومة.

4. أسطورة الرّدع الإسرائيلي القاهِر. حطّمَ هجومُ المقاومة أسطورةَ القوة القاهرة للردع الإسرائيلي، وفضَحَ ضعف قدرتها في الرّد السريع على هجوم المقاومين في غزة.

5. أسطورة أن الجيش الإسرائيلي هو أكثر جيوش العالم أخلاقية ونبلًا.

والآن بعد ذلك، هل ستنخفض مبيعات الأسلحة الإسرائيلية في العالم؟ هل ستتمكّن آلة الدعاية الإسرائيلية من تجاوز الآثار السّلبية الفاضحة لهجوم غزة على تجارتها في بيع الأسلحة وفي تسويق الأجهزة والبرامج الإلكترونية؟

عامر شيخوني - 1986

المقدمة

"استمرّ نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا 46 سنة، وبلغ في إسرائيل 72 سنة، ومازال مستمرًا"

نيثان ثرول Nathan Thrall، معرض لندن للكتاب، 2021

(هذا الاقتباس من "وهم النظامين المنفصلين: نيثان ثرول عن الفصل العنصري الإسرائيلي". London Review of Books, 43, no 2, (January 21, 2021

عندما بدأت الكتابة عن إسرائيل/فلسطين في أوائل العقد الأول من هذا القرن، كان ذلك في المراحل الأولى التي مارس فيها المشرفون رقابة على الإنترنت ووسائل الإعلام الرئيسية، ونادرًا ما أتاحوا المجال لسماع أصوات أكثر انتقادًا ضد الاحتلال الإسرائيلي. نشأت في بيتٍ صهيوني ليبرالي في مدينة ملبورن بأستراليا، حيث لم يكن تأييد إسرائيل واجبًا دينيًا، إلا أنه كان متوقعًا بكل تأكيد. نجا جَدي وجَدتي من النازية في ألمانيا والنمسا سنة 1939، وجاؤوا لاجئين إلى أستراليا. وعلى الرغم من أنهما لم يكونا من الصهاينة المتحمسين، فقد كان من المعقول اعتبار إسرائيل مكانًا آمنًا للشعب اليهودي فيما لو حدثت أزمة أخرى لهم في المستقبل.

على الرغم من انتشار هذا التعاطف في المجتمعات اليهودية في معظم أرجاء العالم، فسرعان ما أصبحت غير مرتاح مع العنصرية الصريحة التي سمعتُها ضد الفلسطينيين، ولا التأييد الفوري لجميع أعمال إسرائيل. كان الوضع يشبه جماعةً من المؤمنين يتم فيها كبت الأصوات

مكتبة ياسمين

المعارضة وطردها ونفيها خارج الجماعة. أتذكّر في شبابي أصدقائي من اليهود الذين كانوا يردّدون ما يسمعونه من الآباء والحاخامات. لم يذهب منهم إلى إسرائيل سوى قلّة قليلة، فكيف بزيارة فلسطين، غير أنّ السّرد الطاغي لديهم كان يرتكز على الخوف؛ اليهود معرّضون للهجمات دائمًا، وإسرائيل هي الحلّ، وليس مهمًا أن يعاني الفلسطينيون في سبيل أن يعيش اليهود في أمان. شعرتُ أن هذا الموقف يشبه درسًا منحرفًا من دروس المحرقة اليهودية (الهولوكوست). أصبحتُ الآن مواطنًا أستراليًا وألمانيًا لأن عائلتي هربت من أوروبا قبل الحرب العالمية الثانية. وأنا الآن يهودي مُلحِد.

عندما زرتُ الشرق الأوسط لأول مرة سنة 2005، كنت لا أزال محمّلًا بأوهام عن إسرائيل وفلسطين. قلتُ إنني أعتقد بحلّ الدولتين وحقّ إسرائيل في الوجود كدولة يهودية. لا أؤيد أيًا مِن هذين الحلّين الآن. مع مرور سنوات على تلك الزيارة الأولى، كتبتُ من الضفة الغربية، وغزة، والقدس الشرقية، موثقًا تضييق الخناق الإسرائيلي المتزايد في فلسطين. عشتُ في حيّ الشيخ جرّاح في القدس الشرقية في الفترة 2013-2020، وشاهدتُ الشرطة الإسرائيلية تُضايق وتُهين الفلسطينيين دائمًا. كان طحن الاحتلال اليومي قمعيًا على غير اليهود، وقد أثار ذلك في نفسي الخجل مما كان يُرتكب باسمي كيهودي. أؤيد الآن حلّ الدولة الواحدة لهذا الصراع، حيث يستطيع جميع مواطنيها أن يعيشوا في ظل المساواة.

يعكس تطوري الفكري في السنوات العشرين الأخيرة الوعي العالمي المتنامي بما كانت عليه إسرائيل دائمًا، وإلى أين تسير. تحوّل الحوار العام

مكتبة ياسمين

حول هذه القضية بشكل ملحوظ منذ أوائل هذا القرن. واقتضت حقائق الأمر الواقع على الأرض هذا التحول.

أصدرت جماعة بتسليم، وهي المجموعة الرائدة في مجال حقوق الإنسان، تقريرًا في أوائل سنة 2021 استنتج أن "هناك نظام هيمنة يهودية من نهر الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط. إنه نظام فصل عنصري"، وسرعان ما تبعتهم في ذلك منظمة مراقبة حقوق الإنسان Human Rights Watch، ومنظمة العفو الدولية Amnesty International. صنعث هذه التقارير التحوّل الملحوظ، إضافة إلى الاحتلال الذي استمر أكثر من نصف قرن. على الرغم من أن الفلسطينيين طالما ذكروا ذلك على مرَ عقود، إلا أن التحول استغرقَ وقتًا قبل أن يتغلغل ويَصل إلى النّخب والشعوب الغربية. من المستحيل الآن إنكار السياسات الإسرائيلية المعادية لليبرالية، ولم يَعد الليبراليون الغربيون متردّدون بعد الآن في التعبير عن ذلك(1).

في استبيان أجري سنة 2021، وافق ربع اليهود الأمريكان على أن إسرائيل هي دولة فصل عنصري. وأقرّ بذلك حتى ناشِر جريدة هآرتس، الصحيفة الصهيونية الأكثر تقدمية، حيث كتب عاموس شوكن Amos Schocken سنة 2021: "دولة إسرائيل التي نتجث عن الصهيونية، ليست دولة يهودية ديموقراطية، بل أصبحت دولة فصل عنصري بكل وضوح وبساطة. يستطيع المرء أن يقول أشياء كثيرة عن ذلك، إلا أنه لا يستطيع أن يقول إن إسرائيل تُحقق الصهيونية في دولة يهودية وديموقراطية"(2).

ادّعاء إسرائيل بأنها ديموقراطية زاهرة في قلب الشرق الأوسط تتحداه الوقائع، إذ يجب على جميع منافذ الإعلام في إسرائيل، إضافة إلى الناشرين والكتّاب، أن يقدّموا نصوصهم التي تتعلق بالشؤون الخارجية والأمن إلى مدير الرقابة في جيش الدفاع الإسرائيلي قبل النشر. لا يوجد مثل هذا النظام في أي دولة غربية أخرى. بل إنها أنظمةٌ شاملة بدأت فور ولادة إسرائيل. يمتلك مدير الرقابة سلطة المنع التام لأيّ نصّ، أو تنقيحه(3). ما يُعتبر صحيحًا هو في موضع شك كبير، لأن أولويات إدارة الأمن القومي تختلف كثيرًا عمّا هو ضروري في دولة ديموقراطية سليمة. اتّضح هذا التناقض عندما استقالت آريللا بن آفراهام Ariella Ben Avraham، رئيسة الرقابة في إسرائيل من منصبها سنة 2020، واستلمت عملًا جديدًا في شركة المراقبة الإلكترونية الرئيسية في إسرائيل ضمن مجموعة NSO (اسم الشركة هو الأحرف الأولى من أسماء مؤسسيها وهم: Niv, Shalev and Omri).

على مرّ عقود، لم يناقِش قضية إسرائيل والفلسطينيين في وسائل الإعلام الغربية غالبًا سوى اليهود. جرى الحديث عن الفلسطينيين تحت الاحتلال، إنما لم يتم سماعهم. وضّحت تكميم الأصوات والقمع الباحثة مها ناصر من جامعة أريزونا في دراستها التي نُشرت سنة 2020. كتب فلسطينيون أقلّ من 2 بالمئة من مقالات الرأي التي نُشرت في صحيفة النيويورك تايمز في الفترة 1970-2020. وكانت مقالاتهم أقل من 1% في صحيفة الواشنطن بوست(4). لم يعد نادرًا هذه الأيام سماع ومشاهدة فلسطينيين، مثل نورا

مكتبة ياسمين

عريقات، ويوسف منيّر، ومحمد الكرد، وهم يُقدمون وجهات نظر مختلفة.

مازال تقديم أي تقرير من فلسطين يُعتبر تحديًا صعبًا. الصحفي أحمد شهاب الدين هو أمريكي كويتي حائز على جائزة إيمي، وهو من أصول فلسطينية. أخبرني عن كتابة موضوع لمجلة فايس Vice الأمريكية-الكندية سنة 2015 عن مستوطنين من أصول سويدية وهم يحطّمون بيت عائلة فلسطينية في قرية سلوان المجاورة للقدس الشرقية. كان فريقه قد قام بتصوير المستوطنين وهم يرمون ألعاب طفلةٍ فلسطينية إلى الخارج، ويحطمون الأنابيب والأثاث. وقد حَذفتْ مجلة فايس ذلك المشهد.

قال عضوٌ في هيئة تحرير المجلة لشهاب الدين: "المستوطَنات قضية خِلافية مجنونة، إذ يَعتبرها بعضهم غير قانونية، ولكن إسرائيل لا ترى ذلك، ولذلك لا يمكننا عَرض هذه المواجهة لأنها ستَظهَر وكأنها تحيّز لأحد أطراف الصراع، وتَزيد تعقيد القصة المعقّدة أصلًا".

أدّت المعاملةُ القاسية التي تقوم بها إسرائيل ضد الفلسطينيين، ونمَط العنصرية التي تدعَمها الدولة، إلى انتشارها بشكل واسع جدًا حتى بين الجماعات التي تكره اليهود تقليديًا. زُفع العلم الإسرائيلي في مظاهرة 6 يناير 2021 التي قامت أمام مبنى الكونغرس الأمريكي قبل أن يقتحمه اليمينيون المعارضون. زُفع العلم الإسرائيلي إلى جانب العلم الاتحادي في أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية(5). رفع المحتجّون اليمينيون العلم الإسرائيلي أثناء مظاهراتهم في بريطانيا، وألمانيا، وغيرها من الدول.

كان ريتشارد سبنسر Richard Spencer، الزعيم اليميني المتطرف، مُبالغًا في وصفه الإدارةَ الإسرائيلية سنة 2018 حين قال: "عاد اليهود ثانية إلى الرّيادة، وهم يُعيدون صياغة السياسة والسيادة للمستقبل، يرسمون طريقًا للأوروبيين". أطلق تصريحه هذا مع انطلاقة قانون الدولة الإسرائيلية الذي رسّخ الهيمنة اليهودية فوق كل أوهام الديموقراطية لجميع مواطنيها. وصف سبنسر نفسه أنه "يهودي أبيض".

كان ينضح من اعتقادٍ منتشر بين عناصر اليمين المتطرف بأن إسرائيل تقف في الخطوط الأمامية للدفاع عن الحضارة الغربية ضد جحافل المسلمين. تَستبعد العلمانيةُ التعاونَ الوطني الناجح. الدينية هي الهدف. تُدافع الدولة اليهودية بفخر وشموخ عن الحدود القوية، وتَرفض جميع محاولات الهيئات الدولية، مثل الأمم المتحدة، للتدخل في شؤونها، وتدّعي لنفسها أنها دولة للشعب اليهودي قبل كل شيء آخر.

تمتّع المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد برؤية واضحة للأصول الحقيقية للدولة اليهودية، وكتب سنة 1984 "كانت الصهيونية زهرةً نبتت في بيتٍ زجاجي في بيئة من القومية الأوروبية، ومعاداة السامية، والاستعمار. بينما نشأت الوطنية الفلسطينية من الموجة العارمة للمشاعر العربية والإسلامية المعادية للاستعمار، وتموضعت منذ سنة 1967 داخل التيار العام للفكر العلماني ما بعد الإمبريالي، على الرغم من تلوثها بمشاعر رجعية دينية"(6).

هذا النوع من القومية المتطرفة هو الذي تمّت الدعاية له على مدى أكثر من نصف قرن. شير هيفر

Shir Hever هو واحدٌ من أكثر الخبراء تعمُّقًا في فهم النواحي الاقتصادية للاحتلال الإسرائيلي. قال لي إن تجار السلاح الإسرائيليين ينشرون رسالة محددة تعكس الممارسة الواقعية في قمع الفلسطينيين. قال: "إذا استمعت لشركات السلاح الإسرائيلية نفسها عندما تذهب إلى أوروبا لتبيع منتجاتها، وجدت أنهم يسردون الشعارات ذاتها مرارًا وتكرارًا، ويقولون إن الأوروبيين يتّصفون بالسذاجة، فهم يظنون أنهم يستطيعون المحافظة على حقوق الإنسان، ويظنون أنهم يستطيعون ضمان الخصوصية، غير أن هذا هراء. نحن نعلم أن الطريقة الوحيدة لقتال الإرهاب هي بالحُكم على الناس حسب مظهرهم ولون بشرتهم".

وضعُ إسرائيل كدولة إثنية قومية كان واضحًا منذ نشأتها سنة 1948، إلا أن ذلك التوجّه أخذ دفعة قوية في القرن الواحد والعشرين. كان بنيامين نتنياهو القائد الإسرائيلي الأكثر نجاحًا في السعي وراء هذه السياسة، وهو شديد الإيمان بالاحتلال الدائم لأراضي فلسطين، وهو أكثر رؤساء وزراء إسرائيل استمرارًا في هذا المنصب في تاريخها، على الرغم من أنه خسر منصبه سنة 2021 بعد أن ترأس الحكومة اثنتي عشرة سنة. أُعيد انتخابه في نوفمبر 2022 مع أكثر التحالفات السياسية يمينيةً في تاريخ إسرائيل. فازت رؤيته السياسية عندما نجح في إقناع كثير من الدول الأخرى لاستلهام إسرائيل كنموذج ناجح. يبدو أن سياسة نتنياهو ستستمر كإيديولوجية حتى بعد وفاته.

قال إليوت أبرامز Elliott Abrams، أحد المحافظين الجدد الذي كان المهندس الرئيسي لسياسة "الحرب على الإرهاب" في عهد الرئيس

مكتبة ياسمين

جورج بوش الابن، والرئيس دونالد ترامب، "إن دور إسرائيل هو أن تقدم النموذج". وفي خطابه في مؤتمر للمحافظين عقد في القدس في مايو 2022، دعا العالم لاتباع مسار الدولة اليهودية "كنموذج للقوة العسكرية، والاختراع، والتشجيع على زيادة النسل"(7).

طوَرت إسرائيل صناعة عسكرية على مستوى عالمي، وتمَت تجربة أسلحتها بشكل مناسب على الفلسطينيين تحت الاحتلال، ثم تمَ تسويقها كأسلحة "تم اختبارها في ميدان القتال". نجحت الشركاث الأمنية الإسرائيلية باستغلال العلامة التجارية لجيش الدفاع الإسرائيلي، وأصبحث من أكثر الشركات نجاحًا في العالَم. المختبر الفلسطيني علامةٌ إسرائيلية مهمَة في بيع منتجاتها الأمنية.

فكِّر ببرنامج بيغاسوس Pegasus السَيئ الشمعة في التجسس على الهواتف الذي تُصنعه مجموعة NSO الإسرائيلية للبرمجيات، وكيف انتشرَ في عهد نتنياهو عندما استخدَمته إسرائيل للحصول على التأييد السياسي الدولي. كتبَ ماكس فيشر Max Fisher، وأماندا تاوب Amanda Taub في صحيفة النيويورك تايمز سنة 2019 "كانت القومية-الإثنية الإسرائيلية القديمة، وتعاملها القاسي المتعنت مع الفلسطينيين مأخذًا عليها في المجتمع الدولي، وأصبحت الآن ميزة لها"(8).

استغرق الحصول على هذا الامتياز وقتًا طويلًا لتحقيقه. عند قراءة التقرير المهمَ الذي قدَمه الصحفي روبرت فيسك عن الحرب الأهلية اللبنانية في تقريره "أسفًا على الأمة Pity the Nation"، يتضح أن خطة عمل الجيش الإسرائيلي والخطاب السياسي قد تم تطويرهما في أوائل الثمانينيات

مكتبة ياسمين

عندما قامت إسرائيل بغزوٍ كارثي للبنان، واحتلالها. استخدم الإسرائيليون آنذاك مصطلح "الدّقة الجراحية Surgical Precision" في وصف الهجمات القاتلة لقواتها الجوية. كانت تلك كذبة لأنّ عددًا كبيرًا من المدنيين اللبنانيين الأبرياء قد قُتلوا في تلك الهجمات.

مع ذلك، كما سأبيّن في هذا الكتاب، على الرغم من التبجُّح العسكري في لبنان، فقد استخدمت إسرائيل تلك الحرب مادةً لتسويق أسلحتها وتكتيكاتها العسكرية، وطرحث دعاياتها علاجًا جذابًا للدول التي قبِلَت وهمَ أنَّ الدولة اليهودية تستطيع مساعدتها في حلِّ مشاكلها الداخلية. كان هنالك شيء من الحقيقة في تلك الادعاءات، على الرغم من أنها تحقّقت بثمنٍ إنسانيَ باهظ.

تهدف ايديولوجية نتنياهو لتحطيم الآمال الفلسطينية. طرح الرئيس باراك أوباما أنه "لا يمكن الاستمرار" باحتلال شعب آخر بشكل لانهائي لأنَّ العنصرية والاستعمار هما مِن أفكار وآثار عَصر بائد. واعترضَ نتنياهو على ذلك بشدة. يفسّر الكاتب اليهودي بيتر باينارت Peter Beinart حَسب رأي نتنياهو: "المستقبلُ ليس لليبرالية أوباما - التعايش، المساواة في الحقوق، وحكم القانون - بل هو للرأسمالية التسلطية: الحكومات التي تجمع بين القومية العدوانية العرقية غالبًا، والقوة الاقتصادية والتقنية. لمّح نتنياهو إلى أن المستقبل سيخرج قادة لا يشبهون أوباما، بل سيشبهونه هو"(9).

الرسالة التي تبنّاها نتنياهو وخلفاؤه هي أن إسرائيل هي الدولة القومية الحديثة النموذجية التي ترفض الفرضيات المتعددة الثقافات التي تتبناها أوروبا الغربية وأجزاء أخرى من الغرب.

مكتبة ياسمين

أثناء اجتماع سنة 2017 التقط تصريحٌ لنتنياهو على مكبّر الصوت وهو يطلب من زعماء هنغاريا وجمهورية التشيك ألا يصدّقوا إصرار الاتحاد الأوروبي على أن التعاون في مجال التكنولوجيا مشروط بالتقدم في محادثات السلام مع الفلسطينيين.

كان نتنياهو مُحقًا. لم يتوقّف الاتحاد الأوروبي عن التعاون مع الشركات الإسرائيلية على الرغم من الاحتلال الذي تمارسه إسرائيل، غير أن ملاحظته كانت معلومةً مفيدة حين قال: "يجب على أوروبا أن تقرّر فيما إذا كانت تريد أن تحيا وتزدهر، أو أن تضعف وتتلاشى. أرى أنكم قد فوجئتم لأنني لم أكن مراعيًا للأصول الدبلوماسية... نحن جزءٌ من الثقافة الأوروبية. تنتهي أوروبا في إسرائيل. لا توجد أوروبا إلى الشرق من إسرائيل".

كان نتنياهو فخورًا بعمله. أخبرني الصحفي الإسرائيلي جدعون ليفي Gideon Levy عن اجتماعٍ خاص حضره سنة 2016 مع رئيس الوزراء آنذاك، مع هيئة التحرير لصحيفته هآرتس. تحدّث نتنياهو أربع ساعات. قال ليفي أنه كان في مزاجٍ متفائل، ولم يتناول أي طعام أو شراب، وكان قد أشار في خريطة للعالم كانت خلفه إلى منجزات سياسته الخارجية كما كان يراها، بما فيها إنشاء علاقات جيدة مع الهند وأوروبا الشرقية، وأفريقيا وآسيا والولايات المتحدة. وقال إن إسرائيل كانت زعيمةً عالمية في صناعة السلاح وتقنيات المعلوماتية وتقنيات المياه.

ذكر ليفي في تقريره في ما بعد أنه "استنادًا إلى الألوان في خريطته العالمية، كان العالم كله في أيدينا تقريبًا. بعد الاجتماع مع نحو 144 من

السياسيين الدوليين، لم يتبق سوى مشكلة مع أوروبا الغربية، كل الاخرين كانوا في صفِّنا، أو كاد أن يكون (وأعتقد أنه كان مُحقًا في ذلك)"(10). قصد نتنياهو أن أوروبا الغربية ليست مهمَة. قال لي ليفي إن أوروبا الغربية يجب أن تُمثّل الليبرالية والثقافة والديموقراطية، ولكن نتنياهو كان يتصوّر أنهم مجرد مجموعة من الرَعاع الصاخبين. بغضَ النظر عن التصريحات الإعلامية، فإن الاتحاد الأوروبي هو الشريك التجاري الأكبر لإسرائيل، وقد عمّق روابطه مع إسرائيل في عهد نتنياهو على الرغم من أن الاحتلال في فلسطين أصبح أكثر قسوة.

كان نافتالي بينيت Naftali Bennet الذي خلف نتنياهو في رئاسة الوزراء أكثر صراحة سنة 2015 بشأن دور إسرائيل بصفتها "منارة الحرية Beacon of Freedom". كان يشغل آنذاك منصب وزير الاقتصاد، وزعيم حزب البيت اليهودي اليميني المتطرف. تحدّث بينيت مباشرة إلى الكاميرا في الضفة الغربية. بعد أن حذّر من أن إسرائيل كانت محاصرة من قِبل الإسلاميين المتطرفين من جميع الجهات، قال "تقف إسرائيل في الخط الأول في الحرب العالمية ضد الإرهاب. وهو خط جبهة المواجهة بين العالم الحرَ المتحضِر، والإسلام الأصولي. نحن نصدُ موجة الإسلام الأصولي ونمنعها من التقدم من إيران والعراق إلى أوروبا. عندما نُحارب الإرهاب هنا، نحن نحمي لندن وباريس ومدريد". ناقش بينيت أنه كان من المستحيل مطلقًا التخلي عن الضفة الغربية لأننا "إذا تخلّينا عن هذه القطعة من الأرض، وسلّمناها لأعدائنا، فإن أولادي الأربعة هناك في مدينة رعنانا

Raanana الإسرائيلية سيكونون في مسار الضرر والخطر. إنها على مدى صاروخ واحد من الدمار".

اختتم بتحذير الأوروبيين، وبالإشارة إلى كل من هم في الغرب، الذين تجرؤوا على طرح أن الاحتلال الإسرائيلي غير أخلاقي، بوضع إسرائيل في رأس الرمح في حرب الديموقراطية العالمية. وقال: "إن حربكم من أجل الديموقراطية تبدأ هنا. الحرب من أجل الكرامة والحرية تبدأ هنا".

إسرائيل بصفتها اسبارطة العالمية هي صورة يحملها زعماء إسرائيليون في الماضي والحاضر. بعدما استعادث طالبان السيطرة على أفغانستان في أغسطس 2021، كتب نتنياهو في منصّة الفيسبوك أن الدرس الذي استفاده من تلك التجربة كان "أن السياسة الصحيحة هي أننا يجب ألا نعتمد على الآخرين في ضمان أمننا، ويجب أن ندافع عن أنفسنا بقوتنا الذاتية ضد كل تهديد".

يتم الإعجاب بإسرائيل بصفتها أمة تقِف بذاتها، ولا تَخجل ولا تتوانى عن استخدام القوة المفرطة للمحافظة على نفسها(11). أندرو فاينستاين Andrew Feinstein هو خبير عالمي في الصناعات العسكرية المعلَنة، وهو سياسي سابق من جنوب أفريقيا، وصحفي، وكاتب. أخبرني عن حضوره معرض الطيران في باريس سنة 2009، وهو أكبر معرض عالمي لصناعات الفضاء والطيران. شاهد في فندق فاخر دعاية لشركة أنظمة إلبيت Elbit Systems، أكبر شركة أسلحة إسرائيلية، وهي تسوّق لمنتجاتها في فيلمٍ دعائي عن طائرات مسيّرة قاتلة تمَ استخدامها في حروب إسرائيلية ضد غزة والضفة الغربية.

تم تصوير الأحداث قبل أشهر قليلة، وأظهر

مكتبة ياسمين

الفيلم رحلات استطلاعية تصوّر الفلسطينيين في الأراضي المحتلة. وتم قتل أحد الأهداف. قال فاينستاين إنه في الفيلم "كان هناك سربٌ من شابات جميلات جدًا، انحنت إحداهنّ بجانب الجالسين في أفضل الأماكن في الصف الأول الذي تم حجزه لهم. كانوا من الجنرالات وضباط التجنيد. نجحت بحجز مقعدٍ لي خلف أحد هؤلاء الجنرالات مباشرة، واستمعتُ إلى ما يُقال لهم. كان هنالك سرور واضح بالطريقة التي كانت الشابات يشرحن الأمور له".

بعد أشهر، أجرى فاينستاين تحقيقًا عن غارات الطائرات المسيّرة، واكتشف أن الحادث الذي تم تصويره في الفيلم قُتل فيه عددٌ من المدنيين الفلسطينيين، بمَن فيهم بعض الأطفال. لم يتم توضيح هذه الحقيقة المرّة في فيلم "الشجعان" الذي عُرض في معرض الطيران في باريس. قال: "كانت تلك بداية معرفتي بالصناعة العسكرية الإسرائيلية والطريقة التي تسوّق بها نفسها. لا تجرؤ أية دولة أخرى مِن دول تصدير السلاح على عَرض مشاهد حيّة مثل ذلك".

قال فاينستاين إنه لم يكن من الممكن تصوّر أن شركات مثل لوكهيد مارتن Lockheed Martin، أو بي أي إي سيستمز BAE System، وهما شركتان كبيرتان تعملان في مجال الصناعات العسكرية لهما علاقات مهمة وأذرع تتعلّق بالحروب العالمية، تعرضان للمشترين "مقاطع واقعية لقصف مدنيين في اليمن، أو هجمات طائرات مسيّرة في أي مكان في الشرق الأوسط. تجاوزت إسرائيل عقبات كثيرة في أساليب عملها، وتوجّهات اقتصادها، إضافةً إلى تجاوزاتها القانونية

ومخالفاتها للقانون الدولي. إنهم لا يهتمون بأي شيء".

يُناقش غريغ غراندين Greg Grandin، المؤرخ الحائز على جائزة بوليتزر، في كتابه المشهور سنة 2006 "ورشة عمل امبراطورية: أمريكا اللاتينية، الولايات المتحدة، وصنع جمهوريةٍ امبراطورية" أن واشنطن اعتبرت أمريكا اللاتينية بمثابة "دورة تدريبية، أو ميدان تمرين تستطيع فيه الولايات المتحدة إعادة تجميع قواتها في فترات إعادة التموضع، واختبار أساليب جديدة للسيطرة على جيرانها"(12). أما بالنسبة لإسرائيل، فإن ميدان تدريباتها هي فلسطين حيث توجد بجوارها مباشرة أمةٌ محتلَة، توفر لها ملايين البشر الخاضعين في مختبرٍ لتجريب أكثر وسائل السيطرة دقّةً ونجاحًا.

تَعتمد إسرائيل، بصفتها مثالًا نموذجيًا للقومية الأثنية، على قُدرتها في تسويق هذه الرسالة. على الرغم من أن بعض الدول ترغب بالأسلحة والتقنيات الإسرائيلية لكي تَتجسس على معارِضيها، أو تُخرِّب مخططاتهم، دون أن تكون لديها الرغبة في بناء كيانها الإثني-الديني الخاص، فإن كثيرًا من الدول الأخرى تتبنى أساطير التفوق العرقي الإسرائيلي، وترغب بتطبيقها في بلادها. الصناعة العسكرية الإسرائيلية عديمة الأخلاق لأن تلك هي طريقة نموّها وتطورها، فهي تبيع لأي جهة ما عدا الأعداء الرسميين، مثل كوريا الشمالية، وإيران وسورية.

حسب رأي يوسي ميلمان Yossi Melman، المحلَل العسكري والصحفي الإسرائيلي، فقد قضت إسرائيل القرنين العشرين والحادي والعشرين في تطوير علاقاتها الدولية باستخدام ما أطلق

مكتبة ياسمين

عليه اسم "دبلوماسية التجسس Espionage Diplomacy"(13)، ويقصد بذلك أن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية لا تكترث بكون أدوات التجسس والقتل التابعة لها واسعة الانتشار في أرجاء العالم، حتى لو "عرفوا جيدًا المخاطر التي تنطوي على بيع مثل هذه الأدوات الدخيلة لأنظمةٍ مشبوهة. إذ أن إسرائيل "تحتضن تجّار السلاح، والمتعاقدين في شؤون الأمن، وخبراء التكنولوجيا، وتعبدهم، وتجعل منهم أبطالًا وطنيين لا يُمكن المساس بهم".

العالم يُصغي. ارتفعت مبيعات الأسلحة الإسرائيلية سنة 2021 بنسبة 55 بالمئة عما كانت عليه قبل سنتين، وبلغت نحو 11.3 بليون دولار. كانت أوروبا أكبر المشترين لهذه الأسلحة، حتى قبل الغزو الروسي لأوكرانيا، وتلتها آسيا ودول المحيط الهادي. كانت الصواريخ، وأنظمة الدفاع الجوي، والقذائف، وأسلحة المعلوماتية، والرادار، بعض الأدوات التي باعتها الدولة اليهودية. وكانت النتيجة هي أن إسرائيل قد أصبحت الآن واحدة مِن الدول العشر الأولى في تصدير السلاح في العالم، إذ باعت أنواعًا من الأسلحة والأدوات لدول مثل الهند، وأذربيجان، وتركيا... مما زاد في سوء الصراعات في مناطقها. وافقت الحكومة الإسرائيلية على جميع صفقات السلاح التي وصلتها منذ سنة 2007 حسب تفاصيل كشف عنها سنة 2022 الإسرائيلي إيتاي ماك Eitay Mack محامي حقوق الإنسان.

يمكن التفكير بأن أي دولة لا تهتم بمصالح أي دولة أخرى غير مصالحها الذاتية، إلا أن إسرائيل تكاد تكون فريدة بين الدول التي تصف نفسها بالديموقراطية، لأنها لا تشجب الفظائع العالمية، ولا

تُطبّق عليها عقوبات. لا شك بأن هذا لا يُساعد أمزا سوى صناعتها الحربية. عندما غزت روسيا أوكرانيا سنة 2022، لم تشجب إسرائيل أعمال روسيا، ولم تدعم أوكرانيا فورًا، بل كان عليها ألا تُثير استياء موسكو، راعية الرئيس بشار الأسد، لأن الدولة اليهودية تريد أن تكون مطلقة اليد في استمرار قصف ما أسمته الأهداف الإرهابية في سورية.

خلقت الحربُ انقسامًا واستياء شديدين داخل إسرائيل عندما تحدّث الرئيس الأوكراني فلوديمير زيلينسكي عبر الفيديو إلى الكنيست الإسرائيلي في مارس 2022، وطلَب دَعما أكثر وضوحًا يتضمّن تزويده بالأسلحة. قارَنَ وَضع بلاده الهش بالمَحرقة اليهودية في ألمانيا، وتجاهَل التآمر والمساهَمة الأوكرانية في قتل اليهود خلال الحرب العالمية الثانية، ووجود جنود من النازيين الجدد، وكتائب آزوف في الجيش الأوكراني الآن. رفضَ السياسي الإسرائيلي سيمشا روتمان Simcha Rotman طلبَ المساعَدة الذي اقترَحه زيلينسكي قائلًا: "نحن أمة أخلاقية، تُمثّل نورًا بين الأمم". كان روتمان غاضبًا جدًا لأن زيلينسكي طلبَ من إسرائيل أن تتعامل مع الأوكرانيين بالطريقة التي ادّعى الزعيمُ الأوكراني أن بلاده قد تعاملت بها مع اليهود أثناء المحرقة.

فسّر زيلينسكي رؤيته لصحفيين أوكرانيين في أبريل 2022 عندما صرّح بأن إسرائيل كانت نموذجًا مثاليًا لبلاده: "سنُصبح مثل إسرائيل كبيرة لها وجهها الخاص، ولن نستغرب أن يكون لدينا تواجد للقوات المسلحة والحرس الوطني في دور السينما، ومراكز بيع الطعام، وأن يحمل الناس الأسلحة. لن تكون أوكرانيا بالطبع الدولة

التي أردناها أصلًا، لأن كونها ليبرالية وأوروبية قد أصبح مستحيلًا. ستنشأ أوكرانيا من قوة كل بيت، وقوة كل بناء، وقوة كل فرد"(14). وبعد أيام، نشر مجلس الأطلسي، مركز الأبحاث المدعوم من حلف الناتو، خريطة طريقٍ بقلم دانييل ب. شابيرو Daniel B. Shapiro، سفير الولايات المتحدة السابق إلى إسرائيل في عهد الرئيس باراك أوباما، عن كيف يمكن أن تُصبح أوكرانيا "إسرائيل كبيرة"(15).

سبق للرئيس الأوكراني اليهودي أن امتدح إسرائيل خلال الاجتماع اليهودي في كييف سنة 2021 حين قال إن الدولة اليهودية تُعتبر "نموذجًا يُحتذى بالنسبة للأوكرانيين، وإن اليهود والأوكرانيين يقدّرون الحرية". نشرَ زيلينسكي تغريدةً أثناء الصراع بين حماس وإسرائيل سنة 2021 بأن إسرائيل كانت "الضحية" لأن صواريخ حماس كانت تسقط على مُدِنها.

كانت إسرائيل غالبًا ما تضع رهاناتها أثناء الحرب، فلم تُشجب جرائم الصّرب خلال أزمة البلقان في التسعينيات. حتى عندما قَصف الصّرب أسواقًا في سراييفو سنة 1994، وقَتلوا مئات المدنيين، رفضَت إسرائيل التمييز بين المُعتدي والضحية(16).

كان موقف إسرائيل أسوأ من ذلك بشأن التطهير العرقي في رواندا سنة 1994. أرسلت الحكومةُ فريقَ مساعدات طبية لمساعدة الناجين في رواندا بقيادة وزير حماية البيئة يوسي ساريد Yossi Sarid، إلا أن الإرسالية كانت للاستعراض فقط، لأن الحكومة كانت قد شحنت أسلحة إلى نظام الهوتو الإجرامي العنيف الذي قتل نحو

800.000 من التوتسي في مئة يوم. ضمّت شحنات الأسلحة مدافع عوزي الرشاشة، وقنابل يدوية، قبل وأثناء التطهير العرقي. عندما سُئل ساريد عن دعم إسرائيل لمذابح الهوتو، أجاب قائلًا: "ليس لدينا سيطرة على المكان الذي تذهب إليه أسلحتنا"(17).

عرف العالم ما الذي يحدث في رواندا، سواء في الطريق إلى التطهير العرقي، أو أثناء حدوثه، ولم يفعل شيئًا. لم تتوفَر أية وسائل تقنية حديثة، أو أدوات مراقبة متطورة لِتوقِف حدوث المذبحة عندما قامت القوى الغربية بتسليح المجرمين. كان لدى إسرائيل الخيار أن تحاول تقليل المذابح باستِخدام قدراتها الاستطلاعية القوية لإنذار التوتسي على الأقل، غير أنها أضافت مقدارًا كبيرًا من الوقود على النار، وأصبحت بذلك متّهمة بالمشاركة في المذبحة بشكل مباشر.

في سنة 2019، كتبَ المؤلف والفنان البريطاني جيمس برايدل James Bridle في كتابه "العصر المظلِم الجديد" مُنذرًا بمخاطر التجسس العام، وفسّر أن المراقبة العامة "تُظهِر نفسها على أنها برنامج استرجاع للماضي، لا يستطيع العمل في الحاضر، ويخضع تمامًا للسلطة القائمة. ما كان غائبًا في رواندا وفي سربرينيتشا (حيث قتلت الميليشيات الصَربية أكثر من 8000 مسلم بوسني سنة 1995) لم يكن الدليل على الوحشية، بل إرادة العمل على وقفها(18).

حذر إسرائيل تجاه روسيا سنة 2022 لم يكن مفاجئًا، لأن شركة المراقبة الإسرائيلية سيليبرايت Cellebrite كانت قد باعت لفلاديمير بوتين تقنيات التجسس على الهواتف التي استخدمها ضد

مكتبة ياسمين

المتمردين، وضد معارضيه السياسيين على مدى سنوات، واستخدمها عشرات الالاف من المرات. لم تبع إسرائيل لأوكرانيا برنامج بيغاسوس Pegasus القوي للتجسس على الهواتف، على الرغم من أن أوكرانيا قد طلبته منذ سنة 2019، لأن إسرائيل لم تشأ إثارة غضب موسكو. وهكذا شاركت إسرائيل في انحدار روسيا نحو التسلّطية.

خلال أيام من الغزو الروسي لأوكرانيا، ارتفعت أسهم شركات الدفاع في العالم ارتفاعًا كبيرًا، بما فيها أسهم إلبيت سيستمز Elbit Systems أكبر شركة دفاع إسرائيلية، التي ارتفعت أسهمها نحو 70 بالمئة عن السنة التي سبقت ذلك. أنظمة اعتراض الصواريخ هي من أكثر الأسلحة الإسرائيلية طلبًا. ناقش مُحلّلون ماليّون من بنك سيتي Citi الأمريكي أن الاستثمار في إنتاج الأسلحة هو أمرٌ أخلاقيّ لأن "الدفاع عن القِيم الديموقراطية الليبرالية، وصنع رادع قوي... يحفظ السلام والاستقرار العالمي"(19).

كانت شركات المعلوماتية الإسرائيلية مطلوبة بشدة. قالت وزيرة الداخلية الإسرائيلية آيليت شاكيد Ayelet Shaked إن إسرائيل ستستفيد ماليًا لأن الدول الأوروبية تريد الأسلحة الإسرائيلية(20). كشفت عن السر الخافت بكل صراحة دون أن تخجل من انتهاز الفرصة في لحظة أزمة. صرّح مصدر من صناعة الدفاع الإسرائيلية لصحيفة هآرتس: "لدينا فرص غير مسبوقة، والاحتمالات مجنونة"(21).

لا تُصدّر إسرائيل خبراتها في الاحتلال فقط، فبعض الأمريكيين يهتمون بالتعلّم المباشر على الأرض في الدولة اليهودية ذاتها قبل نقل هذه

مكتبة ياسمين

الخبرات إلى بلادهم. في سنة 2004، نشطت رابطةُ مكافحة التشهير (ADL) الأمريكية المؤيدة لإسرائيل، والتي تصف نفسها بأنها منظمة للحقوق المدنية، وبدأت بإرسال بعثات من الشرطة الأمريكية إلى إسرائيل بقصد منح هؤلاء الضباط استلهامًا ثمينًا مباشرًا في أعقاب هجمات 11 سبتمبر 2001، بشأن الكيفية التي تغلّبت فيها إسرائيل على الإرهاب. زار إسرائيل منذ ذلك الحين أكثر من ألف فرد من الشرطة الأمريكية في برنامج رابطة مكافحة التشهير وغيرها من الجماعات المؤيدة لإسرائيل. تعلّموا ما أرادت إسرائيل أن تقول لهم عن الانتحاريين التفجيريين، وعن جمع المعلومات، والإرهاب.

رابطةُ مكافحة التشهير لها تاريخٌ طويل كجماعة ضغط نشيطة مؤيدة لإسرائيل، تُخفي نفسها وراء شعارات الحقوق المدنية، إنما لم تمنح من جهودها وقتًا للمساواة الفلسطينية أبدًا. في التسعينيات، تسلّل أحد العاملين في رابطة مكافحة التشهير اسمه روي بولوك Roy Bullock للعمل ضمن جماعات أمريكية يسارية وجماعات الأمريكيين من أصول أفريقية لكي يجمع معلومات حول من يُعتقد أنهم أعداء لإسرائيل(22). نقل هذا الرجل ذاته معلومات استخباراتية إلى نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا. تتّسم هذه العملية بنمطٍ مألوف مازال مستمرًا حتى اليوم. أحد الأهداف الرئيسية لرابطة مكافحة التشهير كان دائمًا استهداف مُنتقدي الدولة اليهودية(23).

على الرغم من وجود إشاعات تنفي ذلك، لا يوجد أي دليل على أن ديريك شوفين Derek Chauvin ضابط الشرطة الذي قتل الأمريكي الأسود جورج

مكتبة ياسمين

فلويد George Floyd في مايو 2020 لم يتعلم التقنية القاتلة بوضع الرَكبة على العنق خلال تدريبه في إسرائيل. بغضَ النظر عن ذلك، يستخدم جيش الدفاع الإسرائيلي بشكل روتيني هذه الحركة الخانقة على الفلسطينيين. حسب تصريح ديفيد س. فريدمان David C. Friedman، رئيس مبادرات تطبيق القانون الوطني في رابطة مكافحة التشهير، فإن الغاية من برنامج الشرطة كان خلق روابط "بين مؤسسات تطبيق القانون في الدولتين الديموقراطيتين". عاد رجال الشرطة الأمريكيون "وقد أصبحوا صهيونيين يفهمون إسرائيل واحتياجاتها الأمنية من جوانب لم يعرفها كثير من المستمعين"(24).

تسارعت أسئلة الخدمات الأمنية الأمريكية فورًا بعد هجمات 11 سبتمبر على الرغم من أن تطبيق القانون في أمريكا لم يكن بحاجة إلى إسرائيل لكي يصبح عنيفًا أو عنصريًا، فقد كان لديه تاريخ طويل من المضايقة، وسوء الاستخدام، والاعتقال، والقتل ضد الأمريكيين الأفارقة وغيرهم من الأقليات دون مبرَر. تمتد جذور ذلك في ترسيخ العبودية والدفاع عنها، وفي هيمنة البيض داخل الحدود الأمريكية - وتعكس معاملة إسرائيل للفلسطينيين. لا شك بأنهم تعلَموا من بعضهم خلال الزيارات إلى إسرائيل والولايات المتحدة. في سبتمبر 2022، تمَت استضافة اللواء عامير كوهين Amir Cohen، رئيس حرس الحدود الإسرائيلي، من قبل نظيره الأمريكي راوول أورتيز Raul Ortiz، رئيس حرس الحدود الأمريكي. قال أورتيز إنه مهتمٌ بتعلَم الوسائل "غير القتالة" التي يستخدمها الإسرائيليون لتفريق وقمع المتظاهرين. عرض أورتيز طائرة

مكتبة ياسمين

مسيّرة إسرائيلية تُسقط الغاز المسيل للدموع على المتظاهرين(25).

دزبت الولاياث المتحدة خلال الحرب الباردة قوات الشرطة في أكثر من خمسين دولة على قمع المتمردين(26). يعتبر كثير من الأمريكيين السود قوات الشرطة بأنها تحتل مدنهم بينما أصبحت المراقبة العامة، والطائرات المسيّرة، وتقنيات التّعرف على الوجوه وقائع موجودة في الحياة اليومية. باعث شركة الرقابة الإسرائيلية سيليبرايت Cellebrite أدواتها لمراقبة الهواتف لكثير من دوائر الشرطة في الولايات المتحدة(27). وكما صرّح تيرنس غاينر Terrence W. Gainer، رئيس الشرطة في العاصمة الأمريكية سنة 2005: "إسرائيل هي جامعة هارفارد في مكافحة الإرهاب"(28).

ربطث حركةُ "حياة السود مهمَة Black Lives Matter" بوضوح بين استعمار فلسطين والوسائل التي تعامَلث بها قوات الأمن الأمريكية مع الأقليات. كتَب كوري بوش Cori Bush، عضو الكونغرس الأمريكي من أصل أفريقي سنة 2021: "نضال السود والفلسطينيين من أجل الحرية مرتبطان، ولن نيأس ولن نتوقَف حتى نتحرَر جميعًا".

قادث جماعة "صوت يهودي من أجل السلام Jewish Voice for Peace" أنجح حملة ضد إرسال بعثات الشرطة الأمريكية إلى إسرائيل، وهي جماعة نشطاء أمريكيين أُطلقث حملة "التبادل المميت Deadly Exchange" سنة 2017 ضد هذه البعثات لأنها تمثل "اندماج عنف الدولة في الولايات المتحدة وإسرائيل"(29).

في أعقاب قتل الشرطة الأمريكية لجورج فلويد، اقترحت إدارة رابطة مكافحة التشهير إنهاء بعثات الشرطة في رسالةٍ داخلية سريَة كُتب فيها: "في ضوء عنف الشرطة الحقيقي على يد قوات الشرطة الأمريكية، يجب أن نُطرح على أنفسنا أسئلة صعبة، مثل هل نُساهم نحن في هذه المشكلة؟ يجب أن نسأل أنفسنا، هل يحتاج رجال الشرطة الأمريكية الذين يطبّقون القوانين الأمريكية إلى الالتقاء بأعضاء الجيش الإسرائيلي؟ يجب أن نسأل أنفسنا فيما إذا كان هؤلاء الذين تم تدريبهم لدينا قد أصبَحوا أكثر استعدادًا لاستخدام العنف بعد عودَتهم إلى بلادهم؟"(30). في النهاية، قرّرت رابطة مكافحة التشهير الاستمرار ببرامج البعثات.

إفرايم إيفراتي Efraim Efrati هو أحَد الأفراد وراء برنامج التبادل المميت، وكان عنصرًا سابقًا في جيش الدفاع الإسرائيلي، وأصبح ناقدًا قاسيًا للاحتلال، وقد أخبرني أن استقصاءه لهذه القضية قد كشَف عن مثال يوضح كيف أن الاحتلال الإسرائيلي يشكّل إلهامًا قويًا لمن يريدون معرفته وتطبيقه في بلادهم، وقال: "سمعت كثيرًا من رجال الشرطة الأمريكية يسخرون من التدريب الإسرائيلي، وبدلًا من اعتباره نصائح عملية، اعتبروه وسيلة للحصول على ترقية، واكتساب حالة ذهنية أكثر عدوانية".

نقطةُ تركيزي الأساسية في هذا الكتاب هي كفاءة فلسطين كموضع مناسب لاختبار أساليب السيطرة والفصل بين الجماعات السكانية. يبحث الكتاب في كيفية تصدير إسرائيل للاحتلال، ولماذا أصبح ذلك نموذجًا جذابًا، بأساليب تضع الدولة اليهودية في إطار يجعلها إحدى أكثر الدول تأثيرًا على وجه

مكتبة ياسمين

الأرض. لا تسرد الفصول التالية تفاصيل الدول العديدة التي تم فيها قمع الديموقراطية باستخدام أدوات إسرائيلية ووسائل مراقبتها فحسب، بل تكشف أيضًا عن حملةٍ لزيادة تواجد كيانات إثنية-قومية مماثلة، والتأثير عليها.

يجب ألا يكون كسب الشركات الإسرائيلية الأموال باستغلال الاحتلال مسألة خلافية. يمتلئ كتابي بأمثلة كثيرة عن شركات إسرائيلية تعرض ما تم عمله في فلسطين، وكيف يمكن استخدام هذا النموذج في دول أخرى. ومع ذلك، فعندما تحدّثت مع واحِد من أشهر الصحفيين الاستقصائيين الإسرائيليين هو رونين بيرغمان Ronen Bergman الذي يَكتب في النيويورك تايمز، والذي ألّف سنة 2018 الكتاب المعروف "انهض واقتل أوّلًا: التاريخ السرّي للاغتيالات الإسرائيلية الموجّهة"، اعترض واحتجّ على ذلك.

اعترفَ بيرغمان بأن "أخلاقية الاحتلال مُلتَبِسَة، وأن السيطرة على شعب آخر في أراضٍ أخرى دون إعطائهم حقوقًا متساوية تمثل تحديًا للديموقراطية الإسرائيلية". ولكن عندما تم إحراجه بشأن كيفية استخدام الاحتلال كوسيلة تسويقية، أجاب قائلًا: "لا أعرف شركةً تسوّق منتجاتها بينما تتفاخر بأن منتجاتها قد استُخدمت ضد الفلسطينيين بهذا الشكل. لا شك بأن كثيرًا من هذه المنتجات هي أدوات مضادة للإرهاب، ويستطيع المرء أن يخمّن من أين أتت المنظمات، ومن أين جاء الأفراد الذين تستهدفهم هذه الأدوات. هناك اختلافٌ بين أمرٍ تنشر دعاية له، وأمرٍ آخر تتحدّث عنه في اجتماعٍ خاص مع زبائنك، حيث أفترض أنهم يشعرون بقيودٍ أقلّ".

مكتبة ياسمين

قال إنه مع انتشار حركة المقاطعة وعدم الاستثمار والعقوبات على إسرائيل، فإن شركات الدفاع الإسرائيلية "يجب ألا تهتم من وجهة نظرها، وأن تكون صريحة في ذكر الفلسطينيين. وإنَ التبجّح باستخدام مدفع رشاش جديد في المناطق الفلسطينية المحتلة من أجل شدّ انتباه جهةٍ ما لشرائه قد يؤدي إلى نتائج عكسية جدًا". ومع ذلك فإن الأدلة واضحة، ويسرد هذا الكتاب بالتفصيل كيف أن الاحتلال هو وسيلة التسويق النموذجية.

يُمثلُ المختبر الفلسطيني تحذيرًا من أن مشاركة القمع مع التقنيات الإلكترونية الحديثة أصبحت أسهل الآن بكثير عن ذي قبل. الأفكار الإثنية القومية التي تَكمُن وراءها تَجذب ملايين الناس، لأن القادة الديموقراطيين قد فشلوا في تحقيق أهدافهم. وجد استبيانٌ قام به مركز بيو للأبحاث Pew Research Center في 34 دولة سنة 2020 أن 44 بالمئة فقط من المشارِكين كانوا راضين عن الديموقراطية، بينما كان 52 بالمئة منهم غير راضين.

تنمو الأفكار الأثنية القومية وتزدهر عندما تَضعف الديموقراطية المسؤولة وتتلاشى. إن إسرائيل هي النموذج المثالي، والهدف النهائي.

مكتبة ياسمين

قال إنه مع انتشار حركة المقاطعة وعدم الاستثمار والعقوبات على إسرائيل، فإن شركات الدفاع الإسرائيلية "يجب ألا تهتم من وجهة نظرها، وأن تكون صريحة في ذكر الفلسطينيين. وإنَ التبجّح باستخدام مدفع رشاش جديد في المناطق الفلسطينية المحتلة من أجل شدّ انتباه جهةٍ ما لشرائه قد يؤدي إلى نتائج عكسية جدًا". ومع ذلك فإن الأدلة واضحة، ويسرد هذا الكتاب بالتفصيل كيف أن الاحتلال هو وسيلة التسويق النموذجية.

يُمثّل المختبر الفلسطيني تحذيرًا من أن مشاركة القمع مع التقنيات الإلكترونية الحديثة أصبحت أسهل الآن بكثير عن ذي قبل. الأفكار الإثنية القومية التي تكمن وراءها تجذب ملايين الناس، لأن القادة الديموقراطيين قد فشلوا في تحقيق أهدافهم. وجد استبيانٌ قام به مركز بيو للأبحاث Pew Research Center في 34 دولة سنة 2020 أن 44 بالمئة فقط من المشارِكين كانوا راضين عن الديموقراطية، بينما كان 52 بالمئة منهم غير راضين.

تنمو الأفكار الأثنية القومية وتزدهر عندما تَضعف الديموقراطية المسؤولة وتتلاشى. إن إسرائيل هي النموذج المثالي، والهدف النهائي.

الفصل الأول

بَيع الأسلحة لكل مَن يريدها

"لا يهمني ما الذي سيفعله غير اليهود بالأسلحة. الأمر المهم هو أن يكسَب اليهود".

مستشار إسرائيلي لدولة غواتيمالا في الثمانينيات (تم الاقتباس عن المستشار في كتاب أندرو كوكبين Andrew Cockburn وليزلي كوكبين Leslie Cockburn "تحالف خطين الرواية الداخلية للعلاقة السرية الأمريكية-الإسرائيلية"، نيويورك، Perennial, 1992)

كان دانييل سيلبرمان Daniel Silberman يبلغ من العمر ست سنوات عندما حدث الانقلاب في تشيلي. في 11 سبتمبر 1973، كان يعيش مع أسرته في مدينة شمالية صغيرة اسمها تشوكيكاماتا Chuquicamata. وكان والده المهندس ديفيد سيلبرمان David Silverman حليفًا وصديقًا للرئيس الاشتراكي المنتخب سلفادور أيينديSalvador Allende، وعمل كمدير عام لمناجم النحاس في كالاما Calama. لم تكن عائلة سيلبرمان يهودية متدينة، وانتقلا إلى المنطقة الصحراوية سنة 1971. أخبرني دانييل أن أهل تشيلي كانوا "ملتزمين بالتغيير مثلما كان رئيس الوزراء الإسرائيلي ديفيد بن غوريون في الخمسينيات عندما قال إنه أراد أن يزهر الصحراء". لم توجد في تشوكيكاماتا سوى بضع عائلات يهودية انذاك.

"كان يوم 11 سبتمبر 1973 اليوم الذي تغيرت فيه حياتنا إلى الأبد". كتب دانييل في صحيفة الغارديان سنة 1998(31). "تسلم الجيش

مكتبة ياسمين

السلطة، وقصف لامونيدا، القصر الرئاسي في سانتياغو عاصمة تشيلي، مما أدى إلى قتل عدد كبير من الناس، كان بينهم الرئيس أييندي، وأُلقي القبض على مئات آخرين، وأُطلق الرصاص على الناس في الشوارع. تم حصر عددٍ كبير من الناس في الإستاد الوطني؛ المكان الوحيد الذي يسع الأعداد الضخمة من الناس المقبوض عليهم. وبدأت من هناك الإهانات والتعذيب التي اشتهر بهما نظام الحكم فيما بعد".

اضطربت حياة عائلة سيلبرمان. عادوا إلى سانتياغو بُعيد الانقلاب، وسلّم والد دانييل نفسه إلى النظام الذي قاده الجنرال أغوستو بينوشيه Augusto Pinochet بعد أن قُتل الجيش عددًا كبيرًا من العمال في المنجم الذي كان يديره. كان يأمل أنه ربما سينقذ نفسه لأنه لم يرتكب أية جريمة. ولكن بدلًا من ذلك، خضع لمحكمة عسكرية دون أن يُمنح حقَ الدفاع عن نفسه، واتُّهم زورًا بأنه اختلس 13 مليون دولار.

حُكم عليه بالسجن 13 سنة، وتمكّنت والِدة دانييل وأولادها من زيارة ديفيد، غير أن حالته تدهورت بسبب الضرب، والتعذيب، والتّعرض للصدمات الكهربائية في أعضائه التناسلية. وفي خارج السجن، كان البوليس السري يُراقب عائلة دانييل باستمرار ليلًا ونهارًا، ولم تستطع والدته أن تحصل على عمل لأن الشركات لم تستطع توظيفها. تمكّنوا من العيش بفضل ما كانت العائلة تكسبه من ورشة خياطة.

غضبت والدة دانييل من سوء المعاملة التي تلقّاها زوجها، وأخذت تكتب رسائل لمتنفّذين في كافة أنحاء العالم سعيًا وراء إطلاق سراحه. ومع نهاية

عام 1974، ظنّت أنها قد نجحت عندما اكتشف تحقيقٌ قامت به الحكومة التشيلية أن محاكمته كانت غير قانونية، وتم منحه العفو. الشرط الوحيد الذي وضعه نظام بينوشيه هو أن يتم الإفراج عن ديفيد بشرط أن تُغادر الأسرة بكاملها إلى المنفى. وفورًا أخبرت والدةُ دانييل أقاربها في إسرائيل أنهم سيجتمعون معًا كلهم في القريب العاجل.

ولكن، في 4 أكتوبر 1974، اختُطف ديفيد من سجن سانتياغو، ولم يُشاهد مرة ثانية بعد ذلك. قال دانييل إن أسرته تعتقد الآن أن والده قد قُتل سنة 1974 على الرغم من عدم وجود جثمانه ولا مكان دَفنه. قال دانييل إن "ذكرياته عن والده باهتة، ولا يوجَد لدينا قبره، وليس لدينا معلومات عن زفاته". في الفترة 1974-1977، ذكَرت السلطات التشيلية لأسرته أكاذيب عن أخبار ديفيد. قال دانييل إنه يَعتقد أن والده قد تم اغتياله، لأن بينوشيه حمَل ضغينةً انتقامية شخصية ضده (لأنه كان يَعرفه قَبل انقلاب 1974).

لم تُغادر أسرة سيلبرمان تشيلي نهائيًا حتى عام 1977، واستقرّت في إسرائيل. بَعد ذلك بسنوات طويلة، في سنة 1991، بعد عودة الديموقراطية إلى تشيلي، اعترفت لجنةٌ حكومية بالحقيقة: تم خَطف ديفيد من السجن بعمليةٍ قام بها جهاز المخابرات. تسلّمت الأسرة مبلغًا صغيرًا من المال كتعويضٍ دون ذكر أية تفاصيل واضحة عن طريقة موته.

اقتضى الأمر وقتًا طويلًا قبل أن يُدرك دانييل جيدًا الدّور الذي لعبته الولايات المتحدة وإسرائيل في التآمر مع حُكم بينوشيه، ووفاة والده. أثبتت وثائق نُشرت في عهد الرئيس الأمريكي بيل

مكتبة ياسمين

كلينتون سنة 1999 أن وكالة المخابرات الأمريكية كان لديها معرفة وثيقة بقادة الانقلاب، وأنها وافقت عليه وساعدته. حاول الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون أن يقوّض نظام الرئيس التشيلي أييندي قبل انتخابه سنة 1970، ولكنه فشل في ذلك. إنما بعد أن تسلّم السلطة، عملت واشنطن على إعاقة قدراته في الحكم بكفاءة. تمّت الموافقة على القيام بعمليات سريّة لتقويض نظام أييندي في تشيلي، وتواصلت شخصيات عسكرية تشيلية مع مسؤولين أمريكان قبل الانقلاب من أجل طلب المساعدة لضمان النجاح. ذكرَت برقيةٌ من وكالة المخابرات الأمريكية بتاريخ 21 سبتمبر 1973:

"المزاج السائد في الجيش التشيلي هو استغلال الفرصة الحالية للقضاء على بقايا الشيوعية في تشيلي بشكل نهائي. تم التخطيط لقمع شديد. يجمع الجيش أعدادًا كبيرة من الناس بمَن فيهم الطلاب واليساريين من جميع الصفات، وحبسهم"(32).

سارعت وكالةُ المخابرات المركزية الأمريكية للتقليل من أهمية النتائج. صرّحت برقيةٌ في 21 مارس 1974 رُفعت السرية عنها بأن "المجلس العسكري لم يكن متعطشًا للدماء. كانت الحكومة هدفًا لاتهامات عديدة تتعلق بانتهاكات مزعومة لحقوق الإنسان. كثيرٌ من الاتهامات كانت مجرد تزييف بدافع سياسي، أو مبالغات فاضحة". في الحقيقة، تم قتل 5000 شخص، وتعذيب أكثر من 30.000 في عهد بينوشيه المرعب في الفترة 1973-1990. كما أن مسؤولين أمريكان دعموا وشجّعوا على القيام بعملية النسر في السبعينيات والثمانينيات. في هذه العملية الجماعية، قامت ثماني ديكتاتوريات مدعومة من الولايات المتحدة

في تشيلي والأرجنتين والأوروغواي وبوليفيا والباراغواي والبرازيل والبيرو والإكوادور بخطف وتعذيب واغتصاب وقتل معارضين سياسيين داخل حدودها وفي المنطقة كلها(33).

بعد أن قبضت بريطانيا على بينوشيه في لندن في أكتوبر 1998 بسبب مخالفات تتعلّق بحقوق الإنسان حسب حُكمٍ دوليٍ أصدره القاضي الإسباني بالتاسار غارسون Baltasar Garzón، تم الإفراج عن فيضٍ من الوثائق الأمريكية التي تحتوي تفاصيل عن تورّط الغرب مع المجلس العسكري التشيلي. وضِع بينوشيه تحت الإقامة الجبرية في لندن لمدة سنة ونصف قَبل أن يُفرَج عنه ويُرسَل حرًا إلى تشيلي في مارس 2000. لم يتحقُق العدل لضحاياه أبدًا(34).

قال دانييل إن التشيليين قد دهشوا وخاب أملهم بشأن الإقامة الجبرية لبينوشيه. "لم يكن لدينا أي أمل بأنه سيخضع للمحاكمة. كنا سعداء باعتقاله، وكان هنالك اهتمام عالمي بشأن ما حدَث في تشيلي بَعد انقلاب 1973، كانت ردود الأفعال في تشيلي مفاجئة من الوسط واليسار، وفجأة ظهَر في الأمة التساؤل: كيف تَجرأ قاضٍ إسباني على محاكمة بينوشيه؟ إذا كان لا بد من محاكمته، فيجب أن نكون نحن من يقوم بذلك".

مازال الغموض يخيّم على دور إسرائيل في وحشية بينوشيه لأن إسرائيل ترفض الإفراج عن تفاصيل دورها، غير أن وثائق كافية قد ظهرت وكشفت عن علاقةٍ قذرة بين إسرائيل والمجلس العسكري التشيلي. لم تكتف إسرائيل بتدريب عناصر تشيلية للمساعدة في قمع شعبهم، فبعد صدور قرار منع تصدير السلاح من الولايات

مكتبة ياسمين

المتحدة إلى تشيلي في الكونغرس الأمريكي سنة 1976، اعترفت برقيةٌ صدرت عن السفارة الأمريكية في تشيلي بتاريخ 24 أبريل 1980 بأن إسرائيل كانت مُورِّدًا رئيسيًا للسلاح إلى بينوشيه. ذكَرتْ برقيةٌ أخرى بتاريخ 10 أبريل 1984 أن وكيل وزارة الخارجية الأمريكية قد صرَح بأن إسرائيل مازالت واحدة من المُورِّدين الرئيسيين للسلاح إلى النظام(35). قوّض هذا التدفُق المستمر من الأسلحة جميع الفوائد المحتملة لمنع تصدير السلاح من أمريكا، لأن إسرائيل لم تكن جزءًا من ذلك القرار(36).

قال دانييل: "كان الأمر صادمًا ومؤلمًا بالنسبة إليّ شخصيًا عندما اكتشفتُ أن إسرائيل كانت تساعد نظام بينوشيه، فقد كانت هذه الدولة هي التي منحَت عائلتي فرصة ثانية. هناك كثير من اللامبالاة في الرأي العام الإسرائيلي بشأن هذا التعاون لأن كثيرًا منهم يؤمنون بأن اليهود قد عانوا كثيرًا، ويجب علينا أن نكسَب كثيرًا من الأصدقاء عالميًا لكي نَنجو في عالَمٍ قاسٍ".

نُشر تقرير منقَّح من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في 5 فبراير 1988 وردَت فيه تفاصيل عن أسلحة، مثل الصواريخ والدبابات والطائرات التي أرسلتها إسرائيل إلى المجلس العسكري التشيلي: "في رأينا، من غير المحتمل أن تُعرِّض إسرائيل علاقاتها العسكرية مع سانتياغو للخطر بتأييد استعادة الديموقراطية في تشيلي"(37).

على الرغم من أن إسرائيل قد أظهرت تأييدًا كبيرًا لنظام بينوشيه، فإن عددًا قليلًا من الدبلوماسيين قد عارضوا ذلك. حسب رواية ظهرت في الصحيفة الإسرائيلية هآرتس سنة 2022، بعد انقلاب سنة

1973، حاول السفير الإسرائيلي في تشيلي موشيه توف Moshe Tov إنقاذ نحو 300 شخص، كان معظمهم من اليهود من الحبس أو الموت المؤكّد. حاولت السلطة المستبدّة وقف هذه المهمة بالذهاب إلى السفارة الإسرائيلية في سانتياغو، والمطالبة بالدخول، وكشف وجود نحو ثلاثين متمردًا كانوا يقيمون هناك مؤقتًا، إلا أن توف رافق جميع المعارضين شخصيًا إلى المطار لكي يضمن سلامتهم وخروجهم من البلاد بأمان(38).

غير أن هناك تساؤلات جدّية بشأن مصداقية هذه الادعاءات، ولا توجد وثائق رسمية تُثبتها. إنما حسب برقيةٍ رُفعت عنها السريّة آنذاك اعتقد توف بأن انتقاد النظام كان غير عادل، وساعد في تحسين صورة بينوشيه في واشنطن(39).

انضمّ دانييل سنة 2015 إلى مجموعة من الناجين من نظام بينوشيه، ورفعوا قضية قانونية في إسرائيل بمساعدة محامي حقوق الإنسان إيتاي ماك Eitay Mack. طالبوا بأن تكشِف سلطات الدولة عن ارتباطاتها بالمجلس العسكري التشيلي. كما رفع المواطن الإسرائيلي إيتان كالينسكي Eitan Kalinsky شهادةً خطّية ومطالبة قانونية. كان إيتان وزوجته قد أرسلا إلى تشيلي سنة 1989 من قبل الوكالة اليهودية من أجل إسرائيل، وهي أكبر منظمة يهودية غير ربحية في العالم. كانت الفترة قريبة من نهاية حكم بينوشيه، وقد حضرا معًا مظاهرة شعبية تعترض على الديكتاتورية. شرح إيتان ما شاهده في إفادته:

"في إحدى المظاهرات في سانتياغو، كانت هناك عربات مجهّزة بمدافع مائية ملونة، ويتغير لون الماء كل بضع دقائق، كأن يكون أخضر فاقعًا مثلًا. قال لي

مبعوث هاشومير هاتزائير Hashomer Hatzair، وهي حركة صهيونية شبابية عالمية: "انظر، كُتب عليها هاكيبوتز هاآرتسي هاشومير هاتزائير Hakibbutz Haartzi Hashomer Hatzair". عرفنا جميعًا أنها صُنعت في كيبوتز بيت ألفا في شمال إسرائيل. دفعت المياه الملونة المتظاهرين بقوة كبيرة، وحطّمت نافذة أحد المحلات. كنتُ مبعوثًا من دولة إسرائيل، ولم أتمكّن من انتقاد الدولة، ولذا فقد كتمتُ آلامي في داخلي.

سألنا آباءٌ من أصحاب الميول اليسارية كيف تُساعِد إسرائيل بينوشيه؟! لم أتفوّه بأي كلمة سيئة عن إسرائيل، إنما صرختُ للحيطان في البيت. كانت مظاهرةُ مدافعِ المياه قاسيةً. لم يستسلم المتظاهرون بسهولة. ولم يتراجعوا إلا بسبب مدافع المياه. أخبرني آخرون أن مظاهرات قُرب الجامعات في المدينة القديمة قد تمَت مواجهتها بمزيد من مدافع المياه. شاهدتُهم بنفسي مرة واحدة في سبتمبر 1989 في مظاهرة بمناسبة ذكرى انقلاب 1973(40).

بينما كانوا يتابعون قضيتهم، واجه دانييل ورفاقه سنوات من محاكمات كافكا من المصاعب القانونية في إسرائيل، وعدم رغبة المؤسسات الإسرائيلية بالإفراج عن أي تفاصيل مهمة. ادّعت الحكومةُ الإسرائيلية في البداية عدم وجود مراسلات بين إسرائيل وتشيلي في عهد بينوشيه. ثم قالوا ليس لديهم القوة العاملة الكافية لتنقيح الوثائق، التي من المفترض أنها لم تكن موجودة، بعد أن اعترفوا بوجود 19 ألف وثيقة في السجلات. كان ذلك بعد أن قالوا إنه لا يمكن الإفراج عن الوثائق إلا بعد سبعين سنة.

مكتبة ياسمين

انحازت المحكمة في البداية إلى طرف المدّعين، وطلبت من الحكومة تعيين موظفين للبحث في الوثائق ذات العلاقة بالقضية. اقترح القاضي أن يجتمع المدّعون مع مسؤولين لوضع جدولٍ زمني بشأن عدد الوثائق التي يمكن الإفراج عنها في فترة زمنية محددة. بعد سنة واحدة، أعطتهم إسرائيل 12 صفحة من وثائق تتعلّق بتشيلي خلال سنة 1981 إنما لا علاقة لها بالقضية. بعد أن استأنف المدّعون قضيتهم في محكمةٍ إسرائيلية أعلى، ادّعت الحكومة أنها فحصت 400 وثيقة، ولم تجد فيها ذِكرًا لعائلة دانييل سيلبرمان.

استأنف دانييل سيلبرمان وجماعته قضيتهم في المحكمة الإسرائيلية العليا سنة 2019 بَعد سَماع إشاعات عن أن الحكومة قد نقلَت وثائق من سجلات الدولة إلى الجيش. لا تُفتح سجلات الجيش الإسرائيلي لِمطالب حرية المعلومات، وقد يتم إخفاء الوثائق هناك نهائيًا. قال دانييل "مَنحَتنا المحكمة العليا دائمًا فرصة للحديث، ولكنها كانت أشبه بموكب استعراضيَ يُعطي الانطباع بأننا دولة ديموقراطية".

في سنة 2019، رفضت المحكمة العليا سَماع القضية. وبينما كانت تُظهر التعاطف مع العائلات التي كانت تبحث عن إجابات، تم طرح الأمن كسببٍ نهائي لمنع نشر المعلومات. اقترح أحد القضاة أن يحاول المدّعون مع الموساد، فربما لديهم المعلومات المطلوبة. اعتقد دانييل أن هذا يعني أن الموساد ربما كان لديها بعض المعلومات التي تتعلق بالقضية، غير أن محاميهم لم يذهب إلى أي مكان.

كانت ليلي تراوبمان Lily Traubman واحدة من المدّعين في هذه القضية، وكان المجلس العسكري

التشيلي قد اغتال والدها، وهربت عائلتها إلى إسرائيل سنة 1974، وهي تعيش الآن في كيبوتز مجيدو في شمال إسرائيل. كانت تتعذّب دائمًا بسبب ما شاهدته في تشيلي بعد انقلاب 1973، وقالت لصحيفة هآرتس سنة 2015: "سمعتُ عن أناس قد اختفوا، وتم تعذيبهم وقتلهم. مرّ عليّ زمنٌ لم أتمكّن فيه من مغادرة مخبئي، ولم أعرف ما كان يجري فعليًا"(41).

شعرت تراوبمان، مثلما شعر دانييل سيلبرمان، بواجبها وضرورة الاستمرار في دفع القضية والمطالبة بكشف دور إسرائيل خلال أيام تشيلي المظلِمة. قالت: "معرفةُ وإدراكُ ما جرى هناك يتعلق بقيمة الحرية في العالَم. علاقاتُ إسرائيل بجنوب السودان هذ الأيام، حيث قامَت الدولةُ اليهودية بتسليح حكومتها التسلطِية، تُثبت أن مِثل هذه العلاقات مازالت موجودة، ويجب كَشفها للتأكد من أنها لن تتكرّر، ومن أجل العدالة التاريخية. هذا مهمٌ ليس من أجل الماضي فحسب، بل من أجل المستقبل أيضًا".

يقضي دانييل معظم وقته الآن وهو يتحدّث إلى طلاب المدارس من اليهود والعرب عن دَور إسرائيل الحقيقي في العالَم، وعن علاقة ذلك باحتلال الأراضي الفلسطينية. "أقولُ إن المواطنين الإسرائيليين لا يتلقون عوائد صفقات بيع الأسلحة، بل تذهب إلى تجّار الأسلحة. إنكم تعقدون صفقات مع المتنمّرين في العالم. وميزةُ التسويق التي تستخدمها شركاتُ الأسلحة الإسرائيلية هي أننا نبيع معداتٍ تم اختبارها ميدانيًا في الأراضي الفلسطينية المحتلة. الطاقةُ المحرّكةُ لصناعة الأسلحة هذه هي أنهم يريدون أن يستمر الصراع

مع الفلسطينيين إلى الأبد. يتم تجاهل الاعتبارات الأخلاقية تمامًا عندما تُساعد إسرائيل الأنظمة الديكتاتورية. تتعلّق المسألة بالمال، وبأن نكون أمة قوية".

منذ أن أصبح دانييل أكثر وعيًا بتواطؤ إسرائيل في مقتل أبيه، استمرّ في مسيرته السياسية في التوجّه نحو اليسار السياسي، غير أن هذا المسار قد أصبح أقلية متناقصة في إسرائيل. عندما تحدّث في مدرسةٍ في قرية عربية صغيرة إلى مجموعة من الشباب، عرفوا حقيقة أن تشيلي تضمّ أكبر جالية فلسطينية خارج الوطن العربي، وأن اليهود والفلسطينيين يتمتّعون بعلاقات جيدة بشكل عام هناك(42). ذكر دانييل أن "الطلاب اليهود الذين أتحدّث إليهم يعتقدون بأنهم يعيشون في دولة ديموقراطية تمامًا. بينما يُدرك الطلابُ العرب أنه يتم التمييز ضدهم، وأنهم يُعتبرون مواطنين من الدرجة الثانية".

قال دانييل: "نسمع دائمًا هنا أننا الديموقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، غير أنك تقود السيارة بضعة أميال في الطريق، بينما لا يَملك الفلسطينيون هذا الحقّ. نحن نُسوّق لأنفسنا صورة عما نريد رؤيته. يقول كثير من الإسرائيليين هذه الأيام أن لدينا أكثر الجيوش أخلاقية في العالم، وهذا أمر يُثير السخرية".

تاريخ العسكرية الصهيونية، وبناء قطاع دفاعي محلّي قادر على الاستمرار، بدأ حتى قبل تأسيس إسرائيل. لاحظت دولة إسرائيل ومؤيدوها فورًا احتماليات تطوير الأسلحة من أجل مصالحهم، ومن أجل بيعها وتسويقها في الأسواق العالمية، وولد المختبر الفلسطيني.

مكتبة ياسمين

كانت ولادة إسرائيل سنة 1948 معجزةً بالنسبة لكثير من اليهود في العالم، غير أنها كانت نكبة للشعب الفلسطيني. في 14 مايو 1948، أعلن ديفيد بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية تأسيس الدولة اليهودية في إسرائيل، وهي الدولة الأولى منذ ألفي عام. اعترفت الحكومة الأمريكية بها في اليوم نفسه، إلا أن دعم واشنطن لإسرائيل لم يكن إحسانًا خيريًا. لفهم عقلية تلك الأيام، نشر جورج بيدل George Biddle صديق الرئيس فرانكلين روزفلت تقريرًا في صحيفة الأتلانتيك سنة 1949 بعد زيارته إلى الدولة الجديدة قائلًا إن تلك الزيارة كانت مُرشِدة. كان بيدل واضحًا في تأييده لإسرائيل، ومدافِعًا عنها بأن مصالح الغرب في الشرق الأوسط ستكون مضمونة إذا كانت الدولة اليهودية تَدور في مجال نفوذه. لم يظهر أنه كان يُحبّ اليهود كثيّرا حين كتب أنهم كانوا "ملطّخين بالشحوم" و"ثيابهم مُهترئة"، إنما بعد وصوله إلى إسرائيل اكتشف فجأة أنهم قد اكتسَبوا "جمالًا وحيوية وصحة وتهذيبًا وحُسن سلوك"، وأنهم كانوا قريبين من توماس جيفرسون، الرئيس الأمريكي السابق، والأب المؤسّس، ومالِك العبيد(43). أهمل بيدل العربَ الذين شاهدَهم، إنما اعتقد أنهم كانوا "خطرين مثل كثير من هنود أمريكا الشمالية تقريبًا"، ولأنهم لم يكونوا من البيض، فقد كانوا "قذرين ومرضى ورائحتهم كريهة ومتعفّنين وملوّثين بالحشرات والطفيليات"(44).

تقدير مدى غمق المذبحة التي حدثت للفلسطينيين لا يمكن حصره، ففي الفترة 1947-1949 تم التهجير القسري لنحو 750.000 مدني من السكان الذين كان تعدادهم قرابة 1.9

مليون، وأصبحوا لاجئين خارج حدود الدولة الجديدة. يُطلق عليها الفلسطينيون اسم النكبة. خلال سبعة أشهر، تم تدمير 531 قرية، وقتل 15.000 فلسطيني. تعرّض بقية الفلسطينيين للضرب والاغتصاب والاعتقال.

تنتشر أسطورة الشعب المظلوم الذي تمكّن من البقاء في عالمٍ قاسٍ لتبرّر سياسة الدفاع الإسرائيلية. عدمُ محاسبة إسرائيل على أفعالها سنة 1948 شجّع النُّخب الإسرائيلية السياسية والعسكرية المتتالية على الإيمان بأن وسائل الاستعمار والاحتلال مقبولة للعالم لأن قلّة من الأمم أو الهيئات الدولية حاولت التعايش جدّيًا مع الظلم الذي حدث آنذاك، أو بَعد حرب الأيام الستة سنة 1967.

تتردّد أصداء سنة 1948 في القرن الواحد والعشرين. عندما تسلّم يائير لابيد Yair Lapid منصب رئيس وزراء إسرائيل سنة 2022، انتقلَ مؤقتًا إلى بيتٍ في القدس كان يملكه فلسطينيون سنة 1948 قَبل أن يُجبروا على الهرب.

في منتصف الثلاثينيات، ساعَد القادمون الجدد من ألمانيا والنمسا في تصنيع المدن في فلسطين، وهنا كانت الأسلحة التي صنعتْها مصانع محلية جزءًا أساسيًا من التسليح الذي صنعه الصهاينة أو سرقوه من أجل الصراع القادم مع الانتداب البريطاني(45). تلقى عشرات الآلاف من اليهود تدريبًا عسكريًا بإشراف البريطانيين بعد سنة 1939، وقد ثبتت أهميةُ ذلك عندما أراد اليهود تأسيس دولتهم بعد الحرب العالمية الثانية(46). تدفّقت أعدادٌ كبيرة من اليهود إلى فلسطين بعد الحرب، وكان منهم رجالٌ قضوا سنوات في قتال

مكتبة ياسمين

النازيين، وهذا يعني أن الصهاينة كانوا قادرين على قتال البريطانيين والعرب معًا.

منذ منتصف الخمسينيات، طوّرت إسرائيل قطاع تسليحٍ مستقل، وبدأت ببيع معداتها القاتلة فيما وراء حدودها. بعد سنوات عديدة، أكّد رئيس الوزراء بن غوريون على أن إسرائيل "ستبيع أسلحةً إلى دول أجنبية في جميع الحالات التي لا تعترض عليها وزارة الخارجية". شهدت الخمسينيات تطوير شركاتٍ لتصنيع السلاح تملكها الحكومة، وتطوّرت شركات سلاحٍ خاصة في الستينيات، بما فيها إلبيت Elbit، وهي أكبر شركات السلاح الخاصة في إسرائيل الآن. تأسّست في 1966، وسرعان ما أصبحت مصدرًا رئيسيًا لمعدات الدبابات والطائرات الإسرائيلية. أصبحت بعد ذلك بسنوات شركةً رئيسية لتصدير الأسلحة لأنظمةٍ ديموقراطية واستبدادية، وتعمل عن قُرب مع الجيش الأمريكي وعدد من الدول الأخرى في تطوير طَيفٍ من المعدات، مثل الطائرات المسيّرة، ومناظير الرؤية الليلية، وأنظِمة المراقبة الأرضية، والذخائر القاتلة العالية التقنية. مازالت شركة إلبيت الآن تتمتّع بعلاقة وثيقة مع المؤسسات الأمنية الإسرائيلية، بل ودخلت أيضًا في صناعة نشر الكتب(47).

سيطرت إسرائيل سنة 1967 بسرعة كبيرة على الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية ومرتفعات الجولان، مما وضعها على مسارٍ عسكريّ لم يتوقّف منذ ذلك الحين. سمح ذلك الانتصار ببناء وتطوير معدات السيطرة على الفلسطينيين، ومن ثمّ إيجاد أسواق تصدير لها. لم تضطر الدولة اليهودية إلى البحث بعيدًا عن دولٍ مهتمة بذلك، وكانت معظمها دولٌ استبدادية، مثل إيران في عهد

مكتبة ياسمين

الشاه، ونظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا.

مع حلول منتصف الثمانينيات، كانت إسرائيل تحتلُّ القدس الشرقية، والضفة الغربية، وقطاع غزة، ومرتفعات الجولان أكثر من عشرين سنة. نشر توماس فريدمان، رئيس مكتب النيويورك تايمز في القدس في الفترة 1984-1988، مقالة رئيسية سنة 1986 تحت عنوان "كيف أدمن الاقتصاد الإسرائيلي بيع السلاح في الخارج". كانت مقالته محدودة بسبب - عدم ذكر الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين ولا مرة واحدة، ولا حتى كلمة فلسطين - غير أن فكرتها الأساسية كانت صحيحة: "على الرغم من أنَّ تعداد سكان إسرائيل يبلغ نحو أربعة ملايين فقط، إلا أنها أصبحت واحدةً من أكثر عشر دولِ مصدّرة للسلاح في العالَم"(48). لا أتذكّر عددًا كبيرًا من المقالات الأخرى قبل أو بعد مقالة النيويورك تايمز اقتربت من تفسير تجارة الأسلحة الإسرائيلية ودعمها للأنظمة التسلطية بمِثل هذه الأساليب الواقعية.

عبّر فريدمان عن المشاعر التي بدت متناقضةً داخل إسرائيل بين معارضي تجارة السلاح والمؤمنين بضرورتها:

"فكرةُ أن الدولة اليهودية يجب أن تعتمد على بيع الأسلحة من أجل بقائها الاقتصادي أو الدبلوماسي هي فكرةٌ تُثير كثيرًا من القلق لدى بعض الناس هنا، وتتعارض مع تصوّرهم عن أنفسهم ورؤيتهم للمثالية الصهيونية. غير أن كثيرًا من الآخرين ممّن يطلق عليهم صفة "الواقعيين" يردّون أن تجارة السلاح هي أمرٌ واقع في جميع الدول القومية، ولكنها بالنسبة إلى المجتمع الإسرائيلي كانت مسألةً جانبية دائمًا. إذا لم تبع إسرائيل الأسلحة، ستفعل

مكتبة ياسمين

ذلك دولٌ غيرها، وستحرم القدس من المنافع الاقتصادية والاستراتيجية التي تجلبها تجارة السلاح، دون أن يُغيّر ذلك في العالم أي شيء. ويناقش الواقعيون على كل حال أن مسألة البقاء لا تقلّ ضرورةً عن مسألة تجنُّب العنف: مثاليةٌ ملطّخةٌ أفضل من حلمٍ ميّتٍ.

ليس من الواضح تمامًا أن عددًا كافيًا من الإسرائيليين قد تظاهروا ضد الصناعات العسكرية، وربما بالغ فريدمان في تقديره لنسبة من يُسمّون بالمثاليين لكي يُشير إلى أن بعض الناس في الدولة اليهودية قد روّعتهم فكرة أن اليهود الذين اضطُهِدوا مِن قَبل يَعمَلون الآن يدًا بِيدٍ مع مستبدّين في العالَم. ذكَر فريدمان أعدادًا تُرجّح أن نحو 10 بالمئة من العامِلين الإسرائيليين، قُرابة 140.000 شخص، يعملون في تجارة الأسلحة(49).

قَبل ثلاث سنوات من مقالة فريدمان، ظهَرت مقالةٌ في النيويورك تايمز تقوّض أفكاره التي يريد تصوّرها بشأن الإسرائيليين. كان بنيامين بيت-اللحمي Benjamin Beit-Hallahmi أستاذًا إسرائيليًا لمادة عِلم النفس في جامعة حيفا، وقد فسّر قائلًا: "ما يَعتبره الآخرون عملًا سيئًا (التعامل مع المستبدّين) يَعتبره الإسرائيليون واجبًا دفاعيًا، بل دعوةً نبيلة في بعض الأحيان. عمليًا، لا توجد معارضة إسرائيلية تقريبًا لهذه المغامرة العالمية... يجد كثيرٌ من الإسرائيليين أن أداء دور رجل الشرطة في الإقليم وفي العالم جذاب في بعض الأحيان، وهم مستعدون للاستمرار بتأدية هذا العمل، ويتوقّعون أن يتلقّوا عليه التقدير والشكر الجزيل"(50).

شملت مقالةُ فريدمان هذا المقطع الرئيسي

مكتبة ياسمين

لديفيد إيفري David Ivri مدير عام وزارة الدفاع الإسرائيلية الذي قال إن الجيش الإسرائيلي والصناعات الدفاعية يجب أن تُنافس في السوق العالمية ضد دُول أكبر لأن "التقنيات الحديثة قد تم اختبارها في المعارك التي خاضها الجيش الإسرائيلي". كان المختبر الفلسطيني سياسة الدولة منذ بدأ الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية.

تنتهي مقالة فريدمان برسائل تُشبه الدعاية لشركات إسرائيلية يقودها ضباط سابقون في الوحدات الإسرائيلية لِمقاومة الإرهاب من أجل التسويق لدورات في شؤون الدفاع، تُمنح لِشركات وأفراد يريدون تعلُّم "خبرات إسرائيل في جميع نواحي الدفاع عن النفس، والأمن الصناعي، ومناهضة الإرهاب - وهي خبرات ساعدوا هم أنفسهم على تطويرها". أما ما لم يُذكر فهو أن هؤلاء الرجال قد اكتسبوا هذه الخبرات عن طريق التحكُّم بالشعب الفلسطيني على مدى عقود. وبدلًا عن ذلك، اقتبس فريدمان عن إحدى الشركات، وهي تور آند سكيور Tour and Secure، ونشراتها في احتفالها بمرور أكثر من أربعين سنة في "مقارَعة الإرهاب".

منذ البداية، باعت إسرائيل معدات دفاعية لأنظِمة ذات سمعة سيئة، شملت هذه الدول بورما في الخمسينيات خلال حربها ضد تمرّد شيوعي. كان أكثر معداتها الأولى نجاحًا هو المدفع الرشاش عوزي الذي تم تصميمه في أواخر الأربعينيات بعد تأسيس إسرائيل بقليل. باعت الرشاش عوزي لأكثر من تسعين دولة، وتم عرضه لدى جيوش سريلانكا، وروديسيا (زيمبابوي الان)، وبلجيكا، وألمانيا.

كان ذلك ممكنًا لأن بن غوريون أدرك في السنوات الأولى من تأسيس الدولة أن بناء صناعة إنتاج

مكتبة ياسمين

الأسلحة سيكون مفيدًا للدولة اليهودية. التعويضات الضخمة التي منحتها ألمانيا الغربية لإسرائيل سنة 1952 شكّلت مصادر الاستثمار التي احتاج إليها قطاع الصناعة العسكرية، ووجّهت إسرائيل كثيرًا منها في السرّ نحو تطوير الأسلحة والأبحاث اللازمة لتطوير سلاح نووي. أُضيفت إلى التعويضات الألمانية مبالغ ضخمة من المساعدات الفرنسية والأمريكية لجعل الصناعات الدفاعية أكثر أعمال التصدير الإسرائيلية أهميةً.

عزلةُ إسرائيل النسبية في الشرق الأوسط، وكونها مُحاطة بمَن تتصوَرهم أعداءها، أجبرت الدولةَ على تطوير أسلحتها الذاتية. دعمَتها في هذه الجهود العسكرية قوى عالمية عُظمى، خاصة فرنسا في الفترة 1956-1967، ثم الولايات المتحدة بعد حرب الأيام الستة سنة 1967. أصبحت النزعةُ العسكرية المبدأ الرئيسي الموجِّه للدولة، وعاشت معه منذ ذلك الحين؛ إنهاءُ الصراع مع الفلسطينيين هو أمرٌ سيئ بالنسبة إلى الأعمال التجارية، وربما يقوّض الإيديولوجية التي تأسّست عليها الدولة. شهدت الحربُ الباردة سلسلةً من الحروب بالوكالة حيث دعمت الولايات المتحدة إسرائيل، بينما دعم الاتحاد السوفييتي سورية ومصر. كتبت الصحيفةُ الأمريكية وول ستريت سنة 1981 أن "إسرائيل تشتكي من أن الولايات المتحدة في انتقادها لسياسة إسرائيل الهجومية إنما تتجاهل حقيقة أن إسرائيل قد لعبت دور "المختبر الميداني" في تطوير الأسلحة الأمريكية"(51).

من المستحيل المبالغة في تقدير الدّور المركزي الذي تلعبه الأسلحةُ الإسرائيلية في المحافظة على اقتصاد الدولة. يكتبُ الباحث حاييم بريشيثابنير

مكتبة ياسمين

في كتابه "جيش لا مثيل له: كيف صنعت قوات الدفاع الإسرائيلية دولة"(52): "تخلّى الاقتصاد عن البرتقالات، واستبدلها بالقنابل اليدوية". لا يُمكن الحصول على الإحصائيات الدقيقة لأن الدولة لا تنشرها، إنما توجد الآن أكثر من 300 شركة دولية، و6000 شركة ناشئة يعمل فيها مئات الالاف من الناس. المبيعات مزدهرة، وقد وصلت الصادرات الدفاعية إلى ذروتها سنة 2021 وبلغت 11.3 بليون دولار، وارتفعت 55 بالمئة خلال سنتين. كما ازدهرت شركات الأمن الإلكتروني الإسرائيلية وحصَلت على 8.8 بليون دولار في مئة صفقة سنة 2021. وفي السنة ذاتها، حصَلت شركات برمجيات الأمن الإلكتروني على 40 بالمئة من التمويل العالمي في هذا القطاع.

من وجهة النظر الإسرائيلية، للمختبر الفلسطيني جوانب سلبية قليلة. اشتغلت إسرائيل عن قُرب مع واشنطن على مدى عقود، وعملت غالبًا في مواقع فضّلت فيها الولايات المتحدة الدّعمَ السرّي على الدّعم الفعلَن. مثلًا: دعمَت إسرائيل الشرطةَ السرية في غواتيمالا، والسلفادور، وكوستاريكا أثناء الحرب الباردة عندما منع الكونغرس المؤسسات الأمريكية من العمل هناك بشكل رسمي.

سلّحت إسرائيل وأمريكا فرق الموت في كولومبيا حتى في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. كتب كارلوس كاستانيو، تاجر المخدرات السابق الذي ترأس ميليشيا يمينية متطرفة، مفسّرًا في مذكراته المجهولة الكاتب: "تعلّمت عددًا لا نهائيًا من الأمور في إسرائيل (في الثمانينيات)، وأنا أدينُ لتلك الدولة بجزءٍ من وجودي وإنجازاتي البشرية والعسكرية. استنسخت مبدأ قوات الميليشيا من

الإسرائيليين"(53). يُقال إنه جاء إلى إسرائيل سنة 2004 بعد هروبه من بلاده.

لطالما كانت كولومبيا الحليف الاستراتيجي الأكثر أهمية للولايات المتحدة في المنطقة. عيّنت الحكومةُ الكولومبية لجنةً لتقصّي الحقائق، وأصدرت اللجنةُ تقريرها سنة 2022 بشأن الوقائع المعتمة خلال الحرب الأهلية في تلك البلاد أثناء الفترة 1958-2016. وجد أن الولايات المتحدة كانت تعرف أن حلفاءها الكولومبيين كان لديهم فِرقُ الموت، وعلى الرغم من ذلك، ارتفع دعم واشنطن.

كان الجنوب العالمي مسيطَرًا عليه وتمَت تهدئته بشكل رئيسي مِن جِهة إسرائيل والولايات المتحدة. لم تَكن معاداةُ السامية ولا التطرف عائقًا أمام التعاون مع دولٍ تستغلُ وتنهبُ موارد أو شعوبًا. بَعد عقود من تأسيسه، مازال هذا النظام مِن الصّدام يستمر بالعمل بنعومة. لم يُعِق تطوره أي شيء بشكل جدّي أبدًا، سواء أثناء الحرب الباردة، ولا بَعد ظروف الحادي عشر من سبتمبر.

لخّص الإسرائيلي إيتان ماك، محامي حقوق الإنسان، وأحد الروّاد المؤيدين للشفافية في السياسات العسكرية خلال ماضي البلاد وحاضرها، ووضع أمامي الحالة قائلًا:

لم يتغيّر الكثير في قطاع الدفاع الإسرائيلي على مرّ العقود، ومازالت مصالحها، وعدم اهتمامها بحقوق الإنسان، وعدم محاسبتها مستمرة. وهذه مشكلة لأنني عندما أرفع مطالب، وأناقش وزارة الدفاع والمسؤولين، يبدو الأمر وكأنهم ما يزالون في الحرب الباردة. قد يكون هناك حظر سلاح من الولايات المتحدة، أو من الأمم المتحدة على أماكن

مكتبة ياسمين

محدّدة، غير أن إسرائيل تستمر بالتعامل معها، مثل جنوب السودان، وأذربيجان، وميانمار، وغيرها. لا تتغير هذه القضايا أبدًا، أحاول كشف الماضي، ليس فقط بسبب شِعار أن التاريخ يكرّر نفسه، إنما لأن إسرائيل تستخدم تكميم الأفواه والرقابة لمنع خروج المعلومات.

هناك ضرورةٌ لاسترجاع تاريخ تورّط إسرائيل مع أكثر الأنظمة فسادًا في القرنين العشرين والحادي والعشرين، فهو تاريخٌ لا تتم مناقشته علنًا في معظم الأحيان، ومازالت كثيرٌ من تفاصيله مخبأةً في السجلات الإسرائيلية. على الرغم من أن إسرائيل تدّعي أنها كانت دَولةً مَعزولة، وأنها عانت من المقاطَعة طويلًا، فقد كانت لها علاقاتٌ سريَة وثيقةٌ مع دول عديدة. وعلى كل حال فإن فهمًا متفحصًا للنفوذ الإسرائيلي منذ الخمسينيات ممكِن، ويكشِف عن سياسةٍ خارجية انتهازيةٍ لا أخلاقية. من هذه الناحية، فإنها لا تختلف عن القوى الكبرى وعلاقاتها الدولية، فمثلًا، لطالما تعاونت الولايات المتحدة وفرنسا مع حكّام ديكتاتوريين، إلا أن إسرائيل ادّعت دائمًا أنها كيانٌ نبيلٌ وفريدٌ في هذا العالَم.

على الرغم من أن دعم الأنظمة الإثنية-القومية لم يكن الهدف الوحيد للسياسة الخارجية الإسرائيلية، فهناك أمثلةٌ لا تُحصى تُظهر كيف أن أممًا تريد استهداف جماعةٍ إثنيةٍ على غيرها هي سمةٌ ثابتةٌ في لائحة الدول التي سلّحتها ودرّبتها إسرائيل.

كتب أبو الصهيونية ثيودور هرتسل في رسالته الشهيرة "الدولة اليهودية": "في فلسطين، سنكون جزءًا من الجدار الأوروبي ضد آسيا، وسنعمل كثغرٍ أماميٍّ للحضارة ضد البربرية"(54). استخدم رئيس الوزراء السابق إيهود باراك، الذي قاد البلاد

في الفترة 1999-2001، تشبيهًا اخر بالمعنى نفسه: إسرائيل هي "بيت وسط غابةٍ"، معبّرا عن أن إسرائيل هي أمةٌ متحضّرةٌ بين مسلمين متوحشين في الشرق الأوسط.

هذه اللغة مهمّة، لأنها تبيّن قبولًا لغير اليهود يمتدُّ لعلاقتها بالأغراب. كان من المعتاد أن يتمّ تعليمُ اليهود في مدارس، أو في التعليم الديني، كما قال لي في وطني والداي اليهوديان الليبراليان، إنّ اليهود هم شعبٌ مُختار، ولديهم علاقة خاصّة مع الله والمجتمع. نستطيعُ، ويجب علينا مساعدة الآخرين (على الرغم من وجود بعض الحدود لهذا التعاطف، أي استثناء الفلسطينيين على وجه الخصوص). إنه نظامُ اعتقادٍ يسمح بازدِهار الهيمَنة العِرقية ضد غير اليهود، ويُبرّرُ تجاهلَ حياتهم. قال رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو سنة 2010 مُشيرًا إلى اقتباسٍ لِمقاطع من كتاب أشعياء إن إسرائيل هي "شعبٌ فخورٌ له دولةٌ عظيمة تطمحُ دائمًا لتكون (نورًا يُضيء على الشعوب)".

إنه تعبيرٌ مازال يَستعمله الصهاينةُ دائمًا أملًا بأن إسرائيل ستكون إلهامًا للشعوب في كافة أرجاء العالم. خلال عيد الفصح اليهودي سنة 2022، كتب ديفيد هوروفيتز، محرّر صحيفة تايمز إسرائيل، أنه يريد "أن يتمتّع زعماؤنا بالحكمة لحماية معجزة إسرائيل المعاصرة - استخدام هذه البوصلة لضمان بقاء إسرائيل وتطوّرها كدولة يهودية ديموقراطية، نورٌ حقيقي للشعوب"(55).

ما هو "جيدٌ لليهود" هو امتناعٌ عامٌ بين الإسرائيليين والشَتات اليهودي - واستخدامُ ذلك لتبرير جميع أساليب التعاون الشنيع مع الأنظمة الشنيعة. لم يخجل من هذه الإيديولوجية

مكتبة ياسمين

حاييم هيرتسوغ، رئيس إسرائيل في الفترة 1983-1993، وكما صاغها: "يجب أن نسترشد في علاقاتنا الدولية بالقاعدة الوحيدة التي أرشدت حكومات إسرائيل منذ تأسيسها: هل هو أمرٌ جيدٌ لليهود؟"، وكما علّق نعوم تشومسكي في كتابه سنة 1983: "المثلث المصيري؛ الولايات المتحدة وإسرائيل والفلسطينيين"، فإن التركيز الوحيد على مصالح اليهود كان "حجّةً تستندُ على نتائج تترتّبُ على اليهود وليس على الشعب المغلوب الذي حُذِفَتْ حقوقه وإرادته - في سلوكٍ غير مُستغرَبٍ بين الصهاينة الليبراليين، أو بين المثقفين الغربيين"(56).

يمكن تقسيم تاريخ إسرائيل إلى مرحلتَين: قَبل وبَعد سنة 1967. قَبل حرب الأيام الستة، لم تكن سياسة إسرائيل نبيلة، ولكنها كانت تَمنحُ على الأقل انطباعَ معارضةِ القمع أحيانًا. انظر مثلًا إلى نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، في سنة 1963، أخبرَتْ وزيرة الخارجية غولدا مائير الجمعيةَ العامة للأمم المتحدة أن إسرائيل "تُعارِض بالطبع سياسةَ الفصل العنصري، والاستعمار، والتمييز العِرقي، أو الديني أينما كانت "لأن اليهود قد عرفوا ما الذي يَعنيه أن يكون المرء ضَحية. ارتبطت إسرائيل بدولٍ أفريقية جديدة مستقلة، واستغلّتْ تحررها من الاستعمار، وأيّدتْ دولٌ أفريقيةٌ إسرائيل في الأمم المتحدة. اعتبر كثيرٌ من الإسرائيليين آنذاك والآن أن دولتهم تخوضُ معركة تحرير، وكأنها تُحرّز نفسها من أغلال الاستعمار. لم يتوفّر لهم الوقت لرؤية أن الصهيونية ملوثةٌ بالاستعمار(57).

ساهمت الحربُ الباردة ورياحها السياسية المتغيرة

مكتبة ياسمين

في ازدهار موقف إسرائيل كمركز قوةٍ عسكرية. وجدت الدولة اليهودية نفسها في موقف فريد بعد سنة 1967، فهي تتمتع بخبرة قتالية، واحتلال فلسطينيين في القدس الشرقية والضفة الغربية وغزة ومرتفعات الجولان. كانت هذه أرض اختبارٍ للسلاح والمعدات وإيديولوجية السيطرة، وكانت لا تقدّر بثمن ضد الجيوش التي زوّدها السوفييت بالأسلحة، وازداد توزيعها إلى أصدقاء جدد في كافة أرجاء العالم. تحالفت إسرائيل مع الولايات المتحدة وحلفائها المختلفين من الأنظمة القمعية والديموقراطية ضدَ الاتحاد السوفييتي وعملائه. كانت إسرائيل منذ السبعينيات حتى الآن رَجُل واشنطن الوَسيط في تحقيق هدفِها للمحافظة على الهيمَنة الأمريكية العالمية(58). كان ترتيبًا مفيدًا لكثيرٍ من الدول الغربية، إنما أقلّ فائدة للشعوب في آسيا، وأمريكا الجنوبية، وأفريقيا.

يذكُر الصحفي ساشا بولاكوف-سورانسكي Sasha Polakow-Suranksy في كتابه عن علاقة إسرائيل السريّة بنظام الفَصل العنصري في جنوب أفريقيا، "التحالفُ غير المَنطوق The Unspoken "Alliance، أن سنة 1967 قد شهدت نقطة تحول في وضع إسرائيل العسكري، وساعدتْها الدعايةُ السوفييتية والعربية، إذ "تدهورتْ صورةُ إسرائيل بأنها دولةُ الناجين من المحرقة المحتاجين للحماية، وانحدرت تدريجيًا إلى صورة قزمٍ أمبرياليٍ عميلٍ للغرب". ابتعدت دولٌ كثيرة من دول العالم الثالث بعد ذلك عن إسرائيل "وتخلّت الحكومةُ الإسرائيلية عن آخر بقايا السياسة الخارجية الأخلاقية، مفضّلةً سياسة الأمر الواقع القاسية"، وتبع هذا مشاركتها مع أكثر الطُغاة

مكتبة ياسمين

قسوةً في العالم(59).

كانت علاقةُ إسرائيل مع إيران في عهد الشَاه مثالًا مبكرًا على وقوفِها إلى جانب نظام سيء. ترسمُ وثائق رُفِعَت عنها السريّة مؤخّرًا في سجلات دولة إسرائيل صورةً عن سعي إسرائيل اليائس للمحافظة على علاقاتها بدولةٍ مسلمةٍ لم تعترف رسميًا أبدًا بالدولة اليهودية (على الرغم من أن طهران قد فعلت ذلك بشكلٍ غير رسميّ بعد تلقِّيها رشوة) (60). قام ديفيد بن غوريون، الزعيم المؤسّس لإسرائيل، بزيارة طهران سنة 1961، وفسّر سببَ الصداقة بين إسرائيل وإيران بأنها لا يُمكِن أن تكون مُعلَنة أبدًا، بقوله: "اسمَح لي بالاحتفاظ بذلك سرًا بيننا، علاقاتُنا تشبهُ حبًا حقيقيًا بين شخصَين دون السماح لهما بالزواج. من الأفضل أن تبقى الأمور كذلك".

كان الشَاه في السُلطة فترة عقود، خاصة بعد الخمسينيات، وقد اشترَت إسرائيل كمية ضخمة من البترول الإيراني، بينما استخدَمت إيران إسرائيل كوسيط لكي تبيع بترولها لدول أخرى. عرفَت إسرائيل بأن إيران كانت تقمَع بشدة أي معارضة للشَاه، بما فيها الشيوعيين الحقيقيين أو المتخيّلين، ولم تُصرِّح بأي قلق لهذا الشأن.

في 5 مايو 1965، أرسل مائير إزري Meir Ezri، ممثل إسرائيل في إيران، تقريرًا ناقش فيه اجتماعه بوزير الخارجية الإيراني عباس آرام Abbas Aram. كان آرام قلقًا لأن تأييد إسرائيل للشاه على أعلى المستويات قد يؤثر على علاقاتها بالعالم العربي. ردّ إزري: "اهتمامُ إسرائيل العام في الشرق الأوسط هو وجود إيران مزدهرة ذات سيادة تحت حُكم الشاه الذي يُعتبر صديقًا لإسرائيل... لا

مكتبة ياسمين

نعتقد بأن العرب سيكونون أصدقاء لإيران أبدًا على الرغم من جميع الجهود الإيرانية. صداقتنا تفرض علينا تنبيه إيران بما نعرفه عن جهود العرب التي تستهدف المصالح الإيرانية الأكثر حيوية"(61).

درجةُ التعاون بين إسرائيل والمخابرات الإيرانية المخيفة، السافاك، غير واضحة على وجه الدقّة. وما ثبتته الوثائق هو أن مسؤولين إيرانيين كبار يطلبون أن تقوم قوات الأمن الإسرائيلية بتدريب حرَاس شخصيَين لهم. أراد الشَاه شراء طائرات ودبابات إسرائيلية، وكان الإسرائيليون يميلون لقبول طلبه هذا. منذ أواخر الستينيات كانت هناك اتصالات بين مسؤولين إيرانيين وإسرائيليين لوضع الخطوط الأولى للمفاوضات. في الفترة 1968-1972، اشترت إيران مدافع هاون إسرائيلية، وأدوات راديو، وغيرها من المعدات العسكرية. كما درّبت إسرائيل ضباط شرطة إيرانيين في أراضيها. اجتمعت رئيسةُ الوزراء غولدا مائير بالشَاه سنة 1972 وقالت إن التعاون "بين الدول التي تقِف ضد الشيوعية يجب أن يصبح أقوى: إيران وإسرائيل وتركيا وإثيوبيا".

لاحظ مسؤولون إسرائيليون الكراهية المتزايدة عند الإيرانيين ضد الشَاه، وبغض النظر عن ذلك، ففي أواخر السبعينيات كانت إسرائيل مصرّة على أن نفوذها في إيران يجب ألا يتعرّض للخطر، وحثّت على قمع التمرّد بقسوة. درست إسرائيل سنة 1977 احتمال مساعدة إيران بطيفٍ من المعدات العسكرية، بما فيها صواريخ أرض-جو، قادرة على حمل رؤوس نووية. أجهضت واشنطن هذه الخطط، وأخبرت إسرائيل أنها تستطيع أن تبيع أسلحة أصغر فقط (على الرغم من أن بيع الأسلحة الكلي

مكتبة ياسمين

نعتقد بأن العرب سيكونون أصدقاء لإيران أبدًا على الرغم من جميع الجهود الإيرانية. صداقتنا تفرض علينا تنبيه إيران بما نعرفه عن جهود العرب التي تستهدِف المصالح الإيرانية الأكثر حيوية"(61).

درجةُ التعاون بين إسرائيل والمخابرات الإيرانية المخيفة، السّافاك، غير واضحة على وجه الدقّة. وما ثبيّته الوثائق هو أن مسؤولين إيرانيين كبار يطلبون أن تقوم قوات الأمن الإسرائيلية بتدريب حرّاس شخصيّين لهم. أرادَ الشّاه شراء طائرات ودبابات إسرائيلية، وكان الإسرائيليون يميلون لقبول طلبه هذا. منذ أواخر الستينيات كانت هناك اتصالات بين مسؤولين إيرانيين وإسرائيليين لوَضع الخطوط الأولى للمفاوضات. في الفترة 1968-1972، اشترت إيران مدافع هاون إسرائيلية، وأدوات راديو، وغيرها من المعدات العسكرية. كما درّبت إسرائيل ضباط شرطة إيرانيين في أراضيها. اجتمعت رئيسةُ الوزراء غولدا مائير بالشّاه سنة 1972 وقالت إن التعاون "بين الدول التي تقِف ضد الشيوعية يجب أن يُصبح أقوى: إيران وإسرائيل وتركيا وإثيوبيا".

لاحظ مسؤولون إسرائيليون الكراهية المتزايدة عند الإيرانيين ضد الشّاه، وبغضّ النظر عن ذلك، ففي أواخر السبعينيات كانت إسرائيل مُصرّة على أن نفوذها في إيران يجب ألا يتعرّض للخطر، وحثّت على قمع التمرّد بقسوة. درست إسرائيل سنة 1977 احتمال مساعدة إيران بطيفٍ من المعدات العسكرية، بما فيها صواريخ أرض-جو، قادرة على حمل رؤوس نووية. أجهضت واشنطن هذه الخطط، وأخبرت إسرائيل أنها تستطيع أن تبيع أسلحة أصغر فقط (على الرغم من أن بيع الأسلحة الكلي

مكتبة ياسمين

الذي شمل الشاه وإسرائيل قُدِّر بحوالي 1.2 بليون دولار)(62).

في 30 ديسمبر 1978، قام يائيل فيريد Yael Vered، مدير دائرة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الإسرائيلية بإرسال برقيةٍ داخلية في الوزارة بأن أفضل خدمة للمصالح الإسرائيلية ستكون بواسطة "ممارسة الجيش للعنف الأقصى، وإنشاء نظام عسكري، وحكومة عسكرية حقيقية، إما بمبادرة يقوم بها الجيش بشكلِ انقلاب عسكري، أو مع الشّاه من خلال موافقتِه الضمنيّة".

كان وصول الزعيم المَنفي آية الله الخميني إلى إيران في فبراير 1979 بداية النهاية للشّاه. على الرغم من أن مسؤولين إسرائيليين كتبوا بشكلٍ خاص أنهم كانوا يأملون بأن إيران ربما ستظلّ بحاجة للمساعدة الخارجية لاستِخدام الأسلحة التي تمّ بَيعها لهم إذا تمّ طَرد الأمريكان. أدّى طَردُ الشّاه ومغادرته إلى المَنفى في مصر سنة 1979 إلى أن يعتبر بنحاس إلياف Pinhas Eliav، مدير الأبحاث السياسية في وزارة الخارجية الإسرائيلية، أن ذلك كان إنذارًا للديكتاتوريات الأخرى في الشرق الأوسط. شاهدَتْ إسرائيل قوةَ الجماهير الإيرانية وهي تنهض ضد حاكمٍ مستبدٍّ تدعمه إسرائيل، وكان ذلك "نذير خطر لجميع الأنظمة في المنطقة، بما فيها الأنظمة الثورية الراديكالية"(63).

عددُ الأنظمة الديكتاتورية التي كانت لها علاقات مع إسرائيل صاعقٌ ويثير الذهول. بعد التطهير الواسع النطاق للشيوعيين في إندونيسيا ذات الأغلبية المسلمة في 1965-1966، والذي أدّى إلى قتل نصف مليون إنسان على الأقل، حرصت إسرائيل (مع الولايات المتحدة وأستراليا ومعظم

القوى الغربية) على تعميق علاقاتها مع نظام الجنرال سوهارتو الذي تسلّم السلطة الكاملة سنة 1967. خلال أشهر قليلة من القتل، أظهرت وثائق رُفعت عنها السريّة أن الموساد كانت تعرف ما جرى. ومع ذلك، فقد بدأت علاقة أوثق مع الديكتاتورية بطيفٍ من المشاريع التجارية شمل إنتاج اللحوم والذرة والزيت والقطن. كانت علاقة سريّة تمامًا دعمت فيها إسرائيل جنرالات إندونيسيا الذين ارتكبوا إبادةً جماعية (64).

فكّر برومانيا في عهد الديكتاتور تشاوسيسكو الذي حكم في الفترة 1965-1989. أظهرت وثائق رُفِعت عنها السريّة في تلك الفترة أن إسرائيل كانت تَعرف أن تشاوسيسكو كانت لديه آراء مُعادية للسامية، غير أن الدولة اليهودية حافظت على علاقات ودّية معه على مرّ عقود. في 30 مارس 1967، ذكَرت برقيةٌ من السفير الإسرائيلي في بخارست أن الزعيم الروماني "اعتَبر إسرائيل مركزًا ليهودٍ أثرياء، بمَن فيهم يهود أمريكان، يمكن أن يُستفاد من قدراتهم الاقتصادية وعلاقاتهم الدولية" (65).

كانت رومانيا تشاوسيسكو الدولة الأوروبية الشرقية الوحيدة التي تحتفظ بعلاقات دبلوماسية مع إسرائيل بعد حرب الأيام الستّة 1967، وصوّتت إلى جانب إسرائيل في الأمم المتحدة في زمنٍ لم تفعل ذلك فيه أعداد متزايدة من الدول. قدّر مسؤولون إسرائيليون أن تشاوسيسكو اعتقد بأن إسرائيل والأموال اليهودية حكمت العالم، وكان يأمل بأنّ علاقاته مع إسرائيل ربما تُقنع واشنطن بالتعامل مع نظامه على الرغم من كونه نظامًا شيوعيًا وحشيًا. لم تتبلور تلك العلاقة، غير أن

مكتبة ياسمين

إسرائيل لم تشجب تشاوسيسكو حتى عندما منع ضحايا المحرقة اليهودية من الرومانيين من مغادرة الدولة لسنوات عديدة، لأن دعمه الدبلوماسي لأفعال إسرائيل في الساحة الدولية كان يُعتبر أكثر أهمية(66).

مثالٌ آخر: دولةُ هايتي في عهد فرانسوا دوفالييه "بابا دوك Papa Doc" وابنه جان كلود دوفالييه "بيبي دوك Baby Doc" الذي حكمث أسرثه في الفترة 1957-1986، وقد تلقى رشاشات عوزي الإسرائيلية، ومدرَعات، ومعدات لِتركيب أنظمة أسلحة على الطائرات. قتلث سُلالةُ دوفالييه نحو 30.000 إلى 60.000 شخص، وعلى الرغم من ذلك ترجَمث وزارةُ الخارجية الإسرائيلية كتابًا لِبابا دوك دوفالييه من أجل كَسبِ صداقته. واعترافًا بذلك، أيّدث هايتي إسرائيل بقوة بعد حرب الأيام الستّة سنة 1967.

قام المحامي الإسرائيلي إيتاي ماك مع نُشطاء في مجال حقوق الإنسان برَفع طلب لِتحرير معلومات في إسرائيل سنة 2019 من أجل الحصول على وثائق من وزارة الدفاع بشأن علاقتها مع دولة هايتي في عهد دوفالييه، إلا أن المحكمة رفضث طلبهم. ادّعث قاضيةُ محكمةِ منطقةِ تل أبيب هيجيا برينر Hagai Brenner في رفضها الطّلب في فبراير 2021 أنَ الإفراج عن الوثائق يمكن أن "يُحرج الدولة كثيرًا".

احتوت الوثائقُ الأصلية على لغةٍ عنصرية مُهينة استخدمها مسؤولون إسرائيليون نحو سكان هايتي، سخروا فيها من فقرهم ولون بشرتهم، ولذا ادّعت القاضيةُ برينر أنَ هذا كان سببًا كافيًا لئلا يُسمح بنشرها في المجال العام. كتبث أن الوثائق التي

"تتضمّن استخدام مُفردات مُهينة كانت مقبولةً قبل خمسين سنة مضت، ويُنظر إليها الان برؤية سلبية خاصة، يمكن أن تُشوِّه صورة الدولة والعلاقات الدولية". قلقت بريبنر أيضًا من أنّ الإفراج عن الوثائق ربما يساعد حركة مُقاطعة إسرائيل، ووقف الاستثمار فيها، وتطبيق عقوبات عليها.

بعد حرب 1967، عقدت إسرائيل اتفاقيةً مع الباراغواي التي كان فيها آنذاك نظام ديكتاتوري لجأ إليه مجرمو حرب نازيون، بمن فيهم الدكتور جوزيف مِنغيلي Josef Mengele الذي كان يلقَّب باسم "مَلَك الموت"، وقام بإجراء تجارب على مئات من اليهود وقَتلِهم في معسكر اعتقال أوشفيتز. شملَت الاتفاقية دَفعَ ستين ألف فلسطيني في غزة، أي نحو 10 بالمئة من سكانها، للانتقال إلى الباراغواي مع ضمان حصولهم على الجنسية خلال خمس سنوات. أظهرت وثيقةٌ مُسرّبة من مجلس الوزراء الإسرائيلي شملَت رئيسَ الموساد سفي زامير Zvi Zamir أن الباراغواي كانت مستعدّة لاستقبال "60 ألف عربيّ مسلم من غير الشيوعيين، حسَبَ تعريفهم"(67). لم تطبق خطة هذه الاتفاقية، ولم يهاجر سوى ثلاثين فلسطينيا.

ذكّر وجوذ علاقةٍ بين هذه الخطة الفاشلة وقرار إسرائيل سنة 1969 بوقف البحث عن النازيين في أمريكا الجنوبية، وفق ميثاقٍ شيطانيٍ يقترح أن أعلى المستويات في الحكومة الإسرائيلية فضّلت طرد الفلسطينيين على إيجاد قتلة اليهود.

شهدت أواخر الستينيات ثورةً في رؤية إسرائيل للأصدقاء والشركاء والأعداء المحتملين. ليس لأن إسرائيل كانت دولة مُستنيرة قبل ذلك، بل لأن اندفاع علاقات إسرائيل بالعالم بعد سنة 1967 قد

مكتبة ياسمين

نزعت عنه أوهام وجود أي مبادئ، وأصبح يستند أساسًا على إيجاد وسائل للحصول على الدعم لترسيخ سيطرتها الجديدة على مزيد من الأراضي الفلسطينية والشعب الفلسطيني.

لا يصعب فهم منطق الطغاة: الرغبة باستمرار الحكم إلى الأبد. منذ السبعينيات، كانت إسرائيل شريكًا موثوقًا للديكتاتوريات لأسباب عديدة. آمن كثير من الأنظمة آنذاك وفي هذه الأيام بأن المشاركة مع إسرائيل ستكسبهم علاقات أوثق مع واشنطن، ومع الجماعات اليهودية الأمريكية الفعالة.

حكمت سلالة سوموزا المتوحشة في نيكاراغوا من 1936 حتى 1979، وقامت إسرائيل بتسليح ذلك النظام حتى النهاية. عندما تسلم ثوار الساندانيستا السلطة في الثمانينيات، أطلق الرئيس الأمريكي رونالد ريغان حملة إرهاب في أمريكا الوسطى ضمن حربه ضد الشيوعية، وطلب من إسرائيل لعب دور أكبر في المنطقة والانضمام إلى الولايات المتحدة في حملتها ضد الساندانيستا. قامت جماعات يهودية أمريكية، وبعضها كانت له علاقات مع نظام سوموزا، بنشر معلوماتٍ مزيّفة عن وجود حركة مضادة للساندانيستا في نيكاراغوا، مما أدى إلى دعمٍ أمريكي وإسرائيلي أكبر لحركة الكونترا المتوحشة. أرسلت إسرائيل بنادق من نوع AK-47 إلى الكونترا في الثمانينيات، كانت قد استولت عليها من منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان (بعد الغزو الإسرائيلي سنة 1982). نشر تقرير في القناة التلفزيونية الأمريكية NBC سنة 1984 مقابلة مع قائد من الكونترا قال فيه "تلقينا بعض الأسلحة... التي أخذتها الحكومة الإسرائيلية من منظمة التحرير الفلسطينية في

مكتبة ياسمين

لبنان". ذكرت القصةُ أن الجماعة اليمينية المتطرفة قد استخدمت رشاشات روسية الصُنع، وأن إسرائيل "بتحريضٍ من واشنطن قد زوّدت جيش المتمردين بزبع أسلحته. ساعد ضباطُ المخابرات الإسرائيلية المخابرات الأمريكية في تدريب الكونترا، كما قامت شركاتٌ عسكرية خاصة بتدريب تلك الميليشيات، وكان العاملون في تلك الشركات من ضباط القوات الخاصة من الاحتياطيين والمتقاعدين الإسرائيليين"(68).

في حرب ريغان ضد الشيوعية، وشراكة واشنطن مع فرق الموت اليمينية المتطرفة في نيكاراغوا وهندوراس والسلفادور وباناما(69)، اعتُبر دَوز إسرائيل مهمًا في تقديم السلاح والخبرات الميدانية. لَعبت إسرائيل دَورًا في قضية إيران-الكونترا عندما سَهّلت الولاياتُ المتحدة وإسرائيل بَيعَ الأسلحة إلى إيران لتمويل الكونترا في نيكاراغوا في الفترة 1985-1987. كانت تلك القضية عملية ساحِرة أخرى قامَت بها هاتان الدولتان لتمويل دولة كانتا تَعرفان أنها دولة قَمعية، ولكن دَعمها كان مرغوبًا به في حَربها ضد عِراق صدام حسين. قطَعت "قضيةُ إيران-كونترا" رسميًا كل تعاون مستقبلي بين إسرائيل وإيران، وتُعتبر طهران الآن العدو الأول للدولة اليهودية في الشرق الأوسط.

السّرديّة المألوفة في المنطقة منذ السبعينيات هي أن إسرائيل تحرص على أن تُشارك الولايات المتحدة في دول مثل الأرجنتين، التي استقبلت كثيرًا من كبار النازيين في عهد خوان بيرون - بمن فيهم أدولف أيخمان، مهندس المحرقة اليهودية. كانت الأرجنتين ديكتاتورية عسكرية منذ 1976

مكتبة ياسمين

حتى انهيار النظام في 1983، وتم في عهدها قتل نحو ثلاثين ألف أرجنتيني، أو اختفاؤهم. عذّب المجلس العسكري يهودًا في سجونه، وأظهرت وثائق رُفعت عنها السريّة أن إسرائيل لم تهتمّ بذلك(70).

عرفت إسرائيل بالاضطهاد في الأرجنتين منذ بدايته، إلا أنها لم تُعبّر عن أي معارضة له لأنها اعتبرت أن برنامجها للحصول على تأييد الأرجنتين لاحتلال الضفة الغربية هو أمرٌ أكثر أهمية. ادّعت أن بَيعَ الأسلحة للمجلس العسكري سيُساعد يهود الأرجنتين، غير أن ذلك كان عذرًا واهيًا. انتشر عداءُ السَامية بوضوح في الأرجنتين، تم الاحتفاظ بوسائل تعذيبٍ خاصة بالنساء اليهوديات، وامتلأت معسكرات مَنع الحمل الأرجنتينية بصوَرٍ لهتلر والشعارات النازية(71).

كشف جون براون John Brown، الأكاديمي الإسرائيلي والصحفي المستقل، عن العلاقة الحقيقية بين إسرائيل والأرجنتين خلال تلك السنوات. ليس براون اسمه الحقيقي، وقد استلهَم إلغاءَ العبودية في أمريكا في القَرن التاسع عشر. ولِد في بوينس أيريس سنة 1978 في ذروة قسوة حُكم المجلس العسكري. كان يهوديًا يساريًا، وقد كشف عن وثائق تُصوِّر كيف كانت الحكومة "تقتل كثيرًا من اليهود، وأنها كانت نظامًا نازيًا في أساسها". أخبرني إن "إسرائيل قد استخدمت اسم قوات الدفاع الإسرائيلية وتدريباتها لكي تحصل على مكاسب دبلوماسية".

كانت إسرائيل واعيةً لمخاطر العلاقات الدولية بسبب سياسات الاحتلال التي تُطبقها. في سنة 1985، قدّم يوحنا راماتي Yohanah Ramati،

مكتبة ياسمين

الرئيس السابق للجنة العلاقات الدولية في الكنيست، كلمةً في جامعة فلوريدا الدولية كانت صريحةً جدًا بشأن حسابات دولته:

"إسرائيلُ دولة منبوذة. عندما يطلب منا الناس أمرًا، لا نملك أن نطرح أسئلةً عن الأفكار والمثاليات. نوع النظام الوحيد الذي لن تساعده إسرائيل هو النظام المُعادي للولايات المتحدة. وإذا كنا نستطيع مساعدة دولة لا يناسب الولايات المتحدة أن تساعدها، سنقطع أنوفنا نكايةً بوجوهنا لئلا نفعل ذلك"(72).

كان من الواضح أن رغبة إسرائيل هي أن تكون شريكًا مستعدًا للمساهمة في أدوار أمريكا المسيطِرة على أمريكا الوسطى في الثمانينيات. في السنوات الأولى من العَقد الذي رَغبتْ فيه إسرائيل أن تكون وكيلةً لمصالح الولايات المتحدة حيثما لم تَتمكّن القوة العظمى من بَيع الأسلحة بشكل مباشر، أو لَم تَشأ ذلك، قال ياكوف ميريدور Yaakov Meridor، وزير اقتصاد إسرائيلي: "سنقول للأمريكان: لا تَتنافسوا معنا في تايوان، ولا تتنافسوا معَنا في أفريقيا الجنوبية، ولا تتنافسوا معَنا في جُزر الكاريبي، أو في أماكن أخرى لا تستطيعون بيعَ السلاح فيها بشكل مباشر. دعونا نفعل ذلك... ستكون إسرائيل وسيطكم في ذلك"(73).

في سنة 1983، نشرت صحيفةُ النيويورك تايمز أن اتفاقيةً قد تمَ توقيعها بين الموساد والمخابرات الأمريكية للعمل معًا في لبنان وأفغانستان وأمريكا الوسطى وأفريقيا. كان الهدف الرئيسي للاتفاقية هو مواجهة النفوذ السوفييتي. كسبت إسرائيل مقابل ذلك معلومات أكثر من جهاز المراقبة الأمريكي الضخم بشأن حركة القوات العسكرية في

مكتبة ياسمين

الشرق الأوسط(74).

كانت السياسة الواقعية معروضةً بشكلٍ تام في غواتيمالا خلال السبعينيات والثمانينيات حينما قدّمت إسرائيل والولايات المتحدة غطاءً عسكريًا ودبلوماسيًا وعقائديًا لنظام إبادةٍ جماعية. دعمت المخابرات الأمريكية انقلابًا في غواتيمالا سنة 1954 شهدت البلاد بعده عقودًا من العنف والأنظمة اليمينية المتطرفة. "تهدئةُ" الريف كانت هدفًا رئيسيًا في تلك السنوات، إضافةً إلى بناء "قُرى نموذجية" حيث أُجبِر السكان المحليون على العيش فيها. قُتل نحو 200.000 شخص في الحرب الأهلية في الفترة 1960-1996.

كان من بين أكثر الوسائل كفاءةً في مساعَدة إسرائيل للنظام في غواتيمالا هي قيام شركة إسرائيلية خاصة، هي شركة تاديران للصناعات الإسرائيلية الإلكترونية، بتأسيس مَركزٍ للإصغاء الإلكتروني. بَدأ المركز عمَله في أواخر 1979 أو بداية 1980، وتمّ فيه تخزين أسماء 80 بالمئة من السكان على الأقل. ذَكرتْ وسائلُ الإعلام الإسرائيلية أن الهدف كان "مُتابعة حركات المتمردين في العاصمة"، وكانت هنالك اتهاماتٌ بأن المركز كان مُرتبطًا بالقيادة الوسطى للجيش الأمريكي في فورت غوليك Fort Gulick في منطقة قناة بنما. كان مركزًا متطورًا جدًا آنذاك، ويستطيع متابعة تغيّرات استخدام الكهرباء والماء في البيوت الخاصة، وبالتالي ملاحظة أي نشاط مُعادٍ للحكومة إذا تم استخدام الطباعة(75). في سنة 2008، تم دمج شركة تاديران بأضخم شركة أسلحة إسرائيلية، هي شركة إلبيت سيستمز Elbit Systems.

ترسّخ تزاوج إسرائيل مع طُغيان غواتيمالا بصعود الرئيس إفرايين ريوس مونت Efrain Rios Montt الذي حكم بين 1982-1983، وارتكب مذابح جماعية ضد سكان المايا المحلّيين، وربما قتل 75.000 شخص منهم. لم يكن تورَط إسرائيل خفيًا. ذكرت وسائل الإعلام الإسرائيلية قيام ريوس مونت بانقلابه في 23 مارس 1982، وأن مستشارين عسكرين إسرائيليين قد ساعدوه في تلك العملية. أخبر ريوس مونت مُراسلًا في قناة التلفزيون الأمريكية ABC أن الانقلاب كان نجاحًا ساحقًا "لأن كثيرًا من جنودنا قد تم تدريبهم تحت إشراف إسرائيليين"(76). تُظهِر وثائق رُفِعت عنها السريّة أن إسرائيل كانت تأمل بأنَ دعمها القوي للرئيس مونت ربما يولّد دعمًا لاحتلالها الضفة الغربية، ويدفعه لنقل سفارة غواتيمالا إلى القدس(77). في سنة 2013، وجدت محكمةٌ في غواتيمالا أن مونت كان مذنبًا لارتكابه إبادةً جماعية. كانت تلك أول مرة يُحاكم فيها رئيس دولة بمِثل هذه الجرائم في دولته نفسها، وحُكِم عليه بالسجن ثمانين سنة. بعد سنوات من التعقيدات القانونية، كانت محاكمته في سِياق الإعادة سنة 2018 عندما توفيَ عن عمر 91 سنة.

ارتبطت إسرائيل مع غواتيمالا بمحبتهما لمقاومة التمرّد. تمثّل ذلك بالنسبة للدولة اليهودية بسنوات صراعها مع مقاومة الفلسطينيين لاحتلالها، بينما شنّ ريوس مونت حربًا ضد هنود المايا. حرصت إسرائيل على تقديم النصائح، والمعدات العسكرية، والتدريب. فسّر دان راذر Dan Rather في الأخبار المسائية لقناة التلفزيون الأمريكية CBS سنة 1983 أن مهارة إسرائيل في غواتيمالا "تم

مكتبة ياسمين

اختبارها وتجربتها في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتم تصميمها ببساطة من أجل القضاء على العصابات". قام أحد المستشارين الإسرائيليين في غواتيمالا، وهو المقدّم أماتزيا شوالي Amatzia Shuali بتنفيذ رسالة الحكومة الإسرائيلية بحماسة: "لا أهتمَ بما يفعله غير اليهود بالأسلحة. المهمَ هو أن يكسب اليهود"(78).

ارتكزت استراتيجيةُ ريوس مونت في تحطيم هنود المايا على جعلهم في وضعٍ ليس أفضل من وضع الفلسطينيين، وعاملهم بالطريقة ذاتها. زعمَ بعض المؤيدين المحليين للمجلس العسكري في غواتيمالا بوجود عملية "فِلسطَنة" للسكان الأصليين، ويجب عليهم تحفيز الفلاحين ضد بعضهم بتكوين عصابات لكشف نشاطات ثورية مفترَضة. كانت هذه وَصفة من التوتر والعنف الداخلي، وتم ترحيل الهنود إجباريًا، واختفاؤهم قسريًا، وتعذيبهم، وقتلهم.

حدَثت أسوأ المَجازر في قريةٍ صغيرة اسمها دوس إيريس Dos Erres بتاريخ 6 ديسمبر 1982، حيث قُتل نحو 300 شخص. كانت الفظاعة صادِمة. تم سَحق الجماجم بالمَطارق الثقيلة، وزمِيَت الجثث في بئر. لَعِبت إسرائيل دورها في مذبحة دوس إيريس. في سنة 1999، نَشرت لجنةُ تحقيق تابعة للأمم المتحدة تفاصيل في تقريرها الشرعي بعد زيارة المنطقة ونبش الجثث، وذكرت فيه "تتوافق جميع أدلة المقذوفات التي تم الحصول عليها مع شظايا الرصاص من أسلحة وبنادق الجليل التي صُنعت في إسرائيل"(79).

مازال تحقيق العدالة للضحايا نضالًا مستمرًا. في سنة 2019، بدأ المحامي إيناي ماك حملة قانونية

لإجبار وزارة الدفاع على تبرئة نفسها من تورطها في الإبادة الجماعية في غواتيمالا. وحتى كتابة هذه السطور، لم يتم الإفراج عن أية وثيقة إلى العلن.

في سنة 1982، كانت إسرائيل منخرطة في مغامراتها العسكرية السيئة والمذابح التي حدثت في جارتها لبنان، وكان ذلك تنبيهًا لمدى محدودية القوة الإسرائيلية. وعلى كل حال، كانت تلك الحملات وسائل تسويق فعّالة لمعداتها العسكرية. كان ذلك تناقضًا ظاهريًا، غير أنه توافق بالمثل مع دول أخرى لديها صناعات عسكرية كبيرة. لم تربح واشنطن أي صراع عسكري كبير منذ الحرب العالمية الثانية، ومع ذلك فإن صناعاتها العسكرية هي الأكبر والأكثر ربحًا في العالم. لم يؤثّر الفشل والخسارة في فيتنام والعراق وأفغانستان على حصول الولايات المتحدة على 37 بالمئة من مبيعات الأسلحة العالمية في الفترة 2015-2020 حسب معهد ستوكهولم لأبحاث السّلم العالمي.

ادّعت إسرائيل أنها غزت لبنان لإخراج منظمة التحرير الفلسطينية التي لم تخرج حتى سنة 2000، ولعبت إسرائيل دورًا مركزيًا في قتل عشرات الآلاف من المدنيين. في الفترة 1975-1990، قُدّر أن نحو 200.000 شخص قد قُتل في الحرب الأهلية اللبنانية، واختفى نحو 17.000 شخص. قال الإسرائيلي حاييم روبوفيتش Haim Rubovitch الذي كان أنذاك ضابطًا مُبتدئًا، وترقّى ليصبح الرّجل الثالث في جهاز الأمن الداخلي (الشين بيت Shin Bet): "ألقينا القبض على عددٍ كبير من الناس (الفلسطينيين) بدون سبب"(80).

كانت جرائمُ الحرب معتادةً آنذاك. صرّح رئيسُ الأركان الإسرائيلي السابق موردخاي غور Mordechai Gur بفخرٍ في مقابلة مع وسائل الإعلام سنة 1978 بأن استهداف المدنيين كان مقبولًا. سألهُ المحاور فيما إذا كان الجيش الإسرائيلي قد قصف الناس، فأجاب: "بعد المذبحة في أفيفنيم Avivnim (قُصفت حافلة إسرائيلية سنة 1970 قُرب الحدود اللبنانية، وقُتل 12 مدنيًا بمن فيهم تسعة أطفال)، قُمنا بقصف أربع قُرى في جنوب لبنان دون إذن رسمي". سألهُ المُحاور: "دون أي تمييز بين المدنيين وغير المدنيين؟". أجاب غور: "أي تمييز؟"(81).

لاحظتْ وكالةُ المخابرات الأمريكية اختراعات إسرائيل العسكرية في لبنان في وثيقة في سنة 1986 تم رَفعُ الحظر عنها جزئيًا. لاحظَت الولاياتُ المتحدة استخدامَ إسرائيل المتقدِّم للطائرات المسيّرة، إلى جانب الطائرات العاديَة، وتدمير المراكِز السورية في سهل البقاع (دمّرتْ إسرائيل أنظمةَ الصواريخ أرض-جو السورية هناك سنة 1982). وبينما استخدَمت الولاياتُ المتحدة نماذج مبكرة من الطائرات المسيّرة في عمليات الاستطلاع في حرب فيتنام، أُعجِبتْ وكالةُ المخابرات الأمريكية بالمهارات الإسرائيلية وتطوير هذه التقنيات. ذكر تقريرها أن دولًا مثل باكستان والهند وسورية وكوريا الجنوبية أرادتْ شراء هذه التقنيات.

ومع ذلك، فقد كانت واشنطن قلقةً بأن "مصالحها الأمنيّة" في العالم الثالث قد تنخفض في منتصف التسعينيات بسبب "قدرات المراقبة المتطورة" للطائرات المسيّرة الجديدة إذا حدث انتشارها.

مكتبة ياسمين

على الرغم من أن وكالة المخابرات الأمريكية اعتقدت بأن الطائرات المسيّرة "ربما تُساعد على منع الصراع، وتحقيق الاستقرار في الشرق الأوسط المتوتر، ومناطق آسيا"، إلا أنَ الولايات المتحدة كانت مهتمَة لاحتمال أن يستخدمها "إرهابيون" في هجمات انتحارية ضد مصالح الولايات المتحدة"(82).

هناك أهوالٌ معروفة وغير معروفة سبّبتها إسرائيل في لبنان خلال تلك السنوات. لعلَ أسوأها كانت مجزرة مخيمات اللاجئين في صبرا وشاتيلا ببيروت في سبتمبر 1982 التي نفّذتها عصابات الكتائب التي دعمَتها إسرائيل(83). قُتل نحو 3500 مدني. ووجَدَت لجنةُ كاهان الإسرائيلية فيما بَعد أنَ وزيرَ الدفاع الإسرائيلي آنذاك آرييل شارون كان مسؤولًا عن سَفك الدماء بشكل غير مباشر، على الرغم من أنه لم يدفَع أي ثمن جدّي بسبب أفعاله هذه.

كانت هنالك أهوالٌ أقل شهرة، بما فيها سجنُ التعذيب في الخيام الذي أدارَه جيش لبنان الجنوبي بالوكالة عن إسرائيل، وجيشُ الدفاع الإسرائيلي، ومؤسّسة الشين بيت في الفترة 1985-2000. مرّ نحو 5000 سجين بذلك السجن الذي استخدم سابقًا كثكنات للجيش الفرنسي. قال أحد الناجين، اسمه أمين، لقناة الجزيرة الإنكليزية سنة 2017 كان "السجناء يُتركون عُراة، وتُرمى عليهم مياه ساخنة وباردة، ويتعرّضون للصدمات الكهربائية. ثم يوضع الملح على جروحهم"(84).

دفَع الجيش الإسرائيلي أموالًا للمحقّقين والحرَاس في ذلك السجن، وزوّد جيش لبنان الجنوبي بالأسلحة، ودرّبهم على تقنيات التعذيب.

مكتبة ياسمين

قصفت إسرائيل ذلك المركز خلال حرب 2006 ضد حزب الله، ودمّرت معظم الأدلّة المتبقية. طلب المحامي إيتاي ماك من الجيش الإسرائيلي تحرير المعلومات في أبريل 2020 للحصول على تفاصيل عن دور بلاده في ذلك السجن. أكّدت وثائق تم الإفراج عنها سنة 2022 احتجاز المعتقلين لأجلٍ غير مسمّى، وعدم توفير الطعام، وتطبيق سوء المعاملة. نصّت إحدى الوثائق على أن الشين بيت "يجب أن تتخذ قرارات تقلّل من مسؤولية إسرائيل عن الاحتفاظ بالمعتقلين في السجن"(85).

كان ماك أيضًا وراء مطالبة رُفعت للمحكمة العليا في إسرائيل في أكتوبر 2020 بشأن أدلة إضافية عن تأييد الموساد للعصابات المسيحية المتوحشة في لبنان، التي قتلت آلافًا من الفلسطينيين في الفترة 1975-1982، بمن فيهم من قُتلوا في مخيم تلّ الزعتر في أغسطس 1976 حيث قُتل حوالي 3000 فلسطيني، معظمهم من المدنيين، أثناء حِصارٍ استمرّ عدة أسابيع.

كان السبب الذي برّر تورّط إسرائيل في لبنان آنذاك يستند إلى أرضيةِ الأمن القومي، وأُعجبت دولٌ أخرى بتصرفات الدولة اليهودية، وأرادت التعلُّم منها، إنما كان هناك أمرٌ أكثر أهمية يتعلّق بوجود إسرائيل. ذكر الصحفي توماس فريدمان في كتابه عن الشرق الأوسط الذي نُشر سنة 1998 "من بيروت إلى القدس" حكايةً حدثت سنة 1982 تتعلّق بمهمّة القوات الإسرائيلية الحقيقية التي لم يُعترف بها:

كان هنالك هدفان محدّدان اهتمّ بهما جيش شارون بشكلٍ خاص. كان الأول هو مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية. لم توجد أسلحة

مكتبة ياسمين

في ذلك المركز، ولا ذخائر، ولا مقاتلين. إنما كان هناك شيء أكثر خطورة - كُتبٌ عن فلسطين، سجلات قديمة، ووثائق ملكيّة أراضٍ تعوذ لعائلات فلسطينية، وصوزٌ عن حياة العرب في فلسطين، وسجلات تاريخية عن حياة العرب في فلسطين، وأهمّها خرائط عن فلسطين قبل سنة 1948 عليها كل قرية عربية قبل تأسيس دولة إسرائيل التي محت كثيرًا منها. كان مركز الأبحاث مثل سفينةٍ تضمُ التراث الفلسطيني - بعض شهادات وجودهم كأمّة. من ناحية معينة، كان ذلك ما أراد شارون الحصول عليه في بيروت. تستطيع قراءةً ذلك في كتاباتِ أولاد إسرائيل التي تركوها على جدران مركز الأبحاث: "فلسطينيين؟ ما هذا؟"، و"اللعنة عليكم أيها الفلسطينيون"، و"عرفات، سأعانق والدتك". (فيما بَعد، أُجبرت منظمةُ التحرير إسرائيل على إعادة جميع السّجلات والوثائق كجزء من اتفاقيةِ تبادل سجناء في نوفمبر 1983)(86).

ليس من الصعب تقدير سبب أن مِثل هذا السلوك كان وسيظّل مِحور اهتمام بعض الحكومات. إنها رغبةُ التدمير العسكري للخصم، وكذلك محو تاريخه وقدرته على تذكّر ما فقده. عندما تُضاف تقنيات المراقبة إلى ذلك، ويتم اختبارها على مضطهدين رافضين، تُصبح مقاومة الرغبة في الحصول عليها أكثر صعوبة.

مكتبة ياسمين

الفصل الثاني

كارثة 11 سبتمبر كانت جيدة للأعمال

"لا تستيقظ إسرائيل في الصباح وهي تفكّر بالصراع".

رئيس وزراء إسرائيل نفتالي بينيت Naftali Bennett في سبتمبر 2021

في نهاية الحرب الباردة في التسعينيات، لم يتغيّر وضع إسرائيل العسكري الخارجي بشكلٍ جذري، ولم ينخفض دعمها للأنظمة الاستبدادية بينما تقدّم، وأحيانًا تحلُّ محلَّ السّخاء الأمريكي في العالم. وبينما غيّر انهيار الاتحاد السوفييتي الحسابات الاستراتيجية للنخبة السياسية والإعلامية الإسرائيلية، لم يبقَ في العالم الآن سوى قوة عظمى واحدة هي الولايات المتحدة الأمريكية دون أي منافس. كما أصبحت صناعاتُها العسكرية مُدمنةً على تدفّق الأموال الذي لا يتوقّف من جهة الأنظمة الاستبدادية التي تحتاج إلى السلاح. أخبرني يوسي ميلمان Yossi Melman، أحد كبار الصحفيين العسكريين الإسرائيليين: "ثقافةُ الأمن حوّلت إسرائيل إلى دولةٍ داخل دولة". ما قصد إليه هو أن تجّار السلاح كانوا يوجّهون القرارات.

بعد التسعينيات على كل حال، انتقلت إسرائيل من الناحية العسكرية لتصبح أكثر استقلالًا عن واشنطن بعد أن وجدت نفسها تحت رحمة نحو 42 صاروخًا عراقيًا من طراز سكود أثناء حرب الخليج سنة 1991. لم تُساعد الولايات المتحدة إسرائيل خلال تلك الهجمات، وقد أزعج ذلك كثيرًا من الإسرائيليين لأنّ إدارة الرئيس بوش الأب ظهرت وكأنها تتخلّى عن أقرب حلفائها في الشرق الأوسط.

مكتبة ياسمين

وهكذا تبنّت الحكومةُ الإسرائيلية توجُهًا نحو دولةٍ أكثر خصخصة، بينما ابتعدث عن كثير من جذور الدولة الاشتراكية. حتى العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، كانت الحكومةُ تملك معظم شركات السلاح الإسرائيلية التي تعمل في التصدير. دعمت الدولةُ قطاع التقنيات المتطورة كثيرًا، مما سمح له بخلق علاقات وثيقة مع اللاعبين الأمريكان في القطاعات الناشئة في مجال الأمن الإلكتروني والدفاع(87). أقامت إسرائيل مدنًا عمالية، مثل كريات غات، أصبحث مراكز تصنيع للتقنيات العالية.

تظلُّ إسرائيل أكبر مستقبل للإعانات الأمريكية، على الرغم من أن الدولة اليهودية قد أصبحت الآن أقلّ اعتمادًا على تلك المساعدات مما كانت عليه سابقًا. وبينما يُعتبر هذا صحيحًا من الناحية المالية، فإن الولايات المتحدة تحميها دبلوماسيًا لكي تتجنّب موجة عارمة من الإدانة العالمية بعد عقود من الاحتلال والحروب المتكررة في غزة. يظلُّ الدّعم الأمريكي حيويًا لضمان قوة إسرائيل النسبية. ومع ذلك، ففي سنة 1981، كانت المساعدات الأمريكية تعادِل تقريبًا 10 بالمئة من اقتصاد إسرائيل، وفي سنة 2020 بلغت المساعداث الأمريكية نحو 4 بلايين دولار سنويًا، وكانت قد انخفضث إلى نحو 1 بالمئة فقط(88)، ولذلك لا تهتم إسرائيل كثيرًا ولا حتى بأضعف ضغط أمريكي عليها لكي تحدّ من المستوطنات الإسرائيلية غير القانونية في الضفة الغربية، ومن هجماتها على غزة، أو تدميرها للبيوت في القدس الشرقية(89).

بينما واجهت إسرائيل خلال السنوات التي تلت حرب الأيام الستة وابلًا من الانتقادات الدولية

مكتبة ياسمين

بسبب سياساتها الاستعمارية، فقد شهد القرن الحادي والعشرون تحالفًا مُتناميًا بين إسرائيل وعدد من الدول العربية، ودول في أفريقيا وأمريكا اللاتينية. تُنتج إسرائيل الآن معظم تقنياتها العسكرية الصاروخية. ولم تحدث مقاطعة عالمية أبدًا، على الرغم من مخاوف (وآمال) حملها البعض في تحقيق ذلك. وحسب استبيانٍ إسرائيلي فإن معظم مواطنيها اليهود لا يقلقون كثيرًا بشأن حلّ الصراع مع الفلسطينيين، ولا يخافون من العزلة. بل يُناسبهم الوضع القائم تمامًا(90).

لم تَشهد نهايةُ الحرب الباردة أي انخفاض في تواطؤ إسرائيل مع الأنظِمة الاستبدادية العنيفة. يحاول محامي حقوق الإنسان في إسرائيل إيتاي ماك اكتشاف أي دورٍ ربما لعبته الدولة اليهودية في الإبادة الجماعية التي حدثت في رواندا سنة 1994. هناك تاريخٌ طويل من معرفة إسرائيل وتجاهلها لِمذابح قامت بها قبائل الهوتو ضد قبائل التوتسي منذ الستينيات. تُشير الأدلة إلى أن إسرائيل قد تابعت إرسال أسلحة، مثل القنابل اليدوية والبنادق والذخائر حتى بعد بدء الإبادة الجماعية في 6 أبريل 1994. تمَ قتل 800.000 إلى نحو مليون من الروانديين في الأيام المئة التي تلت ذلك التاريخ.

رفعَ ماك مُطالبةً إلى المحكمة العليا الإسرائيلية في مايو 2020 لكي تفتح الحكومةُ تحقيقًا جنائيًا لأعمال تجّار السلاح ومسؤولين في الحكومة ساعدوا وحرّضوا على ارتكاب جرائم ضد الإنسانية في رواندا. كما أجرى مقابلةً بالفيديو مع طيار قام بنقل أسلحة إلى رواندا، غير أن المحكمة تجاهلت هذا الدليل على أساس الأمن القومي. لم تكن

مكتبة ياسمين

إسرائيل وحدها في التواطؤ بالإبادة الجماعية؛ فقد تمَ تسليح جيش رواندا بعتادٍ من فرنسا التي كانت حليفًا مقربًا لمن نفذوا الفظائع.

لم يتوقّف تصدير السلاح الإسرائيلي في التسعينيات، كانت إسرائيل دولةً منبوذة من جهة بعض الدول بعد عقود طويلة من الاحتلال، غير أن هذا الوضع بدأ بالانحسار خلال أيام الوهم في عملية سلام أوسلو عندما افترض (خطأ) أنَ الصراع قد اقترب من نهايته.

صنعت إسرائيل بنادق الجليل غير المشهورة، والتي اسْتخدمت ذات يوم خلال الإبادة الجماعية في غواتيمالا، وانتهت بِيدِ رجال المخدرات في كولومبيا في أواخر الثمانينيات. قامت بصُنع هذه البنادق مصانع عسكرية إسرائيلية استحوذت عليها شركة أنظِمة إلبيت سنة 2018، وكانت هذه الأسلحة جزءًا من وجودِ إسرائيلي أكبر بكثير في كولومبيا. ذكر المحقّق الأمريكي لورانس بارسيلا E. Lawrence Barcella Jr. لصحيفة الواشنطن بوست سنة 1990 أن الحكومةَ الإسرائيلية كان يجب أن تكون أكثر حذرًا بشأن الطريقة التي وصل بها كثير من أسلحتها إلى كولومبيا، وقال: "كان المرء يأمل بأنَ ذلك كان سيدفع الحكومة الإسرائيلية لطرح أسئلة، إلا إذا كانت تلك طريقةَ العمل المعتادة"(91).

اكتشف محقّقون أمريكيون وكولومبيون أن تلك الأسلحة كانت جزءًا من اتفاقية مشبوهة بين مرتزقة إسرائيليين مع خوسيه غونزالو رودريغز غاشا José Gonzalo Rodríguez Gacha زعيم اتحاد ميدلين للكوكائين Medellín cocaine cartel عندما أراد الاستيلاء على

مكتبة ياسمين

البلاد وتأسيس دولة فاشيّة جديدة(92). رغبته بأن يساعده الإسرائيليون في هذا المشروع كانت مفهومة بالنظر إلى نوعية الأعمال التي قام به العسكريون الإسرائيليون في أمريكا اللاتينية في السبعينيات والثمانينيات.

بعد عقود من ذلك، ظلّت النخبةُ الكولومبية خاضعةً لإسرائيل. أظهرت برقيةٌ من وزارة الخارجية الأمريكية بين وثائق ويكيليكس صادرة عن السفارة الأمريكية في بوغوتا سنة 2009 وجود الشركة الإسرائيلية غلوبال Global Comprehensive Security Transformation (Global CST) التي أسّسها الجنرال إسرائيل زيف، الرئيس السابق لقيادة العمليات في الجيش الإسرائيلي. تم التعاقد مع هذه الشركة لمساعدة الجيش الكولومبي في حَربه ضدَ عصابات FARC من المتمردين. كانت البرقية لاذِعة:

"على مدى ثلاث سنوات، شقَّ زيف طريقه ليكسب ثقة وزير الدفاع السابق (خوان مانويل سانتوس Juan Manuel Santos) بوعدِه الحصول على نسخةٍ أرخص مِن مساعدة الحكومة الأمريكية دون قيودنا المرفقة. علِمنا نحن وحكومة كولومبيا أن شركة غلوبال ليست لديها خبرة في أمريكا اللاتينية، وأن عروضها تبدو موافقة أكثر لدعم معدات إسرائيلية وخدمات ما بعد البيع من موافقتها لحاجات البلاد".

في فيلم فيديو دعائيّ لشركة غلوبال سنة 2011 حين كان رئيسًا لكولومبيا، امتدح سانتوس شركة غلوبال بأن "لديها خبرة واسعة". أخبر سانتوس التلفزيون الإسرائيلي أنه كان متحمسًا بشأن المدرّبين الإسرائيليين الذين تستخدمهم الشركة

مكتبة ياسمين

"اتُهمنا نحن الكولومبيون بأننا إسرائيليو أمريكا اللاتينية، مما يجعلني فخورًا جدًا بشكلٍ شخصي". ذكر الفيديو غارةَ كولومبيا على الإكوادور سنة 2008 التي قُتل فيها نائب رئيس عصابات FARC بول ريس Paul Reyes. امتدح المُعلّق تلك المهمة قائلًا: "فجأة، بدأت الأساليب التي ثبتت كفاءتها في نابلس والخليل التحدّث باللغة الإسبانية"(93).

فرضت وزارة المالية الأمريكية في عهد الرئيس ترامب عقوبات على زيف سنة 2018 بسبب تزويده أسلحة وذخائر لحكومة جنوب السودان والمعارضة، وكانت تلك الدولةُ بحالة حرب منذ سنة 2013. نفى زيف أنه كان تاجر سلاح، وادّعى أنه كان يُساعِد الدولة البائسة في سَدّ احتياجاتها الزراعية. رفعت الولاياتُ المتحدة عقوباتها هذه في فبراير 2015 دون تقديم السبب. أكّد تقريرٌ للأمم المتحدة سنة 2015 أن أسلحةً إسرائيلية كانت تُغذّي الحرب الأهلية في جنوب السودان.

حفّزت هجماتُ 11 سبتمبر 2001 الإرهابية على نيويورك وواشنطن قطاعَ الصناعات العسكرية في إسرائيل، وجعلت الحرب على الإرهاب قضيةً عالمية، وكانت الدولة اليهودية تخوض مثل هذه الحرب لفترة عقود سبقت ذلك. في مساء تلك الهجمات، سُئل رئيس الوزراء السابق بنيامين نتنياهو على التلفزيون الأمريكي ما الذي تعنيه تلك الهجمات بالنسبة للعلاقة بين الدولتين، فأجاب فورًا: "إنها جيدة جدًا". وسرعان ما صحّح نفسه قائلًا: "ليست جيدة جدًا، إلا أنها ستخلق تعاطفًا فوريًا". اعتقد بأن الهجمات ربما "تقوي الرابطة بين شعبينا لأننا عانينا من الإرهاب على مدى عقود، إلا أن الولايات المتحدة عانت الآن من نزيفٍ عنيف

مكتبة ياسمين

بسبب الإرهاب"(94). بعد سبع سنوات، في أبريل 2008، ألقى نتنياهو خطابًا في جامعة بار إلان الإسرائيلية، وكرّر الرسالة ذاتها قائلًا: "نستفيد من أمرٍ واحدٍ هو الهجمة على برجي نيويورك والبنتاغون، والصراع الأمريكي في العراق". وأن هذه الأحداث قد "حوّلت الرأي العام الأمريكي في صالحنا"(95).

كان نتنياهو مصيبًا جزئيًا لأنه غالبًا لم يأخذ بعين الاعتبار، أو أنه لم يهتمّ أصلًا بأن الرأي العام الغربي قد يبتعد تدريجيًا بسبب الاحتلال المستمر. ومع ذلك، فمع حلول سنة 2004، تعافى الاقتصاد الإسرائيلي من انهيار شركات الإنترنت سنة 2000، والانتفاضة الفلسطينية التي أفزعت وأبعدت المستثمرين الأجانب. لم تهتمّ الشركات الإسرائيلية على مرّ السنين بعقد اجتماعاتها السنوية في إسرائيل لأنّ عددًا قليلًا من الأجانب كان يَحضرها.

غير أن إسرائيل كانت لديها منتجات يريدها العالَم، إذ شملت صناعاتها العسكرية قطاع الأمن الوطني، وجلبت أرباحًا ببلايين الدولارات من بَيع الصواريخ والطائرات المسيّرة ومعدات المراقبة. لم تكن الرسالة غامضة؛ "كنا نخوض حربًا على الإرهاب منذ نشأتنا، وسنُريكم كيف يتم ذلك"(96).

بعد الأزمة العالمية سنة 2008، تمّ حبك الصمود الإسرائيلي في وجه الانهيار الاقتصادي في سياق إرادة ذاتية فريدة تمّ تلخيصها سنة 2009 في كتاب نشرة مجلس الشؤون الخارجية تحت عنوان "دولة ناشئة: قصة المعجزة الاقتصادية الإسرائيلية"، من تأليف دان سنور Dan Senor، المستشار السابق بشأن الاحتلال الأمريكي للعراق، وصهره شاول سينغر Saul Singer، المحرر السابق

مكتبة ياسمين

في صحيفة جيروزالم بوست. كانت الفرضية هي أن إسرائيل ازدهرت بسبب عددٍ من العوامل أهمَها التجنيد الإجباري. ادّعى الكاتبان أنَ جيش الدفاع الإسرائيلي كان نموذجًا للعالم بسبب العلاقة الوثيقة بين الحكومة الإسرائيلية والشركات التقنية الناشئة، إذ تقدّم الحكومةُ التمويل لدعم هذه الشركات(97).

في مقابلةٍ أجراها سينغر سنة 2014، قام بشرحِ فرضيةِ الكتاب أن إسرائيل ذاتها هي شركةٌ ناشئة "إنها فكرةٌ احتاجت إلى دوافع قوية وأخذ مُجازفات لكي تتحوّل إلى حقيقة واقعة". كما أن إسرائيل "هي دولة يتألف معظمها من مهاجرين يهود، ويَميلُ المهاجرون إلى أن يكونوا أكثر اندفاعًا وأكثر استعدادًا لأخذِ مُجازفات"(98). قضَى سينغر وسِنور وقتًا طويلًا في مقابلاتٍ عديدة على مرَ السنين وهما يتحدّثان عن "الاختراع"، إنما لم يتحدّثا إلا قليلًا عما كان يتم اختراعه وتطويره للحصول على أكبر الأرباح، وهي شركاتُ السلاح التي كان أهمَ أهدافها كَسب المال من خلال الاحتلال، وبيع تجربة السيطرة على شعبٍ آخَر في السوق العالمية.

يتدفّق الكاتبان في أحد أجزاء كتاب "الدولة الناشئة" في الحديث عن جيش الدفاع الإسرائيلي والعسكرية الأمريكية، وهما يعتقدان بأن كلا هذين الطرفين يقدّم نموذجًا للقيادة والنجاح من جوانب مختلفة، مع التجاهل التام لوقائع ما فعلته هاتان المؤسّستان في العقود الأخيرة، خاصةً بالنسبة إلى احتلال أراضي المسلمين. كتبا أنه "بينما كان معظم رجال الأعمال الإسرائيليين قد تأثّروا جدًا بعملهم في الجيش الإسرائيلي، فليس من المعتاد

مكتبة ياسمين

وجود خلفيةٍ عسكرية في وادي السيليكون، كما أنها ليست مُنتشرة في مستويات الإدارة العليا للشركات الأمريكية"(99).

يبدو أن الاعتقاد الجماعي بين يهود إسرائيل بتأييد فكرة إنشاء دولة ذات غالبية يهودية كان أساسيًا في تطوير أسلحةٍ وتقنيات ذات مستوى عالمي. اعتبر جون ميدفيد Jon Medved، أحد رجال الأعمال الإسرائيليين، أن هذا الأمر لا يُقارن بالوضع في الولايات المتحدة: "لأن وادي السيليكون لا يَقرأ السِّير الذاتية للعسكريين الأمريكان. هدرٌ كبيرٌ لخبراتٍ قيادات قوية تأتي من العراق وأفغانستان".

أدّث هذ الطريقة في التفكير إلى استمرار نتنياهو على مدى أكثر مِن عَقدٍ مِن الزمن في دَفعِ إسرائيل لتُصبح واحدة من أكثر الدول تطويرًا للتقنيات المتقدَمة في العالم، مع خبرة في الأسلحة، والمراقبة، والأدوات الإلكترونية. قامَت الحكومةُ الإسرائيلية والشركاتُ الخاصة بتَسويق منتجاتها على أنها وسائل تم اختبارها على الفلسطينيين. فمَثلًا، تمَ بَيع تقنيات إسرائيلية بِصفتِها حلًا للتعامل مع الفئات غير المرغوب بها على الحدود الأمريكية-المكسيكية حيث كانت الشركة الإسرائيلية إلبيت لاعبًا رئيسيًا في طَرد المهاجرين غير الشرعيين. كما أرادتْ حكوماتٌ أوروبية مراقبة اللاجئين، فتمَ استخدامُ الطائرات المسيّرة التي تُنتجها شركة الصناعات الجوية الإسرائيلية لتنفيذ هذه المهمة.

غير أن فكرة الدولة الناشئة تحتاج إلى تسويق مستمرَ لأنَ المنافسة شرسةٌ. في سنة 2022، أطلقت شركة الصناعات الجوية الإسرائيلية حملة

مكتبة ياسمين

دعايةٍ لإغراء عاملين جُدد من قطاع التقنيات العالية الذي يدفع عادةً أجورًا أعلى. قصدت الدعاية إقناع إسرائيليين من الشباب بأنّ العمل في قطاع الدفاع كان القرار الأكثر أخلاقية. لم يقتنع كل واحد، وكتب أحدهم في الرّد: "كان يجب على شركة الصناعات الجوية الإسرائيلية أن تكتب: بدلًا من كتابة برنامجٍ يجعل آلافًا من الناس مُدمنين على لعبة البوكر]عندما يعملون في قطاع البرمجيات[، تعالوا للعمل في شركة الصناعات الجوية الإسرائيلية واكتبوا برامج يمكن أن تقتل الناس بصواريخ موجّهة، ومُسيّرات، وذخائر ذكية"(100).

قال نتنياهو في المؤتمر السابع للأمن الإلكتروني في جامعة تل أبيب سنة 2017: "الفضاء الإلكتروني مجال عظيم للأعمال، وهو ينمو هندسيًا بسبب عدم وجود حلٍّ نهائيّ أبدًا، فهو مجالُ عملٍ غير مَحدود ولا ينتهي". حَضر المؤتمر غيل برس Gil Press الذي يُساهم في مجلة فوربس للأعمال، واستَنتَج فيما بَعد، إثر الاطلاع على مؤتمرات صحفية لوزارة الخارجية الإسرائيلية، أن نجاح الصعود اللافت لقطاع الأمن الإلكتروني الإسرائيلي كان يرجع إلى دعم حكومي ضخم، ووضع العسكرية كحاضنة ودافعة للشركات الناشئة". كان ذلك يستهلك جزءًا كبيرًا من صناعة الأمن الإلكتروني، الذي بلغ آنذاك في العالم نحو 82 بليون دولار، باختبار متكرّر للدفاعات الإلكترونية الجديدة في إسرائيل قبل جعلها عالميةً. ما يعنيه ذلك عمليًا هو أنّ كثيرًا من "المشاكل" التي "تفترضها" الشركات الإسرائيلية يُمكن أن "يحلّها" متقاعدون من الجيش الإسرائيلي(101).

مكتبة ياسمين

بعد أكثر من عقدين من أحداث 11 سبتمبر 2001، ربح رهان إسرائيل بارتفاع الاهتمام العالمي بصناعاتها الدفاعية وقطاع المراقبة لديها. أنفقت إسرائيل سنة 2020 نحو 22 بليون دولار على جيشها، وكانت ترتيبها 12 بين أكبر الدول التي تُصدّر الأسلحة في العالم، وبلغت مبيعاتها 345 مليون دولار.

لاحظ العالم ذلك فعلًا، وانخفض تقدير الرأي العام الأمريكي نحو إسرائيل بشدة منذ سنة 2001. أصبح الناخبون الليبراليون والديموقراطيون متشككين بشكلٍ متزايد بشأن أعمال إسرائيل. لم يعد مُمكنًا تحقيقُ إجماعٍ في الرأي اليهودي. قام المعهد الانتخابي اليهودي، وهو جماعةٌ يقودُها ديموقراطيون يهود، بإجراء استبيانٍ سنة 2021 أظهر أنّ 34 بالمئة من اليهود وافقوا على أنّ "معاملة إسرائيل للفلسطينيين تُشبه العنصرية في الولايات المتحدة". كما وافق 25 بالمئة على أنّ "إسرائيل هي دولةُ فصل عنصري"، كما وافَق 22 بالمئة على أنّ "إسرائيل ترتكبُ إبادةً جماعية ضد الفلسطينيين".

قامت اللجنةُ اليهودية الأمريكية، وهي أكبر جماعة في اللوبي الدّاعم لإسرائيل في أمريكا، بإجراء استبيانٍ سنة 2022 أكّدت نتائجه هذه الميول. لم يشعر نحو 44 بالمئة من اليهود الأمريكان الشباب أنهم مرتبطون جدًا بإسرائيل، وأيّد واحدٌ من كل خمسة من اليهود الأمريكان الشباب إنشاء دولة ديموقراطية واحدة في إسرائيل وفلسطين. قام مركز بيو للأبحاث Pew Research Center بإجراء دراسة أخرى في العام نفسه، ووجد أن الشباب الأمريكي ممّن كانت

مكتبة ياسمين

أعمارهم أقلّ من 30 سنة اعتبروا أنَ الإسرائيليين والفلسطينيين على قدم المساواة بشكلٍ إيجابي.

لم يؤثر تدهور صورة إسرائيل في كثير من الدول الغربية إلا قليلًا على رغبة التيار العام من الإسرائيليين في استمرار الاحتلال، وكان هذا مصدرًا رئيسيًا للانزعاج من لندن إلى نيويورك. بل أصبح يهوذ إسرائيل أكثر عدوانيةً وإصرارًا على الاحتفاظ بالوضع القائم بسبب عدم اضطرارهم لدفع أية أثمان سياسية، أو عسكرية، أو دبلوماسية نتيجةً لذلك. رسّخت الحربُ ضد الإرهاب التي تلت أحداث 11 سبتمبر ممارسات إسرائيل على مرِّ أكثر مِن عَقدٍ بمساعدة دولٍ أخرى على خوضِ حروبها الخاصة ضد شعوبٍ وجماعات غير مرغوب فيها. تم القيام بذلك مع درجةٍ أقلَ مِن الحياء لأنَ القوة العظمى الوحيدة في العالم اليوم كانت تفعَل مثل ذلك بالضبط، سواء كان رئيسها ديموقراطيًا أو جمهوريًا.

وهكذا فقد تبنّت إسرائيل تمامًا مبدأ "الحرب على الإرهاب"، واستفادت منه كثيرًا. كان تدمير الحكومة السريلانكية لجماعة نمور التاميل العسكرية، واحدة من أكثر المعارك ضد التمرد نجاحًا في أوائل القرن الحادي عشر، على الرغم من دمويّتها. لعبت إسرائيل دورًا رئيسيًا، وإن كان غير مُعلنٍ بشكل عام، في نجاح حملة كولومبو في الحرب الأهلية التي قُتل فيها، أو تم تهجير نحو 200.000 شخص، معظمهم من التاميل، على مدى الرّبع قرن الذي انتهى سنة 2009. باعت إسرائيل الطائرة النفاثة المقاتلة من نوع كفير Kfir، ودرّبت قوات الشرطة السريلانكية. طبّقت سريلانكا خطط العمليات الإسرائيلية في المراحل الأخيرة من حربها

مكتبة ياسمين

الأهلية، وتجاهلت نداءات من جهة المنظمات غير الحكومية، وجمعيات حقوق الإنسان، وحكومات أجنبية من أجل وقف العنف. توقّف الجيش السريلانكي عندما تم سحق نمور التاميل تمامًا، وقُتل زعيمها فيلوبيلاي برابهاكاران Velupillai Prabhakaran.

ساعدت إسرائيل أيضًا أجيالًا من السياسيين السينهاليين في بناء مقاطعات سينهالية والمحافظة عليها في شمال وشرق سريلانكا حيث يعيش معظم التاميل. كانت الغاية من ذلك هي إنشاء منطقة عازلة حول مناطق الغالبية التاميلية، وتَرسيخ احتلال غير رسمي لمناطق التاميل. استمرّت هذه الخطط بَعد سنة 2009، ولم يتوقّف الاستعمار السينهالي أبدًا. أُخِذت هذه الأفكار بشكلٍ مباشر من وجود إسرائيل في الضفة الغربية حيث أُحبِطَت السُلطة الفلسطينية بإنشاء مستوطنات يهودية محصّنة كثيرة(102). وقّعت إسرائيل اتفاقية بمبلغ 50 مليون دولار مع سريلانكا سنة 2021 لتحسين طائرات كفير النفاثة في تلك الدولة.

بينما يظلُّ الدّور الذي لَعِبتهُ إسرائيل على وَجه التحديد في الإبادة الجماعية في رواندا مخفيًا عن الرأي العام، فقد كانت الدولة اليهودية مسرورةً في دعم نظام آخر يقوم بتطهير عرقيَ. كانت الولايات المتحدة مُحقّةً في اتهام دولة ميانمار بارتكاب إبادة جماعية ضد أقلية مسلميَ الروهينغا سنة 2018: استخدم جيش البلاد الحرق والاغتصاب والقتل كأسلحة حربية في حملة وحشية. لم تقلق إسرائيل بشأن أيَ من هذه الأعمال، وفي سنة 2015، زار وفدَ سرّيَ من ميانمار مواقع الصناعات العسكرية الإسرائيلية، وقواعد بحرية وجوية للتفاوض بشأن

الحصول على طائرات مسيّرة، ونظام اختراق للهواتف المحمولة، وبنادق، وتدريب عسكري، وسفن حربية(103).

كان بين أعضاء الوفد الزائر رئيس الجيش في ميانمار مين أونغ هلينغ Min Aung Hlaing، الذي كتب على صفحته في فيسبوك بعد زيارة ياد فاشيم Yad Vashem، متحف المحرقة اليهودية. اجتمع خلال الزيارة مع الرئيس السابق روفن ريفالينReuven Rivlin، ورئيس أركان الجيش الإسرائيلي. كان هلينغ أحد ستة أفراد ذُكرت أسماؤهم في تقرير لجنة الأمم المتحدة لتقصّي الحقائق في ميانمار باعتبارهم أهم المسؤولين عن انتهاكات حقوق الإنسان فيها. في سنة 2018، وقَّعت إسرائيل اتفاقية تعليمٍ مع ميانمار سمحت لكلتا الدولتين "بالتعاون في تطوير برامج لتعليم دروس المحرقة اليهودية، والنتائج السلبية للتعصب والعنصرية ومعاداة الساميّة والخوف من الأجانب". وأخيرًا في سنة 2019، أجبر الضغط الشعبي وزارة الخارجية الإسرائيلية على التخلي عن الاتفاقية.

على الرغم مِن حظرٍ عالميّ على تصدير السلاح إلى ميانمار، لم تمنع اتهاماتُ الإبادة الجماعية حضور ممثلين عن ميانمار بملابسهم الرسمية أكبر مؤتمرٍ إسرائيلي للأسلحة والأمن عُقد في تل أبيب سنة 2019. بعد أن ذكر بعض الصحفيين تلك الزيارة، وكشفوا عن حضور مسؤولين من جنوب السودان أيضًا، وافقت إسرائيل على مضض على عدم السماح لممثلي ميانمار بالحضور بملابسهم الرسمية في معارض الأسلحة الإسرائيلية طالما وجد الحظر العالمي على تصدير السلاح إليها(104).

لم تصل هذه الرسائل إلى سفير إسرائيل في ميانمار، الذي كتب في تويتر تعليقًا سرعان ما تم حذفه بعدما ذكرته صحيفة هآرتس سنة 2019. ورد في التعليق تأييدٌ لزعماء ميانمار، بمن فيهم أونغ سان سو كي Aung San Suu Kyi، الذين كانوا سيمثلون بلادهم في قضية إبادةٍ جماعية أمام محكمة العدل الدولية في الهيج. كتب السفيز رونين غيلور Ronen Gilor مع رابط إلى القصة: "تشجيعٌ من أجل قرارٍ جيد وحظٌ سعيد!"(105). بعد أيام من انقلاب فبراير 2021 قام به المجلس العسكري، نشرَ غيلور على تويتر صورة لأختين من ميانمار ربِحَتا منافسةً في إنتاج العسل. حُذِفت الصورة فيما بَعد، إلا أن ذلك لم يمنعه من الكتابة فيما بعد: "في هذه الأيام العصيبة، الرجل هو العالم، والرجل كثير التعقيد؛ ومع ذلك فإن شعب ميانمار جميل ورائع"(106).

على الرغم من أن إسرائيل ادّعث بأنها قد توقّفث عن بَيع أية معدات إلى ميانمار سنة 2018، لم يكن هذا التصريح واضِحًا تمامًا بسبب السريَة المُطلَقة التي تُحيط بتجارة السلاح في إسرائيل(107). ظلّت العلاقاث بين الدولتين قوية، وكان سَفير ميانمار في إسرائيل واحدًا من قلائل من الممثلين الأجانب الذين حضروا احتفالية سنة 2017 في مستوطنات غوش إيتسيون Gush Etzion بالضَفة الغربية في ذكرى مرور 50 سنة على الاحتلال الإسرائيلي. أقرّ سفيز ميانمار في إسرائيل على وسائل الإعلام الإسرائيلية سنة 2017 بأن إسرائيل لم تضع أية عراقيل على بيع السلاح لهم(108). تُظهر وثائق إسرائيلية تم الإفراج عنها مؤخرًا أن إسرائيل قد وجدث فرصة عمل فريدة للدولة منذ

إنشائها سنة 1948 ببيع كمياتٍ وفيرة من أسلحةٍ فتّاكة مقابل تأييد ودّي في المحافل الدولية. رفعت إسرائيل مبيعاتها من الأسلحة وتدريبها العسكري في ميانمار حتى في أحلك أوقات وحشية تلك الدولة ضد الأقليات(109).

وأخيرًا في سنة 2019، استنكرت إسرائيل "المجازر التي ارتكبت في منطقة راخين ضد الروهينغا"، ولكن حسب قول الإسرائيلي محامي حقوق الإنسان إيتاي ماك فقد جاء ذلك غالبًا "بسبب إدراكِ أنّ تعليقاتِ السفير غيلور يمكن أن تُستخدَم كأدلَة على إرادةٍ إجرامية لدى مسؤولين كبار في وزارتَي الدفاع والخارجية في إسرائيل وافقوا على تصدير أسلحةٍ لمساعدَة قوات ميانمار وتحريضها على ارتكاب جرائمهم"(110). بينما طالبَت كثيرٌ من الدول ميانمار أن تسمح للَاجئين الروهينغا بالعودة سالمين من مخيماتهم في بنغلاديش، فقد رفضَت إسرائيل ذلك، غالبًا لأنه لم تكن لدَيها الرغبة بالسّماح بعودة اللاجئين الفلسطينيين الذين تم طردهم بالقوة سنة 1948 إلى دولة إسرائيل(111).

لم يتغيّر شيء بعد الهزيمة السياسية التي تلقَّاها نتنياهو سنة 2021 (وإنّ عودته إلى العمل بعد إعادة الانتخاب في نوفمبر 2022 لن تؤدي إلا لتعميق التوجُهات التي بدأها). بينما لا يُمكن إنكار أن دعم إسرائيل العلني لأنظمة ديكتاتورية قد زاد خلال تسلُّمه السُّلطة، ربما كان أقلَّ قلقًا بشأن الاتجاه نحو التّسلطية من سابقيه، ولم يختلف عنه في ذلك رئيس الوزراء نافتالي بينيت. زار وزير دفاعه بيني غانتز سنغافورة في أكتوبر 2021 لحضور اجتماعاتٍ بشأن مبيعات الأسلحة. حاولت

مكتبة ياسمين

الحكومة إجبار وسائل الإعلام الإسرائيلية لعدم النّشر حول هذه الرحلة، وكانت أكثر قلقًا بشأن المظاهر من اهتمامها بوقف اتفاقيات السلاح. سنغافورة هي دولةُ حزبٍ واحد لا تسمح بحرية الرأي. في سنة 2019، قال غانتز إنَ إسرائيل يجب ألا تبيع أسلحة "لأنظمة ترتكبُ إبادةً جماعية، لأنها أمّة أخلاقية، ودولة أخلاقية، ويجب أن نتصرّف كذلك في العلاقات الدولية". لم تقتل سنغافورة ملايين الناس، غير أنها ليست نموذجًا للديموقراطية.

دعمُ الطُّغاة هو موقفٌ تتفّق عليه الأحزاب في إسرائيل. زار إسرائيل نائبُ رئيس غينيا الاستوائية، تيودورو نغوما أوبيانغ Teodoro Nguema Obiang في يوليو 2021، واجتمع مع حكومة بينيت. كان والِده تيودور نغوما مباساوغو Teodoro Obiang Nguema Mbasogo هو أطول الطُّغاة حُكمًا في العالم، إذ أنه حكَم شعبه بقسوة منذ سنة 1979. وابنه هو وريثه في الحُكم. خلال وجوده في إسرائيل، قام بشراء طائرات مسيَرة انتحارية مِن مقاولِي الدفاع الإسرائيليين، ومُنح شرفَ زيارة متحف المحرقة اليهودية في القدس(112).

تلقّتْ قدرةُ إسرائيل على استخدام الاحتلال لتحقيق الدّخل المالي دفعةً قويةً بعد الهجمات الإرهابية في 11 سبتمبر 2001، غير أنَ الرسالة التي تمَ تسويقها لدى الدول الراغبة حول العالم كانت أكثر بكثير من مجرد شنِّ حربٍ على الإرهاب وتدمير قاعدته. حسب عالم الاجتماع الأسكتلندي وخبير دراسات المراقبة ديفيد ليون David Lyon، كان التسويقُ إعادةَ تصوير شامل لما ستبدو عليه

المجتمعات في القرن الحادي والعشرين. أثبت النمو الهائل في صناعة الأمن الداخلي أن وسائل المراقبة قد خرجت من قُمقمها القديم في الدولة القومية، لتصبح سمةً من سمات الحياة اليومية، في العمل، في البيت، في اللعب، في الحركة... تحوّلت الآن عين "الأخ الكبير" الواحدة التي ترى كل شيء إلى عددٍ لا يُحصى من الوكالات التي تُتابع وتُراقب الأنشطة العادية لعدد كبير من الأغراض. يتمّ التلاعب الآن ببياناتٍ تشمل الفيديو والقياسات الحيوية والصفات الوراثية، إضافةً إلى ملفات الإدارة الإلكترونية... لإنتاج مظاهر وفئاتٍ من المخاطر في شبكةِ نظامٍ سائلٍ بهدفِ التخطيط والتوقُّع والمَنع من خلال تصنيفِ وتقييم هذه المظاهر والمخاطر(113).

كانت خبرةُ إسرائيل معروفةً في هذه الأمور قَبل أحداث 11 سبتمبر، إلا أنَّ هذه الأحداث ساعدَتها في تسويق مهاراتها في كافة أرجاء العالَم. فمَثلًا، استخدمت دورة الألعاب الأولمبية في أثينا سنة 2004، وفي بكين سنة 2008 شركات إسرائيلية في ضمان أمنِ هذه المناسبات لأنَّ إسرائيل كانت قد رسّخت موضعها كواحدة من أفضل الذين يقدّمون خدمات ضبط الجماهير، وأكثرهم موثوقية، وكذلك في تقنيات غُرف السيطرة والقيادة، والأمن المدني، في مجالات حماية المفاعلات النووية، وأمن المطارات، وتطبيق القانون، وخدمات أخرى كثيرة تُعتبر فيها المراقبة وضبط الأمن أمورًا أساسية. وقد كانت الخبرات أو المعدات الإسرائيلية هي الإجابات المعتادة لأي سؤال يتعلّق بالأمن تقريبًا.

في العقود التي تلت أحداث 11 سبتمبر، لم تُطرح أسئلةٌ في وسائل الإعلام الرئيسية إلا نادرًا حول

مكتبة ياسمين

تعريف الإرهاب، ومن الذي يعرّفه. كان تقدير "خبرة" إسرائيل في شؤون محاربة الإرهاب عاليًا لدى كثير من الدول ووسائل إعلامها الوطنية لأنَ الحوار العام في هذا المجال كان سطحيًا في الغالب، وارتبطت القضيةُ الفلسطينية بالتطرَف، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر. هناك تبادل بين خبراء الإرهاب الذين يظهرون في وسائل الإعلام للحديث عن المخاطرة التي لا تنتهي بسبب المتمردين الكبار والصغار، والخلط المقصود بين حركة حماس وحزب الله، والقاعدة وداعش، وطالبان وجمهورية إيران الإسلامية، وكأنها جميعًا تمثل القوة اللاعقلانية نفسها، والتي تكره اليهود، ويجب هزيمتها بالوسائل العسكرية وحدها.

من السهل على وسائل الإعلام، ومن غير المثير للجدل، أن تستضيف أشخاصًا مؤيدين لإسرائيل للتحفيز على القيام بإجراءات أكثر عنفًا في محاربة الإرهاب، بينما قد يكون هناك مخاطرة في استضافة من ينتقد هذه السياسات، أو في استضافة مسلم، أو عربي تعرّض إلى مثل هذه الإجراءات بشكل مباشر. ستكون جماعاتُ الضغط الإسرائيلية القوية إذا حدث الأمر الأول، بينما يستثار غضبها لو حدث الأمر الثاني، وتضغط هذه الجماعات على المحرّرين والصحفيين لكي يفكّروا بحذر أكبر قبل استضافة المعارضين مرة أخرى، ثم تحدث المراقبة الذاتية. وقد سمعت عن عددٍ لا يُحصى من مثل هذه الحالات خلال سنواتي العشرين التي قضيتها في النشر عن إسرائيل وفلسطين. مازالت الرؤيةُ الضيقة المحدودة التي تم سماعها من قبل مستمرةً مثلما كانت مسيطرةً على الفضاء العام.

يقومُ كثيرٌ من المحرّرين والصحفيين برحلات

مكتبة ياسمين

مجانية إلى إسرائيل تحت رعاية جماعاتٍ داعمة لإسرائيل، تُعرض لهم فيها رؤيةً منمّقة للصراع، ويُصوّر فيها الفلسطينيون والإيرانيون على أنهم "البُعبُع". وليست جماعات الضغط المؤيدة للصهيونية هي التي تلعب الدّور وحدها، فمازال هناك تعاطفٌ كبير مع المتحدّثين الإسرائيليين، الأكثر مهارة في الغالب، وهم قادرون على تصوير الحروب في غزة، والاحتلال اللانهائي، على أنها ضروراتٌ لاستمرار وجود دولةٍ ذات غالبية يهودية. لا يرغب كثيرون بأن يتم التّصوّر على أنهم يُشككون بإسرائيل خشية من اتهامهم (كذبًا) بمعاداة الساميّة، وهي وصمة تُستخدمُ عادةً لتكميم أفواه الناقدين، وتنجح في معظم الأحيان.

يطرح الأكاديمي الإسرائيلي نيفي غوردون Neve Gordon، الذي يُدرِّس القانون الدولي وحقوق الإنسان في جامعة الملكة ماري في لندن، تفسيرًا أكثر تفصيلًا بشأن جاذبية إسرائيل. غادر إسرائيل مع زميله قبل سنوات قليلة بعد نشر مقالة في صحيفة لوس أنجلوس تايمز سنة 2009 اتّهمَ فيها إسرائيل بأنها دولةُ فصل عنصري تستحقُّ المقاطعة. في دراسةٍ نشرها في تلك السنة عن انتشار فكرة الأمن الوطني الإسرائيلي، وصف غوردون إسرائيل بأنها دولةٌ تدّعي نفسها أنها ديموقراطية، وتُسوِّق ذاتها على أنها معقل الحرية (لليهود). ناقش غوردون أن "تجربة إسرائيل في محاربة الإرهاب جذّابة، ليس لأن الإسرائيليين ينجحون في قتل "الإرهابيين" فحسب، بل لأنّ قتل الإرهابيين لا يتعارض بالضرورة مع الأهداف الاقتصادية لليبرالية الجديدة، بل وتحفّز عليه في الحقيقة أيضًا".

تابع غوردون أن اعتقاد إسرائيل بالديموقراطية

مكتبة ياسمين

لا يشابه الدول المجاورة التي لم تدعِ أبدًا أنها دول ديموقراطية.

"ينبغ هذا الإعجاب من الشعور (الحقيقي أو المتصوَّر) بأن محاربة الإرهاب بوسائل الأمن الوطني لا تتعارض مع القيم الديموقراطية، مع أن هذه الوسائل قد تشمل وقف العمل وفق الإجراءات القانونية في كثير من جوانب نظام القضاء الجنائي، بما فيها التعذيب، والحق بالمحاكمة السريعة، وتجنب عمليات البحث التعسفية التي تقوم بها الشرطة، ومنع الاعتقال غير المحدَد وغير الرسمي (لسرد أمثلةٍ عن بعض الوسائل). وهكذا فإنَّ أكثر أسباب الانجذاب نحو التجربة الإسرائيلية في محاربة الإرهاب هي قدرَتها على ربط النظرة العسكرية للعالم ببرنامجٍ اقتصادي ليبرالي جديد، ونظامٍ سياسي ديموقراطي"(114).

وإذا لم ينجح الخوفُ من الإرهاب في تسويق العسكرية الإسرائيلية، فإنَ الجاذبية الجنسية تقومُ بذلك. أسّست المتقاعِدةُ من الجيش الإسرائيلي أورين جولي Orin Julie جمعيةَ "فتيات بندقية ألفا" سنة 2018، وهي جماعةٌ من نساء بملابس ضيقة يعرضنَ المعدات العسكرية الإسرائيلية وهنّ يرتدينَ ثياب التمويه العسكرية في تشابه مع ثقافةٍ عسكرية مماثلة في الولايات المتحدة، إضافة إلى برنامج صهيوني قوي. يتخلّل نشرات جولي في وسائل التواصل الاجتماعي خطابٌ مؤيّد للسلاح، في جمل مثل: "سندافع عن أرضنا مهما كان ذلك صعبا!". في معرض الدفاع والأمن الوطني والإلكترونيات الذي أُقيم سنة 2019 في تل أبيب، داعبت "فتيات بندقية ألفا" البنادق، ووقفن بأوضاعٍ للتصوير مع الجمهور العاشق، ووزّعن نشرات عن

مكتبة ياسمين

صفحاتهن في وسائل التواصل الاجتماعي ذكرت فيها قياسات الصدر والحذاء والملابس وعدد المتابعين. انتظر صفٌّ طويل من الناس للحصول على التواقيع. شوهدت تلك النسوة بانتظام في وَضعيات تصويرٍ في الصحراء، وثيابهنّ ملطّخة بدمٍ مزيّف"(115).

كان ظهور عارضاتٍ لتسويق أسلحةٍ في وسائل التواصل الاجتماعي ظاهرةً جديدة في إسرائيل، واعتقدت أورين جولي أنها كانت الأولى، وأخبرت صحيفة التايمز الإسرائيلية سنة 2018 أنها "تُحبّ إسرائيل فِعلًا"، وأنها أسّست جمعية "فتيات بندقية ألفا" لتسويق شركاتٍ مثل إلبيت، وشركات الأسلحة الإسرائيلية كجزء لا يتجَزأ من صهيونيتها. قامت صوفيا غودفريند Sophia Goodfriend، وهي طالبةُ دكتوراة في الأنثروبولوجيا الثقافية بجامعة ديوك الأمريكية، بدراسَة إنتاج وتسويق معدات المراقبة الإسرائيلية، وكتبت في مجلة التيارات اليهودية: "أدّت وسائلُ التواصل الاجتماعي، وصناعات السلاح الخاصة العابرة للحدود، إلى انتشار ديموقراطيةِ جمالياتٍ للحروب مفعَمَة بالحيوية"(116). وتابَعت قولها: "تُسوّق جمعيةُ "فتيات بندقية ألفا" قدرةَ إسرائيل على إنكار العنف، وتُطبّع الاحتلال عن طريق تجميل الحروب بارتداء أحذية عالية الكَعب، وأجنحة ملائكة، حتى أصبحت الإثارةُ الجنسية في التشويش الإسرائيلي الآن سلعةً عابرةً للحدود".

تلقّت جولي ردود أفعالٍ هائلة على الإنترنت امتدحت مظهرها ومهاراتها العسكرية، وكتب آخرون أنها كانت "قاتلة الأطفال"، إنما لا شك بأن إضفاء سمات جنسية على الأسلحة الإسرائيلية كان

أسلوبًا رخيصًا في مواجهة انتقادات متزايدة على الإنترنت لسياسات الاحتلال الإسرائيلي وأساليبه التي تربط الدولة اليهودية بعدد كبير من المؤيدين الأمريكيين لإسرائيل، ومعظمهم من اليمينيين وأعضاء الجمعية الوطنية للبنادق.

كان ذلك يمثّل الصهيونية المجسّدة في موضوع جنسيّ ليس بعيدًا جدًّا عن استخدام إسرائيل لمجنّداتٍ إسرائيليات في دعايتها خلال السنوات الأولى التي تلت إنشاءها من أجل تشجيع ودعم مواطِنات من النساء القويات الحازمات. لم يكن البرنامج السياسي خفيًا، ولم يكن صريحًا دائمًا، وذلك لكي يظلّ المشاهدون يعتقدون بأن الوطنية والسلاح أمران أساسيان في المحافظة على الدولة اليهودية. لا يمكن إنكار هذه الحقيقة لأنه لن يكون من الممكن متابَعة أكثر من خمسين سنة من الاحتلال دون التأكيد على مجتمع شديد العسكَرة. حاولت جمعيةُ "فتيات بندقية ألفا" نزعَ السياسة عن الاحتلال بالتجاهل التام لأولئك الذين يُعانون منه.

لم يكن ممكِنا تجنّب خَصخَصة الاحتلال الإسرائيلي بسبب وجود كثير من الشركات الإسرائيلية المُنخرطة في المحافَظة على البُنية التحتية التي تحيط بالاحتلال. وجدت تلك الشركات أساليب مبتكرة لبيع خدماتها إلى الدولة، واختبار أحدث التقنيات على الفلسطينيين، ومن ثمّ تسويقها حول العالم. تبنّت إسرائيل سياسة الليبرالية الجديدة منذ منتصف الثمانينيات، وتسارعت خصخصة شركات حكومية كبرى في التسعينيات. ومع ذلك، وبينما يقع مزيد من الصناعات العسكرية بيد القطاع الخاص، فهي

تستمر بالتصرّف وكأنها توسّع لبرنامج سياسة إسرائيل الخارجية، يدعم أهدافها، وعقيدتها المؤيّدة للاحتلال.

كان الثمن الإنساني لهذا التحوّل نحو الليبرالية الجديدة فادحًا. هناك في إسرائيل أعلى مستوى من عدم المساواة في الدّخل بين جميع الدول في منظّمة التعاون الاقتصادي والتنمية. بلغ معدّل الفقر سنة 2020 نحو 23 بالمئة من السكان الإسرائيليين اليهود، ونحو 36 بالمئة من السكان العرب.

الاستعانةُ بمصادر خارجية من أجل الاحتلال تتخذُ أشكالًا مختلفة، وتشمل السلطة الفلسطينية التي يدعمها الغرب لأنها مُحافظ موثوقٌ على الوضع الراهن في الضفة الغربية. في حرب غزة التي حدثت في أواخر سنة 2008 وأوائل 2009، قمعت السلطةُ الفلسطينية بقسوة الفلسطينيين الذين تظاهروا ضد الصراع، بينما أرسلت إسرائيل قواتها البرية داخل غزة(117). ازداد قمعُ السلطة الفلسطينية لشعبها في السنوات التالية، وهي الآن دولةٌ بوليسية في الضفة الغربية، بينما تحكُم حركة حماس غزةَ بعنف وقسوة. ليس لدى الفلسطينيين سوى خيارات سياسية قليلة ممكِنة.

معظم الفلسطينيين لا يُدركون كيف تمّت خصخصة الاحتلال لأنه لا فرق عندهم بين إذلال مسؤولٍ حكوميَ أو مضايقات شركة خاصة، إذ لا تتم مساءلة أي من هذين الكيانين من جهة الذين تقع عليهم المظالم. شاهدت ذلك باستمرار عندما اشتغلت وسافرت عبر الضفة الغربية منذ سنة 2005. يُضطرُ الفلسطينيون لعبور كثير من الحواجز في ذهابهم إلى المدارس، أو إلى العمل، أو

مكتبة ياسمين

إلى إسرائيل إذا كانوا محظوظين في الحصول على أذن عملٍ نادرٍ تعطيه لهم الحكومة الإسرائيلية، كما يخضعون لتقنيات التّعرف الإلكتروني على الوجوه، والقياسات البيولوجية للتحقُّق من جميع حركاتهم.

يُفترضُ أن الهدفَ من التقنيات الجديدة هو تسهيل الإجراءات، إلا أن الغرض الحقيقي هو نزعُ الإنسانية عن هذه الإجراءات جميعها. يؤدّي ذلك غالبًا إلى غياب أيّ تواصل فيما عدا صوتٌ مرتفع على أجهزة مكبّرات الصوت عندما يصرخ ضابطُ أمنٍ إسرائيلي لتوجيه فلسطيني يعبر حاجزًا أمنيًا. في سنة 2016، عندما قُتل حراسُ أمنٍ خصوصيون الشابةَ مرام صالح أبو اسماعيل التي كان عمرها 24 سنة، عند حاجز قلنديا، مع أخيها ابراهيم طه الذي كان عمره 16 سنة، لم تتمّ مُحاسَبة أحد. أصبحت سياسةُ إسرائيل في إطلاق النار للقَتل تُطبّق على نطاق أوسَع عندما قامَت ما تُسمّى خدماتُ الأمن بالاستعانة بمصادر خارجية. وهذه هي نقطة الأهمية بالضبط، لأنه عندما تَحدُث جريمةُ إساءة تطبيق، تُلقي الدولةُ باللوم على الشركة الخاصة.

أخبرني رجلٌ فلسطيني قُرب حاجز قَلنديا إنه "لا فرق" لديه بين توقيفه ومساءلته أمام ضابط إسرائيلي أو حارس أمن خاص. النتيجة واحدة. قالت رهام، وهي طالبة عمرها 22 سنة تدرُس الطب وعلم النفس في جامعة النجاح في نابلس، إنّ الانتظار لعبور الحاجز كان "بائسًا"، غير أنها لم تعرف أنّ خصخصة الحواجز كانت تزداد تدريجيًا، وقالت: "يعتمد الأمرُ على الجندي أو الشرطي، يتركونك تمرّ أحيانًا دون أن يتحدّثوا إليك. وبشكل عام، النساءُ أسوأ من الرجال - ولست أدري

لماذا"(118).

حسب الأمم المتحدة، هناك 593 نقطة تفتيش وحواجز في الطرق في الضفة الغربية تُعيق حركة الفلسطينيين. وهناك أكثر من 30 نقطة تفتيش تربط إسرائيل بالضفة الغربية وغزة، وقد تمّت خصخصة أكثر من نصفها بشكل جزئي أو تام منذ نهاية الانتفاضة الثانية سنة 2005. بعض شركات الأمن الإسرائيلية المشاركة في خصخصة أعمال الأمن يتم فيها تشغيل متقاعدين من الجيش الإسرائيلي. كما أنها تعمل في مستوطنات الضفة الغربية. تشمل الشركاث الخاصة: G1 Secure Solutions, Malam Team, Modi'in Ezrachi, and T&M Israel التي تقوم جمعيات المستوطِنين باستئجارها(119). إنه نموذجٌ مرتفع الكفاءة يَستفيد من طَيفٍ واسِع من اللاعبين الإسرائيليين، ويَمحو كل تمييزٍ بين إسرائيل والمناطق المحتلّة.

مازال مسؤولون إسرائيليون يدّعون أن الاحتلال مؤقّت، ولذلك لم تَجرِ مناقشات جادّة في الدولة الإسرائيلية بشأن خَصخصة الاحتلال المتزايدة. مِن النادر أن تتم تغطية استعمارِ الضفة الغربية وقطاع غزة في وسائل الإعلام الإسرائيلية، إلا في سياق كونه قضية أمنية يجب التعامل معها. وصف السياسيون الاستعانة بمصادر خارجية بأنها "جعل نقاط التفتيش أكثر مدنية" أو "استقلالًا" بالنسبة للفلسطينيين(120).

يكتب الباحث الاقتصادي شير هيفر Shir Hever في كتابه "خصخصة الأمن الإسرائيلي" الذي نُشر سنة 2018 أن هذه العملية لن تصبح مشكلة سياسية لدى النُخبة الإسرائيلية إلا عندما

مكتبة ياسمين

تجد السلطات نفسها "غير راغبة، أو غير قادرة على الإنفاق على المصادر اللازمة للمحافظة على التعاقدات الموجودة مع عدد لا يُحصى من الشركات العسكرية والأمنية الخاصة، وشركات الأسلحة... عندما تحين تلك اللحظة، ستنكشف الوظيفة الجوهرية للنُخبة الإسرائيلية الأمنية: الاحتلال وقمع الفلسطينيين"(121).

على الرغم من أن هذا الكتاب يخوض في تفاصيل خبرة إسرائيل في خصخصة احتلال الضفة الغربية وغزة، والمحافظة عليه، فقد أخبرني هيفر أن النموذج الإسرائيلي في السيطرة على الفلسطينيين يُصبح أقلّ إلهامًا للزعماء أصحاب العقلية المشابهة في العالَم، وقال: "من المؤكّد أنَ الأنظمَة التسلّطية مازالت تريد تعلُّم كيفية تعامل إسرائيل مع الفلسطينيين وسيطرتها عليهم، ولكنهم كلما تعلّموا أكثر، أدركوا أن إسرائيل لا تُسيطِر فعلًا على الفلسطينيين بكفاءة. مازال تأييد جماعات اليمين والسياسيين في العالَم لإسرائيل قويًا (انظُر إلى الرئيس السابق جير بولسينارو Jair Bolsonaro في البرازيل، وهو مثالٌ يثير الاكتئاب بشكل خاص)، ولكنني أعتقد أن هناك تركيزًا أكبر على العنصرية، والتنميط العنصري، والقومية، وإعجابًا متناقضًا بأقوى جيش في العالَم".

ومع ذلك، هناك مؤشرات كثيرة على أن المُركّب العسكري-الصناعي المُخصخص سينمو أكثر وأكثر في العقود القادمة. أصدرت شركة المحاسبة العالمية KPMG تقريرًا في يوليو 2021 يحضّ على الاستثمار في قطاع الدفاع. حسب تحليل شركة KPMG، فقد أدّت جائحة كوفيد-19 إلى تفاقُم عدم الاستقرار العالمي، إلا أن عدم الاستقرار

مفيدٌ للأعمال الدفاعية: "استقرار العالم هو في أسوأ حالاته حاليًا منذ الحرب الباردة مع استمرار اللاعبين الثلاثة الرئيسيين، أمريكا والصين وروسيا، في زيادة الإنفاق على قدراتهم العسكرية، وبالتالي إحداث تأثير على الإنفاق العسكري لبقية الدول"(122).

ربما كان هيفر مُحقًا بشأن المعدات العسكرية التقليدية، ولكن مبيعات إسرائيل للطائرات المسيّرة والتقنيات الإلكترونية تزدهر بقوة. بعد أيام قليلة من الغزو الروسي لأوكرانيا في أوائل 2022، امتلأت الصحافةُ الإسرائيلية بقصص عن احتمالات لِعقد صفقات ضخمة مع أوروبا للحصول على معدات دفاعية إسرائيلية. إسرائيل ليست الدولة الوحيدة التي توفّر هذه التقنيات، ولكن حربًا باردة جديدة بين الغرب والصين وروسيا ستدعَم وَضع إسرائيل. ومن نواحٍ عديدة، لا يهمّ كثيرًا أي جانب من جوانب الاحتلال الإسرائيلي يثير الاهتمام - السيطَرة على الفلسطينيين، أو التنميط العنصري، أو النزعة القومية المتفشّية - لأنه في نهاية الأمر، فإن القوميين الإثنيين سيختارون ما يَعتقدون أنهم يستطيعون تعلُّمه من الاحتلال الإسرائيلي.

صناعةُ المراقبة الإسرائيلية غير المنظَّمة متفوقةٌ في العالم. المعرض العسكري الإسرائيلي في تل أبيب سنة 2022 هو أكبر معرض لتجارة الأسلحة في الدولة، وقد جذب 12000 زائر من قوات الشرطة والعسكريين من تسعين دولة، شملت دولًا تنتهك حقوق الإنسان مثل وبيلاروسيا والفلبين وأوغندا ونيجيريا. وقد برزتْ في المعرض معداتُ المعلوماتية في المراقبة الإلكترونية(123). حضر مسؤولون كبار في المؤسسة العسكرية الإسرائيلية.

مكتبة ياسمين

تمَت الدعاية لكثير من المنتجات على أنها مناسبة أكثر للمُستخدمين، كأن تكون قادرة مثلًا على تسريع المرور في نقاط التفتيش، ولكن هدفها الرئيسي هو تحسين قدراتها على المراقبة واستهداف السكان غير المرغوب بهم(124).

استفادت إسرائيل بشكل مؤكّد بسبب علاقاتها العسكرية الوثيقة والقوية مع النخبة في واشنطن. ستستمرُ الأموال في التدفّق. أنفق العالم نحو تريليوني دولار تقريبًا على الإنفاق العسكري سنة 2020(125). وسمح قانون تفويض الإنفاق العسكري في أمريكا سنة 2022 بإنفاق 769 بليون دولار، وهي أكبر ميزانية دفاعية أمريكية في التاريخ، وتمَت صياغة هذا القانون في عَهد إدارة الرئيس بايدن في سبتمبر 2021. حَسب جو روبر Joe Roeber من جمعية الشفافية الدولية، قال له مسؤولٌ أمريكي سنة 1997 إنَ المخابرات الأمريكية CIA قد استنتجت في تقريرٍ سرّي في منتصف التسعينيات أن الصناعات العسكرية شكّلت نحو 40% إلى 45% من الفساد في التجارة العالمية(126).

الوهم الذي يُسوّقه تقرير شركة KPMG هو أن القتل عن بُعد، والاستثمار المتزايد في الطائرات المسيّرة يعني أن "الحروب في المستقبل القريب سيتم تسييرها عن بُعد أكثر فأكثر". لم يتمَ التصريح بذلك، إلا أن المعنى الواضح هو أن منتجي الأسلحة يبتعدون تدريجيًا عن الأسلحة القذرة والقبيحة التي كانت تُستخدم في الماضي، وسيتجهون نحو أسلحة تُستخدم عن بُعد لتكون أنظف، وأقل دموية(127).

مكتبة ياسمين

تستمر خصخصة الاحتلال في هذه الأثناء، وتكتسب سرعةً وانتشارًا. شركة AnyVision هي شركةٌ اسرائيلية ناشئة تُراقب الفلسطينيين سرًا في الضفة الغربية عبر طيفٍ من الكاميرات، لا تعترف الشركة بمواقعها، ولا تُبيّنها إسرائيل. وهكذا تندمج تقنياتُ المعلوماتية مع القياسات الحيوية وتقنيات التّعرف على الوجوه في عشراتٍ من نقاط التفتيش الإسرائيلية في كافة أنحاء الضفة الغربية. تدّعي شركةُ AnyVision أن تقنياتها لا تميّز بين الناس حسب العرق أو الجنس، وأنها تصنع منتجاتٍ "أخلاقية" فقط. عندما سُئلت الشركةُ من طرفِ أخبار القناة التلفزيونية الأمريكية NBC سنة 2019 عن أعمالها في الضفة الغربية، هدّدهم في البداية رئيسها التنفيذي إيلون إيتستين Eylon Etshtein برفع قضيةٍ ضدّهم، وأنكر وجود الاحتلال أصلًا، واتّهم مُراسِل قناة NBC بأنه مدفوع من قِبل ناشطين فلسطينيين(128). اعتذر فيما بعد عن فورة غضبه.

تَبتعِد شركةُ AnyVision عن الاعتراف بدورها الحقيقي في الضفة الغربية، ولكن استقصاءً أعمق قامت به قناة NBC كشف عن وجود مشروع اسمه غوغل آيوش Google Ayosh يستهدف جميع الفلسطينيين بتحليل قواعد البيانات الضخمة. تستمرُ شركة AnyVision في استخدام الاحتلال كمصدرٍ حيويٍ لتدريب أنظمتها على المراقبة الجماعية للفلسطينيين، قائلةً إنها تركّز على محاولات وقف أي مُهاجمين فلسطينيين(129).

شركة AnyVision هي شركةٌ عالمية تعمل في أكثر من أربعين دولة، بما فيها روسيا والصين (هونغ كونغ) والولايات المتحدة، وفي عددٍ لا

يحصى من المواقع مثل أندية القمار، والمصانع، وحتى مراكز اللياقة البدنية. غيّرت الشركة اسمها إلى أوستو Oosto في أواخر سنة 2021، وجمعث في تلك السنة 235 مليون دولار لتطوير معداتها التي تستخدم تقنيات المعلوماتية. الرئيس السابق للموساد، تامير باردو Tamir Pardo هو أحد مستشاريها، ويعمل لديها متقاعدون من وحدة التجسس الإسرائيلية 8200، وهي تروّج لنفسها على أنها تبني عالمًا "أكثر أمانًا من خلال الاستخبارات البصرية".

أعجبث شركة مايكروسوفت بشركة AnyVision لدرجة أن عملاق البرمجيات هذا، الذي مركزه في مدينة سياتل الأمريكية، قد استثمر مؤقتًا مبلغ 74 مليون دولار في الشركة الإسرائيلية سنة 2019 قبل أن يواجه ردَّ فعلٍ عنيف هائل. قطعث شركة ميكروسوفت علاقتها بشركة AnyVision سنة 2020 تحت تأثير "جماعات ضغط فلسطينية على الحزب الديموقراطي" حسب قول الرئيس السابق لوكالة مراقبة الصادرات الدفاعية الإسرائيلية، على الرغم من أنها تستمر في تطوير تقنياتها الخاصة في التعرف على الوجوه(130). اشتغلث جنيفر بساكي Jen Psaki، السكرتيرة الصحفية السابقة لإدارة الرئيس بايدن، لدى شركة AnyVision بصفتها "مستشارة اتصالات الأزمات"، وحصلث على 5000 دولار على الأقل في مرحلةٍ ما بين مغادرة إدارة الرئيس أوباما سنة 2017، وبدء إدارة الرئيس بايدن في البيت الأبيض(131).

لم تكن شركة AnyVision الشركة الوحيدة التي تستخدم تقنيات المعلوماتية. تُعتبر تقنيات التعرف على الوجوه صناعةً نامية يُقدّر أن قيمتها

ستبلغ نحو 11.6 بليون دولار عالميًا في سنة 2026. شركة Corsight للذكاء الاصطناعي هي شركةٌ للتّعرف على الوجوه تملكها إسرائيل جزئيًا، وتتعاون مع أقسام الشرطة المعروفة بوحشيّتها في المكسيك والبرازيل والحكومة الإسرائيلية(132). اشترك الكولونيل السابق في الجيش الإسرائيلي داني تيرزا Dany Tirza مع شركة Corsight للذكاء الاصطناعي في تطوير كاميرا للشرطة تستطيع فورًا تمييز فردٍ ما ضمن جماعَة حتى إذا كان وجهه مغطَى، وتستطيع مقارنة الشخص مع صُورٍ قبل ذلك بسنوات. يعيش تيرزا في مستوطنة كفر أدوميم غير القانونية في الضفة الغربية، وهو واحِد من المهندسين الرئيسيين لِجدار الفَصل العنصري الإسرائيلي الذي يقسم الضفة الغربية. يَدعم تيرزا استِخدامَ تقنيات التّعرف على الوجوه في نقاط التفتيش الإسرائيلية لأنها تُقلل "الاحتكاك" بين جيش الدفاع الإسرائيلي والفلسطينيين(133).

يَستخدم جيش الدفاع الإسرائيلي تقنيات التّعرف على الوجوه بكثافة عَبر شبكةٍ متناميةٍ من الكاميرات والهواتف المَحمولة لتوثيق كلَّ فلسطيني في الضفة الغربية. بدءًا من سنة 2019، استخدم الجنودُ الإسرائيليون برنامج الذئب الأزرق Blue Wolf لتصوير وجوه الفلسطينيين، ومن ثم مقارنتها بقاعدة بيانات ضخمة لصورٍ أُطلق عليها اسم "فيسبوك للفلسطينيين". طَلب من الجنود التنافُس في التقاط أكبر عدد ممكن من صور الفلسطينيين ليفوز أكثرهم إنتاجًا بجوائز(134).

يتم تطبيق هذا النظام بشكلٍ أكثر تطرّفًا في مدينة الخليل حيث تُستخدم تقنيات التّعرف على

مكتبة ياسمين

الوجوه وكاميرات كثيرة لمراقبة الفلسطينيين حتى في منازلهم بدلًا من مراقبة المستوطنين المتطرفين الذين يعيشون هناك، ويعبّرون عادة عن تهديدات إبادة عرقية ضد الفلسطينيين. ادّعى جيش الدفاع الإسرائيلي أن البرنامج قد تم تصميمه "لتحسين نوعية حياة الشعب الفلسطيني".

في سنة 2022، ركّبت إسرائيل في الخليل نظامًا للسيطرة على الحشود عن بُعد، وهي أداة تستطيع إطلاق الغاز المسيل للدموع، والرصاصات ذات الرؤوس الاسفنجية، والقنابل الصوتية. صنعت هذا النظام الشركة الإسرائيلية Smart Shooter (الرامي الذكي) التي تدّعي أنها تستخدم تقنيات المعلوماتية بنجاح في التعرف على الأهداف. تتواجد شركة Smart Shooter بانتظام في معارض السلاح الدولية، وقد باعت منتجاتها لأكثر من اثنتي عشرة دولة.

كانت قاعدة البيانات Blue Wolf نسخة أصغر من قاعدة بيانات Wolf Pack التي احتوت على تفاصيل البيانات الشخصية لكل فلسطيني في الضفة الغربية تقريبًا، بما فيها درجة التعليم، والصور، والمستوى الأمني، وتاريخ العائلة. طُلب من الجنود في الضفة الغربية سنة 2022 إدخال بيانات وصور لخمسين فلسطينيًا على الأقل في نظام Blue Wolf في كل مناوبة، ولم يُسمح لهم بإنهاء مناوبتهم إلا إذا فعلوا ذلك(135). يُشبه هذا ترتيبات مماثلة تقوم بها الصين ضد أقلية الإيغور في مقاطعة شينيانغ باستخدام المراقبة والتقنيات لمتابعة السكان وتخويفهم، على الرغم من أن بكين تتلقى ملامة أكبر بكثير مما تتلقاه الدولة اليهودية.

على الرغم من الادعاءات المضخّمة، إلا أن كفاءة

مكتبة ياسمين

هذا النوع من التقنيات مشكوك فيها. أخبرني الإسرائيلي إيتاي ماك، محامي حقوق الإنسان، أن الشركات تُبالغ في تأثير منتجاتها في المحافظة على الاحتلال من أجل الحصول على مزيد من الأموال مؤكدًا أن "جزءًا كبيرًا من عمل الشين بيت (جهاز المخابرات الداخلية في إسرائيل المهم جدًا في ترسيخ الاحتلال) يعتمد أساسًا على مصادر المعلومات البشرية (أصدقاء، عائلة، أفراد المجتمع) وليس على تقنيات متطورة. لا يمكن الحصول على معلومات عن التقنيات المحدّدة التي يستخدمها جهاز الشين بيت، غير أنها لا تأتي من شركات خاصة". بكلمة أخرى، مازالت مصادر المعلومات البشرية والتقنية مهمةً في السيطرة على حركة جماعاتٍ غير مرغوب بها، وستظلُّ المصادر البشرية ضروريةً لسنوات عديدة قبل أن تُصبح غير لازِمة.

حسب جدعون ليفي، الصحفي في جريدة هآرتس، فإنَّ الشين بيت استمتعت "بتعذيب" الفلسطينيين. كتبَ قائلًا: "معظم نشاطات الشين بيت تَشمل تَرسيخ الاحتلال بوسائل السيطَرة الطاغية على الشعب المحتَلَ". استَنتجَ ليفي، مُذكرًا بأعمال الوحدة 8200، أنَّ الشين بيت "لا تَستثني أية وسائل، مثل تعذيب البشر، والتلاعب بحياتهم، واستغلال ضعفهم من أجل تحقيق غاياتها مع انتهاك جميع حقوق الأفراد، وعدم معاملة الفلسطينيين ككائنات بشرية، ومراقبتهم في الليل والنهار، والإغارة على بيوتهم وغُرف نومهم، ومعرفة حتى لون ثيابهم الداخلية؛ جهاز الشين بين هو أنبوب الصّرف الصحي الذي تفوخ منه رائحة الاحتلال الفاسدة"(136).

أشهر محامٍ إسرائيلي يُحارب ضد قطاع الدفاع

الإسرائيلي هو إيتاي ماك، وهو مواطن هادئ الحديث ومشاغب عامَ، عاش سنوات عديدة في القدس، وانتقل إلى النرويج سنة 2021. يظلّ صوتًا نادرًا في دولةٍ تتجاهل علاقات إسرائيل مع الطُّغاة بشكل عام. يشمل عمله أيضًا تمثيل فلسطينيين في الضفة الغربية والقدس الشرقية، وقد رفع قضايا مدنية باسمهم ضد أجهزة الأمن الإسرائيلية.

في سنة 2020، لم ينجح في إجبار ياد فاشيم Yad Vashem، متحف المحرقة اليهودية في القدس، على وقف توجيه الدعوات إلى مجرمي الحرب ومُنتهكي حقوق الإنسان. رفضت المحكمةُ العليا الإسرائيلية طلَبَ الذي قدّمه نيابةً عن البروفسورة فيرونيكا كوهين Veronica Cohen، وهي مِن الهنغاريين الناجين من المَحرقة، إضافة إلى 65 غيرها، لأنّ المحكمة اعتقدت بأن زيارات الزعماء المثيرين للخِلاف ربما يكون لها "قيمة تعليمية"، ولا تؤثّر على سياسة الحكومة الإسرائيلية. كتبَ ماك أن عدم وجود مشاركين من أفريقيا أو شرق آسيا أو أمريكا اللاتينية في احتفالِ سنة 2020 بمناسبة مرور 75 سنة على تحرير معسكر أوشفيتز لم يكن مصادفة، بل شارك حضورٌ من البيض فقط من أصحاب الهويات اليهودية-المسيحية (137).

أثار ماك هذا الرَد غير العادي من ياد فاشيم بعد رفع الدعوى: "التقارير والإشاعات المرفوعة في الدعوى والتي تتعلّق بالمشاركة مع مسؤولين أجانب في ارتكاب جرائم خطيرة حسب القانون الدولي، وادّعاءات تأييدهم، هي ادّعاءاتٌ غير معروفة لدى متحف المحرقة اليهودية الذي لا يستطيع إثباتها أو

نفيها بأية طريقة". لم تتمكّن مؤسسةٌ يُفترض أنها مُكرّسة لدراسة الإبادة الجماعية والعنف الجماعي من البحث على الإنترنت من معرفة الجرائم التي ارتكبها عددٌ لا يُحصى من ضيوفها السابقين، بمن فيهم الرئيس السريلانكي ماهيندا راجاباكشا Mahinda Rajapaksa ضد التاميل، أو رودريغو دوتيرتيه Rodrigo Duterte في الفلبين ضد الفقراء(138).

أخبرني ماك أن هدفه لم يكن "إصلاح إسرائيل وصورتها"، إنما "منع إبادة جماعية وجرائم ضد الإنسانية وانتهاكات كبيرة ضد حقوق الإنسان لأنّ إسرائيل متواطِئة في هذه الجرائم في أنحاء كثيرة من العالم". بالتركيز على مستوى العالم، أراد ماك كشف نفاق إسرائيل في محاولتها فرض الصمت على مُنتقديها "واستخدام ورقة معاداة الساميّة، بينما كانت إسرائيل على مدى عقود تُجمّل صورة أنظمة فاشيَة ومُعادية للساميّة طالما أن هذه الدول تقبل معاملة إسرائيل للفلسطينيين". قرأ ماك أكثر من 100.000 صفحة في سجلات دولة إسرائيل، ولاحظ استمرارًا منذ الأيام الأولى لهذه الدولة. "ساعدت إسرائيل في الماضي على مراقبة الهواتف العادية، وتخترقُ إسرائيل الآن الهواتف المحمولة".

اعترف ماك بامتياز موقفه بصفته رجلًا يهوديًا أبيض لأنه لم يتعرّض للتهديد أبدًا بسبب أدائه لعمله (فيما عدا امرأة إسرائيلية في مستوطنة بيت ألفا لم تُعجبها حقيقة أنه كان يُطلق على ما تُنتجه اسم معدات قمع المظاهرات). ذكر أنها "مُضايقة مُميّزة، إذ يعتبر كثيرٌ من الإسرائيليين أنه يصعب علينا القول إننا ندعم الإبادة الجماعية. يقولون إنهم يُصدّرون معدات دفاعية، بينما هم في الحقيقة

تجار سلاح. أحصل على دعم قوي عبر الطيف السياسي الإسرائيلي من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. يقول بعضهم إنني أعمل بأخلاقيات يهودية (على الرغم من أن اليمين لا يعتبر احتلال فلسطين مشكلة)".

يشير ماك جزئيًا إلى المستوطن إيلي يوسف Eli Yosef الذي يعيش في مستوطنة معالي أدوميم قُرب القدس، وهو يمينيٌ يُعارض أساسًا بيع أسلحةٍ إسرائيلية للطُغاة والمستبدّين. قال يوسف لصحيفة هآرتس سنة 2018 بصفته يهوديًا مُتدينًا "لقد استوعبنا الكراهية على مدى 2000 سنة، ثم نأتي لنسلّح الأشرار؟ هذه قضيةٌ مبدئية: إذا لم أتمكّن مِن المحبة، وكل ما يهمني هو المال، وأنا مُستعدٌ لِبيع روحي مِن أجل المال، فقد انتهى كل شيء. إنه انتحارٌ روحي. وما ذلك إلا مقدّمة للانتحار الفعلي. إذا ظننت أنك تستطيع أن تزرع الشر، ولا تحصده، فأنت أعمى"(139).

مُعارِضٌ آخر لِبيع إسرائيل أسلِحة إلى أنظِمة مستبدّة يعيش أيضًا في مستوطَنة غير قانونية، وهو الحاخام أفيدان فريدمان Avidan Freedman المُقيم في مستوطَنة إفرات Efrat قُرب بيت لحم، وله صِلة مع ماك، وهو المدير التنفيذي لمنظمة يانشوف Yanshoof، التي تعني بالعبرية "البومة"، وهي اختصارٌ لمفردات تعني "تصديز السلاح، والشفافية، والرقابة".

ذكر فيريدمان لصحيفة هآرتس: "يتم حظر مبيعات السلاح الصغيرة أحيانًا لأنظمة مستبدّة أفريقية، إلا أنني غير مستعد لقبول الوضع القائم. أي أنني أشارك كمواطن إسرائيلي بالمسؤولية عن هذه التصرفات. نُشارك في الذنب وفي المسؤولية

مكتبة ياسمين

عن هذه الأعمال - وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ الشباب الذين خدموا في وحدات النخبة يقومون بتدريب قواتٍ في دولٍ إشكالية. هذا فسادٌ أخلاقي ينعكس علينا بجميع الأشكال"(140).

ماك مدافعٌ صلبٌ لا يملّ عن ضحايا سياسات إسرائيل الدفاعية. قاد حملة سنة 2022 للضغط على الحكومة الإسرائيلية لإيقاف القائد السوداني محمد حمدان (حميدتي) داغولو لتوزطه في الإبادة الجماعية في دارفور. كانت إسرائيل قد دعت داغولو لزيارةٍ سرّية سنة 2021 خلال سعيها لبناء علاقات مع النظام السوداني الديكتاتوري.

تطوّرت الاستراتيجيةُ القانونية لدى ماك بعد أن قرّرت المحكمةُ العليا في إسرائيل في يونيو 2021 أنها لن تستمع لأية مُطالَبات تتعارض مع تصدير الأسلحة الإسرائيلية إلا في الظروف الاستثنائية جدًا. ذكر القاضي أن الحكومة تستطيع ممارسة أحكامها الذاتية بشأن الذين تبيع لهم السلاح(141). وكان ماك ورفاقه يحاولون وقف شركةَ السلاح الإسرائيلية Cellebrite عن بَيع معدات مراقبة لأنظِمة تسلُطية مثل روسيا والصين.

وهكذا انتهت المحاكمُ الإسرائيلية كخيار ممكن، وردّ ماك وفقًا لذلك قائلًا: "أريد الاستمرار بالعمل كمحام، دون الذهاب إلى المحاكم الإسرائيلية، بل الانخراط بدلًا عن ذلك في الحملات القانونية والعامة.

الفصل الثالث

منع كل فرصة للسلام

"تقدّم إسرائيل اليوم نموذجًا سياسيًا شاملًا للحرب غير المتكافئة، أي الصراع بين دولة مع مقاتلين غير نظاميين".

يوتام فيلدمان Yotam Feldman، مخرج الفيلم الوثائقي الإسرائيلي "المختبر The Lab" 2013

(ورَدَ اقتباس فيلدمان في "Wars on Gaza' have become part of Israel's system of governance': An interview with filmmaker Yotam Feldman," +972 Magazine, May 22, 2013.)

يجب أن يكون قتل أو جرح الفلسطينيين سهلًا مثل طلب البيتزا. كان هذا هو المنطق وراء البرنامج الذي صمّمه الجيش الإسرائيلي سنة 2020 والذي أتاح للقائد الميداني إرسال تفاصيل عن هدفٍ محدّد عبر جهاز إلكتروني إلى الجنود الذين يمكنهم القضاء على الفلسطيني بسرعة. كان الكولونيل أورن ماتزلياخ Oren Matzliach يعمل على هذا المشروع، وصرّح في موقع الدفاع الإسرائيلي Israel Defense أن الضربة ستكون "مثل طلب كتاب من موقع أمازون، أو طلب بيتزا من مطعم باستخدام هاتف محمول ذكي"(142).

هذا النوع من التجريد عن الإنسانية هو النتيجة الحتمية للاحتلال المستمر بلا نهاية. كما أنه مفيد في التصدير، فمما يفتح شهية عدد متزايد من الأنظمة في العالم هو تعلم كيف تنجح إسرائيل في النجاة من عواقب الاغتيال السياسي. تم تكييف هذا المصطلح ليناسب إسرائيل/فلسطين

مكتبة ياسمين

على يد العالم والبروفسور في علم الاجتماع باروخ كيميرلينغ Baruch Kimmerling، الذي ناقش سنة 2003 أن سياسة إسرائيل الداخلية والخارجية "موجّهة بشكل أساسي نحو هدف رئيسي: الاغتيال السياسي للشعب الفلسطيني. أعني بالاغتيال السياسي عملية هدفها النهائي هو التخلص من وجود الشعب الفلسطيني ككيانٍ شرعي اجتماعي وسياسي واقتصادي. قد تشمل هذه العملية، أو لا تشمل بالضرورة، تطهيرهم عرقيًا بشكلٍ جزئي أو كلي من المنطقة التي تُعرف باسم أرض إسرائيل"(143).

حدثت لحظةٌ نادرة من الاستقامة السياسية الإسرائيلية في أكتوبر 2021 عندما قال بيزاليل سموتريش Bezalel Smotrich، عضو الكنيست اليميني المتطرف وزعيم الحزب الصهيوني الديني المُتحالف مع رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، في الكنيست للأعضاء العرب: "أنتم هنا عن طريق الخطأ، لأنَ بن غوريون لم يُتمّ العمل، ولم يطردكم سنة 1948". كان هذا التصريح اعترافًا بأن عمليةَ تطهيرٍ عرقيَ قد حدثت سنة 1948، على الرغم من أنها تمّت على يد أكثر السياسيين الإسرائيليين عنصريةً وكراهية.

ليست هذه وجهة نظر جديدة؛ فقد كانت في الواقع إيديولوجية الدولة منذ سنة 1948. أظهرت وثائق تم الإفراج عنها من سجلات دولة إسرائيل سنة 2021 أن التوجُهات ضد الفلسطينيين لم تتغير كثيرًا منذ الأربعينيات. لقد كان طرد العرب بالقوة إلى الدول المجاورة سياسةً رسمية على مدى وجود الدولة، على الأقل بين أفراد النخبة العسكرية والسياسية فيها. قال روفن الوني Reuven Aloni،

مكتبة ياسمين

نائب المدير العام لإدارة الأراضي في إسرائيل، أثناء اجتماعٍ سنة 1965 إنّ الهدف المثالي كان "تبديل السكان". وكان متفائلًا بأنه "يومًا ما سيأتي بعد عشر، أو خمس عشرة، أو عشرين سنة، سيتحقّق فيه وضعٌ من نوع خاص، مع حرب، أو شيء يشبه الحرب، عندما سيكون الحلّ الأساسي هو مسألة نقل العرب. أعتقد أننا يجب أن نفكّر بهذا كهدفٍ نهائي"(144).

اعترف يهوشوع فيرابين Yehoshua Verbin، قائد الحكومة العسكرية التي سيطرت على المواطنين العرب في الفترة 1948-1966، بأن تطهيرًا عرقيًا قد حدث سنة 1948، وقال: "لقد طرَدنا نحو ربع مليون عربي، وأحرقنا بيوتًا، وسرقنا أرضهم - مِن وجهة نظرهم - ولم نُعِدها، أخذنا الأرض...". كان "الحل" المَعروض آنذاك والآن يشبه بشكلٍ مخيف نظرية كيميرلينغ؛ إما جَعل العرب يختفون، وإذا لم يكُن ذلك ممكنًا، فجعلهم غير متساويين أملًا بأنهم ربما سيهاجرون باختيارهم سعيًا وراء حياة أفضَل في مكان آخَر. ربما كان كيميرلينغ يستطيع إضافة أنّ الاغتيال السياسي قد أصبح أداةً يمكن تسويقها حول العالم لدولٍ ومسؤولين أرادوا تقليد "النجاح" الإسرائيلي.

فسّر المؤرخُ العسكري الإسرائيلي مارتين فان كريفيلد Martin van Creveld سنة 2002 على التلفزيون النمساوي ما اعتبره المعضلة التي واجهتها الدولة اليهودية:

"الجنود الإسرائيليون رجال شجعان جدًا... إنهم مثاليون... يريدون خدمة بلادهم، ويريدون أن يُثبتوا جدارتهم. المشكلة هي أنك لا تستطيع إثبات جدارتك ضد من هو أضعف منك بكثير. إنهم في

حالة خاسرة. إذا كنت قويًا تقاتل ضعيفًا، فعندما تقتل خصمك تُعتبر وغدًا... وإذا تركته يقتلك، تُعتبر غبيًا. هذه معضلة عانى منها آخرون قبلنا، وأعتقد ببساطة عدم وجود مهرب منها. لم يكن الجيش الإسرائيلي الأسوأ بأي شكل من الأشكال، ولم يرتكب مثلًا ما فعله الأمريكان في فيتنام... لم يستخدم النابالم، ولم يقتل ملايين البشر. وهكذا فإن كل شيء نسبي، إنما للعودة إلى ما قلته سابقًا، إذا كنت قويًا تقاتل ضعيفًا، فكلّ شيء تفعله سيكون جريمة"(145).

لم يكن فان كريفيلد مخطئًا في الحقيقة، غير أنه قلّل مما وصلت إليه جاذبية إيديولوجية الهيمنة بعد أكثر من سبعة عقود من الاحتلال. استثمرت صناعةُ الأمن الداخلي الإسرائيلي فعليًا أدواتها واستراتيجيتها، وقدّمت نماذج تمَ اختبارها في ميدان القتال للفصل بين الفلسطينيين الإسرائيليين لفترة طويلة طالَما أن الإسرائيليين هم المسيطَرون، وأن هذا هو الحلَ على المدى القريب والمتوسط. ناقش كيميرلينغ أن الانفصاليين أرادوا "عَكس التطهير العِرقي، مع المحافَظة على نتائج عملية ونفسية مماثلة. إنها حالة مُتجذِّرة في مزيج من مشاعر مُتضافرة: عدم الثقة، والخوف، وكراهية العرب، ممزوجة مع الرغبة بفصل إسرائيل عن بيئتها الثقافية المباشرة"(146).

الانفصاليةُ هي الإيديولوجية الصاعدة في التيار الإسرائيلي العام. ذكر المؤرخ الإسرائيلي البارز بيني موريس Benny Morris لمؤسسة الأخبار رويترز سنة 2020 أنَ اختفاء الفلسطينيين من المشهد السياسي كان حلًا مثاليًا بالنسبة ليهود إسرائيل، وقال: "أهمل الإسرائيليون الفلسطينيين، وأرادوا

ألا يكون لديهم أي شأن معهم، وأرادوا وجود أقل عددٍ من الفلسطينيين حولهم. يُساعد جدار الفصل بين إسرائيل والضفة الغربية على تحقيق هذا الوضع"(147). ألقى موريس باللوم في ذلك على حملة تفجيرات الانتحاريين الفلسطينيين أثناء الانتفاضة الثانية في الفترة 2000-2005 والتي قُتل فيها أكثر من 3100 فلسطيني، و1038 إسرائيلي، وأُلقي القبض على 6000 فلسطيني، وتمَ تدميز 4100 منزل فلسطيني(148).

طريقةٌ أخرى للنظر إلى نظام الفصل كانت فكرةً حرَّض عليها ميخا غودمان Micah Goodman، المستوطِن في الضفة الغربية الذي يُقال إنه كان مقربًا من رئيس الوزراء الإسرائيلي نفتالي بينيت عندما تسلّم السُلطة سنة 2021. كانت رؤية غودمان هي "تقليص الصراع". شرح ذلك للقناة التلفزيونية الأمريكية العامة NPR: "يَشعر معظم الإسرائيليين أننا إذا بقينا في الضفة الغربية، لن يكون لنا مستقبل، وإذا تركنا الضفةَ الغربية، فلن يكون لدينا مستقبل أيضًا. سقط معظم الإسرائيليين في هذا الفخ". قال غودمان إنه من غير المتوقّع أن "الصراع" مع الفلسطينيين سيُحلّ قريبًا، ومن أجل حلّ هذه المعضلة تستطيع إسرائيل "بدء تقليصها على خطوات تختصر الاحتلال دون تقليل الأمن، مما يعني تقليل عدد الفلسطينيين الذين تُسيطر عليهم إسرائيل دون زيادة عدد الفلسطينيين الذين يستطيعون تهديد الإسرائيليين". ما يعنيه ذلك عمليًا هو المحافظة على الوضع القائم(149).

المثال الأكثر فعالية عن الانفصالية هو تطويقُ غزة التي يُحاصر فيها أكثر من مليوني فلسطيني وراء أسوار عالية، تحت مراقبةٍ مستمرة بالطائرات

مكتبة ياسمين

المسيّرة، وهجمات صاروخية غير منتظمة، وحدود مغلقة في معظم الأوقات تفرضها إسرائيل ومصر. عندما استكملت إسرائيل الحاجز العالي التقنية الذي بلغ طوله 65 كيلومترا على طول كامل الحدود التي تفصلها عن قطاع غزة في أواخر 2021، بكلفة بلغت 1.11 بليون دولار، أقيم احتفالٌ بهذه المناسبة في جنوب إسرائيل. وصفت صحيفةُ هآرتس ذلك السّياج بأنه "نظام هندسي وتقني معقّد: وهو الوحيد من نوعه في العالم"، واحتاج إنشاؤه لاستخدام تقنيات أوروبية(150).

في سنة 2002، قبل ثلاث سنوات من قيام رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون بسَحب 9000 مستوطِن يهودي من قطاع غزة، توقّع المؤرخ الإسرائيلي فان غريفيلد رؤية أنّ "الحلّ الوحيد هو إنشاء جدار بيننا وبين الطّرف الآخر، بحيث يكون عاليًا لا تتمكّن حتى الطيور من الطيران فوقه... وذلك لتجنّب أي نوع من الاحتكاك حتى زمن بعيد جدًا في المستقبل... نستطيع إنهاء المشكلة رسميًا في غزة على الأقل خلال 48 ساعة عن طريق الانسِحاب، وبناء جِدار مناسِب. ومِن ثمّ بالطبع، إذا حاول أي شخص تسلُّق الجدار، سنقتله"(151).

قطاع غزة الآن هو المختبر النموذجي للعبقرية الإسرائيلية في السيطرة. إنه الحلم النهائي للإثنية القومية الذي يضع الفلسطينيين في سجن دائم. تم البدء ببناء الحاجز حول القطاع أولا سنة 1994، وخضع لطيفٍ من التحسينات منذ ذلك الحين (على الرغم من أن الفلسطينيين قاموا بتدميره جزئيًا سنة 2001). يخضع سكان قطاع غزة الان لتجربة إجبارية في السيطرة يتم فيها اختبار أحدث التقنيات والأدوات. إلا أنّ ما يجري الان في قطاع

مكتبة ياسمين

غزة، يحدث أيضًا بشكل متزايد في العالم. قالت المعمارية الفلسطينية يارا شريف إنَ "النموذج الفلسطيني يحدث في كافة أرجاء العالم، وهو يحدث عن طريق التدمير والمحي، وكذلك بالتغيّر المناخي الكبير"(152).

في نوفمبر 2012، قصفت إسرائيل قطاع غزة في عملية "عمود الدفاع" التي استمرت سبعة أيام قُتل خلالها 174 فلسطينيًا، وستة إسرائيليين، وجُرح فيها آلاف. بينما كانت الوفيات في تلك الحرب قليلة نسبيًا، فإن عملية "الرصاص المصبوب" التي جرت سنة 2008 وأوائل 2009 قد شهدت قتل 1400 مدنيَ. شهد الصراع ثورةً في أسلوب تصوير جيش الدفاع الإسرائيلي للحرب من خلال وسائله العديدة للتواصل الاجتماعي. أثار قلقَ إسرائيل ذلك التحوّل في الرأي العام ضد العمليات العسكرية الإسرائيلية في بعض الدول الغربية، فتمّ إنتاج ما يسمّى بالحرب الفورية، وهي الجهد المؤسّساتي المنسّق لنشرات فورية عن العمليات العسكرية في وسائل التواصل الاجتماعي، وبشكلِ رسومٍ بَيانية توضيحية للإعلان بفَخر عن قَتل أعضاء من جماعة حماس (حركة المقاومة الإسلامية)، أو عن إلقاء القبض على "إرهابيين" فلسطينيين. كان في بعض هذه المنتجات شيء من اسلوب أفلام الإثارة القتالية العالية التكلفة في سينما هوليود.

هدفت استراتيجيةُ إسرائيل في وسائل التواصل الاجتماعي إلى الحصول على دعم مؤيدين داخليين وعالميين لمهماتها العسكرية. عن طريق ذلك، والطلّب من المؤيدين نشر ارائهم، ووضع صور في وسائل التواصل الاجتماعي، خلق الجيش الإسرائيلي مهمَةً جماعية مشتركة تستطيع دولَ

أخرى تقليدها بسهولة عن طريق إثارة حماسة وطنية قومية على الإنترنت. شجّع الجيش الإسرائيلي أثناء عملية "عمود الدفاع" المؤيدين لإسرائيل على المشاركة بكل فخر كلما تمّ قتل "إرهابيين"، بينما يذكّرون في الوقت نفسه الجمهور العالمي بأن الدولة اليهودية كانت هي الضحية. كان ذلك نوعًا من التجنيد الجماعي للقضية من خلال تسليح وسائل التواصل الاجتماعي(153).

كانت تلك الحرب مشهدًا مسرحيًا، وقد أنفق جيش الدفاع الإسرائيلي ميزانيةً كبيرة في إخراجها. أتاحت ميزانيةُ الدعاية في الجيش الإسرائيلي توظيف 70 ضابطًا على الأقل، إضافة إلى 2000 جندي، من أجل تصميم ومعالَجة وتوزيع الدعاية الإسرائيلية الرسمية، وتم إغراق كل منصّة في وسائل التواصل الاجتماعي بمحتويات جيش الدفاع الإسرائيلي.

تُظهِر صفحة جيش الدفاع الإسرائيلي على منصّة إنستغرام بانتظام رسائل مؤيدة للمِثليين وللحركة النسوية، إضافة إلى نماذجها العسكرية المتشددة(154). في الأول من أكتوبر 2021، نشرَ جيش الدفاع الإسرائيلي في منصّاته المختلفة على وسائل التواصل الاجتماعي صورةً لمركز قياداته مغمورةً بضوءٍ ورديّ مع هذه الرسالة: "من أجل الذين يقاتلون، والذين قُتلوا، والذين كُتبتْ لهم الحياة، تمَت إضاءة مركز قيادة جيش الدفاع الإسرائيلي باللون الورديّ بمناسبة شهر التوعية بسرطان الثدي". ردّ الناشط الفلسطيني الأمريكي يوسف منيّر على منصة تويتر: "يُعاني عددٌ غير معروف من نساء غزة من سرطان الثدي، ويتم منعهنّ باستمرار من تلقّي العلاج اللازم، والعناية

المبكرة التي قد تُنقذ حياتهنَ، لأنَ هذا الجيش يُطبّق حصارًا وحشيًا على أكثر من مليوني إنسان". إنما كانت معظم التعليقات في إنستغرام على هذا المنشور تمدح جيش الدفاع الإسرائيلي.

يقوم الجيش الأمريكي الآن باستنساخ استراتيجية حرب المعلومات في جيش الدفاع الإسرائيلي بشكل روتيني. أطلقت المخابرات الأمريكية حملةً على وسائل التواصل الاجتماعي سنة 2021 باسم البشر في وكالة المخابرات الأمريكية هدفُت إلى تجنيد عناصر من جماعات أكثر تنوعًا. يبدو أنها استلهمت بعمقٍ اسلوب جيش الدفاع الإسرائيلي. في إحدى الحملات التي أثارت أكثر النقاش (والسخرية)، بالنظَر إلى دَور المخابرات الأمريكية في زعزعة الاستقرار والإطاحة بالأنظِمة منذ الحرب العالمية الثانية، تمَ عَرض فيلم قصير عن ضابطَة مخابرات لاتينية الأصل وهي تُصرّح: "أنا امرأةٌ متوافقة الجنس من جيلِ الألفية، تم تشخيص إصابتي باضطراب التوتر العام. أنا متقاطِعة سياسيًا واجتماعيًا، غير أن وجودي لا يَقوم على أحكام مسبَقة. كنت أجِد صعوبة مع متلازمة المحتال وشكوكها الداخلية، ولكنني بعد أن بلغت سنَ 36 من العمر، أرفضُ استِبطان أفكار أبوية مُضلِّلة عما تستطيع المرأة أن تفعله، وما يجب أن تكون عليه".

استراتيجيةُ إسرائيل في وسائل التواصل الاجتماعي هي محاولةٌ متطورة لربط عمليات الدولة اليهودية بالقيم الغربية، أو على الأقل بتلك السياسات التي تؤيد ردّ الفعل العسكري على الإرهاب (أو المقاومة، حسبما هي وجهة نظرك)، أملًا بخلقها لدى جماهير عالمية. ذكر المقدّم

المتقاعد أفيتال ليبوفيتش Avital Leibovich، صانع وحدة التواصل الاجتماعي في الجيش الإسرائيلي، ومدير اللجنة اليهودية الأمريكية في إسرائيل، أثناء عملية "الجُرف الصامد" سنة 2014 أن "وسائل التواصل الاجتماعي هي منطقة حربٍ بالنسبة لنا هنا في إسرائيل". كانت تلك العملية معركةً بين إسرائيل وحركة حماس استمرّت سبعة أسابيع، وقتلت أكثر من2250 فلسطينيًا، كثيرٌ منهم مدنيون، بينهم 500 طفل، وقُتل فيها سبعون إسرائيليًا، معظمهم من العسكريين.

الهدفُ غير المُعلن لاستراتيجية المعلومات في الجيش الإسرائيلي هي تجييش الصدمة اليهودية في خِدمة استمرار الاحتلال. يَعتقدُ الجيش الإسرائيلي بأن إبراز التضحيات التي تُقدَمها إسرائيل في معاركها التي لا تنتهي مع الفلسطينيين، بشكلٍ عددٍ لا يُحصى من المنشورات والتعليقات، هي طريقةٌ رابحة. وبهذا المنطق، لا يَحقّ للفلسطينيين أن يغضبوا بشأن مِحنتِهم، كما أن صَدمتهم غير موجودة، وهكذا تتحول مقاومةُ الاحتلال إلى عملٍ غير شرعي. تَجذبُ إيديولوجيةُ الرسائل هذه دولًا أخرى معظَمها لا تستطيع مُجاراة إسرائيل في سرعتها وتطورها عندما تخوض هذه الأمم حروبها ضد المتمردين أو المعارضين المحليين. الخطوات العملية هي ذاتها: ردُّ الفعل السلبي ضدّ نشرةٍ تم تلقيها بشكل سيئ، أو ضدّ نشرةٍ في فيسبوك هو بكل بساطة طرح مزيد من النشرات التي تهدف لإغراق الإنترنت بكثير من الضوضاء لكي يتم بسرعة نسيان النشرات السيئة السابقة.

قامت ماريسا ترامونتانو Marisa

مكتبة ياسمين

Tramontano، وهي باحثة اجتماعية في معهد جون جاي للعدالة الجنائية John Jay College of Criminal Justice بدراسةٍ مُستفيضة لحملة التواصل الاجتماعي في عملية "الجُرف الصامد" سنة 2021، ووجدت أنّ الجيش الإسرائيلي قد استخدم العديد من الأدوات المرئية والمكتوبة لتبرير أعماله في غزة والضفة الغربية. كتبت ترامونتانو: "تُرسّخ إسرائيل نفسها، جزئيًا من خلال خطابها المباشر في وسائل التواصل الاجتماعي، على أنها جزء من تحالف الهيمنة المُعادي للإسلام، مما يضع إسرائيل بِصفتها الجبهة الشرقية لحربِ الولايات المتحدة الأمريكية على الإرهاب"(155).

كان هناك أمل عند ولادة الثورة الرقمية بأن القدرة على تصوير ونشر صورِ وأفلامِ الإساءات الإسرائيلية في فلسطين ربما تُساعِد القضية الفلسطينية. لا شك بأنّ الوعي العالمي بشأن الاحتلال قد تصاعد كثيرًا، وقد ساعدت على ذلك جزئيًا تلك المشاهِد الخام التي لم تخضع لعملياتِ تَنقيحٍ عن تفاعل الفلسطينيين مع المستوطِنين أو مع الجيش الإسرائيلي. كما أنّ هناك كثير من الأدلة على أنّ دولة إسرائيل قد قامت بانتقاء الصور المرئية القاسية لِنفي حقيقة ما يقوله الفلسطينيون عن معاناتهم. الادّعاء الإسرائيلي هو أن الفلسطينيين يكذبون بشأن ظروف معيشتهم على الرغم من كل ما نراه جميعًا. القدرةُ على مشاهدة فظائع الإسرائيليين ضد الفلسطينيين لا تنفع مع أناسٍ لا يرون أن الفلسطينيين هم بشر، بل أنهم جماعة عرقية تستحقُ العقاب والموت. ومع توجُه الإسرائيليين نحو اليمين، أصبح تأنيبُ الضمير نادرًا(156).

مكتبة ياسمين

يعرف المحاربون الإسرائيليون في وسائل التواصل الاجتماعي أن ربط مهمتهم بمعارك واشنطن بعد أحداث 11 سبتمبر هو أمرٌ حيوي للحصول على التعاطف والتأييد. ناقشت ترامونتانو أن "ما يُسمّى تهديد الإرهاب الفلسطيني يشكل جزءًا رئيسيًا من روايات الصدمة الإسرائيلية - تهديدٌ يومي يتراكم فوق صدماتٍ على مرّ أجيال، فوق الشّتات والإبادة الجماعية":

بشكلٍ أكثر صلابة، يتم تصوير أعمال إسرائيل على أنها أخلاقية وشرعية، وأنّ مأزق الدولة يمكن فهمه في ضوء ماضي إسرائيل الأليم. وهكذا، فإن احتراق مدينة نيويورك يَربط عمليات الجيش الإسرائيلي مباشرة بردّ الفِعل الأمريكي على "صَدمة" أحداث 11 سبتمبر. وعلى العكس، يتم تصوير حركة حماس كعدو بربري غير عقلاني، لا يملك أية ادعاءات شرعية لوجود صدمة، مَثلُها في ذلك مَثل ادعاءات منظمة القاعدة، والدولة الإسلامية وأمثالها(157).

استخدم الجيش الإسرائيلي أسلحةً جديدة أثناء حرب غزة سنة 2014، واستعرَضَها أمام مَنافذ الإعلام الدفاعية المختلفة. قُدِّمَت التقنية الجديدة، أو بالأصحَ تمَت الدعاية لها، في وسائل الإعلام الإسرائيلية والدولية، وشملت قنابل، وقذائف دبابات، وطائرات هيرمس المسيّرة من صُنع شركة إلبيت(158). بعد أسابيع قليلة من انتهاء تلك الحرب، عُقد المؤتمر السنوي الإسرائيلي للأنظمة الذاتية في تل أبيب بمشاركة السفارة الأمريكية من أجل أسواق متوقّعة في آسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية، وقد عُرضت فيه الأسلحة التي استخدمت في صراع غزة، بما فيها الطائرات

مكتبة ياسمين

المسيّرة من صنع شركة إلبيت(159).

تم اختبار التجربة الإسرائيلية التالية في الوقت الحقيقي أثناء مسيرة العودة الكبرى عندما تظاهر أهل غزة أمام السياج الإسرائيلي. بدأت المسيرة في مارس 2018، واكتسبت اهتمامًا عالميًا ضخمًا بينما طالب الفلسطينيون سلميًا بإنهاء حصار غزة، وحقّ العودة إلى الأراضي التي سرقتها إسرائيل. في الفترة من مارس 2018 إلى ديسمبر 2019، قُتل 223 فلسطينيًا، معظمهم من المدنيين، وأُطلق قناصةُ النار على 8000 فلسطيني، أدّت إصابات بعضهم إلى عاهات دائمة. نشر الجيش الإسرائيلي في تويتر (ثم حذف المنشور) في 31 مارس: "شاهدنا البارحة 30.000 شخص. جئنا مستعدّين مع التعزيزات المناسبة. لم يتمَ تنفيذ أي أمر دون سيطرة؛ وكان كل شيء دقيقًا ومحسوبًا، وعرفنا أين سقطت كل طلقة".

كانت إسرائيل واثقة جدًا من جميع أفعالها، دون خوف من المحكمة الجنائية الدولية، أو أي عقوبة محلّية، حتى أنّ العميد الجنرال المتقاعد زفيكا فوجل Zvika Fogel قدّم مقابلة في الإذاعة الإسرائيلية في أبريل 2018. كان فوجل رئيس الأركان السابق في القيادة الجنوبية الإسرائيلية التي تشمل غزة. بعد أن قتل وجرح القناصة الإسرائيليون آلافًا من الفلسطينيين، بمن فيهم أطفال، سألة مستضيفه في الإذاعة رون نسيل Ron Nesiel فيما إذا كان الجيش الإسرائيلي يجب أن "يُعيد النظر في استخدام القناصة"، أجاب فوجل أن استخدام القناصة كان مناسبًا: "إذا اقترب هذا الطفل، أو أي شخص اخر من السياج لكي يُخفي متفجرات، أو لاكتشاف وجود أي مناطق ميتة هناك،

مكتبة ياسمين

أو لكي يقطع السياج بحيث يتمكّن شخص ما من اختراق أرض إسرائيل لكي يقتلنا..."

سأله نسيل: "فالعقوبة هي القتل؟"

أجاب الجنرال: "في رأيي نعم، عقوبته هي الموت. لو استطعت إطلاق النار عليه لإيقافه فقط، في ساقه أو في ذراعه - عظيم. ولكن إذا كان الأمر أكثر من ذلك، نعم، يجب أن تتحقّق معي، من الذي دمه أكثر سماكة، دمنا أم دمهم؟"(160).

كانت مسيرة العودة الكبرى مختبرًا وساحة عرض في الوقت نفسه. السلاح الجديد الأكثر تطوّرًا الذي تم استخدامه ضدّ المتظاهرين الفلسطينيين كان "بحر الدموع"، وهي طائرة مسيّرة ألقت قذائف الغاز المسيل للدموع على المناطق المطلوبة. على الرغم من ادّعاءات الإسرائيليين بالدّقة، فقد أُلقيت الغازات المسيلة للدموع على خيمةٍ مليئة بالفلسطينيات والأطفال، وكذلك على جموع المتظاهرين. بدأت الشرطة الإسرائيلية باستخدام الطائرات المسيّرة التي تُلقي قذائف الغاز المسيل للدموع على المتظاهرين في الضفة الغربية في أبريل 2021. بعد شهرٍ واحِد، أعلنت إسرائيل أنّ أسطولًا من الطائرات المسيّرة سيستخدم لمتابعة أعمال الشّغب والاحتجاجات، إضافة إلى مراقبة المناطق التي تم قصفها بصواريخ أُطلقت من قطاع غزة. أعلنت إسرائيل سنة 2022 أنها قد وافقت على استخدام طائرات مسيّرة مُسلّحة من أجل "القتل المستهدف" في الضفة الغربية.

قام حرس الحدود الإسرائيليون الذين كانوا يتعاونون مع شركة Aeronautics الإسرائيلية، بإعادة تصميم طائرة مسيّرة صينية صنعتها شركة Da Jiang Innovation لاستخدامها

مكتبة ياسمين

في متطلبات الخدمة على الأرض، وذكر أنه تم اختبارها في غزة قبل بدء الاحتجاجات الكبيرة سنة 2018. ذكر كوبي شابتاي Kobi Shabtai، القائد في حرس الحدود، لأخبار القناة التلفزيونية الإسرائيلية الثانية "فيما وراء حقيقة أنها تُحيّد كل خطر على قواتنا، فهي تسمح لنا بالوصول إلى أماكن لم نصلها بعد". أدّى النجاح الفوري لطائرة "بحر الدموع" إلى تشجيع مؤسسة مفات Maf'at، وهي الإدارة الإسرائيلية لتطوير الأسلحة والبنية التحتية التقنية، على شراء مئات من تلك الطائرات المسيّرة بعد الليلة الأولى من المظاهرات في غزة.

اختراعٌ جديد آخر كان الطائرة المسيّرة "ماء الظربان Skunk Water" التي تُطلِق سائلًا من مدفع ماءٍ يترك رائحةً كريهة في ثياب وجسم المصاب لفترة طويلة. كانت الشركة الإسرائيلية Aeronautics وراء هذا الاختراع، وهي تقنيةٌ كانت قد استخدمت في الضفة الغربية والقدس لردع المتظاهرين. ظهرت تقاريرُ منذ أوائل سنة 2020 نشرها نُشطاء معارِضون للاحتلال في الضفة الغربية وَرَدَ فيها أن طائرات إسرائيلية مسيّرة قادرة على المخاطبة كانت تطير فوقهم، وتُطلِق رسائل صوتية تقولُ للمتظاهرين الفلسطينيين: "اذهبوا إلى بيوتكم". قيل للنشطاء الإسرائيليين بالعبرية ألا يقفوا "مع الأعداء"(161).

أكّد تقريرٌ من الجماعة الإسرائيلية "تحالف النساء من أجل السلام" على أن استخدام إسرائيل للطائرات المسيّرة "يتّفقُ مع نمط عالمي: على الرغم من أنها موجّهة اليوم ضد الفلسطينيين أساسًا، إلا أن تقنيات مشابهة ستسوّقُ غالبًا، وتباع لقمع

مكتبة ياسمين

اخرين في العالم. يصرّ جيش الدفاع الإسرائيلي على أنّ مثل هذه الإجراءات تؤدي إلى إيذاء عددٍ أقلّ من الناس، إنما في الحقيقة يصعب التنبؤ بذلك"(162). لم تعترف إسرائيل رسميًا بأنها قد استخدمت طائرات مسيّرة هجومية إلا في سنة 2022 (على الرغم من أن الفلسطينيين قد عرفوا ذلك قبل سنوات).

كان الرّد الإسرائيلي على المظاهرات مصدرا للفخر في قطاع الدفاع الإسرائيلي. حضر ألف عضو من الجيش الإسرائيلي والصناعات الإسرائيلية الخاصة، وممثلون أجانب، وتبادلوا القصص والآراء خلال مؤتمرِ أسلحة سنوي عُقد في تل أبيب في 15 مايو 2018، أقامَتهُ مجلة "الدفاع الإسرائيلي" تحت عنوان: "النار، والمناورة، والمخابرات في ظروف معقّدة". ضمّ المتحدثون الرئيسيون وزيرَ الدفاع السابق موشيه إيالون Moshe Ya'alon، ورئيس القيادة الجنوبية يواف غالانت Yoav Galant، الذي قاد العمليات أثناء حرب غزة في أواخر 2008 وبداية 2009. اتُهِمَتْ جماعةُ حقوق الإنسان الإسرائيلية ييش غفول Yesh Guval (وتعني هناك حدَ) الجنرال غالانت بارتكاب جرائم حرب خلال هذه الجولة من الصراع التي سُمِيَّت "الرصاص المصبوب". كان مستقبلُ القتال في ذهن الجميع، وكانت الإجابات جاهزة لدى رعاة المؤتمر، ومنهم شركة إلبيت وشركة Aeronautics: أسلحةٌ أكثر تطورًا لخوض معارك ضد العصابات المسلحة تشبه الوضع في غزة"(163).

في مايو 2021، تأجّج الصراع بين حركة حماس وإسرائيل فيما سُميَ بعملية "حارس الجدران"، وكأنما كان التاريخ يُعيد نفسه مرة أخرى(164).

مكتبة ياسمين

بالإضافة إلى عدد الوفيات المروع - قُتل 260 فلسطينيًا، كان بينهم 129 مدنيًا على الأقل، إضافة إلى 12 مدنيًا إسرائيليًا - فقد أصبحت العلاقة التضامنية بين قطاعي الدفاع في إسرائيل والولايات المتحدة عارية تمامًا(165). كتب محمد أبو مغيصب، وهو مسعف في غزة يعمل مع منظمة أطباء بلا حدود، أن حرب 2021 "لم تكن مثل أخواتها (من القصف الإسرائيلي السابق). كان القصف متواصلًا على نطاق واسع، ولم يتوفّر الأمن في أي مكان وزمان: كنا مرعوبين... لم يكن هنالك أي وقف متزامن في القصف لكي يسمح بالقيام بأي عمل إنساني"(166).

اتهمت منظمة مراقبة حقوق الإنسان إسرائيل وحركة حماس بانتهاك قوانين الحرب، وطالبت "الهيئات الحقوقية الدولية والقومية بالمبادرة لوقف دورة العنف، والهجمات غير القانونية، والإفلات من العقاب بسبب ارتكاب جرائم حرب"(167)، كما ألقت باللوم على واشنطن بسبب تقديم الأسلحة "التي استخدِمت في هجمتين إسرائيليتين على الأقل" حسب تحرياتها. كانت مطالبتها ضعيفة، ومع ذلك فإن الطلب بأن الولايات المتحدة "يجب أن تضع شروطًا على مساعداتها الأمنية لإسرائيل في المستقبل لكي تلتزم القيام بإجراءات ملموسة وقابلة للفحص والتمحيص لتحسين التزامها بقوانين الحرب وقوانين حقوق الإنسان الدولية، والتحقيق بالانتهاكات السابقة"(168).

وجد استقصاء قامت به قناة الجزيرة الإنكليزية أن شركة إنتاج الأسلحة بوينغ Boeing قد صنعت

مكتبة ياسمين

قنابل GBU-31، وGBU-39، وأن شركة General Dynamics صنعت قنابل MK-84، وهي أسلحة استخدمت في تدمير البنى التحتية المدنية في قطاع غزة، بما فيها تدمير بناءٍ كانت فيه مكاتب وكالة الأسوشييتدبرس ومكاتب قناة الجزيرة. ربحت شركاتٌ أمريكية بشكل مباشر من هجمات إسرائيل على غزة وقتل المدنيين الفلسطينيين. كان دافعو الضرائب الأمريكان هم الذين اشتروا هذه الذخائر التي تم تصديرها إلى الدولة اليهودية(169).

ومع ذلك، فقد اعتبر كثيرون أن الحرب القصيرة كانت نصرًا لحركة حماس لأنها صمدت أمام الهجمات الإسرائيلية بفضل معداتها التي تتطوّر باستمرار، بما فيها الطائرات المسيّرة، وغواصة بلا ملاحين، وصواريخ أكثر دقّة وأبعد مدى. كانت الفجوة في القوة العسكرية بين الطرفين تتقلص، على الرغم من أنها مازالت كبيرة وواضحة. كان عدد الضحايا من المدنيين في الجانب الفلسطيني غير مُتناسِب، إلا أن الأسلحة الإسرائيلية التي تم اختبارها في الميدان لم تتمكّن من تقديم أي شيء يشبه النصر(170).

لم يكن من المحتمل حدوث أي تأثير سلبي لأيّ من هذه الأمور على مبيعات السلاح الإسرائيلية. كان شعار "تم اختبازها في الميدان في غزة" يمثّل شارة شرف. اشترت كندا في عهد رئيس الوزراء جستين ترودو Justin Trudeau طائرات هيرمس 900 المسيّرة التي تصنعها شركة إلبيت بمبلغ 28 مليون دولار في أواخر 2020. تم اختبار هذه الطائرة أولًا في حرب غزة سنة 2014. ادعت كندا أن هذه الطائرات ستستخدم لأغراض المراقبة في القطب

مكتبة ياسمين

الشمالي "لكشف تسرّب البترول، ومعرفة حالة الحيوانات والنباتات القطبية والبحرية". وأن هذه المعدات ستساعد "في المحافظة على مياهنا نظيفة وآمنة". كان نشر طائرات هيرمس لأغراض مدنية، ولكن شركة أسلحةٍ إسرائيلية رائدة استفادت من الصفقة(171).

سار تطبيع المعدات الإسرائيلية بلا هوادة، ودون أي تعليق تقريبًا من جهة وسائل الإعلام الرئيسية على الرغم من أن توماس وودلي Thomas Woodley، رئيس جمعية الكنديين من أجل العدالة والسلام في الشرق الأوسط، قد شرح القضية قائلًا إنّ صفقة الطائرات المسيّرة "تُعزِّز أرباح شركة الأسلحة الإسرائيلية التي تصنع هذه الطائرات لمراقبة واستهداف مدنيين فلسطينيين تحت الاحتلال"(172).

حدثت احتجاجات أكثر شدَة في بريطانيا حيث وقّعت حكومة المحافِظين صفقةً مع شركة إلبيت في يناير 2021 لاستثمار 134 مليون دولار في معداتٍ تُساعِد الجنود في الحصول على معلومات الأهداف بسرعة في ميدان المعركة. احتلّ نشطاءَ مصنعًا لشركة ألبيت في أولدهام بمدينة مانشستر، وأقفلوه. تابع المتظاهرون استهداف المصنع ومواقع أخرى تابعة لشركة إلبيت خلال 2020 و2021، بما فيها مكتبها الرئيسي في لندن، وصبغوا الموقع بلون الدّم الأحمر.

قام مصنع تقنيات فيرانتي Ferranti Technologies في أولدهام الذي تملكه شركة إلبيت بضنع أجزاء للطائرات المسيّرة التي استخدمت في جمع المعلومات الاستخباراتية. أثناء إحدى المظاهرات في فبراير 2021، كتب عضوٌ

مكتبة ياسمين

من جماعة العمل من أجل فلسطين أنّ شركة إلبيت "مذنبةٌ بارتكاب عنفٍ شديد باختبار أسلحتها على أطفال فلسطين، ومن ثمّ تصديرها لأنظمة قمعية أخرى في العالم"(173). تمّت تبرئةُ ثلاثة نُشطاء بريطانيين في ديسمبر 2021 بعد أن وجد أحد القضاة أن تصرفاتهم ضدّ شركة إلبيت لم تشكّل تهديدًا للنظام العام. بعد سنواتٍ من ضغط جماعة العمل من أجل فلسطين، باعث شركةُ إلبيت مصنع أولدهام سنة 2022، وأغلقت مكاتبها الرئيسية في لندن في تلك السنة ذاتها.

أعجب الرئيس فلاديمير بوتين أيضًا بمراقبة إسرائيل المستمرة لقطاع غزة باستخدام الطائرات المسيّرة. واحتاجت موسكو إلى طائراتٍ مسيّرة يمكن الاعتماد عليها في المراقبة بعد أن خسرت كثيرًا منها أثناء حربها سنة 2008 في أوسيتيا الجنوبية ضد جورجيا. استخدمت تبليسي طائرات مسيّرة إسرائيلية، وبعد سنوات، قرّرت موسكو اتّباع ذلك. بعد أن شاهدت العمليات الإسرائيلية في غزة، منحت روسيا ترخيصًا لشركة الصناعات الجوية الإسرائيلية "الباحث 2" التي أعاد مالكها الجديد تسميتها إلى "فوربوست Forpost"، وأصبحت مصدرًا رئيسيًا في دعم روسيا للرئيس السوري بشار الأسد(174). درّبت إسرائيل طيارين روس لتشغيل الطائرات المسيّرة.

احتفظت روسيا وإسرائيل بعلاقة وثيقة بينهما أثناء الحرب الأهلية في سورية على الرغم من تأييد روسيا لنظام الأسد، وقلق إسرائيل بسبب الوجود المتزايد لإيران وحزب الله الحلفاء لروسيا في سورية. دفع هذا رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو (ونفتالي بينيت) إلى شنّ هجمات متكررة على

مكتبة ياسمين

مواقع إيرانية وسورية في المنطقة لوقف نقل الأسلحة إلى حزب الله. وقد غضّت روسيا طرفها عن هذه الهجمات عن طريق خطّ ساخن لخفض التصعيد بين الحكومتين(175).

حسب رأي إسرائيل، كان الأسد أفضل من أي خيارٍ آخر. وعلى الرغم من أن إسرائيل قدّمت مساعدات إنسانية للاجئين سوريين داخل سورية من الذين هربوا من الصراع سنة 2018، إلا أنها قامت أيضًا بتسليح وتمويل ما يسمَى بفصائل المتمردين في جنوب سورية منذ سنة 2013، وكان كثير منهم إسلاميون متشدّدون، لكي يساعدوا في مَنع تقدَم جماعاتٍ تدعمها إيران إلى الحدود الإسرائيلية-السورية.

بعد فترة قصيرة مِن تدخُل بوتين في الحرب الأهلية السورية في 30 سبتمبر 2015، تم تعزيز شركة فوربوست في الدّعايات الإعلامية المؤيّدة لروسيا باعتبارها وسيلة فعّالة في سماء سورية. كان دعم روسيا لنظام الأسد حاسِمًا في انتصاره على عصيانٍ شهد تدميرًا حقيقيًا شاملًا لدولةٍ بأكملها على مرّ عَقدٍ من الزمن بَدأ سنة 2011. قامت روسيا بأكثر من 39000 غارة جوية خلال السنوات الثلاث الأولى من عملياتها في سورية، واستهدفت الدولة الإسلامية (داعش)، وجماعات المتمردين ضد الأسد. قتل الروس حوالي 23.000 مدنيّ سوري في الفترة 2015-2019(176). هوجمت البِنيةُ التحتية المدنية، مثل المستشفيات والعبّارات المدنية، ولم تعترف روسيا أبدًا بقتل مدنيّ واحد.

على الرغم من أن الطائرات الإسرائيلية المسيّرة التي تم ترخيصها لم تكن تُطلق أي صواريخ، فإن

مكتبة ياسمين

الطائرات النفاثة الروسية التي تعمل برفقتها قد أطلقت صواريخ بعد أن استقبلت منها معلومات استخبارية، ومع ذلك فإن روسيا وإسرائيل تجنّبتا العقوبات الدولية. لم تقتل تلك الطائرات المسيّرة أحدًا بشكلٍ مباشر، وبالتالي لم تُصنف كأسلحة من الناحية القانونية. كانت تلك ثغرة قانونية استغلتها كثيرٌ من الدول القومية لأنّ تقنيات المراقبة كانت تتطوّر أسرع بكثير من كتابة القوانين أو تطبيقها. لا تواجه روسيا ولا إسرائيل أية مسؤولية قطّ تجاه تحالفهما الغريب في سورية. في سبتمبر 2021، قدّرت الأممُ المتحدة أنّ أكثر من 350.000 سوري من المدنيين والمقاتلين قد قُتِلوا منذ سنة 2011، على الرغم من أن الأمم المتحدة قد اعترفَت بأن هذا العدد "أقلَ من العدد الحقيقي للقتلى".

هناك عددٌ لا يُحصَى من الزبائن الذين يريدون الحصول على خبرة السلاح الإسرائيلية. حِصار غزة هو أحد الأمثلة. طوّرت الشركةُ الإسرائيلية إكستند Xtend طائراتِ مسيَّرة مع الجيش الإسرائيلي يمكن توجيهها عن بُعد باستِخدام تقنياتِ الواقِع المُعزَّز والافتراضي. كانت الطائرات المسيَّرة تَعترضُ طائرات العدو المسيَّرة بإلقاء شبكات حولها من مسافة قريبة، وقد أطلقَ الجيشُ الأمريكي برنامجًا رائدًا سنة 2020 لتحقيق أغراضه الخاصة بعد أن لاحظ الإمكانيات الضخمة لهذه التقنيات. قال أفيف شابيرا Aviv Shapira "اختصرنا سنتين من التدريب إلى خمس دقائق. يصل الجنود، وبعد عشر دقائق من التدريب يبدؤون بإنزال بالونات في قطاع غزة"(177).

اعترفَت الشركةُ بأن "إمكانيات النظام قد تمّت البرهنة عليها في إسرائيل باعتراضات مُثبتة

 مكتبة ياسمين

لأجهزةٍ حارقة أطلقتها المنظمات الإرهابية عبر حدود غزة". وأضاف شابيرا أنَ طائرات مسيّرة "انتحارية" غبيّة كانت الأهداف الرئيسية لأنه لم يكن من الممكن اعتراض هذه الالات عن طريق التشويش الإلكتروني، وكان الإمساك بها هو الحل الوحيد. قال شابيرا إن هذه التقنيات تُذكّر بفيلم "الرجل الحديدي Iron Man". منحت هذه التقنية المستخدمين الإحساس بأنهم موجودون داخل الطائرة المسيّرة ذاتها "وتمكّن المشغّلون من غمر أنفسهم، أو "السَير" في "واقِعٍ عن بُعد"، والتعامل مع الأهداف بكفاءة وأمان"(178).

كانت الشركة الإسرائيلية إكستِند تتقدّم عندما وقّع البنتاغون سنة 2021 صفقةً لعشرات من طائراتها المسيّرة المختصَة بالاستِخدام في المناطق الداخلية والمدنية. تم تصميم طائرة إكستندر Xtender لاختراق الأبنية مع تجنُب المخاطرة بحياة الجنود، وتمَت تجربتها في موقع اختبار يوما Yuma في ولاية أريزونا، وهو أحد أكبر المنشآت العسكرية في العالَم. استَخدمَت القوات الخاصة الأمريكية هذه الطائرات المسيّرة في سورية وأفغانستان. استُخدِمت بعضُ الطائرات المسيّرة الإسرائيلية الهجومية الأكثر عدوانية في مناطق حرب أجنبية، مثل أفغانستان، حيث استخدمتْ ألمانيا وكندا وبريطانيا وأستراليا طائرات مسيّرة إسرائيلية لاصطياد مقاتلين من طالبان وغيرها.

يصعب تحديد عدد الذين قتلتهم الطائرات المسيّرة الأمريكية (والإسرائيلية) منذ 11 سبتمبر 2001. أول ضربة للطائرات المسيّرة الأمريكية كانت عملية فاشلة لقتل زعيم حركة طالبان الملا

غمر في أفغانستان في 7 أكتوبر 2001. يقدّر بعضهم عدد الذين قتلهم الجيش الأمريكي ووكالة المخابرات المركزية بحوالي 9000-17000 بمن فيهم نحو 2200 طفلًا. أصدرت منظمة الحروب الجوية Airwars، منظمة الشفافية التي مركزها بريطانيا، تقريرًا بمناسبة مرور عشرين عامًا على أحداث 11 سبتمبر، ووجدت أن أمريكا قد أطلقت على الأقل 91.340 هجمة بالطائرات المسيّرة في سبع مناطق حرب رئيسية أثناء العشرين سنة الفائتة، وأن عدد القتلى المدنيين كان 22.679 - 48.308(179).

من الممكن النقاش فيما إذا كانت الهجمات التي تشنها الطائرات المسيّرة ضد أناسٍ ليس لديهم أية فكرة عما يواجهونه يمكن أن تُعتبر حربًا في الأصل، إنما هي أمرٌ أكثر بشاعة؛ نزعُ الإنسانية عن الذين تم استهدافهم بسبب عدم وجود تواصُل بشري حقيقي بين المهاجِم والضحية(180). بدلًا عن ذلك، احتفلَت أمريكا وإسرائيل بهذا القَتل بنشرِ أفلامِ الطائرات المسيّرة لوسائل الإعلام.

ومع ذلك، لن يكون من الصواب الاعتقاد بأن موجِّهي الطائرات المسيّرة الإسرائيلية الذين اشتغلوا في حرب غزة سنة 2014 قد أخبروا الصحيفة الإسرائيلية هآرتس: "يشعر جسمك بالتعب، ويزداد الإرهاق. لا يوجد نهارٌ ولا ليل - وتلك هي طريقة عمل الإرهابيين. على المستوى الشخصي، تفعلُ حالةُ القتال فعلها، ويضغط عليك القتل، جميع القتلى من الطرفين"(181).

القوة الدافعة وراء كثير من المنتجات الدفاعية الإسرائيلية الأكثر شهرة هي الوحدة 8200، وحدة المخابرات الإلكترونية في الجيش الإسرائيلي،

مكتبة ياسمين

وهي تناظر وكالة الأمن القومي في الولايات المتحدة الأمريكية، وتعمل فيها نخبة المجنّدين الشباب الذين يتمتّعون بشهوةٍ للتجسس، واختراق أجهزة الكومبيوتر، والمراقبة الشاملة. غايتها الأساسية هي مراقبة الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة، وجمع تفاصيل معلوماتهم الشخصية والسياسية، والإصغاء لاتصالات الحلفاء والأعداء في أرجاء العالم. يتم تحقيق ذلك بشكل أساسي من خلال قاعدة في صحراء النقب حيث تلتقط سلسلةً مِن أطباقِ الأقمار الصناعية اتصالاتٍ محلية ودولية، وظيفًا من الاتصالات الأخرى. تُغذّي قاعدةُ يوريم Urim الوحدة 8200 بالمعلومات، وتجمع إسرائيل التفاصيل من هذه القاعدة، ومن مواقِع الاستماع السريّة في سفاراتها حول العالم. تُعتبر قاعدة يوريم واحدة من أكبر محطات إشارات الاستخبارات في العالم(182).

قال إدوارد سنودن Edward Snowden الذي بلّغ عن نشاطات وكالة الأمن القومي الأمريكية أنه أصيبَ بصدمة بشأن مدَى التعاون الاستخباراتي بين الولايات المتحدة وإسرائيل، ومشاركتهما معلومات خام عن اتصالات شخصية شملت محتويات وبيانات ضخمة. يتم عادة "اختصار" مثل هذه التفاصيل، أي أنه يتم حذف بيانات التعريف الشخصية، ولكن وكالة الأمن القومي الأمريكية كانت تُشارك إسرائيل بكميات هائلة من محتويات البريد الإلكتروني والاتصالات الهاتفية لأمريكيين عرب وفلسطينيين قد يُصبح أقرباؤهم في فلسطين أهدافًا بسبب المعلومات التي تم التقاطها. قال سنودن: "أعتقد أن هذا الأمر يثير الاستغراب والدهشة، وهو من أكبر الانتهاكات التي

رأيناها"(183).

ثُظهر وثائق سنودن كيف استقبل الإسرائيليون كميات المعلومات والبيانات من الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا، واستخدموا كثيرًا منها في قتال من يسمّونهم "الإرهابيين الفلسطينيين". ولكن أمريكا وبريطانيا تعتبران أيضًا أن الدولة اليهودية بمثابة تهديد لاستقرار المنطقة بسبب سياساتها العدوانية نحو إيران، ونشاطاتها المختلفة في الشرق الأوسط. زعمت تقديرات المخابرات الأمريكية أن إسرائيل هي "ثالث أكثر أجهزة المخابرات عدوانية ضد الولايات المتحدة"(184).

كانت دولٌ مثل إسرائيل مصدرَ قلق أمريكي آخر، وقد تمّ سرد هذه الدول في لائحة المهمات الاستراتيجية التي وضعتها وكالة الأمن القومي الأمريكية سنة 2007، وشملت روسيا والصين وفنزويلا وإيران وباكستان وفرنسا وكوريا الجنوبية وكوبا وكوريا الشمالية التي قامت بعمليات تجسّس وجمع المعلومات "ضد حكومة الولايات المتحدة، والجيش، والعِلم، والتقنيات، وأجهزة المخابرات"(185). يتوقّع هذا التقرير زيادة القلق الأمريكي في عشرينيات القرن الحادي والعشرين بشأن الأسلحة الإسرائيلية الإلكترونية، مثل تلك التي طوّرتها مجموعة NSO التي تدعمها الحكومة الإسرائيلية، واستخدامها ضد مصالح أمريكية وحلفاء في العالم.

على كل حال فإن جاذبية الوحدة 8200 بالنسبة لدولةٍ تعتبر نفسها محاصرة هي الزمان والمكان المتاح للمجنّدين لتطوير الأسلحة الإلكترونية الأكثر تطورًا، وغياب نظام أو قانون أخلاقي يحكم استخداماتها. استخدمت إسرائيل نفسها

هذه الأسلحة - مثلما فعلت عند استخدام فيروس الكومبيوتر Stuxnet الذي طوّرته إسرائيل وأمريكا لتخريب البرنامج النووي الإيراني، والذي كُشف سنة 2010 - أو يأخذه القطاع الخاص فيما بعد. قد تكون مثل هذه المشاريع مربحة، وتسمح لهؤلاء الإسرائيليين بالحياة في خُرافة "الدولة الناشئة"، وتطوير أدوات جديدة للتجسّس على الناس، وبيعها كاختراعات. يتأثّر مواطنون يعيشون في عددٍ لا يُحصى من الدول تأثرًا سلبيًا بمنتجاتٍ صمّمها متقاعدون من الوحدة 8200، يتم توظيفهم للعمل في عدد لا يُحصى من شركاتٍ إسرائيلية بارزة وسريّة، بما فيها مجموعة NSO، وهي شركة المراقبة الإلكترونية الأكثر نجاحًا في العالَم. لا يعمل مواطنون إسرائيليون عرب في الوحدة 8200 مطلقًا تقريبًا، على الرغم من أنها تضمّ نحو 10.000 موظف(186). تنمو هذه الوحدة في الحجم، وتنخرط في هجماتٍ إلكترونية عدوانية ضد من يُعتقد بأنهم أعداء.

يضمن العملُ في الوحدة 8200 مستقبلًا مربحًا، إذ يحصل المتقاعدون على 20% أكثر من متوسط ما يحصل عليه آخرون في المجال الصناعي نفسه، ونحو 80% منهم يحصلون على أعمال جديدة قبل ثلاثة أشهر أو أكثر من ترك وظائفهم في الوحدة 8200 حسب شركة GotFriends التي تركّز على التوظيف في قطاع التقنيات الإلكترونية. لقد ازدهرت الصناعات الإلكترونية في القرن الحادي والعشرين، وزاد متوسط راتب العامل في مجال الأمن الإلكتروني بمعدّل 37.5% في الفترة 2009-2016 حسب الشركة الإسرائيلية Ethosia لإدارة الموارد البشرية(187).

مكتبة ياسمين

قضى أرييل بارنز Ariel Parnes أكثر من عشرين سنة وهو يعمل في الوحدة 8200 في طيفٍ من المجالات شملت التجسّس والحرب الإلكترونية، ثم أصبح الشريك المؤسّس لشركة Mitiga التي تعمل على منع الهجمات الإلكترونية السَحابية، وذكر في مقابلةٍ أن قوة صاحب عمله السابق في الدولة قد نشأت من الدخول السنوي المتجدّد من الشباب الذي يحمل أفكارًا جديدة. لم يرد أي ذكر عن العمل الذي قامت به الوحدة في الأراضي الفلسطينية المحتلَة، بل ركّز بدلًا عن ذلك على مقاربتها "التخريبية" في مجال المعلوماتية(188).

في عصر المراقبة الجماعية، لم تهتم كثير من الدول بالتعلُم المركّز لأفضل وسائل مراقبة الجماهير. غير أن الأولوية تقع أولًا في السيطَرة على الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال. الشركة الإسرائيلية Mer Security، التي يرأسها نير لمبرت Nir Lempert، وهو متقاعد من الوحدة 8200، هي شركةٌ عالمية لديها 1200 موظف يعملون في أكثر من أربعين دولة. في سنة 1999، حصَلت على صفقة لتأسيس مشروع "مابات 2000" الذي يحتوي على مئاتٍ من آلات التصوير في المدينة القديمة في القُدس لمراقبة الفلسطينيين تحت الاحتلال. قال رئيس مجلس إدارة الشركة حاييم مير Haim Mer، وهو متقاعد آخر من الوحدة 8200، إن "الشرطة احتاجت إلى نظامٍ يستطيع (الأخ الأكبر) بواسطته ضبط السيطرة، ويتيح رؤيةً شاملة لكل ما يحدث في المدينة القديمة"(189). اعترف رئيس الشركة حاييم مير بأن نجاحها العالمي يرجع بشكلٍ رئيسي إلى الشرطة الإسرائيلية لأنهم استخدموا المراقبة

مكتبة ياسمين

بالات التصوير هذه بحيث يتمكّن زبائن اخرون من مشاهدة العمل أثناء التنفيذ والفعالية الفورية.

ساهمت خبرة الوحدة 8200 في تطوير شركة Mer Security لبرنامج أوسكار Open Source Collection Analysis and Response (OSCAR) الذي يفحص الحسابات في وسائل التواصل الاجتماعي والإنترنت لكي يجد الارتباطات المفتوحة المصدر. اشتغلت كثيرٌ من شركاتٍ أخرى على برامج مشابهة، إلا أن الشركات الإسرائيلية تتمتّع بأفضلية لأنها تُشير إلى أعمالها في فلسطين كدليلٍ على عملياتٍ ناجحة. أصدرت المنظمة العربية لحقوق الإنسان التي مركزها في بريطانيا تقريرًا سنة 2013 ركّز على شركة Mer Security، فصّل كيف أثّر نظام المراقبة في المدينة القديمة سلبيًا على قدرة السكان الفلسطينيين في المحافظة على خصوصيات معيشتهم وأسواقهم وصلواتهم.

ومع ذلك، لا بد وأنّ هذا قد أثار إعجاب الأمم المتحدة التي أعلنت سنة 2020 أن شركات Mer Security، وElbit، وIsrael Aerospace Industries قد فازت بعقود ضمان الأمن لقواعد الأمم المتحدة في دولة مالي، ويشمل العمل تركيب آلات تصوير دوائر تليفزيونية مغلقة، وطائرات مسيّرة، وأنظمة التحري عن التهديدات. خضعت الأمم المتحدة لضغطٍ شديد من طرف شركات إسرائيلية للحصول على أعمال مماثلة في أربعين قاعدة لحفظ السلام في العالم(190). في فبراير 2020، أصدرت الأمم المتحدة تقريرًا عن الشركات التي لها ارتباطات بالمستوطنات اليهودية غير القانونية في الضفة الغربية، كان بينها 94 شركة في إسرائيل، و18 شركة في دول أخرى. شجّعت

مكتبة ياسمين

الأمم المتحدة هذه الشركات على وقف العمل في الأراضي المحتلة، ومع ذلك، لم تكن لدى هذه المؤسسة العالمية ذاتها أية مشكلة بالعمل مع شركات إسرائيلية لحماية قواعدها في أفريقيا.

نشر العميد الجنرال واي Y، القائد العامل في الوحدة 8200، كتابًا باللغة الإنكليزية في موقع أمازون سنة 2021 تحت عنوان "فريق الآلة البشرية The Human Machine Team" الذي كان كتابًا فريدًا فقد كان من النادر أن يوجد مسؤولون عاملون كبار ممن يُقدّمون آراء عن عملهم في وحدةٍ تنمو على السريّة. كانت رؤيته لمستقبلٍ يعمل فيه البَشر مع الآلات بسلاسة لِحلّ "تهديدات وتحديات الأمن القومي، والوصول إلى الانتصار في الحرب، والعمل كمحرّك نموّ للجنس البشري". كتبَ الجنرال Y أنَ إسرائيل كانت رائدة في فنّ الاكتشاف السريع للشذوذ في كمياتٍ ضخمة من البيانات، مثل موقع هاتف محمول لدى "ذئب منفرد" في موقع هجومٍ محتمل(191). يفترِض هذا أن الأساليب الإسرائيلية لم تكن تَستهدِف عددًا كبيرًا من الفلسطينيين الذين لا علاقة لهم بالإرهاب. إنما تُثبت أدلةٌ من حالات كثيرة أن الفلسطينيين تتم مراقبتهم بغضّ النظر عن العمر، أو الموقع، أو النيّة.

لم يُسمع تقريبًا عن أي معارضة من داخل الوحدة 8200 لفترة طويلة، إلا أن ذلك تغيّر تمامًا سنة 2014 بعد كتابة رسالة من متقاعدين. أُرسلت هذه الرسالة آنذاك إلى رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، ورئيس الأركان بيني غانتز Benny Gantz. شرح 43 جنديًا احتياطيًا سبب رفضهم للخدمة في الأراضي المحتلّة. ورد في رسالتهم جزئيًا:

"يتعرّض الفلسطينيون تحت الحُكم العسكري

مكتبة ياسمين

للتجسّس والمراقبة من طرف المخابرات الإسرائيلية بشكل تام. وبينما توجد قيود شديدة على مراقبة المواطنين الإسرائيليين، لا يحصل الفلسطينيون على مثل هذه الحماية. لا يوجد تمييز بين الفلسطينيين الذين يُشاركون أو لا يشاركون في العنف. تضرُّ المعلومات التي يتم جمعها وتخزينها بأناسٍ أبرياء، وتُستخدم في الاضطهاد السياسي، وفي خلق انقسامات ضمن المجتمع الفلسطيني عن طريق تجنيد متواطئين، ودفع أجزاء من المجتمع الفلسطيني ضدّ نفسِها".

كان الرقيب ناداف Nadav أحد الموقّعين على تلك الرسالة، وقد صرّح لجريدة الغارديان أنهم قد انضمُّوا إلى الوحدة 8200 وهم يعتقدون خطأً أنهم يَحمون السكان الإسرائيليين اليهود من الإرهاب، إنما في الواقع "لم يكن جمع المعلومات على الفلسطينيين نظيفًا بهذا المعنى. عندما تُسيطِر على شعب... لا يكون لديهم حقوق سياسية، ولا قوانين مثل التي لدينا. طبيعةُ هذا النظام في السيطَرة على الناس، خاصة عندما تقوم بذلك لسنوات كثيرة، تُجبرك على الأخذِ بزِمام الأمور، واختِراق كل جانب من جوانب حياتهم"(192). تابع ناداف:

"يمكن استهداف أي فلسطيني، ويعاني كثيرٌ منهم من عقوباتٍ مثل رفض التصاريح، أو التّحرش، أو الابتزاز، أو حتى أذيات جسدية. قد تحدُث مثل هذه الأمور إذا كان للفرد أية أهمية لدى النظام لأي سبب كان، سواء لعلاقته غير المباشرة مع أفراد عدوانيين، أو لوجوده بالقرب من أهداف تجسّسية، أو علاقاته بأمور تهتمّ بها الوحدة 8200 بوصفها وحدة تقنية. أيُ معلومةٍ يمكن أن تفتح المجال لابتزاز شخصٍ ما تُعتبر معلومةً مفيدة ومهمة، سواء

مكتبة ياسمين

كان ذلك الشخص له توجُّهٌ جنسيّ خاص، أو يخون زوجته، أو يحتاج للعلاج في إسرائيل أو في الضفة الغربية - فهو هدفٌ للتهديد بالابتزاز"(193).

في سنة 2021، قال شخصٌ مجهولٌ متقاعد من الوحدة 8200 إنّ ما كان يفعله في الوحدة كان بعيدًا عن الصورة الرّياديّة المتطوّرة التي تُغذّيها إسرائيل. بل تأسف بدلًا عن ذلك لأنّ العمل كان يتعلّق بابتزاز فلسطينيين مثليين، أو تهديد فلسطينيين لديهم مشاكل صحية، أو وقف عناية طبية ضرورية إذا لم يتعاونوا(194). نظام السيطرة كامِل لأنّ أيّ صِفة فلسطينية، سواء كانت سليمة أو شخصية، يمكن استغلالها لاستخلاصِ شيء من الناس تحت الاحتلال. يُعتبَر كلُّ فلسطيني بمَثابة تهديد، وتَعتبِر إسرائيل أن العاملين في المجتمع المدني هم الأكثر تهديدًا لأنهم يستطيعون الحصول على تأييد دولي ضد الاحتلال.

قال مُبلّغ آخر من الوحدة 8200: تَستطيع المخابرات الإسرائيلية الاستماع لكلّ مكالَمة هاتفية في الضفة والغربية وقطاع غزة. ذكَر للموقع الإخباري البريطاني "عين الشرق الأوسط Middle East Eye" سنة 2021 أنه لم يكن هنالك شيء يَمنع الوصول إليه؛ اخترق الجنودُ الإسرائيليون الحياةَ العامة والخاصة للفلسطينيين، وضحكوا عندما استمعوا إلى أشخاص يتحدّثون عن الجنس "يمكن اكتشاف مثليين يمكن الضغط عليهم للوشاية بأقربائهم، أو اكتشافُ أنّ رجلًا يخون زوجته. كما أن اكتشاف شخصٍ مدين بشيء من المال لشخصٍ آخر يعني أنه يمكن الاتصال به، وعرض مبلغ من المال عليه لكي يردّ دينه مقابل تعاونه"(195).

مكتبة ياسمين

في سنة 2018، نشر الصحفي الإسرائيلي رونين بيرغمان Ronen Bergman كتابه تحت عنوان "انهض واقتل أولًا: التاريخ السريَ لاغتيالات إسرائيل المستهدفة"، وذكر فيه مقابلة عامير، وهو متقاعد من الوحدة 8200 كان قد رفض تنفيذ أمرٍ غير قانونيَ بشكلٍ صارخ سنة 2003 بعد تفجير انتحاري فلسطيني مروع في تل أبيب قتل 23 شخصا. نجح عامير في منع تفجير بناية إدارية فلسطينية في غزة لا علاقة لها بالإرهاب. لم يفهم أحد زملائه سبب تردَده. سأله الزميل: "لماذا يبدو لك هذا غير قانوني؟ جميعهم عرب، وجميعهم إرهابيون". وصف عامير الدّور الحقيقي لِعناصر الوحدة 8200 "بشكل غير رسمي، كانوا يُقرّرون مَن الذي ستقتله إسرائيل"(196).

كان ذلك بعيدًا جدًا عن تمجيد وسائل الإعلام الرئيسية للوحدة 8200 وبطولاتها. ذكَرت قصةٌ نُشرت في مجلة فوربس سنة 2016 الفلسطينيينَ في مرَة واحدة عابِرة، وقامت بتمجيد العدد الهائل من الخريجين الذين أسّسوا شركاتهم الناشئة الخاصة (أكثر من ألف آنذاك). كان تركيز المقالة على الشركات التي أطلقها المتقاعدون من الوحدة 8200، والاختراعات التي كانت ضرورية لتطويرها، ولم تذكر شيئا عن الأسئلة المعنوية والأخلاقية حول من الذين كانت تتمَ مراقبتهم في الوحدة 8200، ولماذا(197). في سنة 2015، سردت مقالةٌ في صحيفة الفينانشيال تايمز عن المنشقّين والمنتقدين للوحدة 8200، ورسالتهم العامة، وكيف أنتج متقاعدوها أدوات إلكترونية تم بيعها لدولٍ تسلَطية(198).

كان دانييل أحد المتقاعدين من الوحدة 8200،

مكتبة ياسمين

ولم يشأ أن يُذكر اسمه الأخير علنًا بسبب حساسية أعماله السابقة. كان واحدًا من الجنود الثلاثة وأربعين الذين وقّعوا الرسالة سنة 2014 التي شرحت أعمال وحدة التجسس الإسرائيلية. قال لي: "لستُ مُبلِّغًا، لأن المُبلِّغين ينشرون معلومات جديدة، ولم نفعل نحن شيئًا من ذلك. وقد فحص الجيش ما نشرناه".

ولد دانييل سنة 1985، ونشأ في تل أبيب مع والدين من الأرجنتين كانا قد انتقلا إلى إسرائيل. كان والدا أمّه مِن الناجين من المحرقة اليهودية، واضطر أبوه للهرب من الأرجنتين، ووصل إلى إسرائيل كلاجئ سنة 1977 أثناء حُكم الديكتاتور خورخيه رافائيل فيديلا Jorge Rafael Videla، الذي كانت إسرائيل تدعمه. سادت طفولة دانييل موجةُ التفجيرات الانتحارية الفلسطينية التي هزّت إسرائيل. وهو نادرًا ما يركب الحافلات العامة، ويقضي وقتًا قليلًا خارج البيت. قال: "نشأت في بيتٍ لم يكن عنيدًا جدًا. كان اهتمام والديّ أكثر بالانتماء، وشعرا أنهما غير مؤهّلين لإبداء الرأي".

عندما انضمّ إلى الجيش، كان "جاهلًا جدًا" بشأن الصراع مع الفلسطينيين "ظننت أنه صراعٌ بين طرفين، مثل صراعٍ بين دولتين. اعتقدت أن الفلسطينيين أضاعوا فرصةً بعد فرصةٍ". كان خبيرًا في الرياضيات وعلوم الكومبيوتر، وسرعان ما تمّ تجنيده في الوحدة 8200. لا يستطيع حتى الآن الكشف عن تفاصيل ما كان يعمله، غير أنه كان يعمل ضد "أعداء"، مثل الفلسطينيين والإيرانيين وحركة حماس وحزب الله وغيرهم في المنطقة. "غرقت في البيئة، وافتخر بذلك. بدأت أشعر أننا كنا نقوم بعمل مهمّ للدفاع عن إسرائيل".

لم تبدأ تساؤلاته وشكوكه بالظهور إلا بعد أن ترك دانييل الوحدة 8200. قال إنه تم إقناعه لأخذ موقف بعد المظاهرات التي عمّت البلاد سنة 2011 مُطالبةً بتخفيض تكاليف المعيشة. على الرغم من أن المظاهرات لم تركّز على الاحتلال، إلا أنها دفعته لإعادة النظر في دوره العسكري. كان لدى دانييل "شعورٌ طاغٍ بالمسؤولية. لقد ارتكبتُ إثمًا. لا أشعر بأنني قد قُمتُ بتصحيحات عندما وقّعتُ الرسالة، إلا أنها كانت محاولة". أدرك آنذاك أن الاحتلال لم يكن حول "الدفاع عن النفس. كانت رسالة سنة 2014 اعتراضًا أخلاقيًا على الاحتلال. نحن نتحكّم بشعبٍ من المدنيين لا حقوق لهم، إنها ديكتاتوريةٌ عسكرية. ونحن نُعلِن موقِفًا ضد ذلك".

يعمل دانييل الآن في شركة لتقنيات المعلوماتية في لندن، ومازال يَنتقِد إسرائيل، إلا أنه يُعبّر عن انتقاداته بعناية أملًا بتحسين الدولة اليهودية. في سنة 2014، "أراد مُخاطبة اليهود الإسرائيليين دون فعل أي شيء قد يضرُّ بأمن إسرائيل والدفاع عنها. رأينا أنفسنا مماثِلين لِجماعاتٍ سابقة، وأفراد أعلَنوا رَفضهم للخِدمة في الجيش الإسرائيلي".

كانت جائحة كوفيد-19 فرصةً مثالية لشركات المراقبة الإسرائيلية من أجل جذب الأعمال؛ احتاج وقفُ انتشار المرض متابعةً جيدةً للمخالطين، وقدّمت الشركاتُ الإسرائيلية نفسها بأنها الأفضل في العالم في هذا المجال. مع حلول شهر أبريل 2020، بعد شهور قليلة من بدء الجائحة في نشر الاضطراب في العالم، كانت شركة التجسّس الإسرائيلية NSO تُسوّق نفسها بمثابة المُنقذ في وسائل الإعلام العالمية. ثم أعلن وزير الدفاع الإسرائيلي نفتالي بينيت في مارس 2020 أن

الحكومة كانت ترتِّب مع مجموعة NSO لمعالجة الجائحة. ساعد أفرادٌ من الوحدة 8200 في ذلك أيضًا. وفي تقديمٍ لبرنامج التحليل فليمينغ Fleming إلى القناة البريطانية BBC، عرضت مجموعة NSO النظام الذي يدّعي أنه يستطيع توقُّع المكان التالي الذي ستنتشر فيه الجائحة، وتحديد المناطق التي ستبرزُ فيها الحاجة إلى أجهزة التنفس، ومتى تستطيع المناطق الخروج من إجراءات الإغلاق(199).

ادّعت مجموعةُ NSO أن خصوصيات الأفراد في البيانات كانت محميّة، إلا أن منظمة التحقيق البريطانية Forensic Architecture التي أسّسها المعماري الإسرائيلي إيال وايزمن Eyal Weisman ذكرت في تقريرٍ نُشر في أواخر سنة 2020 وجود أدلةٍ على أن بياناتٍ شخصيةٍ تم الحصول عليها أثناء إجراء اختبارات المرض في البحرين والإمارات والسعودية وإسرائيل ورواندا كانت قابلة للكشف. اشترت معظم هذه الدول واستخدمت برنامج التجسس بيغاسوس Pegasus الذي تُنتِجه مجموعة NSO(200).

تابعت ثماني شركات مراقبةٍ إسرائيلية بارزة على الأقل ادّعاءاتها بأنّ تقنياتها التجسسية تُناسب الدول التي تُحارب الجائحة. تبيع شركة Cellebrite معدات لحكومات ولقوات شرطة حول العالم من أجل اختراق الهواتف المحمولة، وقد عرضت خدماتها، وكذلك فعلت شركات مجموعة Rayzone، وTechnologies Cobwebs، وPatternz. لم تعترف أية حكومة بشراء تقنيات المراقبة الإسرائيلية، إلا أن الأدلة أشارت إلى عددٍ من الدول في أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

مكتبة ياسمين

صدر التصريح الأكثر مصداقية بشأن الهدف الحقيقي للشركة عن ضابط مخابرات سابق هو تال ديليان Tal Dilian، المقيم في قبرص، والذي يترأس شركة Intellexa للمراقبة الإلكترونية التي تعمل مع وكالات مخابرات في أوروبا وجنوب شرق آسيا. بعد أن أخبر وكالة رويترز أن معدّاته التي استخدمت في متابعة جائحة كوفيد-19 قد بلغت كلفتها من 9 - 16 مليون دولار، اعترف بأن التعامل مع الجائحة كان مجرد بداية لقدراتها المفيدة، مُضيفًا أن معدات شركة Intellexa للمراقبة تستطيع مكافحة التجسس وتُساعد الأمن. وقال: "نريد تمكينهم من التّرقّي". وجِد برنامج شركة Intellexa للتجسّس بأيدي عصابة سودانية سيئة السمعة، وكثير من الدول القمعية(201).

كانت استجابة إسرائيل لجائحة كوفيد-19 لا مثيل لها في العالم الغربي. فقد استخدمت جهاز أمنها الداخلي، الشين بيت في متابعة المُخالِطين، ومراقبة الحالات المُشتبه بإصابتها (على الرغم من أنها كانت تُراقب وتَجمع سرًّا جميع بيانات الهواتف المَحمولة منذ سنة 2002 على الأقل)(202)، وتُتابع المنشورات في مواقع التواصل الاجتماعي لكَشف أي دليل على وجود تجمعات اجتماعية. خرجت صيحاتُ احتجاج غاضبة لدى طبقة وسائل الإعلام الإسرائيلية، ولدى بعض السياسيين، لأن نظامًا تمَ تصميمه لقمع الفلسطينيين في الضفة الغربية والقدس الشرقية يمكن أن يوجّه ضد يهود إسرائيل. لم يقُل أي منهم ذلك صراحة، إلا أن المعنى الضمنيّ كان واضحًا: افعل كل ما تريد لمراقبة الفلسطينيين مع الشين بيت، واجعل حياتهم جحيمًا، إنما لا تستخدم هذه

مكتبة ياسمين

الوسائل ضدنا(203). كما كان هناك صمت بشأن تصدير إسرائيل لمعدات المراقبة إلى أنظمةٍ حول العالم، ولم يتمكَن، أو لم يشأ كثيرٌ من المعارضين الإسرائيليين الرّبط بين استجابة الدولة لجائحة كوفيد-19 والشركات التي أوكلت إليها المهمة بسبب سنين خبرتها في بيع هذه المعدات لأنظمة قمعية أو ديموقراطية.

تحدّت منظمةُ الحقوق المدنية في إسرائيل وزارة الصحة أمام المحكمة العليا الإسرائيلية. ادّعت الوزارةُ أن الشين بيت كان أكثر احترامًا للخصوصية من أي شركات خاصة، بما فيها مجموعة NSO، التي تم التعاقد معها للتعامل مع البيانات. لم يتمَ تَضييع هذه المفارَقة على الفلسطينيين الذين عاشوا تحت نير نظامِ مراقبةٍ قمعيَ، ويتعرّضون للتعذيب والاستِهداف والإزعاج والحَبس كل يومٍ في المناطق المحتلّة(204). تحدّث جماعاتُ حقوق الإنسان الإسرائيلية باستمرار عمليات جهاز الشين بيت أثناء الجائحة، غير أن سلطته لم يتم تقييدها إلا نادرًا. كان جهازُ الشين بيت هيئةً فوق القانون. اشتكَت صحيفةُ هآرتس في أبريل 2020 "يتعرّض ملايين الإسرائيليين الآن لمراقبةٍ مماثلة مِن جهاز الشين بيت التي كانت موجّهة في الأصل نحو من يُشكّ بكونهم إرهابيين"، إلا أنها تجاهلت حقيقة أنَ عددًا لا يُحصى من الفلسطينيين هم تحت مراقبة جهاز الشين بيت دون أن يكونوا إرهابيين على الإطلاق(205).

استخدم جهازُ الشين بيت نظام تتبَع الأشخاص عن طريق برنامج تحديد المواقع GPS في مواجهة جائحة كوفيد-19، ولم يمرّ وقت طويل قبل أن تستخدم هذا البرنامج في تتبَع الفلسطينيين. تلقى

عددُ كبير من الفلسطينيين في القدس الشرقية رسائل نصّية في مايو 2021 من المخابرات الإسرائيلية تدّعي أنه قد "تمّ تمييزك أثناء ارتكابك أعمالًا عنيفة في المسجد الأقصى. سنوجّهُ إليك الاتهام، وسنقوم بتصفية الحساب"(206). أقرّ جهازُ الشين بيت سنة 2022 أنه قد أرسل هذه الرسالة إلى كثير من العرب دون أن يكون لهم أية علاقة بأعمال العنف(207).

ربما كان الجانب الإيجابي الوحيد لجائحة كوفيد-19 في إسرائيل هو تنبّه بعض يهود إسرائيل إلى الطبيعة القمعية لجهاز الشين بيت في حصر مراقبته على الفلسطينيين. قام صانعُ الأفلام البريطاني دان ديفيز Dan Davies سنة 2021 بإخراج فيلمٍ لصالح قناة الجزيرة الإنكليزية حول التهديدات لحرية التعبير والحرية أثناء الجائحة تحت عنوان "تحت غطاء كوفيد". أجرَينا خلال إنتاج هذا الفيلم مقابلةً مع أور بيرون Or Biron، وهي يهوديةٌ مُقيمة في تل أبيب احتجّتْ بشكلٍ متكرر ضدّ رئيس الوزراء آنذاك بنيامين نتنياهو. أثناء أحَد الإغلاقات خلال الجائحة، اجتمَعتْ مع زملائها من النُشطاء، وأرسلَتْ إليها الحكومة رسالةً نصّية بعد أيام قليلة جاء فيها: أنها كانت قُرب شخصٍ مصابٍ بمرض كوفيد-19، وعليها أن تعزل نفسها فورًا.

قالت بيرون: "شعرتُ بغضب شديد. كان لديَ شعورٌ أن ذلك قد حدث لأننا كنّا هناك (مجتمعين مع نُشطاء)، مثل كثيرين في المظاهرة، وقد طُلب مني الانعزال بسبب ذلك الحدث". من المستحيل التأكّد من أنّ جهاز الشين بيت كان يُحاول تفريق مظاهرة ضد الحكومة، إلا أنّ هذا قد حدث لعددٍ من الاخرين

أيضًا. كان الشين بيت يعمل على وقف أية معارضة للحكومة، كما تم تكليفه بحماية المواطنين من جائحة كوفيد-19، وقد مُنح هذا الجهاز صلاحيات غير مسبوقة للسيطرة على السكان، وأمكنه العمل في ظلامٍ تامّ.

أخبرتنا أور بيرون أنها تعتقد بأن المواطنين يجب أن يُحاربوا ضدَ تدخل جهاز الشين بيت في "جميع المجالات. لا يهمّ إذا حدث ذلك لمواطن إسرائيلي أو لشخص في الأراضي المحتلّة. إنه مُنحدرٌ زلِقٌ نحو انتهاك حقوق الإنسان".

منذ بداية جائحة كوفيد-19، استخدمت إسرائيل ترسانةَ أسلحتها وقدراتها على المراقبة، ووظّفت شركاتٍ خاصة بتقديم خدماتِ سيطرة إضافية. طُلِب من الفلسطينيين في الضفة الغربية، المقيمين في إسرائيل، والذين أرادوا معرفة فيما إذا كانت تصاريح أعمالهم مازالت صالحة أم لا، أن يستخدِموا برنامجًا معينًا في هواتفهم المحمولة سمح للجيش بمتابعة مواقع تواجدهم.

عبّرت شركاتُ المراقبة الدولية عن حماستها بشأن آفاق استخدام خدماتها أثناء الجائحة. كانت الشركات الإسرائيلية في مقدّمة الصفوف. شركة Carbyne التي أسسها أعضاء سابقون في المخابرات العسكرية الإسرائيلية، تم تعزيزها بصفتها خدمة الجيل التالي للاتصالات الإسعافية التي طلبت الدخول إلى الهواتف المحمولة للمستخدمين، وسمح هذا الدخولُ باستخدام برامجها لأفلام الفيديو وتحديد المواقع من أجل خدمة الأفراد بشكل أفضل. كان التهديد للخصوصية واضحًا، إنما نادرًا ما تمّ الحديث عن ذلك في معظم وسائل الإعلام التي تحدّثت إيجابيًا

مكتبة ياسمين

عن هذا البرنامج(208). قام رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إيهود باراك بدعم هذه الشركة، وكذلك فعل البليونير المستثمر بيتر ثيل Peter Thiel، إضافة إلى استثمارٍ صغير من جيفري إبستين Jeffrey Epstein مُتحرّش الأطفال (المتوفى حديثًا).

كانت الشركة الإسرائيلية سوبركوم Supercom خبيرةً بأجهزة المراقبة التي تُثبّت في كاحل القدم، وباعت إنتاجها لمراقبة السجناء في الولايات المتحدة بَعد مغادرتهم السجن. لفتت الأنظار أثناء جائحة كوفيد-19 ولوحظت زيادة مفاجئة في الاهتمام بها، وذكَرت دعاياتها بصراحة أن خبرتها في مراقبة المَسجونين والمحكومين يمكن أن تكون مفيدةً في متابَعة المُصابين بمرض كوفيد-19 بين السكان(209). تبنّت فنلندا هذه التقنيات سنة 2021 عندما ابتاعت "تقنيات مراقبة العلامات الحيوية للمذنبين"، وهو اسلوبٌ لبِقٌ لوَصف المتابعة عن طريق نظام تحديد الموقع. باعَت شركة سوبركوم 30.000 إسورة إلكترونية إلى إسرائيل سنة 2021 لضبط قيود الحجر الصحي.

وهكذا فإن عقودًا من الاحتلال قد جَعلت إسرائيل جاهزةً لمواجهة تحديات جائحة كوفيد-19. أعادت شركات الدفاع توجيه أغراض أنظمتها في خدمة مُساعدة الدولة اليهودية للسيطرة على الجائحة. ونشرت وزارة الدفاع الإسرائيلية وثيقةً وردت فيها أسماء جميع شركات الأسلحة الإسرائيلية، بما فيها شركة إلبيت ومجموعة NSO، ودعمت هذه الشركات في دول أخرى على أنها تقدّم الحلول المثالية "للتعامل مع الاحتياجات المختلفة للسُلطات في أوقات الطوارئ". في مايو 2020،

مكتبة ياسمين

اعترفت إسرائيل بأنها قصدت توسيع تصديراتها لتمتدّ خدماتها بشكل خاص إلى متابعة المدنيين. إضافةً إلى إيران وسورية ولبنان، اعتبرت كل دولة في هذا الكوكب مجالًا عادلًا مفتوحًا أمام المبيعات(210).

في وسائل الإعلام الإسرائيلية، تحدّثت شركتا إلبيت، وشركة رافائيل لأنظمة الدفاع المتقدمة، بتوهّج عن خدماتها في مكافحة مرض كوفيد-19، بما فيها تعديل أنظمة القيادة والسيطرة، والكاميرات الحرارية في الصواريخ، ولم يطرح كثيرون أية أسئلة في الصحافة الإسرائيلية. حوّلت إسرائيل مصنعَ إنتاج الصواريخ لِصنع أجهزة التنفس. كُلّف جهاز الموساد الإسرائيلي بالبحث عن مصادر للأجهزة الطبية الأساسية حول العالَم(211). ظهرت في صحيفة هآرتس في أبريل 2020 مقالةٌ أشارت إلى حديثٍ للدكتور أورن كاسبي Oren Caspi، رئيس برنامج فشل القلب في مركز رامبان الطبي في حيفا، الذي قال: "نحن ماهرون في علوم الحرب وتقنياتها، وهذه معركة. نحتاج لأخذ التقنيات التي نستخدمها في الحرب، ونطبقها في ميدان الطب"(212). لم يذكَر في هذه المقالة أي شيء عن الفلسطينيين الذين تُطبّق عليهم هذه التقنيات عادة.

لم تكن صحيفة النيويورك تايمز أفضل حالًا، فقد نشرت مقالةً في مايو 2020 تحت عنوان "يسعى مختبر الفكرة في الجيش الإسرائيلي لدراسة هدف جديد: إنقاذ الأرواح"(213). لم تكن المقالة أكثر من لائحة لتطوراتٍ إسرائيلية مفترضة لمواجهة مرض كوفيد-19. كان الفلسطينيون غير مرئيين.

مكتبة ياسمين

احتوت المقالة على كلمات تقليدية مكرّرة مثل "إبداع"، و"طاقة" يجدها المرءُ في عدد لا يُحصى من المقالات التي تتحدّث عن إسرائيل بصفتها "شركة ناشئة"، دون ذكر أي شيء عادة عن الموقع الذي يتوجّه إليه هذا "الإبداع" العسكري.

كان تأثير احتلال فلسطين على البلاد حتميًا، وقد استخدم ضد السكان اليهود تحت غطاء التعامل مع الجائحة. تعيش جماعة بني بريك Bnei Brek الأرثوذوكسية المتطرفة الفقيرة على بُعد ستة كيلومترات من تل أبيب، ويبلغ تعدادها نحو 210.000 نسمة. كانت هذه الجماعة بمثابة حيوانات تجربة في عمليةٍ كانت تُوجّه عادة ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية فقط. كانت الجائحة تَخرج عن السيطرة بينهم، وكان كثير منهم بعيدين عن وسائل الإعلام الحديثة، ويعيشون في بيوت مزدحِمة، ولم يعرفوا ما هي أوامر الصحة العامة التي يجب عليهم اتباعها(214). تَجاهل بعض كبار الزعماء في البداية أي تقييد على حركتهم، واستمروا في أداء الصلوات والتجمّع مع بعضهم.

في أبريل 2020، تم تطبيق الحجر التام على منطقة بني بريك، ولم يُسمح بالدخول والخروج إلا باستثناءات قليلة. تم التعاقد مع شركة الإلكترونيات الإسرائيلية أوكتوبوس Octopus (الأخطبوط) لتقديم مراكز القيادة والسيطرة، والطائرات المسيّرة، وخمسمئة كاميرا، وبالونات المراقبة، للمساعدة في أداء هذه المهمة(215). كما عملت شركة أوكتوبوس مع وزارة الدفاع الإسرائيلية، وأجهزة المخابرات، وعدد من الشركات الأخرى.

فشلت محاولةُ لإقناع المحكمة العليا لإلغاء هذه الإجراءات القاسية جدًا، أثار أربعةُ من سكان المدينة ردًا كاشفًا من القضاة حين اتبعوا المنطق نفسه الذي استخدمته المحكمة على مدى عقودٍ لتبرير ودعم إجراءات قمعية ضد الفلسطينيين. قال القضاة إنه في حالات الطوارئ في دولة ديموقراطية، عندما أصبح التباعد الاجتماعي ومراقبة جهاز الشين بيت قاعدةً طبيعية "تمرُّ جميع هذه الأمور علينا مثل خلم بائس في دولة ديموقراطية تشكّل الحريات المدنية جوهر وجودها"(216). كان نفاقًا مذهلًا، حتى من محكمةٍ قدّمت تبريرًا قانونيًا للاحتلال على مدى أكثر من نصف قرن.

لم يحصل اليهود الأرثوذوكس في منطقة بني بريك وما حولها على كثيرٍ من التعاطف الشعبي العام، لأن كثيرًا من يهود إسرائيل كانوا يكرهونهم بسبب العزلة التي فرضوها على أنفسهم في جماعاتهم السريّة الخاصة، ورفضهم الخدمة العسكرية في جيش الدفاع الإسرائيلي، وتلقّيهم مساعدات اجتماعية ضخمة. هناك كراهية لدى بعض قطاعات الشعب الإسرائيلي نحو الجماعات الأرثوذوكسية أكثر من كراهيتهم للفلسطينيين.

مكتبة ياسمين

الفصل الرابع

تسويق الاحتلال الإسرائيلي للعالَم

"نحن ديموقراطيتان على حافة البحر الأبيض المتوسط. لدينا أثينا والقدس، ولا أتعب من تكرار القول إننا نحن مَن وضع أسس حضارتنا الغربية الحديثة، ونحن نتقاسم تطلّعات مشتركة بشأن الاستقرار، والازدهار، والأمن"

رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، فبراير 2021

تغيّرت وتوسّعت حدود إسرائيل عن خطوطها الأصلية. لم تكن الوقائع الجغرافية عائقًا أمام سياساتٍ صارمة في الهجرة تلقّت دعمًا إسرائيليًا ويهوديًا واسعًا(217). هرب عشرات الآلاف من اللاجئين الأفارقة من الاضطهاد في إثيوبيا والسودان في العقد الأخير بحثًا عن ملجأ في إسرائيل. قام نظام بنيامين نتنياهو برشوة وتملق وإجراء اتفاقات سريَة مع دول أفريقية قمعية لإعادتهم إلى بلادهم. ضغط زعماء رجال أعمال إسرائيليين وسياسيين على جنوب السودان وتشاد وجمهورية أفريقيا الوسطى لقبول لاجئين أفارقة، مع تقديم إسرائيل تعهدات غير قابلة للتنفيذ لحمايتهم في تلك الدول. بل وفكّرت الحكومةُ الإسرائيلية بإعادة لاجئين سودانيين قسرًا، ومنحهم مبالغ قليلة من المال، وتجنيدهم في عصابات دارفور لقتال السودان في ترتيباتٍ تم التدريب عليها أولًا في مناطق أوغندية(218).

فشلتِ معظمُ هذه المخططات، إلا أن عددًا كبيرًا من الأفارقة عادوا من إسرائيل إلى أفريقيا بعد أن حصلوا على مبلغٍ مالي رمزي قدره 3500 دولار.

مكتبة ياسمين

وصلوا إلى دولٍ أفريقية غير مألوفة، مثل رواندا وأوغندا، واضطروا للدفاع عن أنفسهم. توصّلت إسرائيل لاتفاقية مع هذه الدول، إما عن طريق بيعها أسلحة، أو ضمان الحصول على دعمها السياسي في الهيئات الدولية.

قابلت أحدهم، وهو المهاجر الإثيوبي روبل تيسفاهانس Robel Tesfahannes الذي انتهى به الأمر في جنوب السودان بعد أن قضى ست سنوات في تل أبيب. في سنة 2015، قضينا بعض الوقت معًا في العاصمة السودانية الجنوبية جوبا. كان يعيش في شيريكات Shirikat، وهي منطقة فقيرة مُغبرة، تشكّل حظائر القصدير بيوتها ومحلاتها، تقع قرب مركز المدينة على الطريق الرئيسية إلى أوغندا. كانت معيشةً بائسة. وقد وجد أن الحصول على أي عملٍ كان صعبًا، وكان جسمه مغطّى بالوشومات، ولم يكن لديه كثير من المال. بحث عن الأمان في أوروبا بعد أن هرب مِن التجنيد الإجباري في إثيوبيا. قال لي: "لا أخافُ من الغرق في البحر الأبيض المتوسط. الله هو الذي يقدّر مصيري".

تلقى روبل معاملةً سيئة في إسرائيل، وكان ضحيةً لعنصريةٍ مستمرة. قال إن: "الحكومة الإسرائيلية ذكرت أمورًا سيئة عنا نحن الأفارقة، وشعرتُ أن الإسرائيليين كانوا ينظرون إلينا بريبةٍ وشك". مُنح أقلّ من 1 بالمئة من الأفارقة حقّ اللجوء في إسرائيل. قرّر في نهاية المطاف أخذ المبلغ الذي عرضتْهُ عليه إسرائيل، وسافر إلى كيغالي، عاصمة رواندا، مع وعدٍ بالعمل والدّعم، إلا أن ذلك لم يتحقّق. وجد طريقه إلى جوبا التي شدّه إليها وعدٌ بالأمن وبالأرباح الممكنة من إثيوبيين اخرين ظلّوا

في جنوب السودان لفترةٍ ما في طريقهم الطويل من أفريقيا إلى أوروبا. في النهاية، عبر البحر الأبيض المتوسط في زورقٍ بعد أن اجتاز الصحراء وليبيا، واستقرّ في ألمانيا حيث قابلته ثانية سنة 2016 في مركز حجز في هامبورغ. استقرّ هناك الآن، وهو أحد المحظوظين الذين نجوا بعد سنوات من عدم الاستقرار.

كانت قصة روبل مفيدةً لأنها تُظهر كيف وسّعت إسرائيل حدود احتمالها لكي تشمل كراهيتها للأفارقة. ضمنت رشوةُ دولٍ أفريقية أن أهداف سياساتِها قد تحقّقت جزئيًا على الأقل. بعد استكمال إنشاء جدارٍ على طول حدودها مع مصر سنة 2013، وضِع أساسًا لمَنع المهاجرين الأفارقة وغيرهم ممَن يُسميهم كثيرٌ من الإسرائيليين: "المتسللين"، أصبح قدوم الأفارقة قليلًا جدًا. في يونيو 2011، قالت أييليت شاكيد Ayelet Shaked، وزيرة الداخلية الإسرائيلية المتشدّدة ضد المهاجرين، إنها "ستعمل على إعادة المتسللين إلى بلادهم، وستشجّع على المغادرة الطوعية إلى دولٍ ثالثة آمِنة". وجَد نحو 31.000 مهاجر أفريقي أنفسهم يعيشون في إسرائيل أن حياتهم عالقة في طيّ التأرجح.

كراهيةُ الأفارقة مقبولةٌ وسائدة في إسرائيل. في مارس 2018، وصف إسحاق يوسف، وهو أحد الحاخامين الرئيسيين في إسرائيل، الأشخاص السود بأنهم "قرود"، واستخدم الكلمة العبرية التي تُناظر كلمة "العبد الأسود Nigger بالإنكليزية" أثناء موعظته الأسبوعية(219). كان جاريد كوشنر وزوجته إيفانكا ترامب مستشارين للرئيس ترامب، وتمّت مباركتهما من قبل الحاخام عندما

مكتبة ياسمين

زارا إسرائيل في مايو 2018. لم تترتب على هذا الحاخام أية عقوبة مهنية بسبب عنصريته، لأنها كانت مشتركة مع كثير من الآخرين.

حلّقت طائراتٌ إسرائيلية مسيّرة عاليًا فوق البحر الأبيض المتوسط. هل كانت تبحث عن قوارب المهاجرين في محنة، أم عن مهربيَ المخدرات؟ لم يكن هدفها واضحًا. سيطرت الطائراتُ المسيّرة على السماء لوحدها تقريبًا. اعتبارًا من مايو 2021، بعد تجربتها في كريت سنة 2018، أصبحت الطائرةُ المسيّرة هيرون Heron، التي تصنعها الشركة الإسرائيلية Aerospace Industries بإدارةِ الشركة الأوروبية إيرباص Airbus، إحدى معدات شركة Frontex، وهي وكالةُ مراقبة الحدود للاتحاد الأوروبي، في سعيها لإبعاد اللاجئين عن أوروبا.

ذكر فيليكس فايس Felix Weiss، رئيس العمليات الجوية للجماعة الألمانية غير الحكومية Sea-Watch (مراقبة البحر)، وهي جماعةٌ تعمل للمساعدة في إنقاذ المهاجرين، أنه "من المستحيل تقريبًا عبور البحر الأبيض المتوسط بالنسبة للمهاجرين. لقد أصبحت شركة Frontex فاعلًا عسكريًا، وتأتي معداتها من مناطق الحروب".

تستطيع الطائرة المسيّرة هيرون نظريًا أن تطير حتى أربعين ساعة، بعد أن اكتسبت خبرة سنوات في فلسطين. على الرغم من أن ألمانيا قد استخدمت هذه الطائرات المسيّرة في أفغانستان في الحرب الفاشلة ضد طالبان، حيث تحطّمت منها أربع طائرات على الأقل، فما زالت كثيرٌ من الدول تنظر إليها إيجابيًا بسبب كثرة المعدات التي تحملها، وقدرتها على البقاء في الجو نحو 24

ساعة(220). تشمل معداتها كاميرات حرارية، وبرامج ذكاء اصطناعي لكشف الأجسام المتحركة، وجهاز لتحديد مواقع الهواتف المحمولة.

أنقذت زوارق الدوريات البحرية مهاجرين في محنة، إلا أن الطائرات المسيّرة أصبحت الشكل الجديد من المراقبة عن بعد. درس الباحث الاقتصادي شير هيفير Shir Hever التواجد الإسرائيلي في الاتحاد الأوروبي، ويقول إن زيادة استخدام الطائرات المسيّرة، بما فيها تلك المصنوعة في إسرائيل، تحمل هدفًا سياسيًا واضحًا. قال لي: "لا تستطيع الطائرات المسيّرة إنقاذ أي شخص، وهي تقومُ بالتقاط صور فقط. لو اقترب أي زورقٍ مسلّح، أو أي مركَب غريب، يُنبّهُ مُشغّل الطائرة المسيّرة زورقَ دوريةٍ ليذهبَ إلى الموقع. إنما لو ظهر أن الزورق يبدو زورقَ مهاجرين يتسرّب فيه الماء، يستطيعُ مُشغّل الطائرة المسيّرة دائما أن يتمهّل، وسيصِل زورقُ الدورية متأخرًا بحيث لا يتبقّى أحدٌ يمكن إنقاذه. هذا هو الفرق الرئيسي، والسبب الحقيقي لاعتبار أن الطائرات المسيّرة تمثّل تقدمًا تقنيًا بالنسبة لحرَس السواحل - إنها تمنحهم خيار تَركِ المهاجرين يغرقون".

لا تستطيع جماعة مراقبة البحر Sea-Watch أن تُنافس هذه القدرة على المراقبة، وتتفوقُ عليها البنية التحتية لشركة Frontex بشكل مؤسف. أخبرني فايس أن طائرات هيرون المسيّرة أرسلت صورًا واضحة جدًا، ومعلوماتٍ لمركز قيادة شركة Frontex في وارسو، بينما لم يتوفّر لجماعة مراقبة البحر Sea-Watch سوى استخدام رسائل نصّية بسيطة بين طائراتها وإدارتها. كانت تأمل بإيجاد سفنٍ تجارية مستعدة لإنقاذ اللاجئين، إلا أن

مكتبة ياسمين

كثيرًا من هذه السفن كانت متردّدة. وضعت منظمة غير حكومية مقابل كيانٍ ذي موارد جيدة لتنفيذ مهمته مدعومًا بواحدة من أكبر الميزانيات في الاتحاد الأوروبي.

إسرائيل هي لاعبٌ أساسي في معركة الاتحاد الأوروبي من أجل عسكرة حدوده ومنع الوافدين الجدد، وهي سياسة تسارعت كثيرًا بعد التدفّق الهائل من المهاجرين سنة 2015، خاصّة بسبب الحرب في سورية، والعراق، وأفغانستان. تشارك الاتحاذ الأوروبي مع شركات عسكرية إسرائيلية رئيسية لاستِخدام طائراتها المسيّرة، وبالطبع، تُعتبر سنواتُ الخبرة الطويلة في فلسطين نقطةَ تسويقٍ رئيسية.

في سنة 2020، أعلن الاتحاذ الأوروبي شراكات بلغت قيمتها 91 مليون دولار مع شركات إيرباص، وإلبيت، والصناعات الجوية الإسرائيلية لاستِخدام خدماتها في المحافظة على تواجد مستمرّ للطائرات المسيّرة فوق البحر الأبيض المتوسط. استخدِمت الطائرةُ المسيّرة هيرمس من شركة إلبيت، والطائرة المسيّرة هيرون من شركة الصناعات الجوية الإسرائيلية خلال حروب إسرائيل ضد غزة منذ سنة 2008(221). هناك تنافس متزايد في بيع الطائرات المسيّرة - تستطيع الطائرة التركية TB2 حمل قنابل موجّهة بالليزر، وأن توضع فوق شاحنة مسطّحة، وكلفتها أقلّ بكثير من الطائرات المسيّرة الإسرائيلية أو الأمريكية، إلا أن النماذج الإسرائيلية تظلّ مفضّلة جدًا(222). في سنة 2017، حظيت الصناعةُ الإسرائيلية للطائرات المسيّرة على 60 بالمئة من مبيعات الطائرات المسيّرة في العالم على مدى العقود الثلاثة الفائتة(223).

مكتبة ياسمين

لا يشكّل استخدام الطائرات المسيّرة الإسرائيلية سوى جزء واحد من البنية التحتية لشركة Frontex. ذكر فايس أن جماعته وغيرها من المنظمات غير الحكومية التي تسعى لمراقبة المهاجرين في البحر الأبيض المتوسط قد واجهت مهمةً صعبة جدًّا لأنَ غاية الاتحاد الأوروبي لم تكن مساعدة المهاجرين الذين يتعرّضون لمصاعب في البحر. بدلًا عن ذلك، ترك الاتحاذ الأوروبي اللاجئين يغرقون، أو وضعهم بيد حرس السواحل الليبي، الذي أعادهم بدوره إلى مراكز الحجز في ليبيا، على الرغم من أن ذلك يُعتبر انتهاكًا للقانون الدولي.

بدأ الاتحاد الأوروبي بالعمل مع حرَس السواحل الليبي سنة 2016. يُقال إن حرَس السواحل هؤلاء فيما يُسمَى بسُفن الإنقاذ الليبية، التي لا تحمل سترات النجاة ولا زوارق سريعة، كانوا سكارى في بعض الأحيان، أو تحت تأثير منشّطات الأمفيتامين. اضطرّ كثيرٌ منهم لكسب المال عن طريق تهريب البشر. تُرسل شركة Frontex إحداثيات زورق المهاجرين إلى ضباط ليبيين عَبر برنامج واتساب، وتدّعي أن ذلك لا يمثّل محتوى رسميًا، بل اتصالًا إسعافيًا(224). كما تُرسِل شركة Frontex لقطات مراقبة إلى حرس السواحل الإيطالي، والمركز الإيطالي لتنسيق الإنقاذ البحري، الذين يتشاركون هذه المعلومات مع الليبيين(225).

سألت شركة Frontex عن علاقاتها مع السلطات الليبية، وقد نفت الشركةُ وجود أي علاقات: "لم تتعامل شركة Frontex أبدًا بشكلٍ مباشر مع السُلطات الليبية، ولا تتعاون مع حرس السواحل الليبي".

ليس لدى جماعة مراقبة البحر الألمانية اتصالات

مكتبة ياسمين

مهمة مع المركز الليبي لتنسيق الإنقاذ الموجود في طرابلس لأنهم نادرًا ما يجيبون، أو يتحدثون باللغة الإنكليزية. تمّ تدريب وتجهيز هذه القوات الليبية في الاتحاد الأوروبي. وقد شاهدتُ أفلام فيديو مروّعة صوّرتها جماعةُ مراقبة البحر عن حرس السواحل الليبي وهم يُجبرون مهاجرين متعبين على استعمال حبلٍ للتسلّق إلى سفينتهم على الرغم من أخطار ذلك. كان المهاجرون يغرقون في معظم الحالات بسبب التسمّم بغاز أول أوكسيد الكربون، أو بسبب حروق كيميائية (عندما تختلط عبوات الوقود بماء البحر ويصبح المزيج خطرًا). الزوارق المطاطية أو البلاستيكية هي الأكثر تعرضًا للغرق. في حادثٍ آخر وقع في 30 يونيو 2021، ظهر حرس السواحل الليبي وهم يُطلقون النار على زورقٍ مطاطيّ في منطقة البحث والإنقاذ قُرب مالطا في البحر الأبيض المتوسط. في تلك المناسبة في نهاية الأمر، نجح الزورق في الوصول بأمان إلى جزيرة لامبيدوسا في جنوب إيطاليا.

تنفي شركةُ Frontex باستمرار وجودَ أي نشاطات غير قانونية، غير أن جماعة مراقبة البحر شهدت هذه الوقائع كل يوم باستخدام طائرة وبعض السفن لتوثيق الطرائق التي يموت بها اللاجئون بسبب التعامي المتعمّد من طرف شركة Frontex وشركائها الليبيين. أمرٌ شائع هو أن طائرةً جماعة مراقبة البحر راقبت طائرةً مسيّرة في الأعلى، ثم وصول حرس السواحل الليبي لإعادة المهاجرين إلى ليبيا حيث يواجهون احتمالات التعذيب، أو الاغتصاب، أو حتى الموت. أشار فايس إلى أنه "بدون أجهزة مراقبة الاتحاد الأوروبي، سيكون حرس السواحل الليبي أعمى عمليًا". تعتمد شركة Frontex حصريًا على المراقبة الجوية، ولا

مكتبة ياسمين

تستخدم السفن أبدًا، مما يدلّ على أن عمليات الإنقاذ البحري ليست ضمن أولويات اهتمامها. يتم التعاقد مع شركات أوروبية وبريطانية، مثل شركة DEA Aviation، لتقديم طائرات المراقبة في عقود تبلغ ملايين الدولارات.

قال لي فايس إن عملية إنزال قوارب النجاة في الماء عن طريق الطائرات المسيّرة ممكنة تقنيًا، ولكن يجب استخدام عدد كبير من الطائرات المسيّرة وإلا كانت العملية غير مفيدة في المساعدة على إنقاذ مهاجرين في زورقٍ يضمّ مئة شخص. فكّرت جماعةُ مراقبة البحر بإنزال قوارب نجاة، ولكنها اعتقدَت أن ذلك قد يخلق مِحنة للمهاجرين في الماء. كما أن الرياح جعلت هذه الطريقة غير دقيقة. اعتقدَ فايس بأن شركة Frontex ستقلل اعتمادها على الطائرات المسيّرة في المستقبل، وستعتمد بدلًا عن ذلك على الأقمار الصناعية لمزيد من الدقّة(226). أدانت لجنة مراقبة حقوق الإنسان شركة Frontex في أغسطس 2022 لتواطئها مع مسؤولين ليبيين، واستخدام "وسائل جوية"، مثل الطائرات المسيّرة، تقوم بتشغيلها شركات خاصة(227).

استخدمت الوكالةُ الأوروبية للسلامة البحرية طائرات هيرمس الإسرائيلية أيضًا، وهي هيئةٌ أخرى طُلب منها مراقبة البحار والسواحل. في سنة 2019، كانت إيسلندا أول دولة أوروبية استخدمت طائرات هرمس المسيّرة من إنتاج شركة إلبيت من أجل مراقبة أراضيها. في أوائل 2020، تحطّمت طائرةُ هيرمس مسيّرة، كانت تُشغّلها شركة إلبيت ومُتعاقد برتغالي، على مدرج مطارٍ في كريت بينما كانت تنطلق لمراقبة سواحل اليونان البحرية.

تستطيع طائرة هيرمس حمل أربعة قوارب نجاة مطاطية تحت أجنحتها، ولكنها لم تُجهّز لذلك في البحر الأبيض المتوسط.

عندما سألت شركة Frontex لماذا بدأت باستخدام الطائرات المسيّرة، قالوا لي أنهم "استخدموها من أجل المراقبة الجوية، وهي لا تحمل أسلحة، بل تحمل آلات تصوير فقط، وتدعم عمليات الإنقاذ والبحث. تسمح طائرات شركة Frontex بالقيام بمراقبة الحدود ودعم عمليات الإنقاذ لفترات أطول. بينما يجب أن تعود الطائرات العادية إلى قواعدها بسبب نقص الوقود، أو الطاقم. تستطيع الطائرات المسيّرة أن تعمل لفترات أطول بكثير".

كان من نتائج استخدام شركة Frontex للطائرات المسيّرة لتحديد مواقع اللاجئين خسارة حياة كثيرين في البحر. وهذه هي نقطة الأهمية تحديدًا. في أكتوبر 2021، قالت أورسولا فون دير لين Ursula von der Leyen، رئيسة المفوضية الأوروبية إن الاتحاد الأوروبي لن يموّل "الأسلاك الشائكة والجدران" لإبعاد المهاجرين، على الرغم من أن ذلك كان ما فعلته بالضبط عدد من الدول، بما فيها اليونان وليبيا(228).

تُعارض شركة Frontex هذا التحليل، قالوا لي: "في أي عملية بحث وإنقاذ، تظلّ الأولوية عند شركة Frontex هي إنقاذ الأرواح، وهذا يعني في منطقة وسط البحر الأبيض المتوسط أنه في كل مرّة تكتشف فيها الطائرات المسيّرة التابعة لشركة Frontex قاربًا في محنة، تقوم فورًا بتنبيه مراكز تنسيق الإنقاذ البحري في المنطقة: إيطاليا ومالطة وليبيا وتونس إذا كان القارب المصاب ضمن مجال

بحثهم وإنقاذهم... منذ سنة 2015، ساعدت شركة Frontex في إنقاذ أكثر من 350.000 حياة في البحر، بما فيها منطقة وسط البحر الأبيض المتوسط. وقد ساعدت شركة Frontex حتى الآن في هذه السنة (2021) في إنقاذ 5111 شخصًا محتاجًا في هذه المنطقة".

أثناء إجراء استقصاء لصحيفة الأوبزرفر البريطانية سنة 2019، عملت بجانب الصحفيّين دانييل هاودن Daniel Howden وأبوستوليس فوتياديس Apostolis Fotiadis لبحث الاعتماد المتزايد لشركة Frontex على الطائرات المسيّرة والعادية في البحر الأبيض المتوسط. كان ما ذكرناه في التقرير هو أن المكتب الرئيسي لشركة Frontex في وارسو كان يستطيع الحصول على مشاهد فورية من تصوير تلك الطائرات للمهاجرين وهم يتمايلون، أو يتحركون، أو يغرقون في البحر(229).

كان ذلك خيارًا مقصودًا لسياسةٍ قاسية متزايدة وليس نتيجةً عرضية. كان لسياسة شركة Frontex أهمية خاصة بالنسبة للأحداث في البحر مقابل ليبيا حيث لم يُنفِّذ الاتحاد الأوروبي على مدى سنة كاملة قبل نشر مقالتنا ولا حتى عملية إنقاذ واحدة في منطقة بحرية من أكثر الأماكن خطورة في العالم. في ذلك الوقت، تمت مطاردة شفن البحث والإنقاذ الخيرية في البحر الأبيض المتوسط من طرف الاتحاد الأوروبي أو بعض أعضائه من الدول التي عارضت دخول اللاجئين. وكما كتبنا في صحيفة الأوبزرفر: "التحول لاستخدام الطائرات المسيّرة كان جزءًا من جُهدٍ ظاهر لمراقبة البحر الأبيض المتوسط دون الانخراط في عمليات إنقاذٍ يمكن أن

مكتبة ياسمين

تنقل المهاجرين إلى السواحل الأوروبية".

منطقة البحر الأبيض المتوسط هي منطقة قاتلة، وحسب مشروع المهاجرين المفقودين في المنظمة الدولية للهجرة، مات فيها نحو 22.748 شخصًا على الأقل منذ 2014، بمن فيهم 848 طفلًا على الأقل. إلا أنّ هذه الأرقام المروّعة جعلت الاتحاد الأوروبي أكثر إصرارًا على إبعادهم وجعل رحلاتهم أقلّ أمانًا. ساهمت شركات السلاح الأوروبية، مثل إيرباص، وBAE Systems، وشركة ليوناردو Leonardo في النزوح الجماعي ببيعها أسلحة فاقمت الصراع في سورية وليبيا واليمن وتركيا(230). شكّل هذا حلقةً مفرغة أصرَّ فيها الاتحاد الأوروبي على إبعاد المهاجرين بتقنياتٍ أكثر قسوة، إلا أن كثيرًا من الذين كانوا يحاولون الدخول كانوا قد تأثّروا سلبيًا بالمعدات الحربية الأوروبية(231).

على الرغم من سوء سجلّ شركة Frontex في انتهاك حقوق الإنسان، فقد كانت هناك بعض المعارَضة الداخلية، فقد استقال رئيسها فابريسه ليجيري Fabrice Leggerri واثنان من زملائه سنة 2022 بعد أن قامَت وكالة مكافحة الفساد في الاتحاد الأوروبي بالتحقيق معهم. اتُّهم ليجيري بالتكتّم على انتهاكات حقوق الإنسان، وكان هناك قلقٌ متزايد في بعض أجزاء الاتحاد الأوروبي بسبب هوس شركة Frontex بإبعاد المهاجرين بشكلٍ غير قانوني.

أنفق الاتحاذ الأوروبي 3.7 بليون دولار على الأقل منذ سنة 2015 في أبحاث التقنيات المتقدّمة لاكتشاف أكثر الوسائل كفاءةً في استهداف المهاجرين فيزيائيًا ورقميًا. قدّم الاتحاذ الأوروبي

دورات تدريب على تقنيات المراقبة المتقدمة في الشرق الأوسط ودول البلقان. وتم تدريب الشرطة في الجزائر والمغرب على كيفية نشر معلومات مضلّلة في الإنترنت، وجمع معلومات شخصية من برنامج فيسبوك(232).

يستثمز الاتحاد الأوروبي بلايين الدولارات في برنامج لتطوير أسلحة جديدة وتقنيات لدول الاتحاد وغيرها لمنافسة مراكز القوى العسكرية الإسرائيلية والأمريكية والصينية. الهدف النهائي هو إنهاء اعتماد الاتحاد الأوروبي على الطائرات المسيّرة الإسرائيلية والأمريكية، وتطوير أسطول داخلي من الطائرات المسيّرة(233). تمّت الموافقة في أواخر 2020 على تأسيس منشأة السلام الأوروبية لدعم قدرة أوروبا في الدفاع عن نفسها بالنظر إلى التراجع المتزايد في القوة والمصالح الأمريكية(234).

المعدات الإسرائيلية مركزية - إلا أنها بعيدة عن أن تكون الوحيدة - في رؤية أوروبا لمستقبلها العسكري والأمني. أُعلِن في سنة 2021 أنه سيُسمح للدولة اليهودية بالانضمام إلى برنامج الاتحاد الأوروبي المبدئيّ (الأفق الأوروبي) لدعم الاختراع والبحث لفترة سبع سنوات بقيمةٍ بلغت 95.5 بليون يورو. كما تم دعم إسرائيل بقوة في الماضي. تم تمويل أعمال ضمن برنامج الأفق 2020، واشتمل برنامج الاتحاد الأوروبي للاختراع والبحث في الفترة 2014-2020 على أنظمةٍ إسرائيلية عالية التقنية للمراقبة وضبط الحدود(235). كان ذلك الدعم كاذبًا لأن الاتحاد الأوروبي لم يعترف رسميًا بالمستوطنات

الإسرائيلية غير القانونية في الضفة الغربية، ولم يُسمح بإنفاق أية أموال تحصل عليها إسرائيل في الأراضي المحتلّة. افترض الاتحاد زورًا أن هناك فصلٌ سياسي بين إسرائيل والضفة الغربية، بينما رأت إسرائيل أنهما دولة واحدة غير مقسّمة.

ومع ذلك، فحسب مركز أبحاث المجلس الأوروبي للعلاقات الدولية، لم يفعل الاتحاد الأوروبي ودوله أي شيء تقريبًا منذ سنة 2013 عندما أضاف الاتحاد جملةً على أي تعاقُد جديد مع إسرائيل تنصّ على استثناء المستوطنات تأكيدًا على هذا التشدُد. وبدلًا عن ذلك "فإن معظم الاتفاقات الأوروبية الثنائية مع إسرائيل تنفع مستوطناتها ضمنيًا، وتنفع شركاتها ومواطنيها - بما يتضمّن الضمان الاجتماعي، والأحكام الضريبية، والتعاون المزدهر في مجالات الأبحاث والتطوير. درَس المجلس الأوروبي للعلاقات الدولية أكثر من 260 اتفاقية، ولم تتضمّن سوى قلَة منها تعريفًا لنِطاقِها الجغرافي، والاتفاقيات التي تتضمَن ذلك، غالبًا ما تَضمُ تعبيرات مبهَمَة أو غامِضة، بما فيها تعريف المناطق الإسرائيلية حَسب "قوانين دولة إسرائيل"، أو "المنطقة التي تَفرض الضرائب" - أوصاف يمكن أن تبرِّر ضمّ المستوطنات الإسرائيلية(236).

في سنة 2015، فسّر بيتر بورغيس Peter Burgess، العضو السابق في المجلس الاستشاري لبرنامج الأفق الأوروبي، وهو فيلسوف وعالم سياسي، أنَ المجمَع الصناعي الحدودي كان لديه نفوذ غير مبرِّر على مشروع البرنامج، وقال: "يُعتبر اللاجئون أهدافًا وغايات يجب تسجيلها"(237). ذكر عددٌ من النقاد أن توظيف برنامج الأفق لعلماء أخلاقٍ مستقلّين من أجل تقييم المشاريع ليس أكثر

مكتبة ياسمين

من موافقة مباشرة على أفكار تقودها شركاتٌ كان يجب ألا يتم تقييمها أصلًا.

ومع ذلك، كانت هنالك أموال ضخمة يمكن ربحها. الاتحاد الأوروبي هو أكبر الشركاء التجاريين لإسرائيل، شكّل أكثر من 29 بالمئة من تجارة بضائعها سنة 2020. وبالتوافق مع ذلك، ارتفعت ميزانيةُ شركة Frontex من 6 ملايين يورو سنة 2006، إلى 460 مليون يورو في 2020، وارتفعت ثانيةً إلى 543 مليون يورو سنة 2021. تعهّد الاتحاد الأوروبي إنفاق نحو 34.9 بليون يورو للتعامل مع الحدود والهجرة في الفترة 2021 - 2027. تسارع ارتفاع عدد المهاجرين بأكثر من 80 بالمئة في الفترة 2000 - 2020 وبلغ نحو 281 مليون مُهاجِر دولي، أي نحو 3.5% من عدد سكان العالم.

اهتمّ المجمع الصناعي لمراقبة الحدود بشأن الارتفاع الكبير في ميزانية شركة Frontex (عالميًا، قُدّرت قيمةُ هذه الصناعة بنحو 68 بليون دولار في 2025(238))، وقُدّر عدد العاملين فيها بنحو عشرة آلاف شخص مع حلول عام 2027 (كان في شركة Frontex حوالي 45 عاملًا فقط سنة 2005). تعايشت صناعاتُ الدفاع والمراقبة ماليًا وفكريًا مع سياسات الاتحاد الأوروبي التي كانت تهدف أساسًا لإبعاد المهاجرين وإرجاعهم إلى بلادهم الأصلية، أو إلى خارج الاتحاد الأوروبي على الأقل، بغضّ النظر عن المخاطر المحدقة بهم.

كانت هناك روايات لا تُحصى عن وفيات المهاجرين في البحر الأبيض المتوسط. حدثت إحدى أسوأ الكوارث التي تقشعرُ لها الأبدان في أبريل 2021 عندما ترك الاتحاد الأوروبي

والسلطات الليبية نحو 130 شخصًا ليموتوا في عاصفةٍ قرب السواحل الليبية على الرغم من علم الطرفين بوجودهم. ذكر هاتفُ الإنذار، وهو خطٌّ ساخن للمهاجرين في محنة تابع للاتحاد الأوروبي أنه "مرة أخرى، تُظهر هذه الأحداث أن الموت في البحر ليس حادثة، بل نتيجة أفعال وتقاعس عاملين في الاتحاد الأوروبي وليبيا"(239).

لخصت وكالة الأسوشييتدبرس المزاج العام في تقرير يونيو 2021 "في أوروبا بعد الجائحة العالمية، سيواجه المهاجرون جدارًا رقميًا". وضّحت القصةُ كيف أن الاتحاد الأوروبي ودولهُ الأعضاء كانوا يستخدمون مجموعةً من السياسات الجديدة التي تهدف إلى ردع اللاجئين، بما فيها الجدران الرّقميّة، وأبراج المراقبة، وجدار حديدي، ومدافع صوتية لِصَمّ القادمين، وآلات مقابلَة افتراضية تحرس الحدود، وأجهزة كشف الكذب التي تستخدم الذكاء الاصطناعي(240). تحولت شركةُ Frontex مِن "آلية تنسيقٍ إلى قوة أمنية كاملة متعددة الجنسيات"(241).

قامَ باتريك بريِر Patrick Breyer، وهو قانونيٌ أوروبي من حِزب القراصنة الألماني Pirate Party، برفع قضيةٍ ضدّ الاتحاد الأوروبي لكي يكشف أسرار أنظمته التي تستخدم الذكاء الاصطناعي في كشف الكذب. قال لوكالة الأسوشييتدبرس: "ما نراه عند الحدود، وفي معاملة الأجانب بشكل عام، هو أنها غالبًا ما تكون حقل تجارب لتقنياتٍ تُستخدم لاحقًا على الأوروبيين أيضًا، ولذا يجب على الجميع أن يهتموا بذلك من أجل مصلحتهم الشخصية"(242). كانت هذه

حجة مألوفة بشكل مخيف؛ فقد كان الفلسطينيون حيوانات تجربة بالنسبة لتقنيات ومعدات المراقبة الإسرائيلية، وقد اعتبر الاتحاذ الأوروبي ذلك بمثابة إنجاز يجب تقليده في ذولها أيضًا.

تنتشر تقنياتٌ إسرائيليةٌ مراوغة في الاتحاد الأوروبي، وعلى الرغم من أنها تمرَ غالبًا دون أي تعليق، إلا أن بعض الشركات المتورَطة لها سجلٌ يثير القلق. فكّرت هنغاريا وبلغاريا باستخدام شركاتِ إسرائيلية لبناء جدران على حدودهما سنة 2015، إعجابًا بما فعلته إسرائيل لصدّ الأفارقة على طول حدودها مع مصر التي يبلغ طولها 245 ميلًا. على الرغم من أن كلًا من الدولتين قد تعاقدت في نهاية الأمر مع شركات مقاولات محلية، فقد ذُكِرت إسرائيل كنموذج يجب تقليده.

باعت شركةُ المراقبة الإسرائيلية سيليبرايت Cellebrite أجهزتها في استِخلاص البيانات لنحو 150 دولة على الأقل، بما فيها دولٌ تسلطِية مثل روسيا. قدّمت هذه الشركة جزئيًا معلومات تجسّسية على طالبي اللجوء في الاتحاد الأوروبي، لأن الهاتف المَحمول هو جزء أساسي لممتلكات أي مهاجر. حسب مندوب مبيعات لهذه الشركة سنة 2019، وصل 77 بالمئة من المهاجرين إلى الاتحاد الأوروبي دون وثائق، وحمل 43 بالمئة منهم هاتفًا ذكيًا أثناء رحلتهم. ادّعت الشركةُ أن هذا قد فتح الباب لاستخدام تقنياتها في متابعة رحلة المهاجر، وتاريخه الجغرافي الحديث، واتصالاته(243). مع ذلك، فإن التحليل الشرعي للهاتف قد ينتهك القانون الدولي بسبب عدم وجود موافقة قدّمها المهاجر (وهم في معظم الحالات لا يعرفون شيئًا عن ذلك إطلاقًا).

مكتبة ياسمين

لم يمنع هذا شركة Frontex من تطوير كتيّب إرشادي يفصّل الأساليب التي يمكن من خلالها اختراق برامج المراسلات المشفرة في هواتف اللاجئين، وكيف يمكن الحصول على المعلومات، بما فيها استخدام "وسائل خاصة"، إنما لم يكن واضحًا فيما إذا كانت هذه الوسائل تشمل الضغط على المهاجر، أم شكلًا آخر من الإجراءات التقنية. وعلى العكس، فقد حطّم حرس الحدود في اليونان وكرواتيا هواتف المهاجرين المحمولة قبل رفض أي طلبٍ للجوء، ودفعوهم للعودة بقسوة(244). يمكن اعتبار أن جميع هذه التصرفات غير قانونية. أقرّت وزارة الداخلية البريطانية سنة 2020 أن مصادرة هواتف اللاجئين غير قانوني على الرغم من أنهم قد فعلوا ذلك مرات كثيرة.

شركة Frontex هي كيانٌ يميل إلى السريّة ولا يتعرّض لكثير من المساءلة. في الفترة 2017 - 2019، عقدت 17 اجتماعًا على الأقل مع جماعاتِ ضغط من 108 شركة مصنّعة للأسلحة، بما فيها الشركة الإسرائيلية شيلات أوبترونيكس Shilat Optronics (وهي شركة تعمل على أمن الحدود وتتشارك مع الجيش الإسرائيلي)، والشركات الإسرائيلية شيرفيم أوبترونيكس Seraphim Optronics (أنظمة المراقبة الذاتية)، وإلبيت (التي عقدت اجتماعين على الأقل في سنة 2018). تمّ تقديم عروض مصوّرة تروّج لمزايا الطائرات المسيّرة(245).

شملت مواضيع تلك المحادثات: الذخائر والبنادق والمراقبة الجوية وأنظمة فحص الوثائق. كانت نتائج الاجتماعات واضحة، وحصلت كثير من الشركات، مثل إلبيت، وليوناردو، وإيرباص، على

مكتبة ياسمين

عقود بملايين الدولارات. أجرت شركة Frontex معدّاتها، ولم تعد بحاجة لمساهمات الدول الأعضاء، مما حفّز ودفع شركات السلاح. كانت الشركات الإسرائيلية أكثر من مجرد شركات مهتمة بالتعاون مع شركة Frontex، إلا أن تأثيرها كان مهمًا.

جدّدت شركة Frontex تعاقدًا مع الشركة الإسرائيلية وينوارد Winward سنة 2020، يجعل برنامج تحليلٍ بحري ترُوّج له الشركة ليكون قادرًا على كشف "الأشخاص السّيئين" في البحر. تلقّت الشركة دعما استثماريًا من ديفيد بيترايوس David Petraeus، الجنرال الأمريكي المتقاعد والرئيس السابق لوكالة المخابرات الأمريكية، وكان غابي أشكنازي Gabi Ashkenazi، رئيس الأركان الإسرائيلي السابق، مستشارًا لها. أسّس هذه الشركة سنة 2010 ضابطان إسرائيليان سابقان في المخابرات البحرية، واستخدمت تقنيات التجميع الرقمي، وتقييم متابعة السفن، وبيانات المراقبة البحرية، لمتابعة السفن في البحر(246).

فسّر صلاح الميرغني، وزير العدل الليبي السابق، أن البرنامج الذي يَقوده الاتحاد الأوروبي، والذي تُشكّل الطائرات المسيّرة الإسرائيلية عنصرًا رئيسيًا فيه، كان جميعه يتركّز على محاولة المحافظة على نظافة يَد الاتحاد الأوروبي، قائلًا: "اجعلوا ليبيا تبدو بمظهر الشخص السيء. اتّخذوا من ليبيا السّتار الذي يخفي سياسات الاتحاد الأوروبي بينما يقول الصالحون الأوروبيون إنهم يقدّمون المال للمساعدة في جعل هذا الوضع الجهنّمي آمنًا"(247). يُرسل عاملون في شركة Frontex إلى دولٍ غير عضوة في الاتحاد الأوروبي حينما يتم توسيع حدوده سياسيًا، إن لم يكن جغرافيًا. أدانت منظمة

حقوق الإنسان شركة Frontex بسبب "نمط فشلها في القيام بتحقيقات موثوقة، أو بإجراءاتٍ تحدُّ من الإساءة للمهاجرين على حدود الاتحاد الأوروبي"(248).

لدَى الاتحاد الأوروبي مركز للتعامل مع اللاجئين في دولة النيجر الأفريقية المُعدمة، وهي دولةٌ غير مستقرَة تعرّضت لأربعة انقلابات عسكرية منذ استقلالها سنة 1960. إنها مختبرٌ للهجرة حيث يموّل الاتحاد الأوروبي هيئةً لتوجيه المهاجرين وقطع طريقِ هجرتهم إلى أوروبا في كثير من الأحيان. يريدُ الاتحاد الأوروبي تخفيض عدد المهاجرين الذين يغادرون النيجر، وتوجِيه طريقِهم نحو ليبيا (ويُحاولون من هناك الوصول إلى أوروبا). تحوّلت الدولةُ إلى مركزٍ للمناورات الغربية العسكرية والدبلوماسية والسياسية، بما فيها قاعدة أمريكية رئيسية في آغاديز Agadez لإبعاد اللاجئين والتعامل مع المتمردين الإسلاميين(249).

التزامُ الاتحاد الأوروبي بحقوق الإنسان هو شِعارٌ يتم ترديده، غير أنه كان انتقائيا جدًا في معظم الأحيان. بعد الغزو الروسي لأوكرانيا في فبراير 2022، كانت بروكسل مُتحرّقة لوقف شراء الغاز الروسي لأنها كانت تُعارض أعمال روسيا الوحشية. في يونيو 2022، أعلن الاتحاد الأوروبي في اجتماعٍ غُقد في القاهرة ضمّ رئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لين مع وزراء الطاقة في مصر وإسرائيل أنها كانت "لحظة تاريخية خاصة"، ونقطة انطلاق علاقة جديدة. سيتمّ تصدير الغاز الإسرائيلي "المهمّ" قريبًا إلى أوروبا. قال الاتحاد الأوروبي أنه سيزيد استقلاليته في مصادر

مكتبة ياسمين

الحصول على الطاقة، بينما ينكر قصدا اعتماده على مصر الاستبدادية، وإسرائيل المحتلّة. الرسالة واضحة: احتلال روسيا لأوكرانيا سيءٌ، ولكن احتلال إسرائيل لفلسطين أمرٌ جيدٌ تمامًا.

اليونان هي الدولة الأوروبية الأكثر تعاونًا مع إسرائيل عسكريًا، وهي دولةٌ تقع على حدود القارة، ومُصرّةٌ على إقفال حدودها، وجعل الحياة بائسةً إلى أسوأ قدرٍ ممكن لكلِّ من يريد اختراق الحدود. عبّر رئيس الوزراء كيرياكوس ميتسوتاكيس Kyriakos Mitsotakis عن استيائه عندما سألهُ صحفيٌ في نوفمبر 2021 عن سياسة بلاده نحو اللاجئين، وقال: "لدينا سياسة صارِمة في الهجرة، ولكنها عادلة"، وادّعى أن أعمال دولَته كانت "تُنقِذ مئات، إن لم يكن آلاف الناس في البحر".

منذ سنة 2013، زادت اليونان تدريجيًا اعتمادَها على المعدات العسكرية والتدريب الإسرائيلي. وحسب بحثٍ قامت بإجرائه لِصالحي في وثائق يونانية وإنكليزية جماعةُ المعلومات المضلّلة، وهي جماعةٌ غير رَبحية مَركَزها في اليونان، فإنّ شركاتٍ إسرائيلية مثل شركة الصناعات الجوّية الإسرائيلية، وشركة إلبيت، وشركة رافائيل قد حصلت على عقودٍ كبيرة للعمل مع الدولة اليونانية. كانت الطائرات المسيّرة، والمروحيات، والصواريخ، والقنابل مجرد جزء من الصفقة.

أثار كثيرًا من القلق ما كتبته الجماعةُ الإسرائيلية-الفلسطينية غير الحكومية "مقاتلون من أجل السلام" إلى القيادات في اليونان وقبرص والاتحاد الأوروبي في مايو 2020 لإنذارهم بشأن تدريب قواتهم في إسرائيل بالنظر إلى ما كان يُخشى منه أنذاك من الضّم الإسرائيلي غير القانوني

للضفة الغربية. على الرغم من أن الضّم الرسمي لم يحدث فعلًا، إلا أن الرسالة ذكرتْ أنه:

"لا يمكن تصوّر أن القوات المسلحة لدول الاتحاد الأوروبي ستقوم بتدريبات عسكرية في الأراضي المحتلّة، وتقوم بدورٍ فاعل في ترحيل ونزع مُلكيات السكان الفلسطينيين الذين يعيشون قُرب مناطق التدريب العسكري المُغلقة في وادي الأردن أو غيره من مناطق الضفة الغربية... من الواضح أن أيّ ضمّ يجب أن يُلغي ويُبطل الاتفاقيات المذكورة سابقًا للتدريب العسكري للقوات المسلحة اليونانية والقبرصية في دولة إسرائيل، لأن مناطق التدريب ستشمَل أجزاء من الضفة الغربية بشكلٍ غير قانوني".

يبدو أن السلطات اليونانية قد اعتبرتْ أن تعامل إسرائيل الإلكتروني مع الناقدين من مواطنيها مسموحٌ به. في سنة 2021، استهدفَت الشركةُ الإسرائيلية إينتلكسا Intellexa الصحفي الاستقصائي ثاناسيس كوكاكيس Thanasis Koukakis، الذي عَمل في قناة CNN اليونانية، بعد أن كتبَ عن فضيحةِ فَساد حكومي كبير. كما كان بعض السياسيين البارزين وغيرهم من الصحفيين ضحايا للتجسس الإلكتروني الإسرائيلي. بعد كَشف مراقبة شركة إينتلكسا، كتب في صحيفة هآرتس أن هناك ضرورة ملحّة لاستقصاء الشركات الإسرائيلية "غير الشفافة" من جهة هيئات إشراف برلمانية ومستقلة لتحديد "فيما إذا كان هنالك أسبابُ أمنٍ قوميّ حقيقية لوضع أي شخص - صحفيًا كان أو غير صحفي - تحت المراقبة"(250).

أخبرني ناشطٌ في أثينا أن إنفاق اليونان الزائد

على معداتٍ عسكرية جديدة لم يكن ضروريًا تمامًا، غير أن اليونان "كثيرًا ما تشتري معدات عسكرية لكي تُظهر للناخبين أنها تمتلك كل شيء. ربما ستبدأ استخدام هذه المعدات عندما يكون لديها القدرة على ذلك".

قاد الحزب اليساري سيريزا Syriza اليونان في الفترة 2015-2019، استمرّت خلالها العلاقات مع إسرائيل، وتعمّقت هذه العلاقات خلال زعامة كيرياكوس ميتسوتاكيس، رئيس الوزراء الديموقراطي الجديد بعد أن كسب انتخابات سنة 2019. كان والده كونستانتينوس ميتسوتاكيس Konstantinos Mitsotakis أول زعيم يوناني يقيم علاقات دبلوماسية كاملة مع إسرائيل سنة 1990. كتب رئيس غرفة التجارة اليونانية-الإسرائيلية سنة 2021 "يمكِن للمرء أن يذهب إلى حدّ القول إنه ربما كان الأمر الوحيد الذي تتفق عليه جميع الحكومات اليونانية المتتالية في العقد الأخير هو أهمية التحالف مع إسرائيل"(251). ترسّخت هذه الشّراكة سنة 2021 مع أكبر اتفاقية دفاعية بين الدولتين، والتي بلغت قيمتها 1.65 بليون دولار لكي تقوم شركة إلبيت بتشغيل مركز تدريب للقوات الجوية اليونانية. تمّ اقتراح اعتمادٍ أكبر على اليونان من طرف وزير الدفاع الإسرائيلي بيني غانتز سنة 2022 عندما اقترح شراء جُزرٍ يونانية "لخلق مكان آمن للشعب اليهودي احتياطًا للطوارئ، كموضع للاجئين اليهود في حالة نُشوب حرب"(252).

غرقت العلاقةُ الإسرائيلية-اليونانية في غياهب النفاق أحيانًا. أعلنت السفارةُ الإسرائيلية في اليونان سنة 2017 أنها ستتبرّع بميزانيتها

مكتبة ياسمين

المخصصة للاحتفال بيوم الاستقلال الإسرائيلي من أجل شراء معدات طبية للجزيرة اليونانية كايوس Chios لمساعدة السَياح واللاجئين. تمَ الترويج لهذا التبرع على أنه مبادرة من وزارة الخارجية الإسرائيلية عنوانها "مساعدة الأصدقاء الذين يُعاونون". بينما ادّعت إسرائيل أن "التبرع بمعدات يسرُنا"، كانت مُستعدَة أيضًا لمساعدة اليونان والاتحاد الأوروبي بمعدات مراقبة وطائرات مسيّرة من أجل تقليل عدد اللاجئين الذين تمكّنوا من القدوم بأمان إلى الجزر اليونانية. أسّست اليونانُ قاعدةً للطائرات المسيّرة في جزيرة سكيروس Skyros في وسط بحر إيجة، وأصبحت طائرات هيرون الإسرائيلية المستأجرة جزءًا رئيسيًا من القوات الجوية اليونانية. استُخدِمت طائرات هيرون أيضًا في مكافحة الحرائق، بما فيها أثناء الحرائق المروّعة التي حدثت في اليونان في أغسطس 2021.

السّرُ غير القذر هو أن اليونان تقومُ بتنفيذ ادّعاءات الاتحاد الأوروبي وتعمل دون كَلَل لمراقبة وعقاب وعزل وقمع اللاجئين ومَنع معظَمهم مِن دخول القارة. تدعمُ شركةُ Frontex هذه الجهود بهدوء. أنشأت اليونان شبكةً من مراكز الحجز في جُزُرٍ يونانية، ونفذّت طردًا غير قانوني في المعابر الحدودية والبحر الأبيض المتوسط. منذ سنة 2020، حدث إبعادٌ غير قانوني لأكثر من 41.000 مهاجر حسب تقرير مؤسسة أمبودسمان التركية Ombudsman Institution سنة 2022، واستخدام اليونان أنواعًا من الاختراعات التقنية لمنع القادمين الجدد(253). أثناء افتتاح "السّيطرة المغلقة على مركز الوصول" في

نوفمبر2021 بجزيرة كوس Kos اليونانية، بارك المركز كاهنان من اليونانيين الأرثوذوكس، بينما شاهد ذلك سياسيون من الاتحاد الأوروبي. كانوا يشاهدون أسلاكًا شائكة، وشرطة، وبوابات دوّارة. في سنة 2022، وافق الاتحاد الأوروبية على تمويل مزيد من المراقبة في أرض اليونان وحدودها البحرية، التي ضمّت طائرات مسيّرة إسرائيلية وكلاب بوليسية وطائرات مروحية.

أطلقت رئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لين على اليونان لقب "درع" أوروبا سنة 2020 عندما منحت اليونان مبلغ 700 مليون يورو للتعامل مع أمن الحدود. كان الحلّ اليوناني لمشكلة المهاجرين هو استكمال جِدار طوله 40 كيلومترًا، ونظام مراقبة على طول حدودها البرية مع تركيا في أغسطس 2021(254). في موقع إيفروس Evros مِن حدودها البرية مع تركيا، استخدمت اليونان مدافع صوتية بعيدة المدى تصمّ الآذان لتخويف اللاجئين. على الرغم من أن حجمها لا يزيد عن حجم جهاز تلفزيون صغير، إلا أنها تُصدِر أصواتًا عالية وكأنها صوت طائرة أو انفجار طلقة بندقية بالقرب من الأذن. يمكنها أن تُسبّب ضررًا سمعيًا دائمًا. اشترت اليونان هذه الأجهزة من الشركة الأمريكية جيناسيس Genasys، واستخدمها رجال الشرطة في كافة أنحاء العالم. ذكرت المحامية إيفجينيا كونياكي Evgenia Kouniaki التي تُراقب حدود منطقة إيفروس لصحيفة كودا Coda سنة 2021 أن الحكومة اليونانية كانت في فورة شراءٍ لمعدات قمعية عالية التقنية لأنها "أرادت إرضاء ناخبيها. والآن في اليونان، لا يملك اللاجئون أية حقوق. إنها أحلك فترةٍ رأيتُها

كمحامية عن اللاجئين"(255).

يمثّل نمو التأثير الإسرائيلي في أوروبا معلمًا تاريخيًا غريبًا، وتناقضًا لم يتمَ حلَه. بعد إبادة اليهود في المحرقة، أصبحت ألمانيا الدولة الأكثر تأييدًا لإسرائيل في أوروبا، وهي أكبر شريك تجاريَ لإسرائيل في هذه القارة. زارت المستشارةُ الألمانية أنجيلا ميركل إسرائيل في أكتوبر 2021 في واحدة من آخر زياراتها الخارجية قبل مغادرة منصبها؛ كانت ثامن رحلة تقوم بها خلال 16 سنة في السُلطة. لم تذهب إلى الضفة الغربية، ولا إلى غزة. امتدحت الدولة اليهودية على الرغم من اعترافِها بأن إسرائيل لم تَقبل مشروعَ الدولتَين الذي تفضّله المستشارةُ لِحلّ الصراع مع الفلسطينيين، ولكن هذا لم يكن مهمًا لأن "مسألةَ أمن إسرائيل ستكون دائمًا مركزيةً، وموضوعًا أساسيًا بالنسبة لكل حكومة ألمانية".

أكّدت ميركل أن هذه كانت علاقة عاطفية ترسّخها المصالَحة والتسامح. كَتبت في دفتر الزوار عند النصب التذكاري للمذبحة اليهودية في القدس: "واقع أن الحياةَ اليهودية قد وجدت مَقامًا لها ثانيةً في ألمانيا بَعد جرائم الإنسانية في المحرقة هو دليلٌ قوي على الثقة التي نعتزُ بها".

لا يمكن لمختبر فلسطين أن يزدهر إلا إذا صدّق عددٌ كافٍ من الدول فرضيته الأساسية. ليس من المستغرب أن ترغب الأنظمة التسلُطية بتقليد القمع الإسرائيلي، وأن تستخدم التقنيات الإسرائيلية لقمع المشاغبين والسكان غير المرغوب بهم في بلادهم. ولكن الدولة اليهودية تلتمس القبول الغربي لكي تُحقّق قدراتها الدبلوماسية والعسكرية بشكل تام. إضافة إلى الولايات المتحدة، تُعتبر ألمانيا أكبر

مكتبة ياسمين

الجوائز. ساعدت إسرائيل ألمانيا في استرجاع صورتها المحطّمة بعد الحرب العالمية الثانية، بينما منحت برلين الشرعية لدولةٍ تقمع الفلسطينيين بعنف (وهم لا يُعتبرون شعبًا في عيون حكوماتٍ ألمانية متعاقبة). تبتاع ألمانيا كميات متزايدة من المعدات الإسرائيلية الدفاعية، وهذا مجرد أحد أساليب التكفير عن خطيئتها التاريخية. عندما زار الرئيس الفلسطيني محمود عباس ألمانيا في أغسطس 2022، وتحدّث بجانب المستشار أولاف شولتز، اتهم إسرائيل بارتكاب "خمسين محرقة" ضد شعبه الفلسطيني. عبّرت المؤسسة الألمانية عن استيائها وغضبها بشأن هذه العِبارة، إلا أن النفاق كان واضحًا؛ الفلسطينيون تحت احتلالٍ مستمر لا ينتهي، ومع ذلك عليهم هم أن يقدّموا الاعتذار.

أخذت ألمانيا حبّها لإسرائيل نحو أبعاد خطيرة، بل ولا معقولة. في سنة 2022، قامت المنظمة الإعلامية الألمانية دويتشه فيللا Deutsche Welle بتحديثِ قواعد السلوك الخاصة بها، وأصرّت على أن جميع العاملين عندما يتحدّثون باسم المنظمة، أو حتى في المجال الشخصي، يجب عليهم "تأييد حق إسرائيل في الوجود"، وإلا فسيتعرّضون لعقوبةٍ مِثل الطّرد(256). بعد أن اغتال الجيش الإسرائيلي الصحفية شيرين أبو عاقلة في مدينة جنين بالضفة الغربية في مايو 2022، منعت الشرطة الألمانية وقفةً جماهيرية سلمية في برلين بسبب ما أطلقت عليه السّلطات الألمانية وصف "خطر فوريّ" لاندلاع العنف وإطلاق رسائل مُعادية للسامية. عندما تجاهل متظاهرون هذا الطلب، وانطلقوا إلى الشارع لإحياء ذكرى أبو عاقلة ويوم النكبة، قبضت الشرطة على 170

مكتبة ياسمين

شخصًا لأنهم عبّروا عن تضامنهم مع فلسطين.

كتب فلسطينيَ في ألمانيا اسمه ماجد أبو سلامة في تويتر أنه تعرّض لاعتداءٍ من رجال الشرطة: "غادرث المستشفى منذ ساعة مع حمّالةٍ على ذراعي لتثبيت كتفي بعد أن كاد شرطيَ ألماني عنصريَ أن يخلع كتفي بتصرفاته العنيفة بسبب ارتدائي كوفيةً فلسطينية. هذه هي الموجة الجديدة لمعاداة الفلسطينيين في برلين. جنونٌ، أليس كذلك؟".

حدث ذلك بعد سنوات من التحريض ضدَ الفلسطينيين من قبل نخبةِ الشرطة الألمانية، ومِن البرلمان الألماني الذي وصف حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات BDS بأنها مُعادية للسامَية سنة 2019 وذلك للضغط على المؤسسات الألمانية لكي ترفض إعطاء أي فرصة للأصوات المؤيَدة للفلسطينيين، سواء من اليهود أو من الفلسطينيين(257). قدّم المثقف الفلسطيني طارق بعقوني خطابًا قويًا في برلين في مايو 2020 أثناء مؤتمرٍ بعنوان "اختطاف الذاكرة: المحرقة اليهودية واليمين الجديد". لاحظ أن "ذولًا مثل ألمانيا عادث ثانية لتقبل الفلسطينيين كأضرار جانبية. وأن قمعَهم واستعمارهم هو ثمنٌ عادل يجب دفعُه لكي يُسمح لألمانيا أن تكفُر عن جرائمها السابقة".

كتب اليهودي الأمريكي بيتر بينارت Peter Beinart: "سُمح للحكومة الإسرائيلية، بمشاركة مع اليمين الألماني، بتحديد كيفية تكفير الألمان عن ماضيهم من الإبادة الجماعية المعادية للسامَية. قامت الحكومةُ الإسرائيلية وحلفاؤها الألمان بالقول للألمان إنه بسبب قيام أجدادهم باضطهاد اليهود، يجب عليهم الدفاع عن الدولة اليهودية. وهذا خطأ

مكتبة ياسمين

تحليلي وأخلاقي"(258).

على الرغم من التعهدات المستمرة بالولاء الألماني كصديق لإسرائيل، فقد كانت معاداة السامية تزداد عبر أوروبا، وأصبح عددٌ متزايد من اليهود قلقين بشأن مستقبلهم ومستقبل دينهم في العقود القادمة. حدثث هجماتٌ عنيفة ضد اليهود، واعتداءاتٌ عنيفة على حاخامات، وزسم شعاز الصليب المعقوف النازي على معابدهم، وتمَ تدنيس مقابرهم، وكانت هذه دلائل على العاصفة القادمة. سُجلت 3027 حادثة معادية للسامية في سنة 2021، بزيادة مقدارها 29 بالمئة عن السنة التي قبلها. وجَه اللوم غالبًا إلى اليمين المتطرف، إضافة إلى الإسلاميين.

كذلك عانى المسلمون كثيرًا، وسُجلت 632 جريمة كراهية ضد الإسلام في ألمانيا وحدها في الفترة من يناير إلى نوفمبر 2020. حسب دراسة نشرها معهد أبحاث السياسة اليهودية في لندن سنة 2022، اعتقد معظمُ اليهود الأوروبيين أن "تذكُر المحرقة اليهودية"، و"النضال ضد معاداة السامية"، كانا أهمَ عناصر هويتهم اليهودية الأوروبية(259).

فكَر 41 بالمئة من الشباب اليهودي الأوروبي بالهجرة بسبب مخاوف أمنية حسب استبيانٍ في سنة 2018 قامث به وكالة الحقوق الأساسية التابعة للاتحاد الأوروبي. قال 2700 يهودي أعمارهم بين 16 - 34 سنة، إنهم فكَروا بالمغادرة "لأنهم لم يشعروا بالأمان في العيش هناك كشخص يهودي". كما رفض 45 بالمئة ارتداء أي علامة علنية تدلُ على ديانتهم. عبّر غالبيتهم عن "ارتباطٍ قوي" بإسرائيل، بينما عبّر 35 بالمئة منهم فقط عن تأييد

 مكتبة ياسمين

الاتحاد الأوروبي. أجريت المقابلات مع يهودٍ في النمسا وبلجيكا والدنمارك وفرنسا وألمانيا وهنغاريا وإيطاليا وهولندا وبولندا وإسبانيا والسويد وبريطانيا(260).

على الرغم من هذه المخاوف، هاجر قليلٌ من اليهود إلى إسرائيل. في سنة 2020، هاجر 20.000 يهوديَ إلى إسرائيل من سبعين دولة، لم يكن بينهم سوى 5.500 من أوروبا الغربية. جاء كثيرون من أوروبا الشرقية ودول الاتحاد السوفييتي سابقًا. وهذا مهمَ، لأن رئيس الوزراء الإسرائيلي نفتالي بينيت قال في أكتوبر 2021 إن "هدفه جَلب 500.000 مُهاجر يهودي من مجتمعات قوية في الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية وفرنسا. كان ذلك رفضًا مباشرًا لمَوجة الهجرة التي كانت قائمة من دولٍ غير غربية، ويبرز هذا التصريح العنصرية المتأصّلة عميقًا التي انحازت ضد شعوب اعتبرت عبئًا ثقيلًا على الدولة بسبب اعتمادهم على التأمينات الاجتماعية.

كتب الصحفي الإسرائيلي ليران فريدمان Liran Friedmann "كان هؤلاء العشرون ألف شخص الذين هاجروا إلى إسرائيل من أوروبا الشرقية كل سنة من المحظوظين لو منحتهم الدولة مجرد الحقَ بتسمية أنفسهم يهودًا، ولو من باب المجاملة. من الصعب الفخر بكثير من المهاجرين من موسكو، أو طشقند، أو مينسك، الذين فعلوا الكثير من أجل للدولة، إلا أنهم ليسوا رائعين مثل أقرانهم اليهود من باريس، أو من نيويورك"(261).

يمكن القول إن الإشارات المقلقة بشأن معاداة السامية في أوروبا قد أصبحت أسوأ بسبب أفعال الإسرائيليين في فلسطين. ليس هذا لتبريرها، بل

مكتبة ياسمين

لمجرد تفسير ما يحدث كلما تصاعدت أعمال العنف في الضفة الغربية، أو غزة، أو القدس الشرقية. أثناء الصراع بين إسرائيل وحركة حماس في مايو 2021، كان هنالك عدد كبير من الهجمات المعادية للسامية عبر أوروبا، من رمي الحجارة على المعابد اليهودية في مدينة بون، إلى قافلة السيارات في شمال لندن التي رددت شعارات معادية لليهود. وخلط عدد قليل من الناس قصدًا بين انتقاد إسرائيل والقيام بأعمال والتلفظ بكلمات معادية للسامية.

تحالُف إسرائيل مع المجمع الصناعي لحماية الحدود الأوروبية يتضمّن إمكانية تعقيد علاقات الدولة اليهودية مع القارة. يزداد تحوّل الرأي العام في أوروبا باستمرار ضد إسرائيل، وقد سرّعت ذلك التحوّل الحربُ بين إسرائيل وغزة سنة 2021. حسب نتائج استبيانٍ قامت به مؤسسة يوغوف يوروتراك YouGov Eurotrack في يونيو 2021، تراجعت شعبيةُ إسرائيل في بريطانيا وفرنسا والدنمارك. وبالمقارنة، فقد وجَد استبيانٌ قام به مشروعُ جيران الجنوب في الاتحاد الأوروبي سنة 2020 أن غالبية الإسرائيليين يعتقدون أنهم يحملون قيم الاتحاد الأوروبي ويجب أن يتعاونوا.

كان هذا الانفصال حقيقيًا، معظمُ الإسرائيليين يؤيدون الاتحاد الأوروبي، بينما أصبح معظم سكان الاتحاد الأوروبي قلقين بشأن أعمال الدولة اليهودية تجاه الفلسطينيين. هناك نسبة من اليمينيين الأوروبيين ممّن يُعجبون بإسرائيل ويدعمون تصرفاتها في فلسطين، ويؤيدون قوميتها الإثنية وموقفها الصلب ضد الإسلام واللاجئين، ويحرصون على شراء واستلهام

المعدات والتقنيات المستخدمة في المحافظة على أغلبيتها اليهودية في الدولة. وهكذا فقد قام رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بتطوير ورعاية تحالفات مع القوميين المتشدّدين المؤيدين لإسرائيل في هنغاريا وسلوفاكيا وبولندا وجمهورية التشيك.

مع ذلك، وجد استبيانٌ قام به مركز بيو للأبحاث Pew Research Center سنة 2018 أن المواطنين في كثير من دول أوروبا الغربية، بما فيها بريطانيا وفرنسا وهولندا واسبانيا واليونان وإيطاليا يؤيدون قبول اللاجئين الهاربين من العنف والحرب(262). على الرغم من أن مشاعر معاداة اللاجئين كانت حقيقةً لا يمكن إنكارها في دولٍ أخرى، فإن سياسة الاتحاد الأوروبي القاسية لإبعاد اللاجئين باستخدام تقنياتٍ إسرائيلية لم تتمتّع بتأييدٍ شعبيّ واضِح عند كثير من شعوب الاتحاد الأوروبي. لم يكن واضحًا في هذه المواقف أين يقع اليهود الأوروبيون الذين يَدعمون فكرةَ إسرائيل وما تُمثّله؟

موقفُ الاتحاد الأوروبي المضادّ للاجئين قادَهُ سياسيون وموظفون تبنّوا فكرةَ "صراع الحضارات" التي تضع المسلمين والأفارقة ضد غالبيةٍ أوروبية يُفترض أنها "أكثر تحضُّرًا". وقد لقيث هذه الحجّة ترحيبًا حارًا في إسرائيل.

ضمن غزو روسيا لأوكرانيا سنة 2022 ترسيخ علاقةٍ أعمق بين الاتحاد الأوروبي وإسرائيل. عندما أعلنث ألمانيا تحت زعامة المستشار أولاف شولتز تخصيص 100 بليون يورو إضافي لدعم احتياجاتها الدفاعية ودعم أمنها في أعقاب عدوانية موسكو، شمل جزءٌ من لائحة الرغبات

الحصول على طائرات مسيّرة إسرائيلية. أعلنت القوات الجوية الألمانية أنها كانت تريد شراء تقنيات إسرائيلية مضادة للصواريخ لحماية نفسها من العدوانية الروسية. كانت فنلندا دولةً أخرى قلقة بشأن نزعة موسكو العسكرية، وكانت مستعدَة لشراء معدات إسرائيلية مضادَة للطائرات. أرسلت دول الناتو أسلحةً مضادّة للدبابات إلى أوكرانيا تم صنعها في فرع ألماني لشركة رافائيل الإسرائيلية للصناعات العسكرية المتطوّرة. كتب رئيس سابق لجماعة الضغط القوية في أمريكا، إيباك، المؤيدة لإسرائيل "الحرب جحيم، ولكن من الواضح أنها جيدة للأعمال"(263).

الفصل الخامس

النداء المستمر للهَيمنة الإسرائيلية

"لو كان هناك أمرٌ واحد مشترَك بين رؤساء الشرطة الأمريكيين والإسرائيليين، فهو أنهم غير مهذّبين، بل إنهم يتحدّثون بصراحة"

الكولونيل داني تيرزا Dany Tirza، مهندس جدار الضفة الغربية

(ورَدَ الاقتباس في Todd Miller, Empire of Borders: The Expansion of the US Border around the World, London: Verso, 2019, p. 5.)

لم يكن لوجود التناقُض في ضلب الدولة اليهودية تأثيرٌ يُذكر على نجاحها. ومع ذلك، فإن كون المرء يهوديًا في إسرائيل هو أكثر خطورة بكثير من العيش كيهوديٍ في أي مكان اخر على سطح الأرض تقريبًا. انعدام الأمن هذا ليس بسبب اليهودية، إنما بسبب وضع الدولة السياسي والعسكري.

كتب مُنتج الأفلام والمصوّر والباحث حاييم بريشيت-زابنر Haim Bresheeth-Žabner في كتابه الذي نُشر سنة 2020 تحت عنوان "جيش لا مثيل له: كيف صنعت قواث الدفاع الإسرائيلية دولةً": "إنها ديموقراطيةٌ يجب أن يكون فيها المرء يهوديًا لكي يتمتع بكامل الحقوق المدنية. تميزت الصهيونيةُ بالابتعاد عن كثير من الأحياء الأوروبية اليهودية الصغيرة المغلقة، إلى أحياء يهودية حديثة وكبيرة وقوية تضع نفسها بعيدًا. فشل هذا الحي اليهودي الخاص في مشروعه المثالي لبناء كيان يهوديٍ بدون الغوييم (الأغيار أو غير اليهود)"(264).

مكتبة ياسمين

يمكن رؤية هذا في العلاقة بين إسرائيل وأفريقيا. أيّد كثيرٌ من الدول الأفريقية إسرائيل بعد سنة 1948 كنضالٍ نبيلٍ ضد الاستعمار. تعلّقوا بقضيتها. أحد الجوانب الأقلّ شهرة في هذه الفعالية قُبيل حرب الأيام الستة كان تأييد إسرائيل للحملة ضدّ حُكم الأقلية البيضاء في روديسيا، وهي الآن زيمبابوي. أدانت إسرائيل النظام الذي كان يقوده القوميّ الأبيض إيان سميث Ian Smith بعد إعلانه الاستقلال من طرف واحد سنة 1965، وأيّدت المقاطعة العسكرية والمدنية لذلك النظام.

لم يكن التأييد الإسرائيلي بسبب محبّة حقّ تقرير المصير للأفارقة، بل كان قرارًا محسوبًا للحصول على دعم أفريقيا ضدّ ما اعتبرته "تشهيرًا" عربيًا وشيوعيًا. كما كانت إسرائيل مهتمّة باستغلال الموارد الطبيعية في أفريقيا، وانطلقت فورًا في بناءِ علاقاتٍ مع زعماء مُتجاوِبون في جمهورية أفريقيا الوسطى بعد أن أعلنت سنة 1960 استقلالها عن فرنسا(265).

تُشير وثائق تم الإفراج عنها في سجلات دولة إسرائيل إلى أنها قدّمت خدمات التدريب لجماعاتٍ متمرّدة تُقاتِل ضدّ العنصرية في روديسيا، على الرغم من أن طبيعة التدريب كانت غير معروفة على وجه التحديد، كما أيّد بعضُ المسؤولين الكفاح المسلح. أرسل سفيز إسرائيل إلى زامبيا، بن زيون طحون Ben Zion Tahan برقيةً في 23 نوفمبر 1965 أنه من الواضح "في رأيي أن الإرهاب هو الطريقة الرئيسية، على الرغم من أنها الأكثر صعوبة بالنسبة للمقاتلين"(266). عندما زار إسرائيل أوّل زعيمٍ لزيمبابوي، روبرت موغابي Robert Mugabe سنة 1964، شكر الدولة اليهودية على

مكتبة ياسمين

دعمها لحركته المقاومة، وعبّر عن رغبة مقاتليه في الحصول على تدريبٍ إسرائيلي في حرب العصابات.

بعد سنة 1967، تضاءل اهتمامُ إسرائيل بحركات التحرر، وأصبح تأييدُها لهم أقلَّ كفاءةً بكثير مع تحوّلها هي ذاتها إلى كيانٍ مُحتلّ. ومع ذلك لم يكن هنالك تحالفٌ سياسي وعسكري ودبلوماسي وفكري أفضل بين دول متقاربة فكريًا من إسرائيل ودولة الفصل العنصري في جنوب أفريقيا. في سنة 1948، تسلّم نظامُ الفصل العنصري السُلطة في بريتوريا، وطبّق فورًا على غير البيض قيودًا على النمط النازي، مِن منع الزواج بين الأعراق، إلى منع السود من الحصول على كثير من الوظائف والأعمال. كان اليهود في جنوب أفريقيا مؤيَدين لإسرائيل بقوة، وأصبحوا أكبر المُمولين لإسرائيل بالنسبة لعدد السكان بَعد سنة 1948. استفادَ معظم هؤلاء اليهود من نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، ودعموا استمراره. عارضَتْهُ بشجاعة أقليةٌ صغيرة، ولكن نبيلة، وانضمّت إلى حزب المؤتمر الوطني الأفريقي في حَملتِه نحو التحرر.

بينما رسّخت حكوماتُ جنوب أفريقيا وإسرائيل علاقةً سياسية وفكرية وعسكرية خلال السبعينيات، دار معظمها حول أسلحةٍ قام الجيش الإسرائيلي بتطويرها واختبارها، شعر كثيرٌ في حزب الليكود الإسرائيلي الحاكم بالتقارب مع رؤية جنوب أفريقيا للعالم. وكما يكتُب ساشا بولاكوف-سورانسكي Sasha Polakow-Suransky، الصحفي ومؤلف كتاب "التحالف غير المُعلن"، كانت "إيديولوجية الأقلية في المحافظة على بقائها التي قدّمت كلتا الدولتين كمواقع مُهدّدة أمامية للحضارة الأوروبية، وتُدافع

عن وجودها ضد برابرة أمام البوابة"(267).

كان روني كاسريلز Ronnie Kasrils واحدًا من اليهود البارزين المنشقين وخدم وزيرًا للمخابرات في الفترة 2004-2008 في ظلّ حكومة المؤتمر الأفريقي. أخبر صحيفة الغارديان أن المقارنة بين الدولتين لم تكن وليدة المصادفة "يدّعي الإسرائيليون أنهم شعب الله المختار، ويجدون تبريرًا في الكتاب المقدّس لغنصريتهم وتفردهم الصهيوني. وهذا يشابه تمامًا الأفارقة البيض في نظام الفصل العنصري بجنوب أفريقيا، الذين يحملون فكرة الكتاب المقدّس بأنّ الأرض حقّهم الذي منحهم إياه الله. ومثل الصهاينة الذين قالوا إن فلسطين في الأربعينيات كانت (أرضًا بلا شعب، لشعبٍ بلا أرض)، كذلك نشر المستوطنون الأفارقة البيض أسطورة عدم وجود سكان من السود في أفريقيا الجنوبية عندما استوطنوها أولًا في القرن السابع عشر. لقد احتلوها بقوة السلاح والإرهاب، وبعد سلسلةٍ من حروبٍ غزوٍ استعمارية دموية"(268).

أصبحت العلاقة وثيقة جدًا في منتصف السبعينيات لدرجة أن رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين وجّه دعوة إلى رئيس وزراء جنوب أفريقيا جون فورستر John Vorster لزيارة إسرائيل، مع جولةٍ في ياد فاشيم، النصب التذكاري للمحرقة اليهودية في القدس. كان فورستر متعاطفًا مع النازيين، وعضوًا في الجماعة الفاشية للأفارقة البيض في جنوب أفريقيا، أوسيوابراندواغ Ossewabrandwag أثناء الحرب العالمية الثانية. عبّر بفخر سنة 1942 عن إعجابه بألمانيا النازية. ومع ذلك، عندما وصل فورستر إلى إسرائيل

مكتبة ياسمين

سنة 1976، احتفل به رابين في عشاء دولة. رحّب رابين قائلًا: "نخبُ المُثل التي تتشاركُ فيها إسرائيل مع جنوب أفريقيا: الأمل بالعدالة والتعايش السلمي". واجهتْ كلتا الدولتين "عدم استقرار وتهور بتحريضٍ من الخارج".

بعد أشهر من زيارة فورستر، فسّر الكتاب السنوي لحكومة جنوب أفريقيا أن كلتا الدولتين كانتا تواجهان التحدي نفسه: "قبل كل شيء، هناك أمرٌ مشتركٌ بين إسرائيل وجنوب أفريقيا: تقعُ كل منهما وسط عالم مُعاد في الغالب، تسكنه شعوبٌ من أصحاب البشرة الداكنة"(269). كانت العلاقة بين الدولتين واسِعة، ولكنها مُحاطة بالسريّة. في أبريل 1975، تم توقيع اتفاقية أمنيّة حدّدت العلاقةَ على مدى عشرين سنة قادِمة. ذُكرتْ جملةٌ في الاتفاقية أن كلا الطرفين يتعهّدان بالمحافَظة على سريّة وجود الاتفاقية.

قال آلون ليل Alon Liel، سفير سابق في بريتوريا ورئيس مكتب وزارة الخارجية الإسرائيلية في جنوب أفريقيا خلال الثمانينيات، إن العلاقةَ الإسرائيلية والجنوب أفريقية كانت حيويةً للصناعات العسكرية في كلتا الدولتين، وتجعلهما لاعبَين عالميّين كبيرين. ناقض تصريح ليل أن كثيرًا من المؤسسات الأمنية الإسرائيلية قد أقنعتْ نفسها بأن إسرائيل كدولة مُحتلَة لا يمكن أن تبقى دون دعم الأفارقة البيض. في سنة 2021، كتب ليل مع سفيرٍ إسرائيلي آخر إلى جنوب أفريقيا هو إيلان باروخ Ilan Baruch أن إسرائيل كانت دولة فصلٍ عنصريَ استلهمتْ تجربة جنوب أفريقيا قبل سنة 1994.

فسّر ليل: "خلقْنا صناعة السلاح في جنوب

مكتبة ياسمين

أفريقيا. ساعدونا في تطوير تقنيات كثيرة لأنهم كانوا أغنياء. عندما كنّا نُطوّر أشياء مع بعضنا، كنّا نقدّم المعرفة التقنية عادة، وقدّموا هم الأموال. بعد سنة 1976، كانت هناك علاقة حُبٍّ بين المؤسسات الأمنية في الدولتين وجيشيهما. كنّا مشاركين في أنغولا (لم تعترف جنوب أفريقيا أبدًا باستقلال تلك الدولة سنة 1975، ودعمث خصومها) بشكل مستشارين في جيش جنوب أفريقيا. كان هنالك ضباط إسرائيليون مُتعاونون مع الجيش، وكانت العلاقة وثيقة جدًا"(270).

تجاهلت إسرائيل حظر تصدير السلاح إلى جنوب أفريقيا الذي فرضهُ مجلس الأمن الدولي، بينما كانت تقول للعالَم إنها كانت تمتثِل لذلك. قامت حنان بارون Hanan Bar-On، نائبة مدير وزارة الخارجية الإسرائيلية، بإرسال برقيةٍ لمدير الوزارة ديفيد كيمشي David Kimchi في 29 أغسطس 1984 لشرح "السياسة الإسرائيلية... هي أننا لا نَعترفُ مطلقًا (بهذه المبيعات للسلاح) لأيَ مُمثّلٍ إسرائيلي أو أجنبي، وبالتأكيد ليس لأي عضوٍ في الكونغرس الأمريكي، حتى لو اعتُبر صديقًا، وكانت العلاقة معه تُعتبر وثيقة".

كان الجانب الأكثر سريَة في العلاقة هو الدّعم المتبادل للقدرات النووية لدى كل منهما. قدّمت فرنسا وبريطانيا مواد أساسية لمساعدة إسرائيل في تطوير أسلحةٍ نووية، وبدأ الإنتاج على نطاقٍ واسع بعد حرب الأيام الستّة: مع وجود إمدادٍ وفيرٍ من اليورانيوم، كان لدى جنوب أفريقيا أساسًا لتبني عليه مخزونها الذاتي، ولكن إسرائيل قدّمت خبرةً تقنية. حسب رأي ضابط المخابرات الإسرائيلية السابق أري بن-مناشيه Ari Ben-Menashe، فقد

مكتبة ياسمين

سمحت جنوب أفريقيا لإسرائيل باختبار أسلحةٍ نووية في المحيط الهندي سنة 1979، على الرغم من أن إسرائيل أنكرت فعل ذلك(271). بل وعرضت إسرائيل بيع رؤوسٍ نووية لجنوب أفريقيا في السبعينيات (في صفقة لم تتمَ)(272).

تشير وثائق تم الإفراج عنها إلى أن جنوب أفريقيا أرادت الحصول على هذه الأسلحة لاحتمال ضربها دولًا مجاورة كمحاولة لردع الهجوم. تواطأ رئيس وزراء جنوب أفريقيا ب. و. بوثا P. W. Botha مع وزير الدفاع الإسرائيلي شيمون بيريز في اتفاقيةٍ للمحافظة على سريّة الصفقة تمامًا. في سنة 1974، ادّعت رسالةٌ من بيريز إلى جنوب أفريقيا أن كلتا الدولتَين "لدَيهما كراهية مشترَكة للظلم"، ودَفع من أجل "هوية مشترَكة في الآمال والمَصالح". مع حلول الثمانينيات، كانت إسرائيل المَصدّر الرئيسي للأسلحة إلى جنوب أفريقيا.

لم تكن واشنطن واعية تمامًا في البداية لمدَى تعاون إسرائيل مع جنوب أفريقيا في المجال النووي، ومازالت سريّة إسرائيل مستمرة حتى الآن؛ لم يتم تفتيش مفاعلها النووي في دَيمونة مطلقًا مِن جِهة الوكالة الدولية للطاقة النووية. يُفترَض أن لدَى إسرائيل أكثر من 200 رأس نووي. في أغسطس 2021، أثناء الاجتماع الأول بين الرئيس الأمريكي جو بايدن ورئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك نفتالي بينيت، أكّدت واشنطن مُجدّدًا على موقفها السابق بأن واشنطن لن تضغط على إسرائيل لكي تنضمَ إلى معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، أو التّخلي عن أسلحتها. وافقت إسرائيل على عدم القيام بأي تجارب نووية، أو التهديد بضربات نووية بينما تحافظ على "غموضها النووي"(273).

مكتبة ياسمين

في سنة 1971، كتب الصحفي س. ل. سلزبرغر C. L. Sulzberger في النيويورك تايمز أن إسرائيل وجنوب أفريقيا قد أصبحتا متقاربتين لدرجة أنه سمع إشاعة غير رسمية بأن "وفدًا من جنوب أفريقيا سافر إلى إسرائيل أثناء حرب الأيام الستة ليدرس التنظيم الحربي واستخدام الأسلحة "قال فورستر رئيس وزراء جنوب أفريقيا للصحفي إن إسرائيل واجهت "مشكلتها الخاصة في الفصل العنصري"، أي كيفية مواجهة العرب. لا تريد أي من الدولتين أن تضع مستقبلها كله بيد غالبيةٍ مُحيطةٍ بها، وتفضّل القتال"(274). قام كارل برنشتاين Carl Bernstein من فريق فضيحة ووترغيت في صحيفة الواشنطن بوست باتهام سلزبرغر سنة 1977 بأنه عميلٌ لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية(275).

لم تكن العلاقةُ المفيدة للطرفين تتعلّقُ فقط بالقدرة على الربح من قطاع الدفاع، بل كانت تقاربًا فكريًا بشأن كيفية التعامل مع شعوب غير مَرغوبة. كانت بانتوستانات جنوب أفريقيا، المناطق التي عاش فيها المقيمون السود دون حُكم ذاتيٍ، مَصدرَ إلهامٍ لكثيرين في النخبة الإسرائيلية كنموذجٍ يمكن تطبيقه في فلسطين. كانت تلك هي الرغبة بعزل الفلسطينيين "غير المرغوب بهم" في جيوبٍ غير مُتجاورة، أي بانتوستانات منعزلة عن بقية أنحاء الدولة - بكلمة أخرى، مثل الضفة الغربية هذه الأيام حيث يوجد 165 "جيبًا" فلسطينيًا مخنوقًا بمستوطنات إسرائيلية، وجيش الدفاع الإسرائيلي، ومستوطنين عنيفين عدوانيين.

في عهد الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، أعطيت تعليماتٌ للدبلوماسيين الإسرائيليين حول

مكتبة ياسمين

العالم ليقولوا لوسائل الإعلام إن الدولة اليهودية لم تعترف بالبانتوستانات. تلك كانت كذبةً كما ثبت في برقيةٍ أرسلها ناتان ميرون Natan Meron نائب مدير وزارة الخارجية بتاريخ 23 نوفمبر 1983: "ليس سرًا أن شخصيات سياسية إسرائيلية، وشخصيات عامة متورّطون بشكلٍ مباشر أو غير مباشر في نشاطٍ اقتصادي في البانتوستانات"(276).

مازال استخدام خِطاب فترة الفصل العنصري في جنوب أفريقيا للدفاع عن الاحتلال الإسرائيلي حيًا حتى أيامنا هذه. خلال حملة الانتخابات الإسرائيلية سنة 2019، وجّه زعيمُ المعارضة بيني غانتز الانتقاد لرئيس الوزراء بنيامين نتنياهو لأنه مَنع عضوتي الكونغرس الأمريكي إلهان عمر ورشيدة طليب من دخول إسرائيل والأراضي الفلسطينية. بدلًا عن ذلك، قال غانتز كان يجب السّماح لكلتا المرأتين للرؤية "بأعينهنَ" أن "أفضل مكان ليكون فيه المرء عربيًا في الشرق الأوسط هو في إسرائيل... والمكان الأفضل الثاني هو الضفة الغربية". يُذكّر هذا بتصريح زعيم الفَصل العنصري بجنوب أفريقيا جون فورستر لجريدة النيويورك تايمز سنة 1977 أن "مستوى معيشة السود في جنوب أفريقيا أعلى بمرتين إلى خمس مرات من أي دولة سوداء في أفريقيا"(277). كتب رئيس الوزراء السابق هندريك فيروارد Hendrik Verwoerd، أحد مهندسي الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، في صحيفة راند دايلي ميل سنة 1961 أن "إسرائيل هي دولة فصل عنصريَ، مثل جنوب أفريقيا" بعد أن أخذت فلسطين من العرب الذين "عاشوا هناك ألف سنة"(278).

مكتبة ياسمين

يُعرف عن رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق أرييل شارون إعجابه بالبانتوستانات، وكان واحدًا من أكبر المؤيدين لإنشاء المستوطنات في إسرائيل منذ السبعينيات، وأراد تطبيق ذلك في الضفة الغربية. كتب سفيز إسرائيل السابق أفي بريمور Avi Primor في مذكراته عن رحلة إلى جنوب أفريقيا في أوائل الثمانينيات مع وزير الدفاع شارون في ذلك الوقت، ويتذكّر أنّ شارون تأثّر عميقًا بمشروع البانتوستانات(279). صرّح رئيس وزراء إيطاليا السابق ماسيمو داليما Massimo D'Alema للصحيفة الإسرائيلية هآرتس سنة 2003 أن شارون ذكرَ له أن نموذج البانتوستانات كان الأكثر ملاءمَة لفلسطين(280).

اقترب انتهاءُ نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، وإجراء أوّل انتخابات ديموقراطية فيها سنة 1994، كانت إسرائيل إحدى آخر الدول التي حافظت على علاقاتها مع نظام الأقلية البيضاء. كانت المؤسسة الدفاعية الإسرائيلية قد أصبحت مَفتونة بدِعايَتها الذاتية، واعتقدت أن نظام الفصل العنصري يجب أن يستمرّ إلى الأبد. لاحَظ ذلك نيلسون مانديلا الذي قال في خطابه سنة 1993 إلى وفود الاشتراكية الدولية: "لن ينسى شعبُ جنوب أفريقيا أبدًا دعم دولة إسرائيل لنظام الفصل العنصري"(281).

كانت مهمَةُ إسرائيل منذ البداية أن تكون منارةً في قرن كان يُعاني بشكلٍ كارثي من مخاطر القومية الإثنية. تُقدّم إسرائيل اليوم إلهامًا وفكرًا مع معدات عسكرية ومخابراتية لتدعم جهودها في أداء هذه المهمة من أجل إيجاد وخلق دولٍ تماثلها في العقلية. لن تكون أيٌ منها مثل إسرائيل، غير أن

مكتبة ياسمين

نموذجها في التعصّب والفخر الذي لا يخجل من تفضيل اليهود على جميع الآخرين، يُشبه حزمةً يسهلُ نقلها وتكييفها لتناسب عددًا كبيرًا من الدول والسيناريوهات.

يتواجد مسؤولون أمريكان وإسرائيليون في كثير من الدول حول العالم للقيام بتدريب أو تسليح أو للضغط على مسؤولين محليين من أجل دعم سياساتهم في الهجرة، ومحاربة الإرهاب، وعمل الشرطة. ترسّخ دول الشمال العالمي، الذي يشمل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وأستراليا وإسرائيل، قوّتها بلا رحمة، وتُسيطِر على أربعة أخماس الدّخل العالمي، لأنها لا تريد مشاركةَ ثروتها(282). يجب إدارة هذه البُنية في السيطَرة داخل الدولة، وأيضًا حول العالم مع دولٍ تابعة يمكن الاعتماد عليها. الحدود الخارجية بين هذه الدول تكاد تكون غير مَرئية، ولكنها قوية من الناحية الفكرية الإيديولوجية. يشمَل ذلك حِرص إسرائيل على إبقاء الفلسطينيين في حيٍّ مُغلَق، وإرسال أستراليا اللاجئين بالقوة في زوارق إلى جُزر المحيط الهادي البعيدة الخطرة، وسَماح الاتحاد الأوروبي قصدًا بِغرق المهاجرين من غير البيض في البحر الأبيض المتوسط، وطَرد الولايات المتحدة لأشخاص من أمريكا اللاتينية الهاربين غالبًا من سياساتٍ في بلادهم تم تصميمها في واشنطن أصلًا.

أما بالنسبة إلى الهند في عهد رئيس وزرائها ناريندرا مودي وحزبه الهندوسي القومي بهاراتيا جاناتا، فإن كشمير هي ولايةٌ نظيفة يمكن أن تُفرض عليها رؤيةٌ جديدة للهوية الهندية. في سنة 2019، ألغت حكومةُ مودي معظم المادتين 370، وA35 في الدستور الهندي، وعلّقت دستور جامو وكشمير

مكتبة ياسمين

لمنح الهند سيطرة تكاد تكون تامّة في الأراضي المتنازع عليها بعد سبعين سنة من الحكم الذاتي الجزئي. تحرّك مودي بسرعة لتطبيق خطّة تشبه فلسطين كثيرًا تحت السيطرة الإسرائيلية (إنما مع اختلافات مهمّة)(283).

إنها مقارنة غير مفقودة بالنسبة للشعب الأكثر تأثرًا بها. يعتقد الكاتب الكشميري عارف أياز باري Arif Ayaz Parrey أن مثال مودي كان فلسفيًا وسياسيًا. أخبرني أنّ "طبيعة الصراعات في كشمير وفلسطين ربما تكون على طرفي قطبين متباعدين، إنما يُجبر الناس في الموضعين أساسًا على فعل ما يريدونه، وعمل ما لا يُحقّق فائدةً لهم؛ مما يُعتبر خسارةً حتى مِن وجهة نظرٍ مُحايدة. يَظهر ذلك في فلسطين بشكلِ خسارة الأرض (الذي يؤدي في النهاية إلى خسارة الهوية)، ويَظهر في كشمير بشكلِ خسارة الهوية (الذي يمكن أن يُترجَم ذات يوم إلى خسارة الأرض). آلياتُ القهر في البلدين تتوحّد في هذه الحقيقة".

تُذكِّر كثيرٌ من كتابات الكشميريين عندما يصِفون عذابهم ونضالهم بالفلسطينيين عندما يَطمَحون إلى اليوم الذي ستأتي فيه الحرية. كتبَ باري في مقدمة كِتاب "أكواب شاي نون": "أسيادنا الحاليون لا يريدون حتى استغلالنا". خسر 118 شخصًا أرواحهم خلال صيف عنيف في كشمير سنة 2010. "إنهم يتمنّون لو أننا نختفي من الوجود لكي يحصلوا على أرضٍ خالية يملؤونها بأساطيرهم عن السماء والفردوس"(284).

لم تحظ جبالُ كشمير بالسلام إلا نادرًا منذ أن قامت الإدارةُ البريطانية المغادرة سنة 1947 بتقسيم شبه القارة الهندية بين الدولتين

مكتبة ياسمين

الجديدتين: الهند وباكستان. في القرن الحادي والعشرين، كان الاحتلال في كلٍ من فلسطين وكشمير عنيفًا وقاسيًا بدرجات متساوية، إلا أنهما حظيا بدرجاتٍ متفاوتة من الاهتمام الدولي. أشار إلى ذلك خورام بارفيز Khurram Parvez، مُنسّق تحالف المجتمع المدني في جامو وكشمير، وهو تجمُّع لمنظمات الحقوق المدنية، الذي قال سنة 2020 عندما هدّدت إسرائيل بضمّ الضفة الغربية: "إنَّ ضمّ كشمير فعلٌ شرير مثل ضمّ فلسطين، غير أنه تمّ التخلي عنّا وإهمالنا. يبدو أن هناك تأييدٌ ضمني لِضمّ كشمير... نُدرك مدى الألم الذي يسبّبه اتّخاذ آخرين قرارًا بشأن أرضك وحقوقك ومستقبلكَ"(285). يستخدِم الكشميريون مصطلح "الانتفاضة" في وصف نضالهم الذي استمرّ عقودًا ضدّ الحُكم الهندي.

لا يقوم المسؤولون الهنود بمحاولة إخفاء إعجابهم بالاحتلال الإسرائيلي. في نوفمبر 2019، قال القنصل الهندي العام في نيويورك سانديب شاكرافورتي Sandeep Chakravorty في مناسبةٍ خاصة للهندوس الكشميريين في نيويورك إنه يعتقد بأن "الوضع الأمني سيتحسّن، وسيسمح للاجئين بالعودة، وستتمكّنون من العودة خلال حياتكم هذه... وستجدون الأمن لأنّ لدينا الآن نموذجًا لهذا في العالم. لستُ أدري لماذا لا نُقلّده. لقد حدث في الشرق الأوسط. إذا استطاع الإسرائيليون تحقيقه، نستطيع ذلك نحن أيضًا". كانت إدارة مودي "مصمّمة" على فعل ذلك(286).

اتّضحت العلاقاتُ المزدهرة بين إسرائيل والهند بمصطلحاتٍ مالية بحتة. في الفترة 2015-2020، كانت الهند السّوق الرئيسية لتصدير السلاح

مكتبة ياسمين

الإسرائيلي، وشكّلت 43 بالمئة من مُجمل المبيعات. وفي سنة 2020، كانت الهند المشتري الأكبر للأسلحة الإسرائيلية. في سنة 2019، كانت إسرائيل ثامن أكبر مُصدّر للأسلحة في العالم. حلّقت طائرات هيرون الإسرائيلية المسيّرة فوق كشمير مثلما كانت تُحلّق فوق الأراضي الفلسطينية المحتلّة.

لم تكن المودّة المتزايدة بين إسرائيل والهند فكريةً فقط - تبنّيهما المشترك للقومية الإثنية - وقد ساعد تبادل الوسائل الدفاعية على تعميقها. لا تحتاج الهند لإسرائيل لكي تُعلّمها كيفية قمع الكشميريين، غير أن الدولة اليهودية قد منحت أكبر ديموقراطية في العالم الوسائلَ والشرعية لكي تتوجّه نحو القمع بتَعصّب شديد.

لم تكن كشمير المكان الوحيد الذي تُطبّقُ فيه الهند سياسات إسرائيلية، ففي سنة 2022، هدَمت السلطات في ولاية أوتار براديش Uttar Pradesh بيوت مسلمين اتُّهموا بعلاقتهم مع مظاهرات دينية تَحوّلت إلى العنف. يُذكّر مَنظر الجرافات وهي تَهدم البيوت بشكلٍ مخيف بتصرفات الإسرائيليين ضد المباني الفلسطينية في القدس الشرقية والضفة الغربية. ادّعت الهند، مثلما ادّعت إسرائيل، أن البيوت كانت قد بُنيت بشكلٍ غير قانوني.

حرّضت مجلةُ تابلت Tablet المؤيدة لإسرائيل على ترسيخ روابط أقوى مع الهند لأن "إسرائيل تمتلك التقنيات وإرادة العمل بحرية نسبية وثقة في مواجهة التهديدات". ادّعى الكاتب أن الهند أرادت الحصول على حرية مماثلة، نقلًا عن تانفي مادام Tanvi Madam، مدير مشروع الهند في مؤسسة بروكينغز الذي قال إن النخبة الهندية

مكتبة ياسمين

كانت لديها "غيرة عملياتية" من إسرائيل "تنبع من إحباطٍ حقيقي... على مدى عقدين لأن باكستان قد استخدمت هذه الجماعات الإرهابية بشكلٍ فعّال، بينما لا تستطيع الهند أن تردّ بالمثل مثلما تستطيع أي دولة أخرى، وذلك بسبب الأسلحة النووية"(287).

ترجع العلاقة بين الدولتين إلى زمن طويل، غير أنها لم تكن حميمية دائمًا. لم تعترف الهند بإسرائيل حتى سنة 1950. قبل ذلك بسنوات، كتب الماهاتما غاندي سنة 1938 مفسّرًا أن "النداء من أجل وطن قومي لليهود" كان أمرًا يُعارِضه هو لأنّ "فلسطين مُلكٌ للعرب". وهكذا حتى سنة 1992، تصوّرت الهند نفسِها عضوًا رائدًا في حركة عدم الانحياز، ووصفت نضالها من أجل الهوية من خلال التقارب الإيديولوجي مع فلسطين.

بعد اتفاقيات أوسلو في التسعينيات، بدأت هذه الفعالية في التحوّل، وأصبحت الهندُ أكثر اهتماما بشراء أسلحة إسرائيلية، وطائرات مسيّرة، وأسوار إلكترونية لكَشف تحركات البشر. زار الهند رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون في سبتمبر 2003 في عهد رئيس وزراء الهند السابق أتال بيهاري فاجبايي Atal Bihari Vajpayee. وقّعا تصريح دلهي للصداقة والتعاون بين الهند وإسرائيل الذي ينصّ على أن "إسرائيل والهند شركاء في القتال ضد بلاء الإرهاب"، وأنه "لا يمكن المساومة في الحرب ضد الإرهاب"(288).

سار نمو الاحترام المتبادل يدًا بيدٍ مع ازدهار القومية الهندوسية. كان مادهاف ساداشيف غولواكر Madhav Sadashiv Golwalker، الأب المؤسّس للمنظّمة الهندوسية القومية شبه

مكتبة ياسمين

العسكرية راشتريا سوايامسيفاك سانغ Rashtriya Swayamsevak Sangh مُعجبًا بالنازية. تُشكّلُ القوميةُ الهندوسية وكراهية المسلمين لبّ تفكير الحزب القومي الهندوسي. كتب رائذ هذه الإيديولوجية فيير سافاركار Veer Savarkar أن نموذج الهند بالنسبة "لمشكلة المسلمين" يجب أن يكون كيفية تعامل النازيين مع "مشكلة اليهود". تطوّرت منظمةُ راشتريا سوايامسيفاك سانغ منذ تأسيسها، غير أن الإعجاب بالنازية يظلُّ قائمًا في بعض الأجزاء المعاصرة في هذا الحزب.

ومع ذلك، فلطالما أُعجب القوميون الهندوس بفكرة إسرائيل كدولةٍ إثنية (على الرغم من أنهم لا يُحبّون اليهود؛ يوجد تفكير مماثل عند اليمين المتطرف العالمي هذه الأيام). في سنة 1947، كتب سافاركار "وإذًا، يجب التأكيد من الناحية التاريخية على أن كامل فلسطين كانت الوطن القومي للشعب اليهودي قبل ألفي سنة على الأقل من ولادة النبي المسلم".

القيادةُ الحالية التي تملك قبضةً حديديةً على البرلمان الهندي مشحونةٌ بالثناء على إسرائيل. في سنة 2016، عبّر زعيمُ المنظمة الهندوسية القومية موهان بهاجوات Mohan Bhagwat عن إعجابه بالدولة اليهودية عندما قال: "هاجمت الدولُ الإسلامية المُحيطة بإسرائيل تلك الدولة خمس مرات، إلا أن الشعب الإسرائيلي صدّ اعتداءاتهم، ووسّع حدوده بفضل العزيمة القوية لإنقاذ الوطن الأم"(289).

منذ انتخاب مودي سنة 2014، تكبّد المسلمون الهنود موجةً متفاقمة من عمليات الإعدام خارج القانون، والعنف، والتهديدات بالتطهير العرقي،

مكتبة ياسمين

وخطاب الكراهية. زميت جثث الكشميريين الذين قتلتهم السلطات بعيدًا عن عائلات الضحايا، أو لم تتم إعادتهم في الوقت المناسب، وهذه عملياتٌ تُذكّر بأعمال جيش الدفاع الإسرائيلي. تُجبز العائلاث الحزينة على الحداد أمام قبورٍ فارغة(290). تُهاجم المسلمات المحجّبات، وتُحرم الفتيات المسلمات من التعليم في بعض الولايات بسبب ارتدائهن الحجاب.

ليس من المستغرب أنّ خوف الأمّة من الأجانب قد تَغلغل في الثقافة الشعبية. لطالما غرفت صناعةُ السينما الهندية في بوليوود بمشاركة المسلمين في كافة جوانب صناعتها السينمائية، وقد اضطرت لتبني وجهة النظر المعادية للإسلام. رحّب كثيرون في بوليوود ببرنامج القومية الهندوسية المتشدَدة، وأنتجوا أفلامًا احتفت صراحةً بأعمال القوات المسلحة الهندية. وبطريقةٍ مماثلة، كان المسلسل الإسرائيلي فاودا Fauda، الذي يعرض أعمالَ عملاء سريّين في الضفة الغربية، يتمتّع بشعبيةٍ هائلة بين الهنود اليمينيين وهم يتفرّجون على عَرضٍ تجميلي للحرب ضد الإرهاب والدعاية ضد الإسلاميين بشكلٍ إنتاجٍ بارع. خلال الإغلاق العام بسبب جائحة كوفيد-19 في مايو 2020، كتب سوبرامانيان سوامي Subramanian Swamy عضو اللجنة التنفيذية للحزب القومي الهندوسي أنه يُحبُّ مسلسل فاودا(291).

وافقت "الحربُ على الإرهاب" بعد أحداث 11 سبتمبر خطط كلٍّ من الهند وإسرائيل في السيطرة على السكان غير المرغوب بهم. ومن أجل ذلك درّبث إسرائيل قوات هندية على مكافحة التمرد. بعد اتفاقيةٍ أُبرمث سنة 2014 بين إسرائيل

مكتبة ياسمين

والهند تتعهّدان فيها على التعاون في "الأمن العام والوطني"، زار إسرائيل عددٌ لا يُحصى من الضباط الهنود، والقوات الخاصة، والمغاوير من أجل التدريب. في سنة 2020، رفضت إسرائيل فحص ضباط شرطة هنود للتأكد من أنهم لم يرتكبوا أية إساءات في الهند. طلب الإسرائيلي إيتاي ماك محامي حقوق الإنسان مع بعض النشطاء في سنة 2020 من المحكمة الإسرائيلية العليا أن تمنع إسرائيل من تدريب ضباط الشرطة الهنود الذين "يخدعون ويقتلون ويغتصبون ويُعذّبون ويحبسون مدنيين في كشمير". رفضت المحكمةُ ذلك الطّلب، "دون الانتقاص من أهميةِ قضيةِ انتهاكات حقوق الإنسان في كشمير" حَسب تعبير ثلاثة قُضاة.

رسّخ بنيامين نتنياهو ومودي العلاقةَ بينهما خلال عهد الأول في منصبه. بل ومَنحث إسرائيل تجّار السلاح استثناءً للسفر أثناء الإغلاق العام خلال جائحة كوفيد-19 في أوائل 2021 لأن كثيرًا من الإسرائيليين أرادوا حضور واحد من أكبر مَعارِض السلاح العالمية وهو مَعرض Aero India في الهند. استأجرت شركاث السلاح طائرةً خاصة للذهاب إلى هناك(292). في سنة 2022، اجتمع الرئيس الأمريكي جو بايدن مع رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك يائير لابيد، ومودي، ورئيس الإمارات العربية المتحدة الشيخ محمد بن زايد آل نهيان في أول اجتماع لهيئة I2U2"" التي تسعى لتوثيق العلاقات بين هذه الدول.

وقع حادثٌ دبلوماسي في نوفمبر 2022 وصل إلى قلب العلاقة الإسرائيلية-الهندية. أدان ناداف لابيد Nadav Lapid، صانع أفلامٍ إسرائيلي بارز ورئيس لجنة التحكيم مهرجان الفيلم العالمي في

الهند، فيلمًا في المسابقة هو "ملفات كشمير" عن اضطهاد الهندوس في كشمير، ووصفه بأنه "دعاية" و"مبتذل". كانت حكومة مودي تدعم الفيلم، وكان فيلمًا تجاريًا ناجحًا. ردًا على ذلك، تلقى لابيد سيلًا عارمًا من الانتقادات من جهة القوميين الهنود، ومن مسؤولين في حكومة مودي. كتب سفير إسرائيل في الهند أن لابيد "يجب أن يخجل"، مدفوعًا وراء قلقه من أن الحكومة الهندية قد تُخفِّض دعمها للدولة اليهودية. كانت لحظةً مُحبطة، ولكنها كاشفة، وقد أظهرت الحالة الخطيرة التي وصل إليها الجدال الشعبي العام في الدولتين بشأن القومية والإرهاب.

احتفى كثير من المُعلّقين الهنود بتحركات مودي في كشمير، وهي منطقةٌ يزيد عدد سكانها على 12 مليونا تحت سلطة احتلالٍ قوامها نحو نصف مليون جندي هندي، ومدحه العلني للردّ الإسرائيلي على الفلسطينيين، وتحفيز الهند على تقليدها في ذلك. في أغسطس 2019، بعد أسبوعين من إلغاء المادة 370، كتبَ أبهيجيت إيير ميترا Abhijit Iyer Mitra في مَوقع The Print على الإنترنت أن مسؤولين هنودًا كانوا يُبالغون في منع جميع الاتصالات في كشمير، بما فيها الهواتف والإنترنت. وبدلًا عن ذلك، مدح إسرائيل بسبب كيفية تعاملها مع ما يسمَى بالانتفاضة الصامتة سنة 2014، في فترة زيادة العنف في القدس، عن طريق "التدخل قبل حدوث التجمع، وتجنّبث بعملها هذا إزعاج الشعب الفلسطيني ككلَ. لم يكن أصلُ ذلك قطع الاتصالات، بل السّماح للاتصالات بالتدفّق بحرّية"(293).

كانت تلك قراءة خاطئة مقصودة لما فعلت

إسرائيل أنذاك، لأنها تابعت سياستها المستمرة التي يتمّ فيها هدمُ بيوت من يُشتبه بهم كمسلّحين مقاتلين. وصفت هيئةُ مراقبة حقوق الإنسان هذه السياسة بأنها "جريمةُ حربٍ تُعاقب بشكلٍ غير قانوني أناسًا لم يتمّ اتهامهم بعمل أي مخالفة".

كانت التشابه واضحًا بين المستوطنات في كشمير وفي إسرائيل. منذ سنة 2019، ولأول مرة منذ أكثر من قرن، سُمح لغير الكشميريين بشراء ممتلكات وأراضٍ في محاولةٍ لتغيير البنية السكانية للمنطقة. خاف الكشميريون من المستوطنين الهنود الذين استولوا على مساحاتٍ كبيرة من منطقتهم، سواء كانوا مدنيين أو مسلحين.

يُعاني الكشميريون في هذا الجوّ الخانق، وفيه تَذكيرٌ يوميٌ بأنهم تحت الاحتلال. قالت لي أنورادها باهسين Anuradha Bhasin، وهي المحرّر التنفيذي لصحيفة كشمير تايمز وتعيش في ولاية جامو: "في ظاهر الأمر، تظلُّ الحياة في جامو طبيعية. في سريناغار Srinagar، يجب على المرء التعامل باستمرار مع الاستحكامات العسكرية المتزايدة، ونقاط التفتيش، والخوف من الوقوع في حادث حريق متعمّد. إغلاقاتُ الإنترنت متكررة، والقيود على التحرك تُفرض أحيانًا من جهة قوات الأمن. وهذا كله مُرهق نفسيًا، لأن على المرء أن يتعامل باستمرار مع الحزن الشديد والصدمات الكبيرة".

أدركت باهسين كمحررة لصحيفة يومية أن وسائل الإعلام كانت مضطرة "لتسليط الضوء فقط على الصورة الإيجابية للحكومة. إنهم يُضيّقون الخناق على كل كلمة انتقاد". تم حذفُ سجلات الجرائد على الإنترنت، بما فيها جريدتها، عن

طريق قراصنة إنترنت مجهولين، من المحتمل أنهم من طرف الدولة الهندية، لإزالة أدلّة على التقارير الناقدة(294). قالت إن نظام مودي قدّم مجموعةً كبيرة من التشريعات "لكي ينزع أملاك السكان المحليين بسهولة، ويهجّرهم، ويشجّع إنشاء مستوطنات جديدة، ويمنح مساحات واسعة من الأرض لجماعات الضغط التجارية الهندية بأسعار زهيدة لبدء مشاريعها، بما فيها المناجم".

كانت النتيجة النهائية "استلهام النمط الإسرائيلي بتصميمٍ يَتخلّص من سكان كشمير بأساليب مختلفة، ويُدخل أغلبية هندوسية تدريجيًا، مع دَفع مُسلمي كشمير نحو الأطراف بوسائل قمعية عسكرية".

عندما سألت باهسين ما هو أكثر ما تَخافه في السنوات العَشر القادمة، أجابت: "إذا سارَت الأمور كما يريد الحِزب الهندوسي القومي فستكون كشمير في الطريق لتصبح قطاع غزة آخر". على الرغم من أنها قالت إن ظهور تمرّد جديد هو أمرٌ حتميٌ تقريبًا، وإن المسار المتوقّع لكشمير هو "الفوضى والعنف".

كان الخوف في ظلّ سلطة مودي من احتمال تحويل الهند تمامًا إلى نسخة هندوستان من إسرائيل، هندوسية يمينية متطرفة لا تَتحمّل سوى معارضة ضعيفة وبعض المسلمين. ترسّخ هذا التوجّه في أواخر سنة 2019 عندما أقرّت الحكومةُ الهندية قانون تعديل الجنسية، وهو قانونٌ يسمح لأفرادٍ من الفئات الهندوسية واليانية والبارسية والسيخ والبوذية والمسيحية من باكستان وبنغلاديش وأفغانستان بطلب الجنسية في الهند. تم استبعاد المسلمين قصدًا. وكما هو الحال في إسرائيل، فقد ارتبطت الجنسيةُ ارتباطًا

مكتبة ياسمين

وثيقًا بالدّين.

بالنسبة للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، تُسيطر إسرائيل على سجلّ السكان، وتتركهم تحت رحمة أهواء الاحتلال الإسرائيلي. سيطرت إسرائيل على هذا السّجل منذ سنة 1967، مع سُلطة مطلقة على منح جوازات السفر وبطاقات الهوية للفلسطينيين، وبالتالي التأثير على حقّهم بالدخول والخروج من المناطق المحتلّة(295). لأنّ إسرائيل توقّفت عن معالجة طلبات لمّ الشمل للأسَر الفلسطينية، يَعيش آلاف من الفلسطينيين بدون جنسية، ولا يستطيعون الحصول على الأعمال، أو الرعاية الصحية، أو التعليم المناسب، أو النظام القضائي.

يخشى مسؤولون هنود من ثورةٍ على النمط الفلسطيني ضدّ حُكمها في كشمير، أو الادّعاء بأنهم يخشون حدوث ذلك على الأقل، لِتبرير تدابير مضادّة قاسية. أثناء الصراع بين إسرائيل وحركة حماس في مايو 2021، ظهرَت جِدارية في سريناغار ذُكِر فيها "نحن فلسطين"، واضطر فنانُ الرّسم على الجدران موداسير غول Mudasie Gul إلى تشويه أعمالِه قبل أن يُقبض عليه. أُلقي القبض على 20 كشميريًا بسبب التظاهر تأييدًا لفلسطين.

يتم تدمير جماعات حقوق الإنسان الكشميرية، ولا تكاد توجد حرية الصحافة. ترتيبُ الهند 142 من 180 دولة في تقارير المؤشر العالمي لحرية الصحافة الذي تُصدرُهُ جمعيةُ مراسلين بلا حدود. لم يشأ الحزب الهندوسي القومي التعامل مع أي حركةٍ وليدة قد تتحدّى حكمهُ ذات يوم بشكلٍ جدّيّ في كشمير. كان هنالك خطرٌ أكثر جدية في التهديد بتطرُّف الغالبية الهندية وتوجّهها نحو عنفٍ شديد

مكتبة ياسمين

ضد المسلمين، من خطر أقليةٍ تجرؤ على المقاومة بعنف.

روّج الحزب القومي الهندوسي لموقع "الهند تقف إلى جانب إسرائيل #IndiaStandWithIsrael" في وسائل التواصل الاجتماعي، وكتبث رانا أيوب Rana Ayyub، وهي صحفيةٌ هندية مستقلة رائدة "فحصث معظم التعليقات في موقع #IndiaStandWithIsrael ووجدث أن خيطًا مشتركًا يربط بينها هو كراهيةٌ عميقة للمسلمين، ورغبةٌ دموية لرؤية المسلمين يُذبحون. تابع هذه التعليقات واحد أو أكثر من وزراء الحزب القومي الهندوسي، أو رئيس الوزراء بنفسه". كتب غواراف غويل Guarav Goel، المتحدّث باسم الحزب القومي الهندوسي في المدينة الهندية الشمالية تشانديغرا Chandigrah أن "أنا أؤيدُ إسرائيل، وليس جماعات إرهابية مثل حركة حماس. أطلبُ من إسرائيل ألا تُبدي أي رحمة نحو الإرهابيين". ساهم بعض الهنود في انتشار موقع #IndiaStandWithIsrael(296).

مثلما يقوم الجيش الإسرائيلي بحملات إلكترونية متقدّمة في منصّات عديدة، أصبحث خليةُ المعلوماتية التابعة للحزب القومي الهندوسي، وقسم وسائل التواصل الاجتماعي التابع لها، تتمتّع بكفاءة عالية في تقديم نمطٍ عدوانيٍ كارهٍ في معظم الأحيان(297). قامث المُبلّغة فرانسيس هاوغين Frances Haugen على منصّة فيسبوك بتفصيل الأساليب التي تقوم بها هذه المنصّة قصدًا بتضخيم مثل هذه الأساليب في التفريق من أجل الربح، وقالث إن صفحات فيسبوك التي يُديرها مؤيدون للحزب القومي الهندوسي، والتي تدعمها

المنظمة الهندوسية القومية تطرح "سردًا مُعاديًا للمسلمين يثير الخوف". كان في فيسبوك عددٌ قليل من المحرِّرين الذين يتقنون اللغة الهندية لتمحيص خطاب الكراهية بشكلٍ صحيح، وبالتالي، لم تتمَّ الإشارة إليه ولا حجبه(298). الهند هي أكبر أسواق فيسبوك، ويضمُّ أكثر من 340 مليون مُستخدم(299). يتم إلقاء القبض على الشباب الكشميري بشكل نمطيّ متكرِّر، ويتم تعذيبهم بسبب كتاباتهم في وسائل التواصل الاجتماعي، كما تَستخدِم الشرطة الإلكترونية تقنيات مراقبة لمتابعة جميع السكان(300).

بعد أن قدَّم مسؤولون كبار في الحِزب القومي الهندوسي تعليقاتٍ مُشينة عن النبي محمد سنة 2022 أشعلت عاصفةً من الاستنكارات الدولية، ناح الكاتب الحائز على جائزة بوكر أروندهاتي روي Arundhati Roy قائلًا: "الهند تجربةٌ تفشل بشكل خطير". وذكَر تعليقاته المرتبطَة مباشرة بصفقات السلاح الإسرائيلي الضخمة مع الهند أنه "إذا كانت الهند تشتري أسطولًا من الطائرات المقاتِلة من فرنسا مثلًا، فإنها تَعرف أن القَتل خارج نطاق القانون، وأن ممارسةَ قَتلٍ جماعيَ قليل، سيؤدي غالبًا إلى تنبيهٍ لَطيفٍ بهزِّ الأصابع. السّوقُ الكبيرة هي ضمانٌ عظيم ضد اللوم الأخلاقي"(301).

يخشى الغربُ من التسلّطية التقنية الصينية. اللغةُ المستخدمة بائسة، والمخاوف متزايدة. المقصودُ من القراء أو المتصفّحين أن يتشكّل لديهم الانطباع بأن بكين في عهد الرئيس شي جين بينغ ستخلق أرضيةً عالمية من السيطرة، وهذا تهديدٌ واضح للعالم لا يشبه التهديد الذي تمثّله أي دولة أخرى.

انظر مثلًا إلى المقالة التي نُشرت في مجلة أتلانتيك في سبتمبر 2020 التي رسم فيها الصحفي روس أندرسون Ros Anderson صورةً مرعبة للصين التي تريد السيطرة على عالم الذكاء الاصطناعي. كتب "في المستقبل القريب، سيُمكن على الفور تمييز كل شخص يدخل فضاءً عامًا عن طريق قيام الذكاء الاصطناعي بمطابقتهم مع قاعدة بيانات شخصيةٍ هائلة تضمُّ جميع مراسلاتهم المكتوبة، والبنية البروتينية الفريدة لكل شخص". وذكر أن خوارزمياتٍ ستتمكّنُ قريبًا من جمع كثير من البيانات الخاصة، مثل عادات القراءة، والشراء، وسجلات السفر، والأصدقاء، إضافة إلى توقُّع المعارَضة السياسية قبل أن تَحدث(302).

لدى الصين طموحٌ عالميّ بسبب تقنيات المراقبة التي طوّرتها، وجرّبتها، وطبّقتها في أراضيها الواسعة. طوّرت بكين نظامَ المراقبة التقنية الأكثر تقدُّمًا في التاريخ لِجمع كميات ضخمة من المعلومات حول جميع مواطنيها في محاولةٍ لِتوقُّع سلوكِهم(303). لاحظت منظمةُ حقوق الإنسان وجودَ تشابُه بين القمع الذي عانى منه الفلسطينيون، والقمع الذي عانى منه 12 مليون من الأويغور، باستِخدام تقنياتٍ ووسائل متشابِهة: "في سياق شينجيانغ، والسّياق الفلسطيني-الإسرائيلي، تُغذّي المراقبةُ انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان بتمكين السُلطات من التّعرُّف السريع على المعارضة السّلمية والتّخلص منها، وتطبيق السّيطرة الاقتحامية على جزء كبير من السكان"(304).

لا تحتاج كل من الصين وإسرائيل إلى الأخرى من أجل قمع أقلياتهما غير المرغوب بها. فقد قضى كل منهما سنوات في تطوير تقنيات فعل ذلك، ومع

مكتبة ياسمين

ذلك يتزايد تعاونهما وتواطؤهما(305). ازدهرت العلاقة الدفاعية مع نهاية الحرب الباردة، ورسّخها بيع إسرائيل أسلحة إلى بكين بعد مذبحة ساحة تيان مان سنة 1989، في الوقت الذي فرضت فيه كثير من الدول الأخرى حظر تصدير السلاح إلى الصين. قامت الشركة الإسرائيلية ماغال Magal Security Systems ببناء أسوارٍ وجدران عالية التقنية على طول الحدود الإسرائيلية الجنوبية والشمالية، إضافة إلى جدار الفصل العنصري الطويل بين إسرائيل والضفة الغربية، وقد ركّبت أنظمة مراقبة في مطارات الصين(306).

سعت الصين للحصول على نصيحة إسرائيل بشأن كيفية التعامل مع ما اعتبرته الدولتان تهديدًا من جهة الإسلام المتطرف، أو حتى من جهة المسلمين المسالِمين الذين لم يُعتبروا وطَنيين بما فيه الكفاية(307). عندما حثّت عشرات الدول في الأمم المتحدة الصين على احترام حقوق الأويغور في أكتوبر 2021، كانت إسرائيل استثناءً واضحًا. ينسجم ذلك مع نمطٍ استمرّ فترة عقود مِن تَجاهل الدولة اليهودية للقمع في أماكن أخرى من العالَم. ولذلك لم يكن مُستغربًا أن تُظهِر دراسة قام بها مركز بيو للأبحاث أن غالبية الإسرائيليين فضّلوا علاقاتٍ اقتصادية أقوى مع الصين، في تباين مع دول غربية أخرى، ولو كان في ذلك تجاهل لقضايا حقوق الإنسان.

وقائع قمع الأويغور صادمة: إنها خطة مقصودة لاستهداف ثقافتهم وهويتهم. ومع ذلك، عندما قام مايك بومبيو Mike Pompeo، وزير خارجية الولايات المتحدة ورئيس وكالة المخابرات الأمريكية المخلص للرئيس دونالد ترامب، باتهام

مكتبة ياسمين

بكين أنها ترتكب إبادة جماعية "مستمرَة" ضد الأويغور، قبل أقلَ من 24 ساعة قبل مغادرته لمنصبه في يناير 2021، كان من الصعب ألا يشعر المرء بالسخرية من هذا الوصف، وألا يلاحظ المعايير المزدوجة العميقة في هذا التصريح. فبينما لا يمكن إنكار أن الصين تُحاول القضاء على المسلمين الأويغور في شينجيانغ، لا تهتمُ واشنطن فعليًا بشأن انتهاكات الصين لحقوق الإنسان، بل تهتمُ فقط بالتحديات التي تمثّلها تجاه هيمنتها العالمية. بينما تخوض الولاياث المتحدة والصين الآن صراعًا على السيطرة، قد تحلُ بكين محلَ واشنطن بصِفتها القوة العالمية العظمى في العقد القادم، وتُعتبر انتهاكاث الصين ضد شعب الأويغور سلاحًا مناسبًا تستطيع الولايات المتحدة استعماله ضد الصين.

تتّبِعُ كثيرٌ من وسائل الإعلام الدولية هذا السّياق مُكرِّرَةً خِطاب واشنطن بشأن الأويغور، وتَصنيف الصين كتهديدٍ رئيسي ضد شعبها وضد العالَم. في سنة 2021، كتبَ توماس فريدمان، الصحفي في النيويورك تايمز المؤيِّد لحرب العراق وإسرائيل، تحت عنوان "ما الذي سيحدث بعد الحرب على الإرهاب؟ الحرب مع الصين؟"(308). تضمَن هذا السياق معظم التقارير الغربية منذ ظهور جائحة كوفيد-19 في أواخر 2019، ومعاداة إدارة الرئيس ترامب ضد بكين.

من المسلّم به في عالم المؤسسات الفكرية ووسائل الإعلام أن تسلُطية الصين ستنتشر في العالم، ولكن عندما سألث أولريكى فرانكى Ulrike Franke، خبيرة الطائرات المسيّرة والزميلة الكبيرة في المجلس الأوروبي للشؤون الدولية، عن

الصادرات الإسرائيلية الدفاعية، عبّرت عن دهشتها من وصفي لتلك الصادرات أنها أكثر تأثيرًا من صادرات الصين. شعرت أنها لم تفكّر بذلك مطلقًا. لم تُنكر استخدام الطائرات المسيّرة الإسرائيلية في الصراعات العالمية، وقالت إن إسرائيل كانت واحدة من الرّواد العالميين في هذه التقنيات، إضافة إلى الولايات المتحدة والصين وتركيا. وذكرت أنه عندما تُصدّر الصين معدات المراقبة لدول تسلّطية أخرى، فمن المحتمل أن بكين تستطيع الحصول على المعلومات والبيانات التي يتم الحصول عليها، وأن تستخدمها لمصلحتها الذاتية. ومع ذلك فإن هذا هو ما فعلته إسرائيل بالضبط مع عشرات من الدول عندما تبيع برنامج بيغاسوس الذي تُنتِجه شركة NSO لاختراق الهواتف المحمولة.

ولكن إذا كانت التقنيات الصينية وأيديولوجيتها تهديدًا للعالم، فلماذا لا تُعتبر إسرائيل بالطريقة ذاتها؟ لا يمكن إنكار أن إسرائيل، وهي دولةٌ ذات عدد قليل من السكان مقارنة بالصين، قد باعت كمية أكبر من هذه المعدات، وأثّرت على شعوبٍ أكثر، ومع ذلك فإن الغضب حول الأفعال الإسرائيلية قد تم كتمه. من الواضح أن ذلك قد حدث لأن إسرائيل حليفةٌ للغرب، ولذلك لا تُعتبر "عدوًا" رسميًا، بينما تُعتبر بكين الآن تهديدًا للأمن القومي، وبالتالي يجب استهدافها بوسائل عديدة. يُبيّن ذلك عدم الاهتمام بمعاناة السكان في ظلّ المراقبة الإسرائيلية، وكذلك الغضب الانتقائي بشأن المراقبة باستخدام تقنيات متطوّرة. تتصرّف كلتا الدولتين بشكلٍ حقيرٍ تجاه السكان غير المرغوب بهم، غير أن واحدةً منهما فقط، الصين، هي التي تتعرّض للعقوبات والشّيطنة.

يتهم بعض الناشطين المؤيدين للفلسطينيين إسرائيل بارتكاب إبادة ثقافية جماعية ضد الفلسطينيين؛ وهناك اتهامات بالمثل ضد الصين فيما يتعلّق بالأويغور. تريد الصين محو الثقافة الأويغورية تمامًا، وكل احتمال للانفصال عن التيار العام للمجتمع الصيني. تستاء بكين من حقيقة أن الأويغور يمتلكون حواراتهم الداخلية، ونخبتهم الثقافية، وتقاليدهم، وتُصوّر أنهم يُشكّلون تهديدًا للوطن الأم الصيني. في مسألة حرب الصين على الأويغور، يتم عادة عن قصدٍ تناسي كيف استقبلها الغرب بحفاوة قبل سنوات قليلة. استفادت الصين من رواية "الحرب على الإرهاب" على مدى سنوات بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، وادّعت أنها كانت تحارب إرهاب الأويغور، وحرصت واشنطن وحلفاؤها على المساعدة في ذلك. تعلّمت الصين كيف قامت دولٌ أخرى، مِثل الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل، بشنّ حربٍ ضد الإسلاموية.

في ديسمبر 2016، قام المعهد الملكي للخدمات المتحدة بِعَقدِ "حِوار" على مدى يومَين، بتمويلٍ من الحكومة البريطانية في بكين "ضمّ خبراء بريطانيين في مكافحة التطرف العنيف، إلى جانب مسؤولين صينيين وأكاديميين يعملون في تلك القضايا في شينجيانغ لتوضيح كفاءة أفضل الممارسات البريطانية في مكافحة التطرف العنيف، وتمييز أساليب يُمكن تطبيقها في الصين". صرّح رافاييللو بانتوشي Raffaello Pantucci، وهو محلّل كبير في المعهد الملكي للخدمات المتحدة لصحيفة الديلي ميل سنة 2019 أن مشاوراتٍ كانت قد أُجريت قبل أن تسوء الأوضاع في شيانجيانغ(309).

كان من المقبول سياسيًا حينذاك تبنّي الصين ودعم صفقات اقتصادية ضخمة مع الدولة العظمى الصاعدة. شاركت في هذا السّياق معظم مؤسسات الإعلام قبل أن تُصبح بكين عدوًا رسميًا في عهد الرئيس ترامب. من المبرّر، ومن المهمّ طرحُ التساؤل حول تورّط مسؤولين بريطانيين وصينيين بشأن شيانجيانغ عندما يُقدّمون نصائح عن أساليب استهداف شعب الأويغور، إنما لا يكاد يوجد أي خلاف، ولا تغطية إعلامية سلبية عندما تتورّط بريطانيا بانتظام مع مسؤولين إسرائيليين، لأن إسرائيل دولةٌ صديقة وحليفٌ مقرّب، ويمكن اعتبار أن احتلالها مقبولٌ سياسيًا. استِنكاز شكلٍ من أشكال القمع، مع دَعم شكلٍ آخر هو نِفاقٌ بالخطوط العريضة.

في سنة 2014، تعرّضَ للمساءلَة مارك بوركوفسكي Mark Borkowski، المفوّض المساعِد لمكتب ابتكار التقنيات والحصول عليها في دائرة الجمارك وحماية الحدود الأمريكية، أمام اللجنة الفرعية للأمن الداخلي في مجلس النواب الأمريكي بشأن أمن الحدود والبحار. سُئِلَ عن فشل دائرته السابق في تأمين سياجٍ أمنيَ افتراضيَ على طول خطّ حدود ولاية أريزونا من الحدود الأمريكية-المكسيكية. كانت محاولات عديدة لتأمين ذلك قد تم إجهاضها بتكلفة كليّة بلغت بليون دولار في عهد إدارتي الرئيسين بوش وأوباما في العقد الذي تلى أحداث 11 سبتمبر، غير أن بوركوفسكي رسم في ذلك اليوم تصوّرًا لأكثر من خمسين برجًا ثابتًا، وحسّاسات أرضية، وتصوير حراري، تعمل كلها معًا لمراقبة عابري الحدود، وإرسال عملاء لإيجادهم.

سيكون الأمر مختلفًا هذه المرّة. شرح بوركوفسكي أن المعدات الجديدة قد تم اختبارها في إسرائيل تحت ظروف مماثلة لأريزونا، وأن "ما رأيناه في العروض التوضيحية كان مُبهرًا جدًا". تم التعاقد مع الشركة الإسرائيلية إلبيت لنصب أبراج مراقبة ستبلغ كلفتها نحو 500 مليون دولار، وسيكلِّف تشغيلها نحو 700 مليون دولار على مدى عشر سنوات(310).

أصبحت الحدود الأمريكية-المكسيكية مكانًا رئيسيًا لشركات الأمن والمراقبة الإسرائيلية، وتم استخدام عملها في فلسطين كأداة تسويق. هذه الطريقة في التسويق الذي لا يرحم يتمتّع بكفاءة عالية جدًا، ولا يتغير هذا الأمر عند وجود رئيسٍ ديموقراطي أو جمهوري في البيت الأبيض. هناك دعمٌ من الحزبين لضمان أمن الحدود التي يبلغ طولها 3000 كيلومتر. تُعتبر التقنيات الإسرائيلية عنصرًا حيويًا في تحقيق ذلك. تتضمّن الرؤية مَزجَ تقنياتِ المراقبة، مع البنية التحتية الحدودية، والوحدات الدفاعية، ونظام الأبراج الثابتة المدمجة، لمنع وطرد المهاجرين من دخول البلاد وعبور الصحراء المميتة.

هذا هو الهدف المُعلن، غير أن الممارسة العسكرية تؤدي عمليًا إلى قتلٍ جماعي، وهذا هو المطلوب. وجدث أكثر من 7000 جثة على الحدود الأمريكية-المكسيكية منذ التسعينيات. وجدت دراسةٌ قام بها معهد إيرلهام Earlham College وجامعة أريزونا أن أبراج مراقبة الحدود قد زادت الخطورة على المهاجرين الذين يضطرون للبحث عن طرقٍ أبعد وأكثر خطورة عبر الصحراء(311).

حسب نتائج بحثٍ قام به برنامج دراسات الحدود

مكتبة ياسمين

في معهد إيرلهام في توسون سنة 2022، كانت هنالك زيادة هائلة في وفيات المهاجرين منذ سنة 2007، بما فيها زيادة بنسبة 643 بالمئة في الوفيات في الفترة 2006-2020 عندما اضطروا للبحث عن طرقٍ أمنة خارج مجال رؤية العدد المتزايد من أبراج المراقبة(312).

بعد أسابيع من الانتخابات الأمريكية سنة 2016، التي شهدت فوز دونالد ترامب، ذكر سار كورش Saar Koursh، الرئيس التنفيذي للشركة الإسرائيلية ماغال لأنظمة الأمن، لصحيفة الفاينانشيال تايمز أنه "دون الخوض في السياسة، لدينا أفضَل التقنيات في العالم لضمان أمن الحدود، والتي تم اختبارها في المعركة. لو أراد الرئيس ترامب بناء سِياجٍ أو جِدار، فإننا نؤمِنُ بأنه من المؤكّد أن تقنياتنا ستكون مفيدة"(313). ارتفعَت أسهم شركة ماغال 20 بالمئة بَعد فَوز ترامب في الانتخابات.

إنما في النهاية، لم يَكن عَهد ترامب لطيفًا مع شركة ماغال، ومع حلول سنة 2021، كانت الشركة قد غيّرت اسمها إلى سنستار تكنولوجيز Senstar Technologies، وباعَت أعمالها إلى شركة دفاعية إسرائيلية رائدة اسمها رافاييل لأنظمة الدفاع المتقدّمة. كانت رافاييل شركة إسرائيلية ذات انتشار عالمي واسع، وتعمل في إسبانيا وأستراليا وكندا وألمانيا وإيطاليا وبريطانيا وجمهورية التشيك(314).

في سنة 2016، حصلت على نشرة تسويقٍ دعائية لشركة رافاييل أشارت إلى عمل الشركة في بناء جدارٍ على طول الحدود المصرية-الإسرائيلية، وكيف أن عدد المهاجرين الذين تمكّنوا من الدخول

قد انخفض من 2295 شخصًا في يناير 2012، إلى نحو الصفر مع نهاية تلك السنة. في خريطة إسرائيل، مُحي تمامًا وجود الضفة الغربية المحتلة، وأظهَرت الخريطةُ الدولة اليهودية ككيانٍ وحيد في المنطقة. تم تحضير عرض صورٍ من أجل حكوماتٍ أوروبية بعد الزيادة الهائلة في عدد المهاجرين سنة 2015، أكّدت فيه شركةُ ماغال على أهمية "فهم نمط المتسللين"، والحاجة إلى مجموعةٍ من التقنيات والعناصر البشرية لوقف تدفُق "الهجرة غير الشرعية".

بينما لم تتمكّن شركة ماغال من الحصول على صفقات كبيرة في الولايات المتحدة، إلا أن شركة إلبيت قد ازدَهرت(315). كانت أكثر صفقاتهم إثارةً للخِلاف هي بناء نظام مراقبة وأبراج متقدّم بقيمة 218 مليون دولار وبطول 62 ميلًا بين أرض سكان أمريكا الأصليين من قبيلة توهونو أودهام في أريزونا وولاية سونورا المكسيكية. وافق بعض الزعماء المحليين على هذه الخطط بحجَة أن تنفيذ خطَة شركة إلبيت سيقلّل الحاجَة لبناء جدارٍ حدودي عَبر منطقتهم. كان ذلك أملًا كاذبًا لأن ترامب حاول بناء الجدار، مما أدَى إلى القبض على الناشطين المحليين بعد مظاهراتٍ ضد بناء الجدار سنة 2020(316).

عارض سكانٌ محليون آخرون بناء الجدار، كان بينهم أوفيليا ريفاس Ofelia Rivas التي أخبرتني أن أراضيها قد تشوّهت بسبب موقع بناء شركة إلبيت(317). خرّبت الأعمالُ مواقع دفن الأجداد، بينما تدخّلت دورياتُ الحدود الأمريكية في الحياة اليومية بسبب المراقبة المستمرة والقيود التي وضعت على حرية الحركة قائلةً:

مكتبة ياسمين

"أجبر أفراد مجتمعنا على الامتثال لهذه التغييرات، وتم تذكيرهم بأحداث 11 سبتمبر وما حدث في نيويورك. سيخترق إرهابيون الحدود وسيهاجمون جماعاتنا. تقتحم إجراءات التخويف العسكرية حياتنا اليومية بقوة".

يدرك الناشطون من الأمريكان الأصليين كيف أن قمعهم يزداد ارتباطًا باحتلال إسرائيل لفلسطين. قامت نيللي جو ديفيد Nellie Jo David، وأمي جوان Amy Juan، وهما عضوتان في شبكة حقوق توهونو أودهام هيماجكام، بزيارة فلسطين سنة 2017 في رحلةٍ نظّمتها الجماعةُ الفلسطينية "أوقِفوا الجدار". قالت جوان أنه كان من المريح التحدث مع "أناسٍ يَتفهّمون مَخاوفنا... ويتعامَلون مع العسكرة والتقنية". حذّرهم الفلسطينيون في الضفة الغربية بضرورة الكفاح ضد إنشاء أبراجِ المراقبة المستمرة التابعة لشركة إلبيت في أراضيهم، وشرحوا ما يعنيه ذلك بالنسبة لهم كل يوم(318).

حضر موقع إنترسبت Intercept مناسبةً لشركة إلبيت في ولاية أريزونا سنة 2019، عرَضت فيها الشركةُ كيف تم تصميم عمل نظام المراقبة. باستخدام تصميم القيادة والسيطرة الذي صُنع في الأصل لجيش الدفاع الإسرائيلي، عرضت الشركةُ قدراتها النهارية والليلية باستخدام أجهزة تصوير بالأشعة تحت الحمراء البعيدة المدى، أو بأجهزة الإضاءة بالليزر(319). كانت ظروف ما بعد أحداث 11 سبتمبر على طول الحدود الأمريكية-المكسيكية تعكس حالة تسارعٍ كبير لدولةٍ على النمط العسكري حيث تم فيها تصوير المهاجرين والأمريكيين الأصليين بمثابة تهديداتٍ

يجب التعامل معها ومضايقتها. مات عدد قياسيٌ من المهاجرين خلال 2021-2022 على طول الحدود الأمريكية-المكسيكية بلغ 750 شخصًا على الأقل.

يتّضح التشابهُ كل سنة بين الحدود الأمريكية-المكسيكية وجدار إسرائيل عبر الأراضي المحتلة، إذ يُعلِّم ويُلهم كل واحد منهما الآخر، وتبحث الشركاتُ التقنية باستمرار عن أساليب جديدة لاستهداف وأسر من يُتصوَّر أنهم أعداء. أيّد الجمهوريون والديموقراطيون استخدام معدات المراقبة المتطورة في مراقبة الحدود. قامت إحدى الشركات في عهد الرئيس ترامب، وهي شركة برينس Brince التي يدعَمها البليونير بيتر ثيل Peter Theil، باختبار احتمال استِخدام طائرات مسيَّرة مسلّحة على الحدود الأمريكية-المكسيكية يمكِنها أن تصعَق المهاجرين ببندقيةٍ صاعِقة(320). أعلن عن استخدام كلاب روبوتية سنة 2022 باعتبارها أحدث وسيلة لطرد القادمين الجدد (على الرغم من أن هذه الكلاب الآلية قد تم الترويج لها بالطبع على أنها حَلٌ إنساني). استمرّت إدارةُ الرئيس بايدن في تطوير حواجز عالية التقنية، وجدران مادية بالتعاون مع كثير من الشركات المحلية والعالمية، بما فيها شركات إسرائيلية، تم التعاقد معها لبناء مزيد من العوائق والعقبات أمام الدخول.

وضعت ميزانيةُ الدفاع الأمريكية لإنفاق نحو 500 مليون دولار على الأبحاث والتطوير والمعدات في هذا المجال خلال سنة 2022(321). من المتوقّع في المستقبل نتيجة لذلك أن المهاجرين سيُقتلون، أو سيتم القبض عليهم، أو تشويههم عن طريق طائرات مسيّرة

مكتبة ياسمين

أو معدات عسكرية(322). سيكون ذلك مماثلًا للوضع الحالي في فلسطين.

تُشكّل 13 شركة ضخمة أكبر المتعاقدين مع إدارة الجمارك وحماية الحدود الأمريكية، بما فيها شركة إلبيت، ولوكهيد-مارتن، ورايثيون، وجنرال ديناميكس، ونورثروب غرومان، وبوينغ. جميع هذه الشركات هي شركاث إنتاج أسلحة، ولا تهتم كثيرًا فيما إذا كان زبائنها هم الجيش الأمريكي في حروبه في العراق وأفغانستان، أو أنهم الحكومة الإسرائيلية في احتلالها(323). في الفترة 2006-2018، قامث إدارةُ الجمارك وحماية الحدود الأمريكية، وخفر السواحل الأمريكي، وإدارة الهجرة والجمارك الأمريكية، بتوقيع أكثر من 344.000 صفقة من أجل خدماتِ الهجرة بقيمة 80.5 بليون دولار. تم اختبار أولى الطائرات المسيّرة واستخدامها من قِبل إدارة الجمارك وحماية الحدود الأمريكية فوق الحدود الأمريكية-المكسيكية سنة 2004، وكانت من صُنع شركة إلبيت الإسرائيلية(324). مالث هذه الشركة إلى إدارة ترامب، وتبرّعت لحملته الانتخابية الرئاسية سنة 2020(325).

هناك وعيٌ متزايد للعلاقة بين النضالين في فلسطين وفي الحدود الأمريكية-المكسيكية. في سنة 2022، قامث جماعةٌ بارزة من السكان المحليين الذين يسعون للحصول على حقّ تقرير المصير في ولاية داكوتا الجنوبية بإصدار بيان تحديد موقف ربط بوضوح بين حركات الأمريكيين الأصليين والحركات الفلسطينية. ورد في البيان: "نحن ننظُر إلى أقربائنا الفلسطينيين الذين

يستمرّون مثلنا بإثبات قوة المقاومة ضد الاستعمار والاحتلال"(326).

سبقت العلاقةُ الوثيقة بين ولاية أريزونا وإسرائيل رئاسةَ دونالد ترامب بكثير. أطلق أحد الصحفيين على المنطقة اسم: "الحدود بين فلسطين والمكسيك" لأن كلتا الدولتين تتقاسمان شركات المراقبة والتعاون ذاتها(327). كان جوناثان روتشيلد Jonathan Rothschild محافظ مدينة توسون الذي غادر منصبه سنة 2019 بعد أن قضى سنوات في الترحيب بشركات التكنولوجيا الإسرائيلية المتقدّمة للاستقرار في أريزونا، وقال ذات مرة: "لو ذَهبتَ إلى إسرائيل، وعدتَ إلى جنوب أريزونا، وأغمضتَ عينيك، وذرتَ حول نفسك عدة مرات، فربما لن تتمكّن من معرفة الفرق"(328).

ارتبطتْ أسبابُ هذا التعاون بوجود منطقتَين جغرافيتين يعتبرهما البعض أنهما واسِعتان وخالِيتان من السكان، وبالتالي تَستحقّان الاستعمار والاحتلال. إنها عقليةُ الاستيطان-الاستعمار. تُساعِد إسرائيل حقيقةُ أن دَعمَ الدولة اليهودية هو إيمانٌ سياسي أمريكي يَشترك فيه الحِزبان وكأنه مَذهبٌ دينيّ ضروري.

تُشبه ولايةُ أريزونا فلسطين بأنها أرض اختبار. أخبرني تود ميللر Todd Miller، الصحفي والكاتب المُقيم في توسون أنه "يفترض أن أريزونا بمثابة معرض للتقنيات قبل نَشرها في البلاد. قبل أحداث 11 سبتمبر، كان هناك تواجُد لدوريات الحدود في مناطق الأمريكيين الأصليين، إلا أنها توسّعت كثيرًا الآن في استخدام تقنيات المراقبة. يتم التمييز العنصري للأمريكان الأصليين في نقاط تفتيش دوريات الحدود". أما بالنسبة للمستفيدين من

الحدود، فإن الفلسطينيين والأمريكيين الأصليين يستحقُّون المراقبة والمتابعة على قدم المساواة. ولذلك، لم يكن مُستغربًا ظهور روبوتات المراقبة الذاتية الحركة في مناطق حدود إسرائيل-غزة، وحدود الولايات المتحدة-المكسيك في 2021، 2022.

أثارت رئاسة ترامب الغضب بحقٍّ في كثيرٍ من وسائل الإعلام الرئيسية بسبب سياساته اليمينية المتشدّدة في فصل الأطفال عن أهاليهم. ولكن على الرغم من كل ما تثيره هذه السياسات من استياء، لم يتمَ التعبير عن مثل هذا الغضب في التغطية الإعلامية لسياساتِ إسرائيلية مماثِلة. في سنة 2019، ذُكِرَ أن ترامب قد اقترَح على مساعِديه مَنعَ المهاجرين من دخول الولايات المتحدة، وأنَ حرس الحدود يجب أن يُطلِقوا النار على أرجلهم لإبطائهم، وأن يَقوموا بكهربة السّياج بشراراتِ قوية تخترق اللّحم البشري(329). سألَ بعد ذلك فيما إذا كان من المُمكن بناء خندقٍ مَليءٍ بالماء حول الحدود، وفيه أفاعٍ وتماسيح.

مكتبة ياسمين

الفصل السادس

الرقابة الإسرائيلية الشاملة في دماغ هاتفك

"بفضل تقنيات المراقبة، تستطيع دولةٌ أن تتجنّب قتلَ المعارضين الآن. تستطيع المراقبةُ هذه الأيام اكتشافَ ووقفَ نيلسون مانديلا القادم قبل أن يُدرك هو نفسه أنه نيلسون مانديلا"

الإسرائيلي إيتاي ماك، محامي حقوق الإنسان(مقابلة مع الكاتب في مارس 2021)

السيدة غريسلدا تريانا Griselda Triana هي صحفية مكسيكية وناشطة في مجال حقوق الإنسان، وكان زوجها خافيير فالديز كارديناس Javier Valdez Cardinas قد قُتل على يد عصابة مخدرات في 15 مايو 2017 في كولياكان عاصمة دولة سينالووا Sinaloa. كان فالديز المؤسّس المشارك لوسيلة الإعلام ريودوثه Riodoce التي بحثث في قضايا الفساد والجريمة، وكتب عن حرب المخدرات الدموية. لقد دفع الثمن النهائي - أُلقيث على مكتبه قنبلة يدوية سنة 2009. كان قد تلقّى تهديدات بالقتل قبل شهور من مقتله، غير أنه تابع بشجاعة عمله الاستقصائي الرائد على الرغم من التهديدات.

بعد عشرة أيام من مقتله، بدأث زوجته تريانا استقبال رسائل نصّية غير متوقّعة على هاتفها المحمول. لم تشكّ بأن هذه الرسائل مشبوهة إلا بعد حوالي سنة عندما اكتشف وجوذ محاولات لاختراق هاتفها بالتأكيد من جهة عناصر في دولة المكسيك باستخدام برنامج بيغاسوس، وهو برنامج اختراق هواتف باعته شركةُ المراقبة الإسرائيلية

مكتبة ياسمين

NSO. أخبرتني أنه "قبل مقتل خافيير، لم أعرف أننا كنا تحت المراقبة". لم يُخبرها خافيير أبدًا عن احتمالات اختراق الهاتف، وافترضت أنه يتّخذ الاحتياطات اللازمة لسلامته، وقالت: "عرف خافيير عن مخاطر الكتابة عن النشاطات الإجرامية، ومع ذلك، كان يُدرك أن شخصًا ما يجب أن يقوم بتوثيق فظائع المنظمات المجرمة".

دمّر قتلُ خافيير زوجته تريانا التي قالت: "كان ردُّ فعلي على وفاة خافيير هائلًا، فقد كان زوجي ووالد أولادي. لقد أصبت بالصدمة فعلًا لأن خافيير لم يشأ مغادرةَ سينالووا على الرغم من أنه أدرك أنهم يريدون قتله". سألتها لماذا فكّرت بأنها كانت مُستهدَفة ببرنامج بيغاسوس، فقالت إنها تعتقد أن سبب ذلك هو "أنهم ظنّوا أن مراقبة الهواتف ستمكّنهم من الحصول على بياناتٍ من مصادرِ معلومات متعددة، أو أنهم يتمكّنون من سَماع اتصالات تتعلَّق بتحقيقاتِ خافيير عن الجرائم". لم تُخبِر الدولةُ المكسيكية تريانا حتى الآن لماذا تجسّست عليها - ولم تُرفَع قضية في المحكَمة ضد الرجل الذي اتُّهم بالتخطيط لقَتل زوجها.

تدّعي الحكومةُ المكسيكية وشركة NSO أن برنامج بيغاسوس يُستخدم فقط لأهداف القضاء على الجريمة والحرب على الإرهاب، غير أن قضية تريانا تُثبت أن هذا الإدعاء كاذب. كانت المكسيك أرض اختبار رئيسية لتقنيات شركة NSO. قالت تريانا: "المشكلةُ هي أن هذا البرنامج قد تم استخدامه للتجَسس على أفراد لا يشكّلون أي خطر على البلاد".

بعد مقتل فالديز، انتقلت تريانا إلى مدينة مكسيكو حيث تعمل كصحفية وناشطة. لم يذهب الخوف

أبدًا، ولكن - الشعور بأنها قد انتهكت بقتل زوجها المروّع، وتطفّل الدولة على اتصالاتها. قالت: "أخافُ في كل مرة أزور فيها كولياكان. إنه أمرٌ لم أستطع التغلب عليه".

جهازُ المراقبة الإسرائيلي منافسٌ وحليفٌ لوكالة الأمن القومي الأمريكية في واشنطن، وهذه الوكالة هي أقوى شبكة للتجسس في العالم. بينما تظلُّ إسرائيل بعيدة عن المنافسة من حيث الطاقة البشرية، إلا أن لديها تاريخ طويل من التجسس على أقرب حلفائها، وهذه حقيقةٌ لا تثير القلق لدى القوة العظمى علنيًا. تَظهر بين التقديرات أن حوالي 350 مسؤولًا استخباراتيًا أمريكيًا يقضون أيامهم في التجسس على الدولة اليهودية(330). على الرغم من ذلك، تتشارَك وكالة الأمن القومي الأمريكية مع إسرائيل، وقد منحَتها برامجَ إلكترونية للحصول على البيانات وتحليلها. وبالمقابل، يقولُ بيل بيني Bill Binney، المسؤول الاستخباراتي السابق في وكالة الأمن القومي الأمريكية، إن إسرائيل تَنقُل هذه التقنية إلى شركات إسرائيلية خاصة، مما يَسمح لهم بجَمع كميات هائلة من المعلومات الحساسة العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية، ومشاركتها مع مسؤولين إسرائيليين(331).

هذا هو الإطار الذي يجب من خلاله النظر إلى شركات مجموعة NSO، وهي أكثر الشركات العالمية نجاحًا في مجال المراقبة الإلكترونية، وغيرها من الشركات الإسرائيلية العالية التقنية. تعمل وكالة الأمن القومي الأمريكية مع الدولة الإسرائيلية للسّعي وراء أهدافها في السياسة الخارجية، وهي تُستخدم بمثابة جزرة إغراء في جذب أصدقاء جدد. تم تمويل وكالة الأمن القومي

 مكتبة ياسمين

الأمريكية منذ إنشائها من جهة مساهمين دوليين، مثل شركة الأسهم نوفالبينا كابيتال Novalpina Capital في لندن. كان صندوق معاشات العاملين في ولاية أوريغون من أكبر المستثمرين في شركة نوفالبينا كابيتال من مستوى تقديم نحو 233 مليون دولار سنة 2017 قبل أن تدخل شركة NSO في لائحة نوفالبينا(332). في سنة 2019، تم استثمار أموال التقاعد لشركة الغاز البريطانية سنتريكا Centrica في نوفالبينا أيضًا(333).

أخبرني أميتاي زيف Amitai Ziv، صحفيَ التكنولوجيا السابق في جريدة هآرتس الذي قام ببعض الأعمال الاستقصائية الثاقبة والأكثر أهمية في كشف شركة Nso، أن قوة شركة NSO لا تكمن في الأرباح التي تجنيها، بل في الدبلوماسية: "عندما تبيع إسرائيل تقنيات التجسس والمراقبة الإلكترونية لبعض الدول الأفريقية، يمكنها أن تضمن تأييدها في الأمم المتحدة. بما أن هناك احتلالًا، فإننا نحتاج إلى الأصوات".

أخبرني أحد المراقبين الكبار للأمن القومي، والذي استقصى نشاطات شركة NSO على مدى سنين، أن العملية كان لها منافسون كثر، وأن "بعضهم أقلَ دقة بكثير؛ فهم يخبرون الزبائن بأنهم سيعملون في مناطق لا تعمل فيها شركة NSO". وقال إنه على الرغم من أن شركة NSO وشركة التجسس الإسرائيلية بلاك كيوب Black Cube قد تم كشفهم في عدد لا يحصى من المناسبات بسبب "صفقات مشبوهة، إلا أن أعمالهم قد ازدهرت. هناك ميزات في القسوة والشراسة". استفادت الشركات الإلكترونية الإسرائيلية كثيرًا من جائحة كوفيد-19، وحصلت على نصف الاستثمارات

مكتبة ياسمين

العالمية في ذلك المجال أثناء 2020-2021.

أطلق المبلِّغ إدوارد سنودن Edward Snowden من وكالة الأمن القومي الأمريكية على شركة NSO وأمثالها صفة "شركات انعدام الأمن"، ويذكر ذلك الوصف بكل صراحة:

"الهاتف المحمول في يدك يوجد في حالة انعدام أمن دائم، ومعرّض للاختراق من جهة أي شخص يرغب بوضع المال بيد صناعة انعدام الأمن الجديدة. يشمل كل أعمال هذه الصناعة الجديدة تحضير أنواع جديدة من الاختراقات التي تتجاوز أحدث الموانع الإلكترونية - التحديثات الأمنية - ومن ثم بيعها لدولٍ توجد في التقاطع الساخن في الرسوم البيانية بين "الرغبة الجامِحة بالحصول على وسائل القمع، وافتِقارها الشديد للتطور اللازم لإنتاج هذه الوسائل محليًا". يجب تفكيك مثل هذه الصناعة التي تهدف أولًا وقبل كل شيء إلى إنتاج القابلية للضعف والإصابة(334).

سنودِن على حقّ؛ لأن هناك إغراءً كبيرًا في تحقيق الكسب عن طريق وسائل الاختراق والتجسس، سواء تمَت السيطرة عليها من قبل شركة أو دولة. في حالة شركة NSO، تعمل إسرائيل والشركة معًا لتحقيق أهدافٍ متّفق عليها. بفضل إجراءات التصدير السهلة، استخدمت الدولة الإسرائيلية شركة NSO لدفع برنامجها في الأمن القومي(335). كشف عن مدى نفوذ شركة NSO عندما رفعت شركة فيسبوك دعوى قضائية سنة 2019 ضد شركة NSO بسبب استغلالها لثغرة في برنامج واتساب لاختراق هواتف 1400 شخص في كافة أنحاء العالم. عندما تريد واحدة من أكبر وأقوى الشركات غير الخاضعة للمحاسبة إسقاط

مكتبة ياسمين

شركة إسرائيلية، فمن الواضح أن تلك الشركة الإسرائيلية قد تجاوزت كثيرًا من الحدود الحساسة.

سواء استمرّت شركة NSO أو توقّفت، لن يكون هنالك تغيّر في ازدهار الصناعة العالمية في وسائل التجسس والأسلحة الإلكترونية. يمكن تركيع دولٍ بأكملها، مثلما حدث في الهجوم الإلكتروني الروسي على جميع الأعمال والبنية التّحتيّة للحكومة في أوكرانيا سنة 2017، أو إدخال حكومات، أو شركات خاصة، اختراقات وفيروسات إلكترونية من نوع "يوم الصّفر" التي لا يوجد لها حلَ، في كل قطعة من الأجهزة والبرامج الإلكترونية في العالم، من أجهزة الكومبيوتر، إلى التلفزيونات والثلاجات. تُمثّل شركة NSO قمّة جَبلِ الجليد لهذه الصناعة الناشئة التي تعمل غالبًا في الظلّ دون أن تتعرّض لمحاسَبة عامة. لا يَقتصِر الأمر على السّلطات الأمريكية والصينية والروسية والإسرائيلية والإيرانية في شنّ حربٍ إلكترونية، بل يمتدّ إلى سلسلة من كيانات خاصة تنشأ أحيانًا في ظلّ أنظمَة ديموقراطية، وتتصرّف غالبًا مثل وكلاء لِعناصر في الدولة(336). لا تكاد توجَد أية قوانين تنظّم عملها.

إذا انهارت شركة NSO، ستنشأ شركات أخرى كثيرة غيرها لتحلَ محلّها، وهناك كثير من المنافسين الإسرائيليين في مجال هذه الأعمال(337). تُسوّق شركة باراغون Paragon خدماتٍ مماثلة، ويدعمها رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إيهود باراك ومتقاعدين من الوحدة 8200. حتى لو أغلقت جميع الشركات الخاصة التي تعمل في مجال الاختراق الإلكتروني في العالم، وهو احتمالٌ بعيد جدًا، فإن فاعلين دوليين أقوى

مكتبة ياسمين

بكثير، من إسرائيل إلى الولايات المتحدة والصين وبريطانيا، سيكونون أكثر استعدادًا لملء الفراغ. شركة NSO ليست سوى أبرز شركات التجسس الإلكتروني، غير أن عددًا كبيرًا من المنافسين يدخلون هذا المجال، ويجعلون الحصول على هذه الوسائل أكثر سهولة ويسرًا(338).

أخبرني الإسرائيلي محامي حقوق الإنسان إيتاي ماك أن الدّور الذي تلعبه المراقبةُ الإسرائيلية في العالم يقوّي ويرسّخ الحكومات الفاشيّة وغير الديموقراطية، وهي لا تستهدِف فقط الصحفيين وناشطِي حقوق الإنسان. يتطوّر قطاع الدفاع الإسرائيلي ويصبح أكثر خصخصة. قال ماك: "في السنوات القادمة، لا أتصوّر الشرطة في البحرين تستخدِم بنادق إسرائيلية، أو أن تشتري الإمارات العربية المتحدة طائرات مسيّرة أو صواريخ إسرائيلية، لأن ذلك قد يؤدّي إلى وضعٍ يشبه أزمَة الصواريخ الكوبية، ويثير إيران. إلا أن بيع معدات التجسس الإسرائيلية أسهل بكثير، ويصعب كَشفه". يريدُ حظرَ برامج التجسس التابعة لشركة NSO تمامًا.

عندما حاولَ ماك سنة 2016 إجبار الدولة الإسرائيلية على وقف منح شركة NSO رُخص التصدير، نجحت الحكومةُ بجعل جميع المداولات خصوصية. كانت رئيسةُ المحكمة العليا إيستر خيوت Esther Hayut صادقةً بشأن ما كان على المحك: "لا يعتمدُ اقتصادُنا بشكلٍ ضئيل على التصدير". أقرّتْ وزارةُ الدفاع الإسرائيلية بيع أسلحة لنحو 130 دولة سنة 2021.

يدلُّ مسار شركة NSO على التراث الإسرائيلي في اختبار وتسويق ونشر تقنيات المراقبة في

العالم. قام إيلي بينكو Eli Pinko، الرئيس السابق لوكالة مراقبة الصادرات الدفاعية الإسرائيلية، بتفسير أسباب ذلك عندما تحدّث في مؤتمرٍ خاصّ في أواخر 2021 عن أن الدولة اليهودية لم يكن أمامها خيار سوى بيع الأسلحة والتقنيات الإلكترونية لمن يرغب. وقال: "إنه خيار بين الحقوق المدنية في دولةٍ ما، وحقّ إسرائيل في الوجود. أريدُ أن أرى كل واحد منكم يواجه هذه المعضلة ويقول: كلا، سوف ندافع عن حقوق الإنسان في الدولة الأخرى. أيها السادة، ذلك لا يعمل!"(339).

غير أن هذه الحالة ليست مجرد مسألة حريّة التجارة. أخبرني مَصدرٌ لديه معرفة عميقة بالمراقبة الإسرائيلية أن وزارة الدفاع الإسرائيلية لديها "سيطرة تامّة تقريبًا" على مجموعة شركات NSO قائلًا: "تُسيطِر وزارةُ الدفاع على المِلكية والحقوق، وتملك حقّ النّقض على المساهِمين، والمالِكين، والمشغّلين. كما تُسيطِر على التقنيات، وبراءات الاختراع، والمِلكية الفكرية، كما يجب حماية التقنيات بحيث لا يمكن كَشفها بالهندسة العكسية".

قالت إيفا غالبرين Eva Galperin، مديرة الأمن الإلكتروني في مؤسسة الحدود الإلكترونية العاملة في مجال الحقوق الإلكترونية، للصحفيّ رونان فارو Ronan Farrow من مجلة النيويوركر: "يتوقّعون أنَ الحكومة الإسرائيلية ستضغط على شركة NSO في هذا الشأن، بينما تُشارك في الواقع بإجراء المزايدات مع الحكومة الإسرائيلية"(340). يجب أن يتم توجيه تهمة التّعمية المقصودة ذاتها إلى كثير من وسائل الإعلام الدولية بسبب استمرارها على مدى السّنين باعتبار أن شركة NSO ليست أكثر من شركة مارقة، بينما كانت دائمًا أداة حاسمة

مكتبة ياسمين

من أدوات الدولة الإسرائيلية.

حسب إيتاي ماك، ما هو غير مفهوم، أو غير معروف، هو أنه في داخل وزارة الدفاع الإسرائيلية توجد مديرية أمن مؤسسة الدفاع (مالماب Malmab بالعبرية")(341) التي تعمل لضمان عدم تسرُّب أية معلومات سريّة بشأن الصناعات العسكرية. تعمل هذه المديرية وكأنها وكالة استخبارات، وتقوم باستقصاءاتها الخاصة. فسّر ماك: "النتيجة العملية هو أن الرئيس التنفيذي لشركة NSO، وهو شلاف خوليو Shalev Hulio، لا يستطيع مجرد التنفس أمام صحفيّ إسرائيلي أو أجنبي، بصراحة، أو بشكلٍ غير رسميّ، دون موافقة هذه المديرية(342).

مُنحت شركة NSO مساحة غير مسبوقة من جهة مديرية أمن مؤسسة الدفاع للتحدّث مع وسائل الإعلام في السنوات الأخيرة بعد أن هزّتها فضائح لا تُحصى. حدث ذلك لأن شركة NSO هي ذِراعٌ لا تقدّر بثمن من أذرع الدولة، وتريد إسرائيل حماية أصولها الرئيسية. الضغط الذي لا هوادة فيه على شركة NSO، والضغط الأقلّ منه حتى الآن على إسرائيل نفسها، يُناسب مديرية أمن مؤسسة الدفاع، لأنه حتى ولو تفككت شركة NSO وحلّت محلّها شركة أخرى مماثلة، فإنّ مصالح الأمن القومي الإسرائيلي ستكون محميّة (وسيظلّ معظم الصحفيين يعتقدون أن شركة NSO هي كيانٌ مستقلٌ تمامًا).

تكمن قوة تقنيات شركة NSO التي طوّرها متقاعدون من وحدة التجسس 8200 في قدراتها على الاختراق التي تكاد تُنافس قدرات وكالة الأمن القومي الأمريكية(343). لا يسرُ ذلك

مكتبة ياسمين

واشنطن التي تريد الاحتفاظ بالهيمنة العالمية في وسائل المراقبة والتجسس. وسائل وكالة الأمن القومي الأمريكية هي الأكثر غزوًا في العالم. كتب الصحفيان رونين بيرغمان ومارك مازيتي في صحيفة النيويورك تايمز "غيّرت الأسلحة الإلكترونية العلاقات الدولية بشكل أعمق من أي تطوّر آخر منذ القنبلة النووية"(344). شبكة تبادل المعلومات الاستخبارية فايف آيز Five Eyes (العيون الخمسة) التي تتألف من الولايات المتحدة وكندا ونيوزيلاندا وأستراليا وبريطانيا، هي التحالف الأكثر سريّة وتدخُلا في العالم، وتستخدم القدرات العظيمة لوكالة الأمن القومي الأمريكية للتجسس على بلايين من سكان العالم، ولذلك من النفاق أن يشتكي أي زعيم من هذه الدول بشأن قوة شركة NSO لأنها تنافِس هيمنة شبكة فايف آيز.

لم يمنع هذا جيرمي فليمنغ Jeremy Fleming، مدير وكالة الاستخبارات GCHQ في بريطانيا، من لوم وإدانة شركة NSO. جادلَ فلمينغ أن قدرَة الشركة الإسرائيلية على الاختراق كانت "وراء الحدود تمامًا. وفي رأيي الشخصي، فإن الدول أو الشركات التي تنشر هذه التقنيات بمثل هذه الطريقة غير المنضبطة تُسبّب الضرر، ولا ينبغي التسامح معها". كان الصحفيون في جريدة الفاينانشيال تايمز الذين قابلوا فليمنغ راضين بالسّماح لمقالاتهم أن تكون بيانات صحفية لوكالة الاستخبارات GCHQ، ولم يشيروا إلى النفاق في دعم شبكة فايف آيز، والمراقبة الجماعية، وانتقاد شركة NSO في الوقت نفسه، بينما كانت هذه الكيانات نشيطة في المراقبة الجماعية، وفي قمع حرية التعبير(345).

مكتبة ياسمين

تأسست شركة NSO سنة 2010 على يد شلاف خوليو Shalev Hulio، وأومري لافي Omri Lavie، وهما رفيقا دراسة دخلا عالم الشركات التقنية الناشئة في أوائل القرن الحادي والعشرين، وسرعان ما أدركا إمكانية تطوير أداة تستطيع اختراق الهاتف المحمول دون أن تُكتشف. انضمّ إليهما نيف كرمي Niv Karmi، الموظف السابق في الموساد والعميل في المخابرات العسكرية. خدم خوليو في قوات الاحتياط العسكرية، وقام بعمليات للجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية في أوائل القرن الحادي والعشرين. وهكذا كان التآمر مع الجانب المظلم مضمونًا منذ بدايات شركة NSO(346). تمت الصفقة الأولى التي عقدتها هذه الشركة بمساعدة إليوت برويدي Elliott Broidy، المجرمْ المدان في أمريكا، ومدير الائتلاف اليهودي الجمهوري لفترة طويلة، والذي كان داعمًا كبيرًا لدونالد ترامب في حملته الرئاسية سنة 2016، ولذلك أصدر الرئيس ترامب عفوًا عنه سنة 2021 بعد أن اعترَف برويدي بذنبه في انتهاك قوانين الضغط الأجنبي في أمريكا(347).

لعِب برويدي دورًا رئيسيًا في توقيع صفقة مع وكالة الأمن القومي الأمريكية سنة 2011 لبيع برنامج التجسّس بيغاسوس إلى المكسيك. كانت الدولة في غمرة حربها الوحشية ضد عصابات المخدرات التي قُتل فيها مئات الالاف من المدنيين(348). في ذلك الوقت، كان اختراق الهاتف المحمول من نوع بلاكبيري Blackberry هو الهدف الأعلى لبرامج التجسس. أطلقت شركة NSO على برنامجها الفائز اسم بيغاسوس حسب اسم الحصان المجنّح في الأساطير الإغريقية، لأن

مكتبة ياسمين

مؤسسيها اعتقدوا أن هذا البرنامج يشبه حصان طروادة الذي يطير في الهواء ويدخل في الهاتف المحمول.

كلاوديو غوارنييري Claudio Guarnieri هو مدير مختبر الأمن في منظمة العفو الدولية، وهو فريقٌ رائد من الباحثين في مجال اختراق الهواتف والإنترنت. وهو يهتمّ بشأن "إضفاء طابع الرومانسية على الوسائل الإلكترونية" على الرغم من أن "هذه الوسائل ذاتها بسيطة جدًا" كما قال لي. "والذي يرفع كلفتها هو استراتيجيةُ إطلاق حصان طروادة (وهو برنامج تجسّس يضلّل مُستخدم الهاتف المحمول عن أهدافه الحقيقية)، ومن الصعب اكتشاف من وراءه".

كانت المكسيك متحمّسة لاستخدام برنامج بيغاسوس، ومع حلول سنة 2013، كان قد تم تشغيله في ثلاث وكالات مكسيكية على الأقل، بأجهزةٍ وبرامج بلغت قيمتها 15 مليون دولار. خلال ذلك، باعت شركة NSO حزمة خدمات بمبلغ 77 مليون دولار سمحت بإجراء مراقبة مفصّلة لأفراد أرادت المكسيك مراقبتهم في عهد الرئيس فيليبه كالدرون Felipe Calderon(349). اتّصل كالدرون بالشريك المؤسس لشركة NSO شلاف خوليو، على الرغم من أنه تحدّث في النهاية مع زملائه، وقال إن "برنامج بيغاسوس كان أفضل هدية في عيد الميلاد. فبفضل ما منحتنا إياه، نستطيع أخيرًا القضاء على العصابات"(350).

كان المسؤولون المكسيكيون والشركات في الحقيقة فرحين ببرنامج بيغاسوس، واستخدموه على نطاقٍ واسع، وادّعوا أنه كان أداة حاسمة في القبض على زعيم عصابات المخدرات إيل تشابو

El Chapo في سنة 2014، وسنة 2016. جاء إلقاء القبض الثاني عليه بعد مراقبة الاتصالات الهاتفية بين إيل تشابو والممثلة كايت ديل كاستيو Kate del Castillo التي أخذت الممثل شون بين Sean Penn للقاء زعيم المخدرات السيئ السمعة(351).

قامت شركة مكسيكية خاصة باختراق هاتف صحفيَ، على الرغم من أن شركة NSO تدّعي أنها باعت البرنامج إلى الحكومات فقط، وإلى مؤيدين لفرض ضريبة على المشروبات الغازية بهدف تقليل الكميات الهائلة من السكريات التي يستهلكها المكسيكيون(352)، أصبح من الواضح بشكل متزايد أن نمط الأشخاص الذين تمّت مراقبتهم لم يكن لديهم أية علاقة بالجريمة أو بالإرهاب.

على مرّ عقد من الزمن، أنفقت المكسيك أكثر من 160 مليون دولار على برنامج بيغاسوس، إلا أن سلطات محَلية قالت إنهم لا يستطيعون معرفةَ مَن هم وراء استِخدامه في هذه الدولة لقمع أي شخص. ومع ذلك فقد ازدهرت مكاسب أعمال الأمن الخاص لشركة NSO. قالت الدكتورة بالوما مندوزا كورتيز Paloma Mendosa Cortes، وهي مُحقِّقة مكسيكية في شؤون الأمن القومي لصحيفة هآرتس: "كلما ازداد العنف وانعدام الأمن، انفتحت فُرص الأعمال أمام هذه الشركات"(353).

استمرّت الفضائح بالظهور في المكسيك حيث حصلت شركة NSO على معظم أرباحها على مدى سنوات. تواطأت عصابات المخدرات مع مسؤولين مكسيكيين فاسدين من أجل السماح لها باستخدام برنامج بيغاسوس في القضاء على أعداء متبادلين. قدّمت شبكات الجريمة رشاوي لمسؤولين فاسدين

مكتبة ياسمين

من أجل استهداف أفراد أرادت العصابات التخلص منهم، أو مراقبتهم. المراقبة الإلكترونية صناعةً غير منظّمة إطلاقًا، وعلى الرغم من تأكيدات شركة NSO، لا يوجد مؤشر على أن برنامج بيغاسوس يتم رصده ومتابعته لكشف أية انتهاكات فيه بعد تثبيته(354). منذ العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، تحوّل نمط تصويت المكسيك في الأمم المتحدة إلى موقفٍ أقلَ انتقادًا لسياسات إسرائيل.

تم اختراق هواتف عدد لا يُحصى من الصحفيين الناقدين لفساد الدولة باستخدام برامج تجسّس شركة NSO، وانتهى بهم الحال إلى الموت. شمل ذلك المُراسِل المستقلَ سيسيليو بينيدا بيرتو Cecilio Pineda Birto سنة 2017. بعد ساعات قليلة من رَفعه فيلمًا حيًا على منصّة فيسبوك اتُهم فيه سياسيين محليين وشرطة الدولة بالعمل مع سفّاحٍ متمرّد. أُطلق عليه الرصاص في بلدة سيوداد ألتاميرانو Ciudad Altamirano في جنوب المكسيك(355). قبل أسابيع قليلة من قتله، تم انتقاء رقم هاتِفه المَحمول من جهة دولة المكسيك باعتباره هدفًا مُحتملًا لمراقبة برنامج بيغاسوس(356).

كان تلك مجرد قمّة جبل الجليد لضحايا شركة NSO، وقد أظهرت بياناث تم تسريبها في 2016-2017 (كشفت سنة 2021)، أن أكثر من 15000 مكسيكي قد تم تسجيلهم كأهداف محتملة للمراقبة. شملت تلك اللائحة 50 شخصًا على الأقل يرتبطون بالرئيس المكسيكي أندرس مانويل لوبيز أوبرادور Andres Manuel Lopez Obrador، بمن فيهم عائلته المقرّبة، وقد وضعت أسماؤهم ضمن لائحةِ من أرقام الهواتف التي كشفها برنامج

مكتبة ياسمين

بيغاسوس، وتم تسريب 50.000 رقم هاتف تم استخدامها على مستوى العالم من طرف زبائن شركة NSO(357).

إذا كانت المكسيك أول محطة اختبار لشركة NSO، فسرعان ما تبعتها دولٌ أخرى عبر العالم(358). تم شراء برنامج بيغاسوس بسرعة من جهة زبائن غير ديموقراطيين في الغالب، بمن فيهم الإمارات العربية المتحدة، وباناما، وكينيا، وتركيا، وذُكِر أن هذا البرنامج قد ساهم في كشف خلايا إرهابية، وحلقات خطف أطفال، وعصابات جريمة منظمة(359). تم الاحتفاء بشركة NSO في إسرائيل خلال سنوات قليلة باعتبارها نجاحًا عالميًا ترجع أصوله إلى الدولة اليهودية، بَشّرت به مؤسسات جامعية، وأُغدِقَت عليه الأموال. في سنة 2018، أظهَر برنامجٌ شعبيّ إسرائيلي شركةَ NSO تدفَع بعض كبار نجومِ الدولة للقيام برحلات جوية مدفوعة التكاليف إلى مراكز سياحية خاصَة بموظفيها في تايلاند(360).

تُدافِع شركة NSO باستمرار عن عملها، وتَجعله يبدو ضروريًا لإيجاد المجرمين الأكثر خطورة، والقبض عليهم. ذكَر خوليو، الشريك المؤسَس لهذه الشركة، لصحيفة الواشنطن بوست أنه "أنشأ هذه الشركة من أجل إنقاذ الحياة. نقطة... كل ما نسمعه هو هذه الحملة عن أننا ننتهك حقوق الإنسان، وهذا يثير الاستياء جدًا. إنني أعرف جيدًا كم من الأشخاص تم إنقاذهم في العالم بسبب تقنياتنا. غير أنني لا أستطيع الحديث عن ذلك". أصرّ على أن شركته قد وضعت مبادئ توجيهية منذ انطلاقها بحيث أننا "نستطيع النوم في الليل"(361).

رفضت شركة NSO طلبي للحديث مع خوليو.

انغمس خوليو في رسالته لصحيفة البوست لدرجة أنه تظاهر بالقلق بشأن الأذى الذي سبّبه برنامج بيغاسوس. لقد كان "مُرعبًا" أن صحفيين وغيرهم قد تم استهدافهم بهذه الوسيلة، غير أن "هذا هو ثمن القيام بالأعمال. تم استخدام هذه التقنية للتعامل حرفيًا مع الأشخاص الأسوأ في هذا الكوكب. يجب أن يقوم البعض بالعمل الوسخ. لو قال أحدهم، وجدتُ طريقةً أفضل لكشف المجرمين، والإرهابيين، والحصول على المعلومات عن المتحرّشين بالأطفال، سأقفِل هذه الشركة".

في مقابلةٍ منفصِلة مع صحيفة إسرائيلية، وجّه خوليو اللوم بشأن الهجمات العالمية على شركة NSO "إما إلى قطر، أو إلى حركة BDS (المقاطعة، وسحب الاستثمارات والعقوبات)، أو لكليهما. إنها الكيانات ذاتها في النهاية. لا أريد أن أبدو ساخِرًا الآن، ولكن هناك من لا يريد أن تستورِد إسرائيل المثلجات (أعلنت شركة بن وجيري Ben & Jerry سنة 2021 أنها ستتوقّف عن بَيع المثلّجات في مستوطنات الضفة الغربية والقدس الشرقية)، أو أن تقوم بتصدير التقنيات"(362).

كان الواقع أكثر بساطة. من الأفضل تقييم من هي الدول التي لم تستخدم برنامج بيغاسوس، من استنتاج الدول التي استخدمته. أصبحت هذه الأداة واسعة الانتشار، وأكثر أسلحة التجسس الإلكتروني شهرة في أوائل القرن الحادي والعشرين. وصفت وكالة الأبحاث Forensic Architecture (للتحاليل الجنائية) دور شركة NSO والعاملين في مجال الاختراق الإلكتروني بأنها "انتانات رقمية لا تستهدف العاملين في

المجتمع المدني كأفراد، بل كشبكات من التعاون". وجدت هذه الوكالة أنه في الهند والمكسيك والسعودية يتم اختراق أحد الأشخاص في البداية "قبل أن تُستهدف شبكاتهم المهنية في الفترة نفسها. في كل واحد من هذه الأمثلة، يحدث استخدام برنامج بيغاسوس بعد أو أثناء فتراتٍ تكشف فيها هذه الشبكات من المجتمع المدني، أو تُواجه سياسات إجرامية أو مثيرة للجدل في الدولة"(363).

استخدَم النظامُ المغربي برنامج بيغاسوس لاستهداف منتقديه، بمن فيهم المعارضون الصريحون للحكومة، والذين انتهَت بهم الأمور إلى السجن باتهاماتٍ ملفّقة(364). طَبّعَت إسرائيل والمغرب العلاقات بينهما في أواخر سنة 2020، مع الاتفاق بأن الولايات المتحدة ستعترِف بسيطَرة المغرب المتنازَع عليها في الصحراء الغربية. ومن أجل تَحلية الصفقة، باعَت إسرائيل طائرات مسيّرة انتحارية إلى المغرب، وكانت قد باعَتها في الماضي نظامَ دفاع صاروخيًا. عندما زارَ المغربَ وزيرُ الدفاع الإسرائيلي بيني غانتز في نوفمبر 2021، لم يتم إخفاء أن الدولتَين كانتا مهتمّتَين أساسًا بتجارة الأسلحة (ووضِعت العلاقاتُ الدبلوماسية في آخر اللائحة). قال وزير خارجية إسرائيل يائير لابيد سنة 2021 "المغرب ليست غبيةً في مجال الأمن الإلكتروني"، متجاوزًا بسهولة ذكر أن التقنيات الإلكترونية الإسرائيلية هي التي عزّزت قُدرات المغرب على الاختراق الإلكتروني.

قامت ديكتاتورياتُ مارقة بشراء برنامج بيغاسوس واستخدامه، إما كانت لها علاقات رسمية مع إسرائيل، أو أنها أرادت بشدّة الحصول على برنامج

مكتبة ياسمين

التجسس. كما استخدمت رواندا برنامج بيغاسوس لمراقبة المنشق بول روسيساباجينا Paul Rusesabagina، الرجُل الذي ألهم فيلم "فندق رواندا"، والذي تحايل عليه مسؤولون روانديّون، ثم اختطفوه في دبي، وأُجريث محاكمته في رواندا سنة 2021، وأدين بارتكاب جرائم تتعلّق بالإرهاب. استخدمت المغربُ برنامج بيغاسوس للتجسس على سياسيين فرنسيين كبار، بمن فيهم الرئيس إيمانويل ماكرون. ابتاع رئيس وزراء هنغاريا فيكتور أوران Viktor Orban، وهو حليفٌ مقرّب من نتنياهو، برنامج بيغاسوس للتجسس على سياسيين معارِضين وصحفيين مهمّين. عندما اكتُشِف ذلك سنة 2021، لجأ المتحدّث الرسمي باسمِ الرئيس إلى امتناع حكومته المعتاد عن معاداة الساميّة كلما وجّهت إليها اتهامات، ووجّه اللّومَ إلى البليونير اليهودي المحسن جورج سوروس. كان هذا هو نوع الحليف الذي أرادث إسرائيل رعايته في أوروبا كمؤيّد للدولة اليهودية.

انتشرت العدوى(365). تجّسس مسؤولون اسبان على السياسيين المؤيدين للاستقلال من منطقة الكاتلان (مما أدّى إلى استقالة رئيس وكالة المخابرات الاسبانية). حسب هآرتس في أغسطس 2022، كان لشركة NSO عقودٌ مع 22 هيئة تنفيذ قانونية في الاتحاد الأوروبي (مع شركات تجسّس إلكتروني أخرى تعمل أيضًا في تلك القارَة)(366). استهدف تقنيون في شركة NSO مسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية مُقيمين في أوغندا، وعندما اكتُشف ذلك في أواخر سنة 2021، عبّرت الشركة الإسرائيلية عن عميق أسفها لأن تلك الحادثة كانت الأولى (المعروفة) التي كان ضحيتها

مسؤولين أمريكان. تم تصميم برنامج بيغاسوس بحيث لا يمكن استهداف أي رقم هاتف يبدأ بالرقم 1+ (مفتاح الولايات المتحدة الأمريكية)، وهو أمرٌ أصرّ مسؤولون إسرائيليون على شركة NSO لوضعه من أجل منع زبائن عالميين من التجسس على مواطنين أمريكان. إلا أن شركة NSO خططت لحلٍ بديلٍ اسمه فانتوم (الشبح) تم عرضه أمام مكتب التحقيقات الفيدرالية سنة 2019 كطريقةٍ يتمكّن المكتب بواسطتها من اختراق هواتف مواطنين أمريكان(367).

اشترت وكالة المخابرات الأمريكية برنامج بيغاسوس من أجل جيبوتي للمساعدة في أنشطة الولايات المتحدة في مكافحة الإرهاب على الرغم من أن تلك الدولة كانت معروفة بانتهاكاتها لحقوق الإنسان(368). طلبت أوكرانيا الحصول على برنامج بيغاسوس مرات عديدة، غير أن طلبها قد رُفض منذ سنة 2019 لأن إسرائيل أرادت الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع روسيا، والاستمرار بمهاجمة أهدافٍ في سورية(369). كانت تلك السنة التي سبقت الغزو الروسي لأوكرانيا، على الرغم من أن الحكومة الأوكرانية قد طلبت ثانيةً استخدام برنامج بيغاسوس أثناء حربها مع روسيا(370). سيزيد هذا الصراع بشكل هائل اعتماد العالم على أدوات التجسس الإلكتروني الإسرائيلية من أجل التصدي للاختراقات الروسية والإيرانية والصينية.

انتشرت مخالب شركة NSO في كل مكان. إسرائيل لها تاريخ طويل من تسليح ودعم طغاة أوغندا(371). زار شلاف خوليو رئيس هذه

الشركة أوغندا بنفسه سنة 2019 لتوقيع صفقة مع تلك الدولة الديكتاتورية بلغت قيمتها نحو 10 - 20 مليون دولار(372). عندما كُشف عن تلك الصفقة سنة 2021، وردّت عليها الولايات المتحدة بغضب شديد، أخبر خوليو صديقًا له بشكل سري: "كنا نعرف دائمًا أن هذا الأمر له تاريخ انتهاء صلاحية"، يُفترض أنه كان يُشير إلى حقيقة أن شبح لائحة زبائن شركة NSO سيعود في النهاية ليطاردهم (إنما بعد أن تكون الشركة قد ربحت بلايين الدولارات)(373).

كانت قدرة الحكومة الإسرائيلية على الإقناع قوية جدًا. فمثلًا، كان للشركة تواجُد في المعرض التجاري للأمن والشرطة الذي أُقيم في بريطانيا سنة 2020. تمَت دعوتها بشكل خاص من قِبل حكومة المحافظين، إضافة إلى 300 شركة أخرى، إلى المناسبة التي استمرّت ثلاثة أيام، والتي نظّمتها وزارة الداخلية البريطانية. في سنة 2021، مُنحِت شركة NSO مرةً أخرى موقِعًا بارزًا في معرض الأمن الدولي الذي أُقيم في لندن. لم تقم شركة NSO بالدعاية لبرنامج بيغاسوس في المعرض بعد شكايات قدّمتها منظمةُ العفو الدولية للمنظّمين، بل قامت بدلًا عن ذلك بالدعاية لتقنيات Eclipse التي تُنتجها لمواجهة الطائرات المسيّرة غير المرغوب بها في السماء.

نيكول بيرلروث Nicole Perlroth هي صحفية مختصَة بالأمن الإلكتروني في النيويورك تايمز، وهي تتذكّر الحديث مع عشرة مُدراء في شركة NSO في مكالمة جماعية سنة 2016 "رفضوا إعطائي أسماءهم وعناوينهم". قال لها أولئك المدراء المجهولون أن الشركة لم تكن "مُرتزقة

مكتبة ياسمين

من أصحاب الدم البارد"، وأنها تبيع فقط إلى دول ديموقراطية(374).

قيل للصحفية بيرلروث أن شركة NSO لم يمنع عنها أي ترخيص إسرائيلي للتصدير، مما يشير إلى أن هذه الشركة كان لديها سماح مطلق للبيع في أي دولة في هذا الكوكب. شرحث أنه كان من الواضح من تلك المكالمة أن شركة NSO كانت تضع استراتيجيتها حسب اللزوم حرفيًا مثلما حدث عندما وضعت مكالمتها في وضعية الانتظار بضع دقائق بعد أن سألتهم فيما إذا كانت الشركة ستبيع برامجها لدولٍ قمعية. كان ذلك في لبّ نمط عمل شركة NSO: الإنكار، والتشويش والكذب الصريح. نجح هذا الأسلوب لسنين طويلة في التعامل مع وسائل الإعلام العالمية، التي لم تبذل أي جُهدٍ مِن طرفها للرّبط المباشر بين مبيعات شركة NSO والسياسة الخارجية الإسرائيلية.

طرحث أسئلة على فريق العلاقات العامة في شركة NSO بشأن كيفية بيع منتجاتها لدولٍ غير ديموقراطية، ولماذا تفعل ذلك، وما هي الضّمانات التي تضعها لضمان أن الشّاري لن يسيء استخدام منتجاتها؟ في ردّها على ذلك، أحالتني شركة NSO إلى "تقريرها عن الشفافية والمسؤولية" الذي نُشر سنة 2021. زعمت شركة NSO في هذا التقرير أنها "رفضت ما قيمته 300 مليون دولار من فُرص البيع بسبب إجراءاتها في مراجعة حقوق الإنسان"، وقالت إن وزارة الدفاع الإسرائيلية "تقيّد ترخيص بعض منتجاتنا، وأنها تجري تقييمها الخاصّ للزبائن من ناحية حقوق الإنسان". زعم التقرير أيضًا أن الشركة "ملتزمة باحترام حقوق الإنسان" عن طريق لجنة الحكم ودراسة المخاطر والامتثال. تقوم

مكتبة ياسمين

هذه اللجنة "بدراسة المبيعات المقترحة، وتقدّم توصياتها وقراراتها بعد إجراءات متعمّقة، ودراسة متأنّية للمخاطر، بما فيها تقييم مفصّل لتأثير ذلك على حقوق الإنسان".

ذكرت شركة NSO أن لديها نحو 60 عميلًا في 40 دولة، وأشارت إلى أنه في السنوات التي سبقت كتابة التقرير، قامت بفتح 12 تحقيقًا حول "سوء استخدام المنتج"، واستنتجت "أننا نفتخر بكوننا الشركة الأولى في صناعة الأمن الإلكتروني التي تُطبّق سياسات بشأن الالتزام التام مع مبادئ الأمم المتحدة التوجيهية بشأن الأعمال التجارية وحقوق الإنسان".

في نوفمبر 2021، اتّخذت إدارة الرئيس بايدن خطوةً مفاجئة ضد شركة NSO، وشركة مراقبة إسرائيلية أخرى هي شركة كانديرو Candiru، بوضعهما في "قائمة الكيانات"، وهي لائحةٌ سوداء أمريكية فيدرالية تمنع أي شركة أمريكية من بيع تقنيات أمريكية لشركة NSO. اتُّهمت وزارة التجارة الأمريكية شركة NSO بتسليح حكوماتٍ أجنبية بقصد "الاستهداف الضّار" بمنتقديها ومسؤوليها. ادّعت أن قرارها صدر بسبب "جهود إدارة الرئيس بايدن لوضع حقوق الإنسان في مركز السياسة الخارجية الأمريكية، بما فيها العمل لمنع انتشار الأدوات الرقمية التي تُستخدم في القمع". دفعت شركة NSO مئات الآلاف من الدولارات لجماعات ضغطٍ سياسية، ومؤسسات قانونية، وشركات علاقات عامة، في أمريكا لرفع اسمها من هذه اللائحة السوداء(375). كانت إحدى الشركات التي وظّفتها شركة NSO هي شركة Pillsbury Winthrop Shaw Pittman التي وزّعت وثيقة

عنوانها: "مجموعة NSO: هنا من أجلك، هنا من أجل الخير" أكّدث على تطبيق "برنامجٍ لا مثيل له في ضبط حقوق الإنسان" وأدواتٍ "جعلث عالمنا أكثر أمنًا"(376).

ذُكر أن شركة NSO قد صُدمث بسبب هذه التجربة، وقالت الحكومةُ الإسرائيلية إنها ستسعى في واشنطن لرفع اسم هذه الشركة من لائحة وزارة التجارة الأمريكية. قال إيلي بينكو Eli Pinko، وهو مدير سابق لوكالة الصادرات الدفاعية الإسرائيلية، إنه كان يجب على الحكومة الإسرائيلية "ألا ترضخ" للأمريكان والفرنسيين، وأن تعتذر عن نشاطات شركة NSO(377). إذ لا يوجد دليل مؤكّد على حدوث ذلك، على الرغم من إمكانية أن الإسرائيليين قد فعلوا ذلك من أجل إقناع الأمريكان بمَنح شركة NSO فرصةً أخرى. دفعث مجموعةٌ من السياسيين الديموقراطيين من أجل تطبيق عقوبات تجارية شديدة على شركة NSO. لم يكن سيحدث شيء من ذلك لو أن ترامب ونتنياهو كانا في السُلطة، على الرغم من أن خليفة نتنياهو، وهو نفتالي بينيت، قال سنة 2022 إن برنامج بيغاسوس كان "مهمًا جَدا في الحرب على الإرهاب، وكذلك ضد الجرائم الخطيرة".

بينما تم الترحيب بتحرّك واشنطن ضد شركة NSO، إلا أنه كان مملوءًا بالنفاق. لماذا يُتخذ موقفٌ ضد شركة NSO بينما تطوّر الولايات المتحدة وتطبّق وسائل مراقبة أكثر شدة ضد الأمريكان، وفي العالم الأوسع؟ اختبر مكتبُ التحقيقات الفيدرالية منتجات شركة NSO، وفكّر باستخدامها، إلا أن الولايات المتحدة قلقث فجأة بشأن اختراق مُنشقّين حول العالم! لم يكن ذلك منسجمًا مع بعضه

بعضًا. ربما كان السبب الأكثر احتمالا لتحركات بايدن ضد شركة NSO هو قلق الولايات المتحدة من أن شركة إسرائيلية كانت تتعدّى على هيمنة التقنيات الأمريكية. لم يمنع ذلك أعضاء الكونغرس الأمريكي من توجيه لومٍ متزايد ضد مجموعة NSO وأمثالها، وفي يوليو 2022، مررث لجنة الاستخبارات في مجلس النواب قانون تفويض الاستخبارات الذي يهدف إلى منع مؤسسات وهيئات الاستخبارات الأمريكية من شراء أو استخدام برامج تجَسس أجنبية.

بعد عقوبات بايدن، صرّح الشريك المؤسّس لشركة NSO شلاف خوليو في التلفزيون الإسرائيلي أنه كان من "النفاق" استهداف شركته، لأنه "لا توجد دولة واحدة ممَن بعنا لهم منتجاتنا، ولا دولة... لا تبيع لها الولايات المتحدة أيضًا، أو لا تبيع لها إسرائيل. ولذا فمِن النفاق القول إنه يمكِن بيع طائرات F-35 ودبابات وطائرات مسيّرة، إنما لا يَجوز بيع أداة تجمع معلومات استخبارية". كان محقًا بالطبع بشأن النفاق، إلا أن ذلك لا يعني أن أعمال شركته ستستمرّ ببساطة مع الطُغاة. ومع ذلك، ففي أوائل سنة 2022، بينما كانت شركة NSO تكافِح من أجل العثور على عملاء جُدد، وتغرق في الديون، قال خوليو لفريقٍ يمثّل غالبية المساهمين في شركته إنها ستتمكّن من البيع ثانية لدولٍ وسمتها الشركة بأنها "عالية المخاطرة"(378). كانت شركة NSO غير قادرة على التغيّر مؤسَساتيًا.

كان مثل هذا التدخل من الحكومة الأمريكية يُحتفظ به عادةً للشركات التي تعمل في الصين. استخدمت إدارة ترامب هذه الاستراتيجية بشكل

واسع لاستهداف شركات صينية متّهمة بقمع الأويغور، ولذا فقد رحّب بهذه الأخبار النشطاء المعارضين لشركة NSO، ولكن، ما هو الهدف الحقيقي لهذا القرار ضد حليف رئيسي؟ هل كان بسبب كراهية وكالة الأمن القومي الأمريكية لأي منافس عالمي لقُدراتها التجسسية، وأرادت قصّ أجنحتها، أو تدميرها؟ تم تعزيز هذه الحجَة عندما كشف مُحلّلون أمنيون في مشروع Project Zero في شركة غوغل أن أدوات شركة NSO كانت متطورة جدًا، مثل تطوّر القدرات التجسسية لدولة قومية(379).

الدول التي طوّرت واستخدمت أدواتٍ أمنية إلكترونية هجومية، مثل روسيا، وبريطانيا، والولايات المتحدة، والصين تشعر بالقلق إزاء شراء وكالاتها التجسسية لمنتجات شركة NSO لأنها تخشى أن ذلك قد يسمح لإسرائيل بمَعرفة هوية من تستهدفهم هذه الدول محليًا وعالميًا. هل سيفتحون أجهزتهم الأمنية لجَمع المعلومات الاستخباراتية الإسرائيلية؟ تستطيع هذه الدول من الطبقة الأولى أن تبني أدواتها الخاصة من نوع أدوات شركة NSO، ولكن هذا غير مُحتمل في دول الجنوب العالمي، أو في الدول الفقيرة التي تكون أكثر انفتاحًا على شراء برامج التجسس الإسرائيلية الجاهزة. بالنسبة للإسرائيليين حسب إيجال أونيه Yigal Unna، المدير العام السابق لإدارة الإنترنت الوطنية الإسرائيلية، فإن الدولة اليهودية يجب أن تحمي سيطرتها العالمية في مجال أسلحة التجسس الإلكتروني، وقال: "يجب أن نستعدّ لمعركةٍ من أجل الدفاع عن سُمعتنا الجيدة التي كسبناها بحق"(380).

مكتبة ياسمين

كان ردّ فعل الحكومة الإسرائيلية على الغضب العالمي المتزايد ضد شركة NSO، وغياب الرقابة التنظيمية الإسرائيلية، هو ببساطة إضافة حواجز إجرائية صغيرة أمام بيع أية أجهزة وبرامج تجسّس إلكترونية في المستقبل؛ ويجب على الدول التي تريد الحصول على شبكات المراقبة الإسرائيلية التوقيع على بيان(381)، ويستمر العمل كالعادة.

انتشرت تقنيات شركة NSO في دولٍ ذات علاقة وثيقة بإسرائيل. يقيم المحامي الهندي نيهالسينغ راثود Nihalsing Rathod في مدينة ناجبور، ويتعامل عادةً مع قضايا ضد الدولة الهندية. أبلغهُ برنامج واتساب سنة 2019 أن برنامج بيغاسوس قد اخترق هاتفه، إضافةً إلى 21 هاتفًا آخر، وافترض مباشرة أن ذلك قد حدث بسبب تمثيله لنشطاء جماعة الداليت المتهمين بالقيام بنشاطات معادِية للحكومة في قرية بيما كوريجاون قُرب بونيه سنة 2018. أخبرني أن "الخصم يجب أن يجمع كافة المدخلات التي ستساعده في تلويث صورتِنا، وربطِنا بأشخاص غير محبوبين، وأحداث أو تنظيمات، ووصمِنا بأننا غير وطنيين".

اعتقد راثود أن مسؤولين هنودًا أرادوا معرفة استراتيجياته الدفاعية في المحكمة، وأن برنامج تجسس شركة NSO كان الأداة المثالية لمعرفة ذلك. شعر بأنه مكشوف: "جعلتني هذه الحادثة أكثر حكمة. اعتدنا سابقًا على الشك فيما إذا كنا معرّضين للاستماع، أو المراقبة، أو لقراءة رسائلنا، إلا أننا تأكّدنا الآن من ذلك. ساعدنا هذا الكشف في إدراك أن الطريقة التقليدية في مراقبة الأشخاص ماديًا قد تغيّرت جذريًا. لقد تطوّرت وسائل المراقبة على مرّ الزمن، ويجب أن ننتبه لخصوصياتنا أكثر من ذي

مكتبة ياسمين

قبل".

خشي راثود أيضًا من إدخال معلومات في أجهزته يمكن أن تدينه دون أن يعلم. كانت تلك خشية حقيقية لأن مسؤولين هنودًا زرعوا بالفعل وثائق معيبة في هواتف أفراد لهم علاقة بقضية بيما كوريجاون(382). تم حبس أكثر من 12 شخصًا بحجة أنهم كانوا يحاولون الانقلاب على حكومة مودي، وتأييد فئاتٍ مُهمّشة.

قال راثود: "قد أصبح مشلولًا رقميًا في أي وقت، وقد ولّى زمنٌ مضى حينما كنتُ أستطيع وضع هاتفي بإهمال في أي مكان، وأتمتّع بحياتي الخاصة. أشعرُ دائمًا بأنّ شخصًا آخر، له عيون واسعة ينظر باستمرار في حياتي الخاصة، سواء كنتُ في غرفة نومي، أو مع زوجتي، أو عائلتي".

كانت الهند مستخدِما متحمسًا لتقنيات المراقبة، وقد استخدم نظامُ مودي برنامجَ بيغاسوس لتعزيز سيطرته على السُلطة. تم استهداف عشرات الصحفيين والنشطاء. وقامَت الشرطةُ في بونيه باختراق هواتف وكومبيوترات نُشطاء حقوق الإنسان لزرع أدلّة مزيفة لكي يستطيعوا اعتقالهم بسببها(383). عبّرَت الكاتبةُ الهندية المعروفة أرونداتي روي Arundhati Roy عن مخاطر التواطؤ الإسرائيلي-الهندي بتحدّي التعاطف المؤيّد لإسرائيل في الصحافة الهندية في عهد مودي، وكتبت: "يبدو أن التعاون الودود بين شركة NSO والهند قد بدأ في إسرائيل سنة 2017 أثناء ما أسمته الصحافةُ الهندية ضجبة مودي-نتنياهو عندما رفعا ثيابهما وجذفا معًا على شاطئ منطقة دور. وتركا ما هو أعمق من آثار أقدامهما على الرمال"(384).

مكتبة ياسمين

كما انتشر برنامج بيغاسوس في دولٍ لا تكاد تُذكر في الإعلام العالمي، إلا أن ذلك كان له دورٌ مهمٌ في تزايد الدّعم الدولي لإسرائيل. أخبرتني الناشطة التوغولية فريدا نابوريما Farida Nabourema "أعيش في المنفى، وقد كنتُ كذلك بين حين وآخر على مدى 13 سنة". قضت شبابها في معارضة الديكتاتورية التي قادها فورييه ناسينغبيه Faure Gnassingbe الذي كان رئيسًا منذ سنة 2005 (حكمت أسرته منذ 1967)، وتميّز حُكمه بالاعتقالات العشوائية، والتعذيب، والاختفاء القسري، والانتخابات المزوّرة، ومنع حرية التعبير. قالت: "لقد تعرّضتُ شخصيًا لاستهداف النظام".

توغو هي دولةٌ في غرب أفريقيا في خليج غينيا، ويبلغ عدد سكانها 8 ملايين نسمة. كانت مُستعمرةً فرنسية حتى حصلت على استقلالها سنة 1960. على الرغم من الحُكم الاستبدادي للرئيس فورييه ناسينغبيه، إلا أن واشنطن تقدّم الدّعم المالي لهيئات تنفيذ القانون والجيش في البلاد. خلال السنوات التي تَلَت استلامَ فورييه ناسينغبيه لمنصِبه، سعى كثيرٌ من الناشطين التوغوليين من أجل التغيير باستِخدام الإنترنت للدّفع من أجل إصلاحات سياسية واجتماعية التي تَشتدُ الحاجة إليها. كتبت نابوريما في منصّة فيسبوك سنة 2014 في رسالة موجّهة إلى الحكومة: "يمكنك أن تحكمي توغو دون مُساءلة، إلا أن المواطنين يحكمون الإنترنت، وسنحاسبك"(385). شاركت في تأسيس حركة "فورييه يجب أن يُغادر"، وهو شعار انطلق في الشوارع سنة 2017 بعد مظاهرات ضخمة طالبت بإعادة تحديد فترة الرئاسة.

سرعان ما أصبح واضحًا أن النظام يستطيع قراءةَ

مكتبة ياسمين

رسائل النشطاء الشخصية في منصة واتساب. اعتمدت الاعتقالات والتعذيب على تفاصيل موجودة في تلك المحادثات. كُشف عن كيفية حدوث ذلك سنة 2018 في تقرير نشرته جماعة مختبر المواطن Citizen Lab، وهي جماعة كندية تبحث في الأمن الرقمي، بعد أن اكتشفوا وجود برنامج شركة NSO للتجسس الإلكتروني بيغاسوس في هواتف النشطاء، وهي أداة تسمح بجمع كافة البيانات في الهاتف الذكي. اشترى النظام هذا البرنامج من شركة NSO في سنة 2016.

أقامت توغو علاقات وثيقة مع إسرائيل خلال حكم رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو. عندما زار الرئيس فورييه ناسينغبيه إسرائيل سنة 2017، كتب في كِتابِ الضيوف "أحلم بعودةِ إسرائيل إلى أفريقيا، وعودةِ أفريقيا إلى إسرائيل". صوّتت توغو كثيرًا لصالح إسرائيل في الأمم المتحدة، وأيدت رئاسة ترامب وإسرائيل سنة 2017 في الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل. دفع ناسينغبيه من أجل عقد قمّة أفريقية-إسرائيلية في توغو سنة 2017 لزيادة التأييد للدولة اليهودية في تلك القارَة، إلا أن ذلك الاجتماع ألغي بسبب تظاهر مئات الآلاف ضد ناسينغبيه في العاصمة لومي.

أما بالنسبة إلى الناشطة نابوريما، فقد كان كفاحها شخصيًا، إذ ألهمها والدها بيميا نابوريما الذي كان معارضًا طوال حياته، وقامت الدولة بتعذيبه. اعترض إخوتها على موقفها المعلن ضد النظام، ولم تتحدث معهم منذ سنة 2013. قالت: "يعتبرني كثير من الناس بأنني أحرّض النظام بدلًا من أن النظام هو الذي يحرّض على الأوضاع. الأسوأ أن

مكتبة ياسمين

يكون المرء ناشطًا في توغو من أن يكون مدمنًا على المخدرات". ذكرت جماعةٌ محلية لحقوق الإنسان أن سنة 2021 كانت "الأسوأ في المرحلة الديموقراطية في توغو من حيث حرية الصحافة".

عرفت نابوريما الناشطين الذين استهدفتهم تقنياتُ شركة NSO. في أكتوبر 2017، ألقي القبض على أحد زملائها. وسرعان ما تم إلقاء القبض على اثنين آخرين زاراه في السجن. تم اختراق رسائلهما في منصّة واتساب. لم تستخدم نابوريما برنامج واتساب منذ ذلك الحين أبدًا، وطلبت من زملائها عدم استخدامه أيضًا قائلة: "عمّ الخوف عندما اكتشف نُشطاء توغو أن برنامج واتساب قد تم اختراقه. ظنّ النُشطاء أن الحكومة لم تكن بهذا الذكاء (قبل أن يعرفوا أنها قد استخدمت برنامج بيغاسوس)، ولكن الحكومة وظّفت أشخاصًا يستطيعون فعل ذلك. قبل أن يحدث كل ذلك، اعتقد ناشطون آخرون أنني كنت أبالغ في الخوف".

على الرغم من أن الناشِطة نابوريما قد ساعدت في تنظيم تدريبات على الأمن الرقمي لنشطاء محليين بعد أول اختراق لشركة NSO، إلا أنها كانت يائسة من إمكانيات التغيير المحليّ من قبل نُشطاء على الأرض في توغو. في سنة 2019، أبلغ برنامج واتساب الذي تملكه شركةُ فيسبوك، خمسة معارضين للنظام، إضافةً إلى أسقف وكاهن كاثوليكي بارز، أنهم كانوا مستهدفين من جهة برنامج بيغاسوس(386). أدركت أن هذا البرنامج مازال يُستخدم في بلادها، حتى خلال الانتخابات الرئاسية المتنازع عليها سنة 2020. منذ ذلك الحين، حثّت نابوريما المعارضين على عدم مناقشة

أي قضية حساسة على الإنترنت، وعدم حفظ أي شيء قد يُلحق بهم الضرر في هواتفهم. أخبرتني أنه "لم يتغيّر أي شيء في توغو. تعوّد الناس فقط على الواقع الجديد. لقد تحمّلنا الديكتاتورية لفترة طويلة، وهكذا عندما تستخدم الحكومةُ أدوات قمعية جديدة، لا يرفضها الناس، بل يتأقلمون معها فقط، ويعتقدون أن تلك هي حالة الأمور العادية".

كان البقاء خارج توغو لفترة طويلة صعبًا على الناشطة نابوريما، ولا يمكن ضمان سلامتها إذا عادت إلى الوطن. ذكرت أنها حفّزت أهل توغو لتحدي مجموعة NSO في المحكمة، ولكن لم يرغب أحدٌ بفِعل ذلك، "لقد خاب أملي بالفعل، لأننا نحارب من أجل المبادئ، وقد تم التجسس علينا، وربما لا يهمك ذلك على المستوى الشخصي، ولكن كونك شخصيةً معارِضة يحتّم عليك تحدّي هذه المجموعة لحماية شباب توغو. لقد تأقلم كثيرٌ من أهل توغو مع المراقبة في عالمٍ رقميّ".

كانت إحدى الأساطير المستمرة بشأن شركة NSO، وكثير من منافِسيها، هي أنها شركةٌ خاصة تبحث عن الربح، دون أن تكون لها علاقات رسمية بدولة إسرائيل. إنها رسالةٌ تنشرها الحكومة الإسرائيلية دائمًا، وتُسايرها في هذا كثيرٌ من وسائل الإعلام الغربية دون أن تكون لديها الرغبة، أو القدرة على استقصاء ما يعنيه تجهيز نظام مراقبة رقمي تدعمه دولةٌ بالنسبة للعلاقات الدولية، والخصوصية، وحرية التعبير. من السهل إدانة قراصنة الإنترنت الذين تدعمهم الصين أو روسيا، وإدانة معارضين لحكوماتٍ غربية، ولكن ماذا لو كانت تلك الشركات تدعمها وتستعملها دولةٌ مفضّلة عند الغرب مثل إسرائيل؟

مكتبة ياسمين

زيف إلكين Zeev Elkin، هو عضوٌ في مجلس الأمن الإسرائيلي ووزير لشؤون القدس، وقد ساهم في نشر هذا الخداع بقوله سنة 2019 إنّ: "شركة NSO هي شركة خاصة تستخدم إمكانيات إسرائيل، حيث يوجد آلافٌ من العاملين في مجال الإنترنت، إنما لا يوجد هنا تدخُل للحكومة الإسرائيلية، والجميع يدرك هذا، ولا يتعلق الأمر بدولة إسرائيل".

كان هذا التصريح كاذبًا. يُظهر سجلّ شركة NSO التي لديها نحو 800 موظف وعامل، أنها سلاح فعّال من أسلحة الحكومة الإسرائيلية من أجل صنع أصدقاء والتأثير على الشعوب. حسب تقرير سنة 2016 لمنظمة الخصوصية الدولية، كان لدى إسرائيل أكبر عدد من شركات المراقبة في العالم بالنسبة لعدد السكان، متقدّمة على الولايات المتحدة وبريطانيا. أخبرني إدين أومانوفيتش Edin Omanovic، مدير الدعاية في منظمة الخصوصية الدولية، أنه بينما كانت إسرائيل فريدةً من ناحيةِ حَجم صناعتها لبرامج التجسس، فإن دولًا أخرى حقّقت أرباحًا من صراعاتها، وقامت بتصميم تقنياتٍ لمحاربة من تعتبرهم أعداء لها. شمل ذلك روسيا وصراعاتها ضد معارضيها في الداخل، وبريطانيا بمعاركها في إيرلندا الشمالية التي استمرّت عشرات السنين.

شهدت سنواتُ نتنياهو دفعةً قوية من الحكومة الإسرائيلية لكسب أصدقاء عن طريق بيعهم برامج التجسس. إنها مقامرةٌ ناجحة في معظم الأحيان. من الممكن ربط تحركات نتنياهو ورئيس الموساد يوسي كوهين لتحسين العلاقات الدبلوماسية مع أنظمةٍ تسلُطية في العالم. زار نتنياهو هنغاريا في

مكتبة ياسمين

يوليو 2021، ثم زار رئيس الوزراء فيكتور أوربان Viktor Orban إسرائيل في فبراير 2018. بدأ استخدم أوربان لتقنيات شركة NSO في فبراير 2018 باستهداف كثير من منتقديه. عندما تم توقيع اتفاقيات أبراهام في أغسطس 2020، وهي مبادرة أطلقها نتنياهو وترامب بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة والبحرين، اسخدم برنامج بيغاسوس (وغيره من الأدوات الدفاعية) بمثابة وسيلة تجنيد رئيسية. نجحث هذه الطريقة وكأنها سحر. مع حلول سنة 2022، كانت الإمارات العربية المتحدة تستخدم أنظمة دفاعٍ جوي قدّمتها إسرائيل لحمايتها من الطائرات المسيّرة الإيرانية.

جاء رئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي إلى إسرائيل في يوليو 2017، وردّ نتنياهو الجميل بزيارة الهند في يناير 2018. بدأت الهند باستخدام برنامج بيغاسوس في يوليو 2017. زار نتنياهو دولة رواندا في يوليو 2016، وبدأ الزعيم بول كاغاميه Paul Kagame استخدام برامج شركة NSO في سنة 2017. زار نتنياهو دولة أذربيجان في ديسمبر 2016، وبدأ الرئيس إلهام عالييف Ilham Aliyev استخدام برنامج بيغاسوس سنة 2018. ابتاعت هيئةُ مكافحة الفساد البولندية بعد أن اجتمع رئيس وزرائها بياتا شيدلو Beata Szydlo مع نتنياهو سنة 2017. اتُّهم الزعيم نجيب بوكيليه Nayib Bukele المؤيّد لإسرائيل في إلسلفادور باستخدام أدوات شركة NSO لاستهداف عشرات من النشطاء والصحفيين الذين كانوا يُحقّقون في فساد الدولة منذ سنة 2020. ولسخرية القدر، ينحدر الزعيم بوكيليه من أصولٍ فلسطينية، وقد هاجر أجداده المسيحيون إلى دولة إلسلفادور من القدس وبيت لحم في بدايات القرن

مكتبة ياسمين

العشرين. كانت الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية مستخدمتين متحمستين أيضًا لبرنامج بيغاسوس، على الرغم من أن إسرائيل لم تكن لديها علاقات رسمية معهما عندما بدأتا باستخدام هذا البرنامج(387). تم استهداف الحركة الديموقراطية في تايلاند باستخدام برنامج بيغاسوس، وشمل ذلك مراقبة نشطاء يسعون من أجل إصلاح الملكية في البلاد.

على الرغم من وحشية وعنف بعض هذه الأنظمة، إلا أن إسرائيل استهدفتهم بشكل خاص لبيع تقنيات شركة NSO. حسب أحد العاملين في شركةٍ رقمية إسرائيلية "حدّدت إسرائيل المملكة العربية السعودية كهدف استراتيجي. كان ذلك برنامجا انخرطت فيه وزارة الدفاع. كان الهدف إغراء السعوديين وجذبهم نحو إمكانياتنا"(388). أملت إسرائيل بأن السعوديين سيستخدمون الأسلحة الرقمية الإسرائيلية لزيادة التوتر مع عدوهما المشترك إيران. صرّح إسرائيلي قام بتسويق منتجات شركة NSO في منطقةِ الخليج لصحيفة الفاينانشيال تايمز "إنه بمثابة اللعبة التي يريدها كل ضابط مخابرات. إنهم يحبّون العروض التوضيحية. ويحبّون أنها من إسرائيل"(389).

في سنة 2022، عندما زار الرئيس الأمريكي جو بايدن المملكة العربية السعودية وإسرائيل، أجريت محادثاث مفتوحة بشأن إسرائيل والمملكة العربية السعودية وبعض الدول العربية والخليجية التي تعمل جميعها معًا لمواجهة الطائرات المسيّرة والصواريخ الإيرانية.

كانت هناك إشاراتٌ متناقضة بأن الأسلحة الرقمية تثير قلق الجمهور الإسرائيلي، إنما ليس

مكتبة ياسمين

إلى الدرجة التي تؤدي لعمل أي شيء تجاهها. استنتج أحد الكتّاب الإسرائيليين أن هذا يرجع إلى إعجاب الإسرائيليين بفنّ ربح الأموال بأية طريقة كانت، واحترامهم للصعود الصاروخي في الصناعات الرقمية، وما حققته للدولة اليهودية من اعترافٍ عالمي وسمعة محترمة. كتب قائلًا: "يستمرّ الجمهور باعتقاد أنه إذا ضمنت وزارة الدفاع إصدار شهادة تصدير، فلا بد من أنها مفيدة لدولة إسرائيل"(390). ولكن عندما اكتشف سنة 2022 أن برنامج بيغاسوس قد استخدِم لمراقبة مواطِنين إسرائيليين داخل البلاد، أثار ذلك فجأة غضب كثيرين في إسرائيل بشأن شركة NSO، واحتمال إساءة استخدام تقنياتها.

ومع ذلك، فإن استبيان منظمة العفو الدولية سنة 2021 قد وجَد أن غالبية الإسرائيليين يعتقدون بأن مبيعات الأسلحة الرّقمية غير الخاضِعة للرقابة والتنظيم كانت "غير أخلاقية"، وكان أكثرهم معارضةً للتجارة مع أنظِمة استبدادية غير أخلاقية هم المتديّنون اليهود مقارنةً بالعلمانيين(391). اعتبر كثيرٌ من اليهود الإسرائيليين أن شركة NSO وأمثالها كانت مصدَر فخر لأن هذه الشركات أظهرت أن لها وزنًا عالميًا كبيرًا، وأنها تحارب الإرهابيين والمتحرّشين بالأطفال. المعنى واضح: إسرائيل هي الضحية الحقيقية هنا. ناقش كاتبٌ في موقع واي نت Ynet الشهير على الإنترنت أن المشكلة ليست في تقنيات شركة NSO، إنما في كيفية استخدامها من جهة الحكومات. يذكّر هذا بشعار الجمعية الوطنية للبنادق في أمريكا أن البنادق لا تقتل، بل الأشخاص(392).

في الماضي، كان مجرد اسم شركة NSO وتقديم

مكتبة ياسمين

رواتب مرتفعة كافيًا لضمان عددٍ كبير من المرشحين للعمل، إنما بعد عددٍ لا يُحصى من الفضائح، بدأ الموقف بالتغيّر في سنة 2021. ضخّت الشركة حملات في وسائل التواصل الاجتماعي لإظهار أنها مازالت حيّة ونشيطة. كتب رامون إيشكار Ramon Eshkar، نائب رئيس الشركة، في الصحافة الإسرائيلية أن "الصهيونية، والإسرائيلية، والقيم تندمج في كل شيء تقوم به شركة NSO". قال إن الشركة "تُساهم في نشاطات مهمة، مثل عمليات البحث عن المفقودين، عمليات البحث والإنقاذ - وجميعها على أساس تطوّعي"(393).

قبل هذه الرسالة عددٌ أقلّ من الإسرائيليين، ذكر ضابطُ مخابرات إسرائيلي سابق كيف تعرّف على صديق عُرِضَت عليه وظيفة في شركة NSO ولكنه رفضها قائلًا: "فسّروا أنه بالنسبة لهم لا يوجد فرقٌ بين العمل لصالح شركة رافائيل المتعاقِدة مع الجيش الإسرائيلي التي تصنع الصواريخ، أو العمل في شركة نايكي التي تصنع الملابس العسكرية، أو العمل لدى شركة NSO التي تُواجه أطنانًا من الانتقادات العامة"(394).

شرح الصحفي الإسرائيلي أمير أورين Amir Oren سنة 2021 أن "اللدغة الحقيقية في قصة شركة NSO... لها علاقةٌ واهنة بالأعمال أو بالدبلوماسية، إنما علاقتها بالجاسوسية والمصالح الاستراتيجية. إذا تمكّن البائع الإسرائيلي، وبالتالي الزبون الأجنبي، من اختراق هاتفٍ محمول، أو جهاز لوحيّ أو كومبيوتر مكتبيّ، ومحتوياتها وبرامجها، ومراسليها، وجهات اتصالاتها، فمن الواضح أن المخابرات العسكرية الإسرائيلية، والشين بيت، والموساد، ووحدة التحقيقات في الشرطة

الإسرائيلية تستطيع أيضًا التوصّل إلى النتائج ذاتها، بما فيها اختراق هاتف الرئيس الفرنسي ماكرون، (أو حتى الرئيس الأمريكي بايدن). تمتلك المخابرات الإسرائيلية نسخة أكثر تطورًا من برنامج بيغاسوس؛ والنسخةُ التي تباع للخارج هي أقلّ تطورًا. وإسرائيل محمية من مثل هذه الاختراقات بتدابير مضادّة(395).

ما كان أورين يعنيه هو أن إسرائيل لديها تقنيات تُنافس أي قوة عظمى، وأن برنامج بيغاسوس كان لعبة بالمقارنة مع ما تستطيع الدولة اليهودية فعله. كانت قوة شركة NSO ودولة إسرائيل لا يمكن وَقفها تقريبًا، حتى بالمقارنة مع شركة أبل، التي اضطرتْ لإصدارِ تحديثٍ إسعافي لبرنامج كومبيوتر سنة 2021 من أجل مُستخدِميها الذين بلغ عَددهم 1.65 بليون مُستخدِم بعد أن اكتشفتْ جماعةُ مختبر المواطِن الكندية Citizen Lab وجود قابليةٍ للاختراق في نظام تشغيل أجهزة أبل استغلّها برنامج بيغاسوس. في تباينٍ عن كثير في وسائل الإعلام الغربية، أصدرتْ شركةُ أبل بيانًا صحفيًا هاجمتْ فيه مباشرةً تورُّط الدولة اليهودية: "تصنّع شركة NSO تقنيات مراقبة متطورة تدعمها الدولة وتسمح لبرامج تجسّسها العالية الدقّة لاستهداف ومراقبة ضحاياها".

أخبرني رون ديبرت Ron Deibert، البروفسور الكندي في العلوم السياسية، والفيلسوف، ومدير جماعة مختبر المواطن في مدرسة منك للعلاقات الدولية بجامعة تورنتو، أن التحدي الأكبر الذي يواجه المعارضين لصناعات المراقبة الإلكترونية هو كيفية التعامل مع حقيقة أن "العالم اليوم تديره طبقة دولية من رجال العصابات. هذا رأيي بهم، إنه

مكتبة ياسمين

حُكمُ طبقةٍ عالميةٍ متسلّطة فاسدة".

في كتابه "إعادة الضبط: استرجاع الإنترنت إلى المجتمع المدني" الذي نُشر سنة 2020، يناقش ديبرت أنه بدون تغييرات أساسية في الدوافع المالية لدى شركات مثل شركة NSO، فإن مستقبل الوضع الإنساني كئيبٌ. كتب قائلًا: "تمثّل البيانات الشخصية والمراقبة ووسائل سيطرة الدولة التسلُّطية تركيبةً مثالية، بما يبدو أنه فُرص أعمالٍ مُغرية لا نهائية تُقوّض المسؤولية العامة، وتُيسّر الحُكم التسلّطي"(396).

ليست شركة NSO وحدها هي التي تسبَّب الأذى حول العالَم، فإن شركة سيليبرايت Cellebrite هي شركةٌ إسرائيلية أخرى تعمل مع دولٍ قمعية، ومع ذلك فقد تلقَّت انتقادات أقلَّ بكثير. من الصعب معرفة سبب تجنُّبها للشمعة السيئة التي نالتها شركة NSO، إنما قد يرجع ذلك إلى أن شركة سيليبرايت تفضِّل العمل بهدوء في مجال قدراتها على اختراق الهواتف، أو ربما لأن تَحالف شركة NSO مع أنظِمة استبدادية قد جذَب انتباه الباحثين ووسائل الإعلام التي غالبًا ما تفشَل في اكتشاف الروابط مع الدولة الإسرائيلية. أخبرني الإسرائيلي إيتاي ماك محامي حقوق الإنسان: "تَبيع شركةُ سيليبرايت معداتٍ لاختراق هواتف من مسافات قريبة، بينما تعمل معدات شركة NSO على مسافات بعيدة، ولكن التأثير واحد في هذه الأعمال".

تأسّست شركةُ سيليبرايت في التسعينيات، وكانت في البداية شركة تقنيات استهلاكية، ولكنها تطوّرت بعد سنة 2010 وانغمست عميقًا في أعمال المراقبة واختراق الهواتف المحمولة لأنها لاحظت احتمال

مكتبة ياسمين

وجود أرباح كبيرة للعمل مع مسؤولين عن ضبط الأمن في كافة أنحاء العالم. في أواخر سنة 2021، أطلقت شركة سيليبرايت حملة علاقات عامة ضخمة تحت عنوان: "أبطالٌ وراء أبطال" شملت دعايات على الإنترنت، ولوحات إعلانية تروِّج للأعمال الضرورية التي حقَّقتها "حلولهم الرَّقمية الذكية" لقوات الشرطة حول العالم"(397).

لم يكن مُستغربًا أن الحملة الإعلانية كانت انتقائية بشأن الخدمات التي تقدِّمها شركة سيليبرايت، ومن الذين استهدفتهم هذه الدعايات. في سنة 2022، كتب إيتاي ماك إلى الشركة وإلى وزارة الدفاع الإسرائيلية للتذكير والتنبيه إلى الأماكِن التي انتهت إليها معدات شركة سيليبرايت، بما فيها روسيا حيث تتم ملاحقة الصحفيين، والفلبين حيث تم اغتيال عدد لا يحصَى من المراسِلين خلال حُكم الرئيس رودريغو دوتيرتيه(398).

لا تستطيع الحكومة الإسرائيلية، ولا شركة سيليبرايت ادِّعاء الجَهل بما يمكن أن يَحدث لأدوات المراقبة المتطورة تحت تصرَّف المستبدِّين(399). هناك صورةٌ منشورة لموظفين في شركة سيليبرايت وهم يَجتمِعون مع دوتيرتيه سنة 2018، واعتِراف الشركة بأنها قد درَّبت طيفًا من الهيئات العامة، كان بعضها متورطًا بشكل مباشر في قتل آلاف من الفلبينيين خلال الحملة العنيفة من "الحرب على المخدرات" التي قام بها نظام دوتيرتيه. عندما تم تحدِّي شركة سيليبرايت بشأن تورطها هذا، صرَّحت الشركةُ لصحيفة هآرتس أنه كان لديها "آلياتُ مراقبة صارمة" على مبيعاتها. كان ذلك تصريحًا مشابهًا لتصريح شركة NSO إلى حدٍّ بعيد عندما تم الضغط عليها بشأن علاقاتها الدولية.

الدول التي استخدمت فيها تقنيات شركة سيليبرايت لمراقبة المعارضين والصحفيين والمنشقين والعاملين في مجال حقوق الإنسان تشمل: بوتسوانا، وفييتنام، وبنغلاديش، وأوغندا(400). وتشمل هذه التقنيات الجهاز العالمي لاستخراج الأدلة الجنائية الذي يسمح بالحصول على معلومات من هواتف محمولة. استخدمت هذا الجهاز كتيبةُ التدخل السريع في بنغلاديش، وهي وحدةٌ شبه عسكرية سيئة الشمعة اتُهِمت بالقيام بعمليات قتل وغيابٍ قسري خارج النظام القضائي. عندما كُشِف عن هذه العلاقة سنة 2021، سارَعت الشركةُ لإعلان أن مبيعاتها لبنغلاديش قد أوقِفت، على الرغم من أن بنغلاديش تستمرُّ على الأرجح في استِخدام هذه التقنية التي حصلت عليها من قَبل. كما أن شركة سيليبرايت ذكَرت أنها ستشكّل لجنة استشارية لضَمان أن "الاعتبارات الأخلاقية" ستكون لها الأولوية من الآن فصاعدًا. ومرة أخرى، استخدَمت شركةُ سيليبرايت تقنيات العلاقات العامة ذاتها التي استَخدمتها شركة NSO. لا توجَد علاقاتٌ رسمية بين بنغلاديش وحكومة إسرائيل، غير أن هذا لم يمنع خبراء إسرائيليين في المخابرات من تدريب ضباط في بنغلاديش لفترة أربعة أيام في ضواحي بودابست في هنغاريا سنة 2019. تستخدم الشرطةُ الإثيوبية الاتحادية منتجات شركة سيليبرايت على الرغم من قيام هذه الحكومة باعتقالات جماعية للأقليات، وقمع المعارضين، والصحفيين، والنشطاء(401).

تُقاوم شركةُ سيليبرايت التدقيق الإعلامي، مثلما تفعل شركة NSO. حسب تقريرٍ في صحيفة

هآرتس، فإن وزارة الدفاع الإسرائيلية لا تُشرف على مبيعات شركة سيليبرايت لأن منتجاتها قد تم تصنيفها بطريقة ما على أنها خدمات مدنية ذات استخدامات ثُنائيّة، وليست صادرات تتعلّق بالأمن. يسمح هذا التصنيف بالتالي لشركة سيليبرايت بالعمل في عشرات الدول دون إشرافٍ إسرائيلي حقيقي(402).

لم تُواجه الشركةُ أية مصاعب في الحصول على زبائن مستعدين لدفع أجور عالية. ابتاعت معدات هذه الشركة أكثر من 2800 جهة في الحكومة الأمريكية، بما فيها وكالات لضبط القانون شملت دائرةُ شؤون المحاربين المتقاعدين، ووزارة الزراعة، كما وظّفت هذه الشركة مدّعين عامّين، وعملاء في الخدمة السريّة لتدريب الناس على استِخدام معداتها(403). أعلنت الشركةُ أن لديها أعمالًا مَضمونة مع ستّ من أكبر شركات تصفية البترول، وستّ من أكبر شركات الأدوية في العالم. كما دخلت مجالَ أمن الشركات المتزايد الأرباح. تم شراء أنظِمة شركة سيليبرايت في أماكن أخرى سنة 2015 من جهة الحكومة الفنزويلية وسطَ شكوكٍ بأن ذلك النظام قد استَخدمها لاستهداف معارِضين ومنشقّين.

ومع ذلك فإن الصحافة السيئة أثّرت أحيانًا على مدى وصول الشركة. قالت الشركةُ إنها لن تبيع الجهاز العالمي لاستخراج الأدلة الجنائية إلى روسيا وبيلاروسيا بعد أن كشف إيتاي ماك في وثائق المحكمة سنة 2021 أن ذلك الجهاز قد اسُتخدم لمراقبة نُشطاء مثليين وشخصيات معارضة في هاتين الدولتين، بمن فيهم زميلٌ للمعارض السياسي الروسي ألكسندر نافالني، ومنتقدين للديكتاتور

مكتبة ياسمين

البيلاروسي ألكسندر لوكاشينكو.

في سنة 2021، ادّعت الشركة أنها قد انسحبت من أي نشاط لها في الصين وهونغ كونغ، غير أن صحيفة إنترسبت اكتشفت لاحقًا أن الوسطاء الذين باعوا شركة سيليبرايت قد استمرّوا ببيع تقنياتها للمراقبة إلى الشرطة الصينية في البرّ الرئيسي وفي التيبيت(404). افترضت جماعات حقوق الإنسان أن الشركة كانت قد قطعت علاقاتها الرسمية مع بعض الدول القمعية لأنها أرادت الابتعاد عن هذا الخِلاف(405).

لم يكن فِعل ذلك سهلًا. كانت شركة سيليبرايت قد باعت معداتها إلى إندونيسيا، الدولةُ المسلمة التي ليس لديها علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، وقد استخدمت تلك الدولة هذه المعدات في استِهداف معارِضين ونُشطاء سياسيين في مواقع مثل بابوا الغربية، إضافة إلى أعضاء في مجتمعات المِثليين الذين استخدموا برامج مواعيد مثل برنامج غرايندر Grindr.

في مقابلةٍ سنة 2020، رفض المديرُ التنفيذي لشركة سيليبرايت، يوسي كارميل، أي وَصف لشركته بأنها تُشبه شركةَ NSO لأن ما فَعلته شركته كان "محدودا جدًا في سُلطته، في تباين مع عالم زبائن شركة NSO وغيرها، حيث يتم القيام بأشياء غير قانونية، وسريّة. تعمل شركة سيليبرايت في منطقة جيدة، وفي توافقٍ مع النظُم القضائية. نحن لا نصنع أجهزةَ اختراقٍ لكيانات خاصة، أو لوكالات تجَسس"(406).

في سنة 2020، وجدت هيئةُ أبتورن Upturn، وهي هيئةٌ غير ربحية في واشنطن، أن تقنيات

مكتبة ياسمين

شركة سيليبرايت قد استخدمت كثيرًا لتنفيذ القانون في أمريكا من خلال اختراق هواتف محمولة بزعم محاربة الجريمة. استخدمت 49 دائرة شرطة على الأقل من أكبر 50 دائرة في أمريكا هذه التقنيات خلال التحقيق في جرائم مثل سرقة المحلات، والاغتصاب، والقتل(407). تم اختراق هواتف ذكية مشفّرة بشكلٍ متكرر وناجح باستخدام تقنيات شركة سيليبرايت؛ وجدت هيئة أبتورن أن ذلك قد تم مئات الالاف من المرات في الفترة 2015-2020.

تعمل شركة سيليبرايت، مثل شركة NSO، في دولٍ لها علاقات ودّية مع إسرائيل، وفي دولٍ لا تكاد توجد معها علاقات دبلوماسية، على أساسِ أن بيع الأسلحة الإلكترونية لا يحتاج إلى احترامِ هذه الفضائل. الاعتبارات الأخلاقية ليست عاملًا من عوامل اتّخاذ القرار عند الحكومة الإسرائيلية. أخبرني إيتاي ماك أنه "كان من المدهش أن شركة سيليبرايت لم تهتمّ بوجود عقوبات أمريكية على بعض الدول، مثل روسيا والصين، وكانت سعيدةً على الرغم من ذلك ببيع منتجاتها إلى موسكو وبكين. ولكنها تستجيب فقط عند وجود تشهير ضدها، وتلغي صفقاتٍ في هاتين الدولتين". ذكر ماك أن الميزة في ذلك بالنسبة لإسرائيل هي أنه "بينما سيكون صعبًا على إسرائيل بيع مدافع وأسلحة إسرائيلية يمكن تمييزها (مثلما حدث على مدى عقودٍ قبل عصر الإنترنت)، فإن المراقبة الإسرائيلية مختلفة"، وتصعب إمكانية تحديد أن منشأها هو إسرائيل.

كتب موظف سابق في شركة سيليبرايت، كان عضوًا في هيئةٍ دفاعية، ولم يصرّح عن اسمه، في

صحيفة هآرتس أنه "أستطيع القول من خبرتي الشخصية إن الشركة لا تفعل شيئًا لمنع سوء استخدام منتجاتها من قبل الزبائن". السبب الذي ترغب من أجله دولٌ قمعية بالتقنيات الإسرائيلية، سواء من شركة سيليبرايت أو من شركة NSO، هو سببٌ بسيط: الصين ودول أخرى تصنع "بدائل أقلَّ جودة"(408).

إضافة إلى شركة سيليبرايت، فإن لائحة شركات المراقبة الإسرائيلية طويلة جدًا. قام تال ديلان Tal Dilian، وهو قائد سابق في الجيش الإسرائيلي مُقيم في قبرص، بمفاجأة مُتابعين لهذا المجال السريّ سنة 2019 عندما عرَض أمام صحفيّ في مجلة فوربس داخل مَركَبة كيف يستطيع اختراق أي هاتف ذكيّ في الجوار. من النادر مشاهدة هذه التقنيات عن قُرب، على الرغم من أن السلطات القبرصية قد صادرته لأنها زعمت أنه قد تم تصميمه من أجل التجسّس التجاري(409). مازالت شركة ديلان إنتليكسيا Intellexia تعمل، ومازال يَرِدُ اسمه باستمرار في وسائل الإعلام العالمية بصِفته خبير في شؤون التهديدات الرقمية على الرغم من حقيقة أن لدَيه مصالح مالية في تضخيم هذ التهديدات(410).

منحت فرص العمل في الصناعة الرقمية المشبوهة ثروات كبيرة لإسرائيليين يحملون خبرات عسكرية مشابهة. عندما أُطلقت منصّة الحوار المشهورة جدًا تو توك ToTok في الإمارات العربية المتحدة سنة 2019، جذبت ملايين من الناس لتنزيلها واستخدامها. ولكنها كانت في الواقع أداة تجسّس. كانت شركة داركماتر DarkMatter وراء ذلك، وهي شركةٌ إماراتية جذبت مسؤولين أمنيين

إسرائيليين سابقين، وعاملين سابقين في وكالة الأمن القومي الأمريكية(411).

بعيدًا عن منطقة الخليج، تبنّت بعض الدول أدوات رقمية إسرائيلية لأن هذه التقنيات اعتُبرت بأنها من الأكثر كفاءة في العالم. حازت دولة جنوب السودان على استقلالها سنة 2011، وابتاعت تقنيات اعتراض الاتصالات من شركة إسرائيلية هي فيرينت سيستمز Verint Systems في الفترة 2015-2017 على الرغم من أن مكاتب المخابرات في جنوب السودان معروفةٌ بانتهاك حقوق الإنسان. اتهامات جنوب السودان بارتكاب جرائم حرب ضد النّخب من مواطنيها لم تمنع صفقات البيع هذه. كما كانت أذربيجان وإندونيسيا زبائن لشركة فيرينت سيستمز واستخدام أدواتها لاستهداف المِثليين.

كانت شركاتٌ مراقبة إسرائيلية أخرى أكثر وقاحة بالعمل في قلب الولايات المتحدة لاستهداف نُشطاء مؤيدين للفلسطينيين. قام متبرّعون أمريكان يهود بتمويل جماعة ساي-غروب Psy-Group المنحلّة الآن في أمريكا بعد أن وعِدوا بأن تظلّ شخصياتهم سرّية. قامتْ هذه الجماعةْ بعملياتٍ في أرجاء العالم، من أوكرانيا إلى كندا، واستخدمتْ طيفًا من الفنون السوداء، مثل صنع محتويات ملفقّة، ونشرها في الإنترنت ضد أعداء لزبونٍ معيّن.

أقرّ ألكسندر نيكس Alexander Nix، الرئيس التنفيذي لشركة كامبريدج أناليتيكا Cambridge Analytica، وهي شركة استشارية بريطانية استخدمتْها حملةُ دونالد ترامب الرئاسية سنة 2016، بأن الإسرائيليين قد اعتادوا على الإيقاع بالخصوم السياسيين. وقال: "نستخدم شركات إسرائيلية... كانت ذات كفاءة عالية في جمع

مكتبة ياسمين

المعلومات". وصفت جماعة ساي غروب وأمثالها بأنها "وكالات خاصة للموساد".

كانت جماعة ساي غروب كيانًا استخباراتيًا إسرائيليًا خاصًا تم تمويله من جهة أفراد لهم علاقات بالدولة العميقة في إسرائيل. في أواخر سنة 2016، تشاركت هذه الجماعة مع شركة كامبريدج أناليتيكا للحصول على أعمال من الحكومة الأمريكية. تصوّر الطّرفان ضنع برنامجٍ من أجل نزع التطرّف عن متعاطفين مع داعش (حركة الدولة الإسلامية) في مركز التعامل العالمي في وزارة الخارجية الأمريكية. كان لدى جويل زامل Joel Zamel، وهو مُستثمرٌ أسترالي-إسرائيلي مؤسّس لجماعة ساي غروب، طموحٌ قديم للعمل على برامج لمكافحة التطرف، ودعم الحكومات المؤيدة للغرب. أوقعه هذا الطموح في متاعب أحيانًا. وجد تقريرٌ لمجلس الشيوخ الأمريكي سنة 2020 أن جماعة ساي غروب قد حاولَت التأثير على الانتخابات الرئاسية الأمريكية سنة 2016 بوَضع خدماتِها لصالح حَملة ترامب. تم حلّ جماعة ساي غروب، إلا أن مؤسّسها زامل يعمل الآن على طيف من شركات الاستخبارات الخاصة.

كانت جماعة ساي غروب مشغولة جدًا في أوج نشاطها بتطبيق عدد من البرامج الرقمية، والأشخاص الذين عملوا بمثابة أشباه جواسيس في أمريكا مع وسائل التواصل الاجتماعي، وأبحاث سوداء على الإنترنت، والمراقبة الميدانية لتتبّع مؤيدين من اليهود والفلسطينيين لحركة المقاطعة وسحب الاستثمارات والعقوبات حوالي سنة 2017. كان ياكوف عميدرور Yaakov Amidror مستشارًا سابقًا في شؤون الأمن القومي لرئيس

مكتبة ياسمين

الوزراء بنيامين نتنياهو، وقد أخبر مجلة النيويوركر أنه عمل مع الشركة لأن "الحكومة الإسرائيلية لم تكن موجودة هناك (تراقب النشطاء الفلسطينيين)، وفكّرت أنه إذا كان أفراد خصوصيون مستعدّين للقيام بذلك، فقد يكون هذا مفيدًا". كانت نصيحته لجماعة ساي غروب: "لا تضربوهم، ولا تدخلوا بيوتهم"(412).

كانت المهمة هي كشف المؤيدين الأمريكان لحركة المقاطعة وسحب الاستثمارات والعقوبات. قيل للعاملين في جماعة ساي غروب أن العملية كانت قانونية تمامًا، وأنها تركّز بشكل خاص على زعماء الحركة في الجامعات الأمريكية. تعاونت الشركة مع مؤسسة الدفاع عن الديموقراطيات، وهي مركز أبحاث يضمّ محافظين جدًا ومؤيدين للحرب في واشنطن. بعد أن قام بالعمل، زعم عميدرور في مجلة النيويوركر أن جماعة ساي غروب كانت تقدّم خدمة عامة. اعتقد أن المؤيدين لحركة المقاطعة وسحب الاستثمارات والعقوبات كان يتم تمويلهم في الغالب من جهة حركة حماس، أو من السلطة الفلسطينية، على الرغم من أنه لم يقدّم أي دليل على هذا الزعم، وادّعى أنه كان من المبرّر أن تقوم شركة استخبارات إسرائيلية بجمع معلومات عن مواطنين أمريكان، وأنها لا تقوم بعمل غير قانوني.

أراد المنتج السيئ الشمعة في هوليوود هارفي واينستين Harvey Weinstein توظيف أكثر شركات الاستخبارات الخاصة كفاءة التي يمكن شراؤها لقتل أي روايات إعلامية حول اعتداءاته الجنسية على عدد لا يحصى من النساء. في سنة 2016، اختار الشركة الإسرائيلية بلاك كيوب Black Cube (المكعب الأسود) التي قام

مكتبة ياسمين

بتأسيسها سنة 2010 عددٌ من ضباط المخابرات الإسرائيليين السابقين، ومدير الموساد السابق مائير داغان Meir Dagan. ستحصل هذه الشركة على مكافأة قدرها 300.000 دولار إذا حجبث عن النشر رواية رئيسية حول واينستين في صحيفة النيويورك تايمز. اعترف رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إيهود باراك بتقديم واينستين إلى الشركة الإسرائيلية. ومع ذلك، فقد فشل واينستين في مهمّته، ويقبع الآن في سجن أمريكي بسبب سلسلة من الاغتصابات.

كانت تلك المرة الأولى التي يسمع فيها كثير من الناس عن شركة بلاك كيوب، غير أنها كانت موجودة في الأسواق العالمية للاستخبارات الخاصة واستخبارات الشركات منذ فترة طويلة، وروّجت لنفسها مثلما فعلت شركة NSO بتوظيف الأفضل في أعمال التجسس. شملت بعض أعمالها الأقلّ شهرة جمع معلومات حول مسؤولين كبيرين في إدارة الرئيس أوباما هما بن رودوس Ben Rhodes وكولين كال Colin Kahl، وكل منهما داعِم رئيسي للاتفاق النووي الإيراني. ذُكِر أن الزبائن وراء هذه العمل كانوا مساعِدين لدونالد ترامب (على الرغم من أن شركة بلاك كيوب قد نفث ذلك)(413).

كانت إيزابيل دوس سانتوس Isabel Dos Santos أغنى نساء أفريقيا، وقد وظّفت شركة بلاك كيوب لكشف مساوئ الحكومة الأنغولية التي اتّهمتها بأنها تريد الحجز على ممتلكاتها. قامت السلطات الأنغولية سنة 2020 ردًا على ذلك باتهام دوس سانتوس، وهي ابنة الرئيس الأنغولي المستبّد السابق، باختلاس كميات ضخمة من الأموال من المصادر الطبيعية في بلادها، وتحويلها إلى

حسابات بنكية خارجية في الشرق الأوسط وأوروبا. طبّقت الحكومة الأمريكية عقوبات عليها في أواخر سنة 2021 بسبب "فساد كبير"، مما حرمها من دخول البلاد.

أسماء الزبائن في لائحة شركة بلاك كيوب تشبه كثيرًا طريقة عمل شركة NSO؛ اشتغل حيث لا يعمل كثيرٌ من الآخرين، وتعاونْ مع الحكومة الإسرائيلية. عمل جوزيف كابيلا Joseph Kabila، رئيس جمهورية الكونغو الديموقراطية آنذاك، مع شركة بلاك كيوب سنة 2015 بعد أن اجتمع معه مدير الشركة دان زوريلا Dan Zorella، وهو عضو سابق في وحدة النخبة في مخابرات الجيش الإسرائيلي، من أجل تأسيس عملية كولتان Operation Coltan التي تتجسّس على معارِضيه، الذين كان بينهم أي فرد من العائلة قام بانتقاده في السرّ.

تم العمل مع شركة بلاك كيوب أيضا للتجسس على المدّعي العام الروماني سنة 2016. ادّعى زوريلا أن شركته كانت تعمل بمَثابة "ذراع" لمخابرات تلك الدولة(414). تم الاتفاق مع تلك الشركة الإسرائيلية من طَرف مسؤول روماني كبير من أجل استهداف المدّعي العام السابق لشؤون الفساد في تلك الدولة. فشلت المهمة، وقامت محكمة رومانية سنة 2022 بإصدار أحكام مع وقف التنفيذ لثلاثة موظفين في شركة بلاك كيوب، بمن فيهم زوريلا نفسه.

في سنة 2018، عملت الشركة مع حلفاء فيكتور أوربان Viktor Orban، الزعيم الهنغاري التسلُّطي المؤيّد لإسرائيل، عندما بدأ معارضوه، بمن فيهم جماعات مؤيدة للديموقراطية، باستلام رسائل

مشبوهة على بريدهم الإلكتروني من مدراء شركاتٍ أرادوا اللقاء معهم ومنحهم أموالا. شاركتْ قلةٌ من الناس في اجتماعات عُقدتْ في مطاعم فخمة في باريس وفيينا وبودابست، وسُئلوا فيها عن جورج سوروس George Soros، المحسن المعروف الهنغاري الأصل. تم تسجيل تعليقاتهم سرًا، وتم تسريبها إلى الإعلام الهنغاري، مما يوحي بأنهم كانوا مُموّلين من قبل سوروس(415). لم تكن مصادفة أن شركة بلاك كيوب كانت مقرّبة من حكومة نتنياهو في وقتٍ كانت فيه هنغاريا واحدة من أقوى الدول المؤيِّدة للاحتلال في أوروبا.

في مَسارٍ لا يختلف عن الفضائح المستمرة لشركة NSO، كانت المرة الوحيدة التي أثارتْ فيها شركةُ بلاك كيوب وشركة NSO استياءَ كثيرٍ من اليهود الإسرائيليين عندما أصبح واضحًا أن أساليبهما قد انقلبت عليهما (ومن المؤكّد ليس ضد الفلسطينيين أو الأجانب). كان الإسرائيليون غاضبين عندما اتضح سنة 2019 أو واحدًا من أكبر أغنيائهم، وهو المليونير إيدان عوفر Idan Ofer، قد تعاقد مع شركة بلاك كيوب من أجل استهداف وزير المالية آنذاك يائير لابيد Yair Lapid سنة 2014 بسبب محاولاته لوضع سياسةٍ ضريبية تتعلّق باكتشافات الغاز الطبيعي. كانت الغاية تشويه سمعة لابيد، وإجباره على التراجع، وعدم رفع الضرائب التي قد تؤثّر سلبيًا على أرباح عوفر. بما أن غالبية وسائل الإعلام الإسرائيلية الرئيسية وطنية بشكل موثوق، وتدعم الخدمات الاستخبارية في البلاد، فإن الصحفيين الذين نشروا هذه القصة في البرنامج التلفزيوني الاستقصائي عوفدا Uvda (الحقيقة) كانوا قلقين غالبًا من أن عامّة الإسرائيليين

مكتبة ياسمين

سيفقدون ثقتهم بوكالات الأمن في بلادهم(416).

ومع ذلك فإن شركة بلاك كيوب ليست محصّنة ضد المراقبة، فقد منعها موقع فيسبوك سنة 2021، وكتب أن هذه الشركة "شغّلت شخصيات وهمية تم تصميمها من أجل الإيقاع بمن تستهدفهم: تقمّص بعضُهم دور طلابٍ متخرّجين، وعاملين في منظمات غير حكومية، وفي مجال حقوق الإنسان، وبشكل مُنتجي أفلام وبرامج تلفزيونية". استمرّت الشركة سنوات في استِخدام شخصياتٍ وهويات وهمية من أجل جمع معلومات لصالح زبائنها. تم إنشاء حسابات وهمية في منصّة فيسبوك، وإنشاء مواقع كاذبة على الإنترنت، ووَضع سِيَرٍ ذاتية مزيّفة في موقع لينكدإن LinkedIn، للإيقاع بأفراد بغرض الكَشف عن معلومات على الإنترنت، أو لترتيب لقاء مع شخصٍ مَا. فمَثلا، هناك حالات تلقّى فيها أشخاصٌ رسائلَ إلكترونية مشبوهة من صانِعي أفلام مجهولين يبحثون عن معلومات استخبارية يمكن استِخدامها.

أخبرني موظفٌ سابق في شركة بلاك كيوب أن الشركة "مثل وكالة في الحكومة الإسرائيلية، وغالبًا ما تعمَل لصالح الحكومة الإسرائيلية". أقرّت الشركة بنفسها أنها عملت لصالح وزارة الدفاع الإسرائيلية في الفترة 2012-2014، وأن موظفيها قد عملوا فترات عمل كاملة في قاعدةٍ لمخابرات الجيش الإسرائيلي.

شمل عمل الموظفين في شركة بلاك كيوب جمع معلومات استخباراتية لصالح زبائن دفعوا لها مبالغ ضخمة. ربما تصل قيمة العقود إلى 100.000 دولار أو أكثر، حسب الوقت الذي يحتاج إليه إتمام المهمة. قال ذلك الموظف السابق، الذي

مكتبة ياسمين

فضل المحافظة على اسمه سرًيا، إن شركة بلاك كيوب كانت تلعب دورًا قانونيًا في المجتمع لأن الشرطة كانت تفشل في التحقيق بشكل جيد في جرائم الياقات البيضاء بسبب "الحذر في تطبيق القانون". كانت هذه هي الحجَة ذاتها التي استخدمها ضابط شرطةٍ بريطاني كبير هو أدريان ليبارد Adrian Leppard، الذي انضمّ إلى الهيئة الاستشارية في شركة بلاك كيوب سنة 2020. صرّح لجريدة الفاينانشيال تايمز أن "واحدة فقط من كل 500 حالة فساد رقمية يتم التحقيق فيها الآن"، وأن شركة بلاك كيوب كانت بالتالي لازمة وضرورية(417).

ذكرَ الموظفُ السابق في شركة بلاك كيوب أنه كان "شبه قانوني، وشبه شرطي هذه الأيام. أقومُ بأعمال يجب ألا يتم الدفع لي مقابلها لأن الشرطة يجب عليها القيام بها مجانًا. هذا هو المجال الذي تعمل فيه شركات الاستخبارات الخاصة". اعترَف بأن شركة بلاك كيوب قد عملث في أماكِن لم تتمكّن الموساد من العمل فيها، مثل ليبيا بَعد أن أطاح فيها الغرب بالطاغية معمَر القذافي سنة 2011. وقال: "تحظى شركةُ بلاك كيوب بوجود آذان وعيون لها في شركة البترول التي تمتلكها الحكومة".

حصلث على وثيقةٍ داخلية في "التقرير الأسبوعي" لشركة بلاك كيوب في سنة 2012 لخُصث أنواع الأعمال التي كانت الشركة تقوم بها آنذاك. لم تدخُل في التفاصيل بشأن كل تلك الأعمال، إنما سردث اجتماعاتٍ مع الجيش الإسرائيلي، واجتماعاتٍ في ألمانيا، وذكرث أن الشركة قد "نظّمث صحفيًا استقصائيًا يمكنه الدخول إلى إيسلندا" في إشارة إلى العمل مع

مكتبة ياسمين

مراسل سريّ للحصول على معلوماتٍ لصالح زبون.

اعترف سيث فريدمان Seth Freedman، الصحفي السابق المقيم في لندن، والسمسار، والجندي السابق في الجيش الإسرائيلي، بأنه كان يعمل في شركة بلاك كيوب للتحري عن 91 شخصًا مرتبطين بواينستين بشأن اعتداءاته الجنسية. كان من بين هؤلاء الأشخاص روز ماكغوان Rose McGowan، التي خدعها فريدمان، إضافةً إلى كثيرين غيرها، للمشاركة في مقابلة من أجل مقالة في صحيفة الغارديان التي كان يكتب فيها. عندما سألتهُ قناةُ BBC فيما إذا كان يشعر بالندم بشأن عمله هذا، أجاب قائلًا: "يقتضي عملي الحصول على بعض المعلومات غير المتوفرة بحريّة، وطالما أنني أظلَ في حدود حرفيّة القانون، لا أقلقُ بشأن أخلاقياتكم عندما تحكمون على أفعالي".

سألني بعضُ الصحفيين المحترمين الذين يعملون في مجال الأمن القومي؛ هل من المهم حقًا أن عاملين في شركة بلاك كيوب يتم كشفهم بشكل متكرر على أنهم مجرد هواة لا يستطيعون أداء أعمالهم بكفاءة؟ أخبرني عددٌ من المصادر الاستخباراتية أن استعداد الشركةِ للذهاب بعيدًا ودفعها الحدود القانونية إلى درجةٍ أبعد من شركاتٍ كثيرة غيرها يعني أنها برزت بشكل مفضّل لدى زبائن محتملين. إنما حسب باري مائير Barry Meier، الصحفي السابق في جريدة النيويورك تايمز، ومؤلف كتاب "المرعوب Spooked" الذي نُشر سنة 2021 حول عالم الجاسوسية الخاصة، أن شركة بلاك كيوب "لم تكن ماهرة فيما تفعله على الرغم من الأسعار العالية التي يدفعها عملاؤها، فهي تُعيد تطبيق الأساليب ذاتها من حالة إلى أخرى.

مكتبة ياسمين

كانت النتيجة أن بعض عملياتها ظهرت وكأنها عروض بهلوانات رخيصة فاشلة"(418).

كيف يمكن وقف شركات من نوع شركة NSO في مساراتها؟ يحتاج ذلك إلى تغيير عالميَ منهجيَ، لأن غياب شركة NSO ذاتها لن يُغيِّب الحاجة إلى أدوات مثل برنامج بيغاسوس من جهة الأنظمة الديموقراطية والاستبدادية على حدٍّ سواء. كان ديفيد كاي David Kaye المقرِّر الخاصَ السابق في الأمم المتحدة لشؤون تعزيز وحماية الحقّ في حرية الرأي والتعبير في الفترة 2014-2020، يعتبر أن "انتباهنا يجب ألا يتركّز على شركة واحدة فحسب، لأننا إذا ركّزنا على شركة واحدة فقط، فربما نظنّ أن الحلول تتلخّص فقط في تقييد الإجراءات الإسرائيلية في السيطرة على التصدير، أو أننا نحتاج إلى التأكد من أن شركة NSO وحدها تخضع لمعايير متزايدة بشأن مسؤولية الشركة وحقوق الإنسان. المشكلةُ عالمية".

يعتقد كاي أن وجود لائحةٍ عالمية لقواعد سلوكِ شركات المراقبة الإلكترونية هي خطوةٌ أولى مهمة، على الرغم من أنه يَعترف أنها لن تكون مُلزِمة في الغالب، مما سيجعل تنفيذها شبه مستحيل. ذكر لي كاي أن الخيار الأفضل هو وجود تنظيمات حكومية، لأن الشركات ستخاف من الخروج على هذه القواعد. شبّه الموقف لمؤتمر منع الألغام ضد الأفراد الذي عُقد سنة 1997 حين اجتمعت معظم دول العالم، فيما عدا الولايات المتحدة وإسرائيل والصين وباكستان والهند ومصر وروسيا، لمنع هذه الأسلحة المؤذية.

قال كاي: "يمكنك أن تتخيل عمليةً يريد فيها بعض أفراد المجتمع الدولي منع هذه الأشياء (الأسلحة

مكتبة ياسمين

الرقمية). أعتقد أن معظم الحكومات ستكون مستعدّةً فقط لتنظيم وضبط التصدير والاستخدام، أعطني سببًا لماذا ستتخلّى دولٌ عن هذه الأداة القوية بشكل هائل".

أثناء قيامه بمهمة المقرّر الخاص السابق في الأمم المتحدة، قام كاي مرارًا باستدعاء شركة NSO بسبب أعمالها ضد نُشطاء حقوق الإنسان وصحفيين في العالم. في نهاية خدمته سنة 2020، اعترف أن التنظيمات العالمية مازالت في طفولتها، وذكر أمام لجنة حماية الصحفيين أنه "في الوقت الحالي، تكاد لا توجد أية ظلال بسبب عدم وجود قيود قانونية"(419). قام خبراء الأمم المتحدة في مجال حقوق الإنسان، بمَن فيهم أيرين خان Irene Khan التي خلفَت كاي في منصِبه، بإصدار دعوة في سنة 2021 إلى الدول "لفَرض وَقفٍ عالمي على بيع ونقل تقنيات المراقبة ريثما توضَع تنظيماتٌ قوية تضمن استخدامها بما يتوافق مع لوائح حقوق الإنسان العالمية".

ربما يكون تنظيم وضبط هذه الصناعة الخارِجة عن السيطرة صَعب التحقيق، لأنها واسعة الانتشار في أرجاء العالم. ولكن، مثلما قالت شوشانا زوبوف Shoshana Zuboff، البروفسورة في جامعة هارفارد ومؤلِّفة كتاب "عالم رأسمالية المراقبة The Age of Surveillance Capitalism" إنه الشعور ذاته الذي شعر به كثير من الناس قبل أن تبدأ الاتحادات بالنضال من أجل حقوق العمال، أو منع تشغيل الأطفال"(420). الاقتراح البسيط المعقول هو منع جميع الأدوات التجارية في مجال الاختراق الإلكتروني. يُناقش إدوارد سنودن Edward Snowden أن "كبح دوافع الربح يقلل

مخاطر الانتشار، مع المحافظة على التطور والتقدم، وفتح المجال للقيام بأبحاث ذات توجه عام، هو عمل حكومي بطبيعته"(421).

عدم القيام بذلك يضمن انتشار أدوات من نوع أدوات شركة NSO بحيث ربما يتعرّض الهاتف المحمول والأجهزة الرقمية لكل إنسان في العالم للاختراق. غير أن ذلك لا يكفي، لأن مصدّري هذه الأدوات، سواء كانوا في إسرائيل، أو الولايات المتحدة، أو إيطاليا، يجب أن يصبحوا مسؤولين قانونيًا. هناك قليل من الانتصارات الرئيسية في المحاكم ضد شركات المراقبة ربما تكون منيرة أخلاقيًا لكل من يقومون بهذا النوع من التجارة.

اختراق الهاتف المحمول ما هو سوى البداية لما يمكن أن يحدث في مجال المراقبة الإلكترونية الشاملة لحياتنا. يخشى بيل مارتشاك Bill Marczak، وهو زميل أبحاث رئيسي في جماعة مختبر المواطن، من أن إجراءات الأمن المحسّنة في الأجهزة المحمولة في المستقبل ربما "تجعل من المستحيل تقريبًا بالنسبة لشركة NSO وغيرها أن تستهدف هذ الأجهزة. وربما يصل الأمر إلى درجة أن ذلك لن يكون ممكنًا. ربما سيقومون بدلًا عن ذلك باختراق الكاميرات الذكية في البيوت، وفتح الميكروفونات للإصغاء والتجسس عليها. وقد يشمل ذلك ثلاجاتنا وأفراننا وسياراتنا. لا يوجد نقص في مجالات المراقبة".

منطق الرأسمالية الجشعة الذي لا يخضع للرقابة هو حاجز رئيسي يمنع السيطرة على المراقبة الجماعية. أخبرني مارتشاك أن "قوى السوق تدفع غياب الأمن في كثير من الأجهزة، لأن ذلك يجعلها أرخص وأسهل صنعًا، مما يجعل كثيرًا منها أهدافًا

مكتبة ياسمين

مُحتملة للاختراق".

الفصل السابع
شركات وسائل التواصل الاجتماعي لا تُحبّ الفلسطينيين

"نشعر أن وسائل التواصل الاجتماعي هي الوسيلة الوحيدة لِجلب الانتباه. كل نَصّ، وتغريدة، وفيديو يَصنع فرقًا. هذه هي الطريقة التي نتواصَل بها مع الجماهير من الناس الكِرام والحكومات الأخلاقية حول العالَم".

منى الكرد، ناشطة فلسطينية في القدس الشرقية، مايو 2021 (تعليق منى الكرد على فيلم فيديو، منصة تويتر، 19 مايو 2021)

كان الرجل الموجود في الصورة واحدًا من الأصدقاء المتشابهين في التفكير. كان وزير العدل الإسرائيلي حينذاك هو بيني غانتز، الذي عقد اجتماعات كثيرة على منصَة زوم في الإنترنت مع مُدراء تنفيذيين لبرامج وسائل التواصل الاجتماعي في شهر مايو 2021 خلال ذروة الصراع بين حركة حماس وإسرائيل. نشر مسؤولون إسرائيليون صورةً تُظهر غانتز وهو يتحدّث في مكتبه أمام شاشة عريضة ظهر فيها المُدراء. تحدَث غانتز إلى فيسبوك وتيك توك وطلب منهما حذف محتوياتٍ ادّعى أنها تُحرّض على العنف وتنشر معلومات كاذبة. طلب منهما الاستجابة بسرعة لمطالب الحكومة الإسرائيلية بشأن حذف المحتويات.

قال غانتز إن "هذه الإجراءات ستمنع مباشرة العنف الذي يُحفّز عن قصد من خلال وسائل التواصل الاجتماعي من جهة عناصر متطرفة تسعى لإيذاء بلادنا. إننا في حالة طوارئ اجتماعية، ونتوقّع منكم المساعدة".

مكتبة ياسمين

تحدّث غانتز في تلك الاجتماعات مع مُدراء تنفيذيين كان بينهم نيك كليغ Nick Klegg، الذي كان آنذاك نائب رئيس فيسبوك للشؤون العالمية والاتصالات، والنائب السابق لرئيس الوزراء البريطاني، وكذلك جول كابلان Joel Kaplan، نائب رئيس فيسبوك لشؤون السياسات العامة الدولية والمسؤول الكبير السابق في إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن. عبّرت شركتا فيسبوك وتيك توك عن تعازيهما بشأن الإسرائيليين الذين فقدوا حياتهم في الصراع، ولم يرد أي ذكر لمئات الفلسطينيين الذين قُتلوا. في الأسبوع التالي بعد الاجتماع، قالَت الحكومة الإسرائيلية إن فيسبوك كان أكثر تَجاوبًا بكثير مع مَطالبها بحَذف المحتويات(422).

قام كليغ، وكابلان، وعزام علم الدين، رئيس السياسات في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، والذي كان مقرّه في دبي، بالاجتماع أيضًا عن طريق الإنترنت مع رئيس الوزراء الفلسطيني محمد اشتيّة واعتذروا عن حَذف محتويات فلسطينية. اعترَف هؤلاء المسؤولين في مَوقع فيسبوك أن كلمات مفتاحية مثل "المقاومة" أو "الشهادة" قد تم حذفها خطأ، ووعدوا بإعادة تقدير كيفية تقييم المحتوى، غير أنهم لم يقدّموا تفاصيل واضحة عن كيفية تصرَفهم بشكلٍ أفضل في المستقبل. حاول موقع فيسبوك مواجهة انتقادات جميع الأطراف خلال الصراع عن طريق إنشاء "مركز عمليات خاص" مملوء بالناطقين باللغة العبرية والعربية، وذكر أن مبادرته هذه كانت تهدف إلى ضمان عدم انتهاك سياساتها.

لم يكن لدى إسرائيل ما تخشاه كثيرًا، لأن منصات

التواصل الاجتماعي في تلك الفترة، من فيسبوك إلى يوتيوب، وتيك توك، وتويتر كانت تحظر عادةً المحتويات التي تنتقد إسرائيل، أو تُبيّن وجهة النظر الفلسطينية. على الرغم من أن المراقبة كانت تبدو أسوأ أثناء هذا الصراع مع حركة حماس، إلا أنها اتُبعت مسارًا متوقّعًا خلال العقد الأخير، باختفاء وحظر المحتويات بمعدّلٍ خطير.

تطوّرت الأموز داخل إسرائيل في مجال سلطة الدولة على قمع ما تعتبره محتوى غير مناسب. أُعطِيَت وحدةُ إسرائيل للمراقبة الإلكترونية الضوء الأخضر بقرار مِن المحكَمة العليا سنة 2021 لكي تعمل في الخفاء، وتتواصل في السرّ مع شركات التواصل الاجتماعي، وتَحذف المحتويات دون أي استشارة أو تواصل مع المستخدِمين. إنه نظامُ عملٍ مُغلق يُترك فيه الفلسطينيون حائرين بشأن سبب اختفاء كلماتهم.

كشفَت غدير إيدن Gadear Ayden المُشرِفة السابقة في موقع تيك توك سنة 2021 أنها كانت عضوًا في "الفريق الإسرائيلي" خلال سَنة الصراع بين حركة حماس وإسرائيل، وقد لاحظَت أن كثيرًا جدًا من الفيديوهات قد تُرِكَت على المنصة وفيها محتويات عنيفة ضد الفلسطينيين. قالت إيدن إن جميع أفراد الإدارة كان يتم توجيههم من قبل إسرائيليين، وأنه "لم يرتق أي عربي لأي منصب كبير في الشركة ضمن تلك المجموعة"(423).

في أبريل 2021، حينما اتُخذ قرار إزالة بيوت فلسطينية في حيّ الشيخ جراح في القدس الشرقية التي تحتلها إسرائيل، وجد النشطاء أن المحتويات التي تضمّ الإشارة إلى صفحة الشيخ جراح #SaveSheikhJarrah كانت تَختفي في

مكتبة ياسمين

منصات فيسبوك وإنستاغرام وتويتر. تم تعليق الحسابات على تويتر، وإزالتها من منصّة فيسبوك. وضعت تنبيهاتٌ مُصوّرة في محتويات إنستاغرام النّصية، وتم منع الوصول إلى أفلام النّقل الحيّ من منطقة الشيخ جُراح. لم تقدّم أسباب معقولة فيما عدا الادّعاء بوجود خَلل فنيّ حسب متحدّث رسميّ من إنستاغرام(424). أضافت الشركةُ أن المشكلة لم تحدُث في القدس الشرقية فقط، وإنما حدثت أيضًا في كولومبيا وجماعات السكان الأصليين. لم يكن "قصدُنا مُطلقًا" قمع "أصواتهم ورواياتهم".

وَضعت صحيفةُ الواشنطن بوست عنوانها الرئيسي في قصة بمصداقية مدهِشة في مايو 2021: "الذكاء الاصطناعي في فيسبوك يُعامِل النشطاء الفلسطينيين مثلما يُعامِل النشطاء الأمريكيين السود. إنه يَحجبهم"(425). رَفضَت الصحيفةُ ادّعاءات فيسبوك وتويتر بأن اختفاء الروايات الفلسطينية عن الإنترنت كان خطأ الذكاء الاصطناعي. فسّرت جيليان يورك Jillian C. York، مديرة حريّة التعبير الدولية في مؤسسة الحدود الإلكترونية: "في النهاية، ما نُشاهده هنا الآن هو وجود قمع وعدَم مساواة وراء الإنترنت يتم تجسيده في الإنترنت، ويُترك الفلسطينيون خارج حِوار السياسات". تم تأكيد ذلك في أواخر 2021 عندما أظهرت وثائقُ مُسربّة من داخل فيسبوك أن مُدراء كبار لم يريدوا الحدّ من الكلام المتطرّف المنشور ضد أقليات خشية من إثارة استياء "شركاء مُحافظين"(426).

أثّرت هذه المراقبة الواسعة الانتشار على كثير من الفلسطينيين، فبكلّ بساطة، اختفت مئاتُ المحتويات لأسباب مجهولة. وفجأة وجد

محمد الكرد، وهو ناشط فلسطيني من القدس الشرقية له نحو مليون مُتابع على منصتيَ تويتر وإنستاغرام، أن قصصه قد تم تقييدها بشدَة في منصَة إنستاغرام في مايو 2021. ولم يعرف حتى العاملين في شركة فيسبوك سبب ذلك. ادّعت الشركةُ فيما بعد أن السبب كان خللًا فنيًا. اعترفَت وثيقةٌ داخلية أن فيسبوك كانت قد اتُخذت "موقفًا لتقليل تشدَدنا في مراقبة المحتويات من فلسطين - بسبب ضرورة السّماح للناس على الأرض بمشاركة ما يجري في الميدان - يجب ألا يكون هناك أي سبب لإزالة مُساهماتِه أو تقييدها"(427). غير أن المشاكل استمرت في الحدوث.

رُزِق رَجُل فلسطيني بطفلٍ اسمه قسَام، وعندما أراد تهنئته بيومِ ميلادِه على فيسبوك سنة 2021، تم حَجبُ المحتوى. ربما كان ذلك لأن الشركة ظنَّت أنه يُشير إلى كتائب عزّ الدين القسَام، الجناح العسكري لحركة حماس. قال إياد الرفاعي، وهو مدير منظمة الصّدى الاجتماعي التي تُتابع الحقوق الفلسطينية على الإنترنت: "هذه الكلمات هي جزء من محادثاتنا، إنها جزء من ثقافتِنا. لم تُفرّق منصّة فيسبوك بين أي سِياق"(428). نشر رَجلٌ من غزة صورةً لبناء قبل أن يُخرّبه صاروخٌ إسرائيلي في 15 مايو 2021، وتم رفعُها من إنستاغرام (على الرغم من إعادتها بعد تقديم شكايات)(429).

كانت المعايير المزدوجة واضحة. في مايو 2021، حسب برنامج حملة، المركز العربي للنهوض بوسائل التواصل الاجتماعي، فإن 183.000 من 1.090.000 محادثة عبرية عامة في وسائل التواصل الاجتماعي كانت مشحونة بالكراهية والعُنصرية ضد العرب من جهة يهودٍ إسرائيليين،

مكتبة ياسمين

ومع ذلك لم يتم حجب هذه المحتويات. شملت بعض هذه التغريدات المسيئة: "العربي الجيد هو العربي الميّت"، "حثالة، امسحوهم عن وجه الأرض ولا تتركوا لهم أثرًا. اقتلوا جميع الغزاويين وجميع العرب في كل مكان". ذكرت تغريدةٌ أخرى: "جميع العرب في العالم، والعرب الذين يقرؤون هذه الرسالة، فليصب جميع أفراد عائلاتكم بالسرطان"(430).

ربما كانت أكثر جوانب المراقبة وقاحة، والتي تم تصحيحها جزئيًا فيما بعد، هي عندما قامت منصّة إنستغرام، التي تملِكها شركة فيسبوك، بإزالة كثير من المحتويات عن المسجد الأقصى في القدس، وهو ثالث الأماكن المقدّسة في الإسلام، في مايو 2021 عندما اجتاحَت قواتُ إسرائيلية المكان بينما كان مئات من الفلسطينيين يُصلّون فيه. كانت الشركة قد اعتَبرت ذلك المكان خطأً بأنه يرتَبط "بالعنف أو بمنظماتِ إرهابية" لأنه كان "اسم مُنظمةٍ قامت حكومةُ الولايات المتحدة الأمريكية بتطبيق عقوباتِ عليها". خلَطَ المُشرفون على البرنامج، أو خوارزميته، اسمَ المسجد الأقصى بالجَماعة الفلسطينية المسلحة "كتائب شهداء الأقصى" التي اعتبرتْها الولاياتُ المتحدة والاتحاد الأوروبي كيانًا إرهابيًا. أخبرني مصدرٌ من داخل فيسبوك أن إشارة الأقصى قد تم حجبُها في البداية لأنها ترتبط "بمنظمة تُعتبر إرهابية".

من المُريح التفكير بأن ذلك لم يكن سوى خطأ بريء ارتكبه عملاقُ تواصل اجتماعي، غير أن مُطّلعًا من الداخل لا يُوافق على ذلك. اشتغل أشرف زيتون كرئيس لسياسات في شركة فيسبوك في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في الفترة

2014-2017، وقد أخبر موقع أخبار بزفيد نيوز Buzzfeed News على الإنترنت أن الشركة قد وظّفت خُبراء في الإرهاب يستطيعون دون شك التمييز بين موقعٍ إسلاميٍ مقدّسٍ وجماعة إرهابية. كان قد عمل على وضع سياساتٍ لشركة فيسبوك بشأن كيفية تصنيف الإرهاب قائلًا: "بالنسبة لهم، تحديد كلمةٍ واحدة في اسمٍ يتألّف من كلمتين على أنه دليلٌ ارتباطٍ بمنظّمة إرهابية هو حجّة واهية. لديهم مهارة مهنية أفضل من ذلك، وأكثر كفاءة". كما اتُهم شركة فيسبوك بعدم رغبتها إثارة استياء الإسرائيليين(431).

غضِبَ بعضُ العاملين الحاليين في فريق عمل فيسبوك بسبب تكرار إخفاء الأصوات الناقِدة في المنصّة. طرحوا سؤالًا على برنامج العمل في اجتماعٍ شامل للشركة سنة 2021 مع المدير التنفيذي لفيسبوك مارك زوكربرغ Mark Zuckerberg: "أنظمتُنا في ضمان النزاهة تخذُل الجماعات المُهمّشة (انظُر: فلسطين، حياة السود مهمّة، نساء السكان الأصليين). فما الذي ستفعله بشأن ذلك؟"

في يونيو 2021، وقّعَ حوالي 200 من العاملين في فيسبوك رسالةً مفتوحة تُطالِب الشركة باتّخاذ خطوات لضمان حماية الأصوات الفلسطينية. شملت توصياتهم توظيف عددٍ أكبر من الفلسطينيين في شركة فيسبوك، وكشف المزيد عن الطلبات التي تدعمها حكوماتٌ لحجب محتوياتٍ معينة، وتوضيح السياسات التي تتعلّق بمعاداة الساميّة(432).

يُعبّر مزيد من العاملين في فيسبوك عن استيائهم بشأن الأساليب التي كانت الشركة تقوم بها من أجل تقليص المحتويات الفلسطينية، بل تقييد كل شيء

مكتبة ياسمين

مكتوب باللغة العربية. بعد أن ادّعت شركةُ فيسبوك وكثير من داعميها أن المنصّة كانت فعّالة في دعم الربيع العربي، تلاشى اللّمعان، وشاهد الناس ما آلت إليه منصّة فيسبوك. كتب مهندس برمجيات في فيسبوك لزملائه سنة 2021: "فيسبوك تخسر ثقة المستخدمين العرب".

هناك كثير من الأمور الغامضة التي مازالت غير مفسّرة. في منتصف سنة 2021، فوجِئ مستخدمون لمنصة فيسبوك في العالم بأنهم أُعجِبوا أو بدأوا بمتابعة صفحة اسمها "فريق صلاة القُدس Jerusalem Prayer Team" دون أن يريدوا فِعل ذلك. كان لدَى تلك الصفحة 75 مليون متابِع، وكانت أكبر صفحة مؤيّدة لإسرائيل على منصّة فيسبوك في العالم، وكانت تهدف لِبناءِ تأييدٍ لإسرائيل، وأدارها مايك إيفانز Mike Evans الناشط المسيحي الصهيوني المؤيّد لترامب. ليس من الواضح لماذا وكيف حدث ذلك.

في سنة 2021، تم حجبُ وصولِ صحفيّين غزاويّين إلى حساباتهم في برنامج واتساب، الذي تملكه شركة فيسبوك، لأسباب غامضة، على الرغم من أن ذلك ربما حدث لأن هؤلاء الصحفيين تابعوا حركةَ حماس في تلك المنصة. لم يكن ذلك سببًا لمنع الوصول إلى برنامج واتساب، وبعد أقلَّ من يوم واحد، حجب برنامج واتساب حسابات ثلاثين يمينيًا يهوديًا متطرّفًا في إسرائيل على الأقل، بمن فيهم زوجة إيتمار بن غفير Itmar Ben-Gvir، زعيم حزب أوتزما يهوديت (القوة اليهودية) اليميني المتطرّف غضو الكنيست الإسرائيلي آنذاك. يؤمن بأن العرب "غير الأوفياء" يجب أن يطردوا من إسرائيل.

مكتبة ياسمين

لو وجد عددٌ أكبر من الموظفين الفلسطينيين في شركة فيسبوك، لربما قلّل ذلك من حجب مداخلات الفلسطينيين وإزالتها بسبب وجود كلماتٍ مثل "مقاومة"، أو "شهيد" أثناء انتفاضة مايو 2021، وذلك لأنهم سيكونون واعين من أن الغالبية العظمى من الحالات لم تكن تُحرّض على العنف، بل كانت تُعبّر عن دعم وتأييد فلسطين(433). كان تحيّز الخوارزميات وجهل المشرفين البشريين سببًا للتعامي عن تلك الحقيقة، وكان الفلسطينيون ضعفاء سياسيًا، ولم يتمكّنوا من التنافس مع سلطة الحكومة الإسرائيلية ونفوذها داخل الشركة. وهذا هو السبب وراء قلق بعض الفلسطينيين بشأن نموّ شركة ميتافيرس Metaverse، العالَم الرقميّ الغامِر الذي سينمو أكثر في السنوات القادمة. هناك خطَرٌ من أن المراقبة والقيود التي عاشها الفلسطينيون في ظلِّ الاحتلال المادي هذه الأيام، ستستمر أيضًا في عالَم الإنترنت(434).

في مايو 2021، أخذ نُشطاء مؤيدون للفلسطينيين الأمورَ على عاتقهم وقاموا بتنظيم حملة عالمية في وسائل التواصل الاجتماعي لتَخفيض تقييم برنامج فيسبوك، ومَنح هذه المنصّة تقييمًا بدرجة نجمة واحدة فقط. كان لهذه الحملة تأثيرها بأن لاحظت برامج آبل وغوغل انخفاضًا مهمًا في تقييم فيسبوك. كان لهذا الفعل معنى، ولو كان عابرًا، بالنسبة لشعبٍ لديه موارد قليلة.

أصدرت شركة فيسبوك تقريرًا في سبتمبر 2022 باللغات الإنكليزية والعبرية والعربية ورد فيه تقييم أدائها في شهر مايو 2021 أثناء الصراع بين إسرائيل وحركة حماس. وجدت الشركة أن "أعمال شركة ميتا (الشركة الأم لفيسبوك) في مايو 2021

يبدو أن كان لها تأثير سلبي على حقوق الإنسان... وعلى حقوق المستخدمين الفلسطينيين في حريَة التعبير، وحريَة التجمع، والمشاركة السياسية، وعدم التمييز، وبالتالي قدرة الفلسطينيين على المشاركة بالمعلومات والآراء بشأن تجاربهم أثناء حدوثها". بسبب "التحيُز غير المقصود"، قامت الشركة بحذف محتوياتٍ عربية أكثر بكثير من المحتويات العبرية في منصّتيَ فيسبوك وإنستاغرام بسبب نقص عدد المتحدّثين باللغة العربية، وتحيُز المؤسسة، والخلل في التعلُم الآلي (الذكاء الاصطناعي)(435).

أخبرتني جيليان يورك، وهي مؤلَفة كِتاب "قيم السيليكون: مستقبل حريَة التعبير في ظلَ المراقبة الرأسمالية"، أنه كان هناك بعض التقدُم في التعامل مع فيسبوك منذ صراع إسرائيل مع حركة حماس في مايو 2021 بعد حملة أُطلِقت تحت عنوان "أوقِفوا كتم صوت فلسطين"، وقالت: "اجتمعَ فريقُ فيسبوك مرارًا مع مجموعةٍ من الخبراء - معظمهم فلسطينيون، أو لديهم علاقات وثيقة بفلسطين - واستَمعوا لمِطالِبنا. خصّصوا موارِدَ أكبر من أجل هذه القضية، وهم يَستجيبون في مَواقف يتم فيها حذفُ محتوياتٍ بشكل فعّال خاطئ. غير أنهم لم يلتزموا... بزيادة الشَّفافية، وبالمطالب التي رفعناها".

ظلّت يورك متشائمة بشأن أي تغيير كبير لأن الشركات لم تجد سببًا لفعل ذلك: "ببساطة، ليس لهذه الشركات سببٌ حقيقي للاستثمار في إجراءاتٍ أفضل، خاصة تلك التي يمكن أن تساعد الجماعات المهمّشة (وبالذات الفئات والمجتمعات في الجنوب العالمي). دافعهم هو الربح، ووسائلهم هي بيع الإعلانات. لمن تتبعُ هذه الإعلانات؟ إنها تتبع

الأثرياء من المستخدمين لهذه المنصَات. وبالتالي، أين تضع هذه الشركات معظم تركيزها؟ في بلادٍ مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا. لا شك بأن الأمر لا يتعلّق فقط بالإعلانات - من الصحيح أيضًا أن حكومات تلك الدول تطلُب من هذه الشركات القيام بأعمال معيّنة، ولديها القدرة المالية على دفع هذه الأعمال".

هذا ما سمعته من عددٍ لا يُحصى من الفلسطينيين في فلسطين وفي الشَتات: لا نتوقّع من فيسبوك وغيرها من منصَات وسائل التواصل الاجتماعي أن تُصغي إلينا بجدّية. نحتاج إلى وسائل أخرى لكي يتم سماعنا. فسَرت يورك: "قد يكون لدى شركةٍ في وادي السيليكون دافِعًا للاستجابة إلى حركةٍ أمريكية اجتماعية شعبية، ولكن، ما هي دوافعها للاستجابة إلى أهل فلسطين؟ أو بورما؟ أو المستخدِمين من السكان الأصليين؟ ستضع هذه الشركات دائمًا الربح قبل الناس - إنها طريقةُ عملِهم حَرفيًا".

لا يبدو أن أيًا من هذه القضايا تثير أي قلق لدَى الشركات التقنية الكبرى. كان مَنح المُداهنة الكلامية الكاذبة بشأن هموم الأقليات ليس أكثر من إزعاج لها في أفضل التقديرات. تراجعوا واستثمروا مزيدًا من الأموال في إسرائيل. في سنة 2021، أصدر عاملون في شركتيَ أمازون وغوغل رسالة اعتراض بشأن أخبار عن أن موظفيهم قد ربحوا عملًا مع مشروع نيمبوس Project Nimbus بشكل صفقةٍ مع الولايات المتحدة قيمتها 1.2 بليون دولار لتقديم خدماتٍ إلكترونيةٍ سحابيةٍ لحُكومة وجيش إسرائيل. أدانوا ميل هاتين الشركتين المتزايد لبيع خدماتهما إلى وزارات أمريكية، مثل وزارة الدفاع،

وإدارة الهجرة والجمارك، وأقسام الشرطة. في سنة 2022، استقال عدد من العاملين في شركة غوغل، بمن فيهم الموظفة اليهودية آرييل كورن Ariel Koren، واتهموا الشركة بمعاقبة أي شخص يتساءل عن علاقتها بمشروع نيمبوس. كتبت كورن في خطاب استقالتها: "أخرست غوغل بشكلٍ منهجيّ أصوات فلسطينيين ويهود وعرب ومسلمين عبّروا عن قلقهم بشأن تورط غوغل بما ينتهك حقوق الإنسان الفلسطيني - لدرجة الانتقام الرسمي من العاملين، وخلق بيئة من الخوف".

في يوليو 2022، أكدت وثيقةٌ مسرّبةٌ من موقع إنترسبت أن غوغل كان يقدّم إمكانيات التعلّم الآلي والذكاء الاصطناعي المتقدّمة للدولة الإسرائيلية. صرّح رئيس سابق للأمن في شركة غوغل، يُديرُ الآن شركة أوراكل في إسرائيل، علنيًا بأن أحد أهداف مشروع نيمبوس هو ضمان أن الحكومة الألمانية لن تتمكّن من الوصول إلى معلوماتٍ عن جيش الدفاع الإسرائيلي من أجل المحكمة الجنائية الدولية(436). حسب الصحافة الإسرائيلية، إن فائدةً معلنةً لمشروع نيمبوس هي منع شركات التكنولوجيا من قطع الوصول إلى الحكومة الإسرائيلية في حال حدوث ضغط مقاطعة ضخمة على غوغل وأمازون. إنها عقدُ تأمينٍ ضد احتمال هبوب رياح معارضة سياسية(437).

كتب عاملون في شركتيَ غوغل وأمازون احتفظوا بسريّة أسمائهم: "التقنيات التي تعاقدت شركاتنا على إنشائها ستجعل التمييز المنهجيّ والتهجير المنظّم الذي يقوم به الجيش الإسرائيلي والحكومة الإسرائيلية أكثر وحشية وعنفًا وفتكًا بالنسبة للفلسطينيين(438)". في عصر القمع المتعدّد

مكتبة ياسمين

الجنسيات، كان العمل مع إسرائيل خيارًا سهلًا بالنسبة لخبراء الصناعات العالية التقنية هذه الأيام بسبب وجود ضغط سياسي بسيط ضدّها.

كتبت رشيدة طليب، أول فلسطينية تُنتخب إلى الكونغرس، إلى منصات تويتر وفيسبوك وإنستغرام وتيك توك رسالة في مايو 2021 للتأكد من أن تلك الشركات "ليس لديها خوارزميات أو برامج مقصودة أو غير مقصودة، أو موظّفون يكتمون أصوات الناس بسبب انتماءاتهم العِرقية أو الدينية". امتنع مكتبها عن التعليق عندما سألت فيما إذا كانت قد تلقّت أية ردود على رسالتها من شركات التواصل الاجتماعي.

لدى شركة فيسبوك فريق من أكثر من 15 ألف مشرف على المحتوى، بينهم متحدّثون باللغتين العبرية والعربية، يُذكَر أنهم يُراجعون المحتوى، ويُزيلون أي شيء يُعتبر غير مناسب(439). لا تُنشر الشركة معلومات مفصّلة عن حجب المحتويات بحسب الدولة أو المنطقة، على الرغم من أنها تُنشر على الإنترنت تقريرًا رُبع سنويّ عن تطبيق المعايير الاجتماعية لِجَعل فيسبوك وإنستغرام "منصتين آمنتين وشاملتين". فمَثلا، في الرُبع الثالث من سنة 2021، ذكر التقرير إزالة مليونيّ محتوى لأنها تعكس "كراهية منظّمة"، و9.8 مليون محتوى لأنها صدرت عن منظمات مشبوهة وأفراد خطرين(440). كان من المستحيل معرفة عدد المحتويات التي تمّت إزالتها بسبب علاقتها بالصراع في إسرائيل/فلسطين. عندما سألت شركة فيسبوك عن ذلك، امتنعت عن الإجابة.

في مايو 2021، استخدمت جماعة غوغائية إسرائيلية برنامج واتساب الذي تملكه شركة

فيسبوك لاستهداف العرب وأعمالهم التجارية. ورد في إحدى الرسائل باللغة العبرية: "سلامٌ إلى جميع مواطني إسرائيل اليهود. تُشرّفني دعوتكم للمشاركة في هجومٍ كبير على العرب سيحدث اليوم في الساعة 18:00 في ممشى بات يام (في النصر). نرجو وصولكم بالتجهيزات المناسبة، بالقبضات الحديدية، والسيوف، والسكاكين، والعصيّ، والمسدسات، ومركبات مُجهّزة بقضبان الثيران". كان لهذه الرسالة تأثير حقيقي لأنه في 12 مايو، حطّمت جماعةٌ من الغوغاء الإسرائيليين محلّ مثلجاتٍ يملكه عربيٌ في مدينة بات يام إلى الجنوب مباشرة من تل أبيب. استُخدِمت أسلحةٌ مختلفة، بما فيها تلك التي ذُكِرت في الرسالة على واتساب التي تم تبادلها قبل الهجوم. نبّه نُشطاء إسرائيليون شاهدوا الرسالة الشرطة الإسرائيلية، إلا أنهم استجابوا ببطء. حدث عشرون هجومًا على الأقل قام بها متطرفون يهود تم تنظيمها على منصّتيّ واتساب وإنستغرام(441). قام بهذه الهجمات نشطاء يمينيون متطرفون يُعارِضون أي اختلاطِ بين اليهود والعرب، وهي تمثّل نموذجا مصغرًا لقضايا عامة في الدولة تتعلّق بالتعصّب المتزايد نحو غير اليهود، والتوجّه نحو عزلهم(442). غالبًا لا تتم إزالة رسائل الكراهية هذه من منصات التواصل الاجتماعي التي تُنشر فيها. قال كوبي شابتاي Kobi Shabtai، مفوّض الشرطة الإسرائيلية في سبتمبر 2022 أنه في أوقات الصراع في مدن مختلطة، يجب منع وسائل التواصل الاجتماعي، وبرّر ذلك بقوله: "نحن دولةٌ ديموقراطية، إنما هناك حدود".

يمتدّ التأصّل المُترسّخ في شركات وادي

مكتبة ياسمين

السيليكون أبعد بكثير من وسائل التواصل الاجتماعي. تُعتبر برامج خرائط غوغل، وخرائط أبل، وبرنامج التوجيه الجغرافي وايز Waze جميعها خدمات خرائط واسعة الانتشار، ومع ذلك فإنها لا تُظهر سوى معلومات قليلة بشأن جغرافية فلسطين. بينما يتم إظهار مواقع المستوطنات الإسرائيلية غالبًا بشكلٍ واضح في الخرائط، تختفي ببساطة جميع المعلومات عن مئاتِ من القُرى الفلسطينية. عندما سُئلت الشركاتُ عن هذه الفجوة، ادّعت أنها قضية تتعلّق بقرارات الأمم المتحدة لأن فلسطين "ليست سوى دولة مراقبة وليست عضوًا" وبالتالي لا يمكِنهم اتّخاذ موقِف بشأن الطريقة الصحيحة في التعامل مع هذه المسألة. إنها حجّة واهِية لأنَ المستوطَنات في الضفة الغربية الموجودة في خرائط هذه البرامج لا يُشار إلى أنها مناطق "مُتنازَع عليها"، بل يتم عَرضها ببساطة كحقائق واقِعة(443).

أتذكّر سفري بانتظام في أرجاء الضفة الغربية، ومُحاوَلتي إيجادَ طريقي باستِخدام برنامج وايز الذي أسّسَتهُ إسرائيل. أتيه في الطريق عادةً، ولا يوجد الآن أي برنامج خرائط يُغطّي فلسطين بشكلٍ كافٍ. لم تسمح إسرائيل حتى سنة 2018 باستخدام تقنية G3 في الهواتف المحمولة في الضفة الغربية، ومازال غير واضح متى سيُسمح بتقنية G4، على الرغم من أن تقنية G5 هي المستخدمة على نطاق واسع في دول الغرب وإسرائيل. أعلن الرئيس الأمريكي جو بايدن أن تقنية G4 سيُسمح بها في الضفة الغربية وقطاع غزة مع نهاية سنة 2023، إلا أن المسؤولين الفلسطينيين كانوا مُتشككين في ذلك.

مكتبة ياسمين

قام أحمد شهاب الدّين، الصحفي الفلسطيني الكويتي الأمريكي والموسيقار المرشح لجائزة إيمي، بالكتابة كثيرًا عن الشرق الأوسط وفلسطين. في مايو 2021 عندما اشتدّ التوتر بين إسرائيل والفلسطينيين، أخبرني أنه أراد مشاركة "تقارير أولية من الميدان، من مصادر موثوقة، إضافة إلى بعض التعليق دون أن أُنمّق الكلمات على الإطلاق كما أفعل عادة". ركّز على استخدام لقطات ريلز Reels على برنامج إنستغرام، ورفع أفلام فيديو قصيرة تُمنح أولوية في إجراءات هذه المنصّة من أجل التصدي لسيطرة برنامج تيك توك.

قال: "لاحظت أن أفلام الفيديو التي تتم مشاركتها بشكلِ ريلز مع شرحٍ وسياق قصير، وتصوير لا يخضع إلا لتحرير بسيط، يتم تبادلها، وتحظى على مشاهدات رائعة". ارتاح لمعرفة أن "المراقبة، والمراقبة الذاتية" التي عرفها جيدًا خلال عمله خمس عشرة سنة في الصحافة مع وسائل الإعلام الرئيسية قد تم كسرها أخيرًا بسبب ضخامة التأييد القوي والاهتمام الكبير بمنشوراته. "كانت هناك شهيةٌ مفتوحة للمحتوى، وفضولٌ حرّكتهُ اللا إنسانية المطلَقة لأفلام الفيديو الخام، والرغبة بفهم السّياق، وإدراك ما كان يُشاهده الناس". على مدى أسبوعين أو ثلاثة، ارتفعت مُتابعةُ حسابه على إنستغرام من 80.000 مُتابع إلى أكثر من 210.000.

غير أن شهاب الدّين سرعان ما لاحظ حدوث أمرٍ خطأ. لاحظ عددٌ من النشطاء والصحفيين (بمن فيهم هو نفسه)، وشهودٌ في الميدان استخدموا مفردات "مشحونة إنما صحيحة" مثل: الفصل العنصري، والتطهير العرقي، والتهجير القومي،

مكتبة ياسمين

والاحتلال.. أن حساباتهم ورسائلهم قد تم حجبها. تشمل عملية الحجب منع أو تقليل وصول المحتوى دون أن يعرف المستخدم ما يحدث تمامًا.

قال شهاب الدّين إن بعض منشوراته على إنستغرام لا يتم تحميلها، أو أنها تتلقى عددًا أقلّ بكثير من المشاهدات دون سبب واضح. "كان لديّ مئات ومئات من المتابعين الذين يسألونني من خلال الرسائل المباشرة لماذا لا تظهر قصصي في خلاصاتهم. كان من الواضح أن المحتوى كان خاضعًا للرقابة، أو أن خوارزميات البرنامج قد خفّضت أولويته. كان هناك اندفاعٌ قوي، وفجأة أصبح واضِحًا في إسرائيل وفلسطين وفي الشتات أنه قد تم استِهداف المحتويات التي تُضفِي مَسحَةً إنسانية على الفلسطينيين، أو توثّق حدوث العنف ضدهم من جهة إسرائيل".

من الواضح أن المؤسسات الإعلامية القديمة، ومنصَات التواصَل الاجتماعي هي أعمالٌ ربحيَة، مما يَجعلها غرضَة للضغوط السياسية، أو المَصالح القوية، أو الدول ذات النفوذ. "ما بَدأ يُشعرهُ بالخطر، على الرغم من مَعرفته، كان حَجب المحتويات الإلكترونية لكثيرٍ من النُشطاء الفلسطينيين على منصَات عديدة... هذا المستوى من الرقابة والحجب هو أمرٌ غير مَسبوق".

بعد أن كتب عن تجربته على الإنترنت، تمَت دعوةُ شهاب الدّين للاجتماع بعضوين من فريق السياسات العامة في شركة ميتا في دبيَ لشرح مَخاوفه. استنتج أنه على الرغم من أن ممثلي الشركة كانوا لُطفاء ومُنفتحين على الحوار والمناقشة، إلا أن الشركة كانت "واعية جدا بشأن الرقابة التي كانت تحدث في منصَاتها، وكان دفاعها الرئيسي هو أن

مكتبة ياسمين

الغاية الأساسية من المنصّة هي الترفيه، أو مشاركة أمور مع الأسرة والأصدقاء. على الرغم من إدراكهم أن هذه المنصّات تُستخدم في توثيق انتهاكات حقوق الإنسان، إلا أن ذلك لم يكن هدفها الرئيسي".

عندما سُئلت شركةُ ميتا عن سبب حجب عددٍ هائل من المحتويات المؤيّدة لفلسطين بسبب ضغطٍ من الحكومة الإسرائيلية، ذكرت الشركةُ أنها لم تمنح المسؤولين الإسرائيليين أي معاملة خاصة، وأن ذلك كان بكل بساطة بسبب أن "إسرائيل تُنبّه إلى محتويات أكثر بكثير، وأنها تُقدّم طلبات أكثر بكثير من معظم الحكومات الأخرى". لم يُفسّر المسؤولون في شركة ميتا بما يُرضي شهاب الدّين سببَ كَون السّلطات الإسرائيلية قادرة دون صعوبة على نشر عدد ضخم جدًا من المحتويات التي تُظهر عنفًا حقيقيًا - مثل قصف غزة - بينما اتُّهِمَ فلسطينيون ومؤيّدوهم "بالتحريض على العنف"، وتمّت مراقبتهم.

أخبرتني منى شتيّة، الناشِطة الفلسطينية في مجال الحقوق الإلكترونية "أتوجّهُ للعمل كل يوم في رام الله، أعيش بين رام الله ونابلس، وأقودُ السيارةَ عبر حاجزين، وعندما أشاهِد آلات تصوير على الحاجز، أعرف أن هذا نوع من السيطرة على الناس. يخلق ذلك سياسةً من التخويف والمراقبة الذاتية. أنا في خوف دائم عندما أعبر الحاجز".

تعمل شتيّة كمستشارة دعوة في منظمة حملة، المركز العربي لتطوير وسائل التواصل الاجتماعي. تستقصي هذه المنظّمة حالة الإنترنت عند الفلسطينيين تحت الاحتلال. فصّل تقريرٌ سنة 2020 الأساليب المختلفة التي ضغطت فيها الحكومةُ الإسرائيلية على عمالقة وسائل التواصل

مكتبة ياسمين

الاجتماعي من أجل مراقبة المحتوى الفلسطيني. في أعقاب الهجمات الإرهابية في 11 سبتمبر، 2001، كتبث منظمة حملة أن برامج فيسبوك وتويتر وغيرها من المنصات قد حذفت "مئات الآلاف، وربما ملايين المحتويات التي توثق الاحتجاجات والانتفاضات وانتهاكات حقوق الإنسان لدى الفلسطينيين بحجة أنها "خطاب كراهية"(444). كشفت تقارير أخرى لمنظمة حملة أن المراقبة الذاتية هي مشكلة ضخمة بين الفلسطينيين الذين يخشون إثارة غضب المسؤولين الفلسطينيين أو الإسرائيليين.

بالتعاون مع منظمة حملة ونشاطها في مجال الحقوق الإلكترونية، واجهث شتية ثلاث حكومات - إسرائيل والسلطة الفلسطينية وحركة حماس - ولم تؤيد أي منها حرية التعبير(445). وبوسائل مختلفة، تسعى جميعها للسيطرة على المعلومات التي تنشر على الإنترنت، ويخسر الفلسطينيون في مواجهة الرقابة، أو المضايقة، أو الاعتقال، أو التهديد. ليس لدى الفلسطينيين سوى ثقة ضعيفة بأن السلطات الإسرائيلية أو الفلسطينية ستمنحهم حقوقًا إلكترونية كاملة. حسب دراسة قامت بها منظمة حملة سنة 2022، فإن 52% يؤمنون بأن بياناتهم الشخصية وخصوصياتهم غير محمية(446).

مفهومُ فلسطين الرّقمية كفضاءٍ حُرٍّ تختفي فيه الحواجز والحدود ليس مفهومًا خياليًا تمامًا عند مقارنته مع الوقائع القاسية للحياة اليومية، غير أن هناك مزيدًا من القيود تضعها عليه شركات وادي السيليكون ودولة إسرائيل والسلطات الفلسطينية. لا مفرّ من المراقبة الجماعية. تكتب

مكتبة ياسمين

شوشانا زوبوف Shoshana Zuboff، مؤلّفة كتاب "عصر الرقابة الرأسمالية: النضال من أجل مستقبلٍ إنساني على الحدود الجديدة للسُلطة" أن "مجتمع رقابة ديموقراطية هو استحالة وجودية وسياسية"(447).

في سنة 2016، بعد اجتماع أييليت شاكيد Ayelet Shaked، التي كانت حينذاك وزيرة العدل الإسرائيلية، بمُدراء تنفيذيين في شركة فيسبوك، تفاخرت بأن يوتيوب وغوغل وفيسبوك كانت تحذِف نحو 95% من المواد التي تطلُب إسرائيل حذفها، والتي ادّعت بأنها مواد تُحرّض على العنف. قالت شاكيد في مؤتمرٍ لمكافحة الإرهاب عُقِدَ في تل أبيب: "مثلما تتم مراقبة فيديوهات منظّمة داعش، ويتم حَذفها من الشبكة، نريد منهم أن يفعلوا ذلك أيضًا ضد المواد الفلسطينية التي تَحضُّ على الإرهاب". لدَى شاكيد تاريخها الشخصي في التحريض على العنف سنة 2014 عندما وَصَفتْ أطفالَ فلسطين بأنهم "أفاعٍ صغيرة"، وحرّضَتْ على قَتل جميع الفلسطينيين لأنهم "جميعهم من الأعداء المقاتلين". لم يتم حَذف هذه التعليقات من فيسبوك.

فسّرت شتيّة أن البيئة الرّقمية للفلسطينيين تحت الاحتلال كانت الحذر والشك، وقالت: "إنني أعيش في فضاء عسكري، وقد زاد هذا من ثقافة الخوف بين الناس، خاصة بيننا نحن النُشطاء. يجب أن أكون حذرة من سلامة أي رابط أفتحه على الإنترنت". بعد عقودٍ من الاحتلال، اشتكت شتيَة من أن "إسرائيل تقوم بتطبيع هذه الحياة العسكرية. في لا وعينا كفلسطينيين، قبل بعضُنا تطبيع الاحتلال، ولكن كثيرًا من الشباب الفلسطيني

لم يقبلوا ذلك".

منصَة يوتيوب التي تملكها شركة غوغل هي موقع مشهور في فلسطين، إلا أن الإشراف غير الشّفاف للمحتوى المنشور فيه يبعثُ إحباطًا مستمرًا، مع حذف عددٍ ضخم من أفلام الفيديو بلا سببٍ واضح. يتم تحميل أكثر من 500 ساعة فيديو عالميًا على هذه المنصَة كل دقيقة. يستخدم نحو ثُلث الفلسطينيين وسائل التواصل الاجتماعي، خاصة منصَة فيسبوك، لمدّة تبلغ وسطيًا نحو خمس ساعات ونصف يوميًا. حسب دراسةٍ لمنصَة يوتيوب قامت بها الأكاديمية الفلسطينية أمال نزّال، وهي أستاذة مساعِدة في كلية الأعمال والاقتصاد في جامعة بير زيت في الضفة الغربية، تقع المشكلةُ الرئيسية في كيفية رفض يوتيوب تحديدَ المصطلحات. قالت لي نزّال "لم أتمكّن من إيجاد أي معلومات عن كيفية تعريف يوتيوب للمحتوى. حاولت الاتصال بهذه المنصة، إلا أنني لم أحظَ بأية إجابة".

كشفت نزّال في تقريرها المفصّل سنة 2020 بشأن يوتيوب للمركز الفكري الفلسطيني "الشبكة" عن لائحة طويلة من أفلام فيديو غير عنيفة قام فلسطينيون بتحميلها، ولكن تم حذفها لأنها اعتُبرت "عنيفة". اعتُبرت أفلامُ فيديو تُصوّر جنودًا إسرائيليين وهم يعتدون بعُنفٍ على فلسطينيين أنها غير مناسبة، وتم حذفها، غير أن نزّال تذكر أن عددًا لا يُحصى من أفلام فيديو الجيش الإسرائيلي التي تحتفي بعُنفه تم تركها دون أن تُمسّ. لا يواجه نُشطاء إسرائيليون مؤيدون للسلاح أية مشكلة مع يوتيوب، وكذلك أعداد هائلة من أفلام الجيش الإسرائيلي التي تُظهر تخريب غزة(448).

مكتبة ياسمين

وجدث نزال أن "90 بالمئة من التعليقات على يوتيوب لم تكن ملائمة عندما يشتكي الفلسطينيون بشأن حذف صفحاتهم. يتلقى معظم الفلسطينيين إجابةً آلية من يوتيوب تذكر أن المحتوى يتعارض مع معايير المجتمع، إنما هناك معايير مزدوجة لأن كثيرًا من الصفحات والمواقع على يوتيوب تحتوي على أفلام فيديو تُمجّد العنف والسلاح".

تريدُ نزال من شركات وسائل التواصل الاجتماعي أن تفهم السّياقات السياسية التي تعمل فيها بشكلٍ أفضل "لا يمكن أن يكون لديكم تعريفُ واحد لكلماتِ مثل التّحريض أو العنف، فهناك تحيُّزات لدَى البشر، وفي برمجيات الذكاء الاصطناعي ضد الفلسطينيين لأن فلسفةَ منصّة يوتيوب هي أن المجتمع الفلسطيني عنيفٌ بطبيعته، وبالتالي يجب أن تتم مراقبة محتوياته بدقّة. يجب وَقف هذه المعاملة المُتحيّزة لأن منصّة يوتيوب تقولُ في بيانِ مهمَتها إنها تؤيّد حريّة التعبير".

تُعرِّفُ إسرائيل التحريض بشكلٍ واسِع جدًا بحيث يَشمَل في كثير من الأحيان مجرّدَ التعبير عن تأييد حقوق الإنسان الفلسطيني، أو تَبادُل فيلم فيديو على الإنترنت، أو معارَضة الاستعمار الصهيوني، ويُعتبر كل ذلك غير مناسب. يزداد اعتبار النّشر في وسائل التواصل الاجتماعي بكونه السبب الوحيد لكي يقوم الجيش الإسرائيلي باعتقال فلسطيني عدة أيام، أو أسابيع، أو شهور.

تركيزُ إسرائيل على التحريض انتقائيٌ جدًا، فهناك عددٌ قليل جدًا من الإسرائيليين اليهود الذين اعتُقلوا بسبب هذه الجرائم ذاتها. هذا على الرغم من حقيقة أن خطاب الكراهية باللغة العبرية في وسائل التواصل الاجتماعي قد ارتفع في الفترة

2020-2021 بمقدار 9 بالمئة أكثر من السنة التي قبلها حسب مؤسسة بيرل كاتزنيلسون Berl Katznelson Foundation، ومعهد فيغو للأبحاث Vigo Research Institute الذي وجد أن 5.2 مليون تعليق إما دعث إلى العنف، أو كانت عدوانية، وكان العرب هم الأهداف الرئيسية لهذه الإساءات(449). تعرّضت الناشطة الفلسطينية دارين طاطور إلى سنواتٍ من الحجز المنزلي، وأشهر من الحبس سنة 2018 لأنها كتبت قصيدةً احتوت على كلمات "قاوِم يا شعبي، قاوِمهم". اتّهمتها إسرائيل بأنها "تُحرّض على الإرهاب".

أظهَرت نزّال في تقريرها على منصّة يوتيوب كيف استخدمت هذه المنصّة التمييز الطّرفيّ واللغوي ضد المحتوى الفلسطيني. من المرجّح أن يتم وضع إشارة على أي فيلم فيديو باللغة العربية، خاصة إذا ضمّ كلمات مثل: "حماس"، أو "الجهاد الإسلامي"، أو حزب الله". كان حامد مُستخدمًا فلسطينيًا في الضفة الغربية، ومؤسس قناة فلسطين K27 على يوتيوب، واكتشَف أن أحد فيديوهاته قد تم حذفه، ومن أجل التجربة، أرسل فيلم الفيديو ذاته إلى صديق أوروبي قام برفعه على المنصّة ذاتها دون أية صعوبة. ذكر مُستخدمون آخرون أن منصة يوتيوب قد بدأت بمتابعة صفحاتهم بشكلٍ مكثّف حالما ارتفعت شعبية فيديوهاتهم. نتيجة لذلك، بدأت فيديوهاتهم السابقة بالاختفاء أيضًا، وقد أثّر ذلك كله في قُدرتهم على تحقيق دخلٍ من محتوياتهم بنجاح.

تعترفُ نزّال بوجود خطاب كراهية لدى بعض الفلسطينيين، إلا أنها تُشير إلى أن مثل هذا الخطاب يأتي أكثر بكثير من طرف دولة إسرائيل: "إنها حالة

مكتبة ياسمين

مُستعمِر وخاضعين للاستعمار، مع وجود الاف من الفلسطينيين في السجون. لقد قتل الإسرائيليون طِفلك، كما أن زوجك بعيد عنك في السجن، إنما هناك فرقٌ بين شخصٍ يُعبّر عن خطاب كراهية، وما تقوم به إسرائيل من تَرسيخٍ لخطاب الكراهية في مؤسّسات، ورقابة، ومراقبة".

تم حذفُ دعاياتٍ لدولة إسرائيل أحيانًا. رفع الجيش الإسرائيلي دعايةً عمدت إلى تبرير قصف غزة سنة 2021 بتصوير إسرائيليين يحتمون من صواريخ حركة حماس، بينما يبكي أطفال، ولم يتم حَذف هذه الدعاية إلا بَعد أن قامت منظّمة فايس Vice بإبلاغ شركة غوغل(450). لم تكن الصُوَر غير صحيحة، إلا أنها اعتُبرَت عنيفة أو تصويرية بشكل غير ضروري، ومع ذلك فإن إغراء دولارات الدعاية كانت الأعلى صوتًا. بَعد أن نَشرت منظمةُ العفو الدولية تقريرًا سنة 2022 اتُّهمَت فيه إسرائيل بارتكاب الفصل العنصري، وجَد مُستخدِمون في بعض البلاد أنهم إذا بحثوا عن هذا التقرير في غوغل، كان أول موضوع يظهَر هو دعاية إسرائيلية تتهِم منظمةَ العفو الدولية بمُعاداة الساميّة(451).

مثل هذا "الاستشراق الرَّقمي" هو الشكل الجديد من السّيطرة التي تستخدمها شركات وسائل التواصل الاجتماعي الغربية، وهو منهج يُكرِّر في العصر الحديث استخدام عدسة تمييزٍ غربية على شعوب الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. يُعامل العرب مرة أخرى بالشّك بحُكم التعريف وحده.

يُدير ضباط مخابرات إسرائيليون في الضفة الغربية صفحات فيسبوك من أجل الترويج لفكرة عدم وجود الاحتلال، وأن المقاومة الفلسطينية غير

مكتبة ياسمين

أخلاقية، وأن اليهود والعرب يعيشون مع بعضهم بسلام(452). تنشر هذه الصفحات معلومات خاطئة بكل وضوح، ولم يحذفها المشرفون. يُعتبر مثل هذا التأييد للصهيونية مناسبًا. كما كانت إسرائيل تستخدم برمجيات خوارزميات سريَة استهدفت فيسبوك لإخفاء ما هو أساسًا نوعٌ من الحوادث قبل الجريمة، مثل اعتقال أكثر من 800 فلسطيني، منهم 400 اعتقلتهم إسرائيل، و400 آخرين اعتقلتهم السلطة الفلسطينية، قبل أن يرتكبوا أي عمل عنيف، إنما افترض أن لديهم إمكانية ارتكابه. ذكر تقريرٌ نشرته صحيفة هآرتس سنة 2017 أن هذه الشبكة الرقمية أظهرت مستقبلَ تسليح شبكات التواصل الاجتماعي في الحرب على الإرهاب. ومرة أخرى، لم يظهَر أي تعليق من شركة فيسبوك، ولم تفعَل شيئًا(453).

يعيش المواطن الفلسطيني سامي جنازرة قُربَ مدينة الخليل، وأُلقيَ عليه القبض سنة 2015 لأسباب مجهولة. لم يتم إخباره سبب ذلك الاعتقال، ووضِعَ تحت الحَجز الإداري، وهو وَضعٌ غامض وراء القضبان دون محاكَمة أو توجيه اتهام(454). بَعد أن قضى 71 يومًا من الإضراب عن الطعام، أخبرهُ مسؤولون إسرائيليون أنه سيقف أمام محكمة بتهمة التّحريض على وسائل التواصل الاجتماعي، وعُرضت عليه صورٌ من تقاريره على فيسبوك. قال لصحيفة هآرتس: "كل فلسطيني تجد منظّمةُ الشين بيت الأمنية أنه قد شارك صورةً لشهيد أو سجين، أو أنه كتب على منصَة فيسبوك نصًا عن نفسه كفلسطيني، يمكنها أن تعتبر ذلك تحريضًا على العنف"(455).

كيف تمتلك إسرائيل مثل هذا التأثير على وادي السيليكون هو أمرٌ واضح ومُنذر بالسوء في الوقت نفسه بالنسبة لمستقبل الفئات المُهمّشة، لأنه ليست الدولة اليهودية وحدها هي التي اكتشفت موضع التأثير على شركات التقنيات العالية، فإن الهند تحت قيادة رئيس الوزراء ناريندرا مودي طلبت من فيسبوك حذف محتوياتٍ تنتقدُ إدارةَ حكومته لجائحة مرض كوفيد-19 سنة 2020، واستجابت الشركةُ لذلك في معظم الحالات. طلب مسؤولون في الحكومة الهندية حذف نحو مئة محتوى على فيسبوك وتويتر وإنستغرام لأنهم لم يُحبّوا وجودَ أي شيء يَنتقِد حكومةَ مودي على الإنترنت. عبّر بعضُ العاملين في فيسبوك عن استيائهم لأن الشركة قد خضَعت لضغط حكومةٍ شعبوية قوية. كتَبَ أحَد العاملين في فيسبوك داخليًا أن الشركة كانت تتصرّف "بدافِع الخوف" لأنها خَشيت من احتمال مَنعِها في تلك الدولة(456).

واجهت فيسبوك معضلة داخلية عندما تعامَلت مع محتوياتٍ من الهند. كانت هناك أدلة على أن محتويات فيسبوك قد سَبّبت ضررًا حقيقيًا للأقليات في ميانمار وفلسطين والهند وروسيا وغيرها، ودافعَ فريقُ السياسات العالمية في الشركة أنهم واجهوا مُخاطرةَ إغلاق المنصّة تمامًا إذا لم يتجاوبوا مع طلبات الحكومة. في الهند، انتقلت نداءاتُ الإبادة الجماعية ضد الأقلية المسلمة في البلاد من الهوامش إلى التيار العام، يُحفّزها في الغالب دعمٌ حكومي، أو رضوخٌ رسميّ صامت. ترك هذه التعليقات، مثلما حدث غالبًا، هو عملٌ غير مسؤول.

سرعان ما أصبح دور منصّات التواصل الاجتماعي

مكتبة ياسمين

في هذا السياق الخصب مسألة حياة أو موت. ومع ذلك فإن معظمهم لا يريدون التصرف بمسؤولية (حسبما يبدو في الممارسة العملية). في النهاية، إذا قُتِل الناس، من هو المسؤول في فيسبوك أو إنستاغرام، ومَن الذي سيُحاسب؟ الإجابة هي أنه في الغالب لن تتم محاسبة أحد.

تم تكرار انتقائية فيسبوك في تعاملها مع إسرائيل وفلسطين في بلادٍ أخرى، وصراعات أخرى، مما يُشير إلى عدم رغبة الشركة، أو عدم قدرتها على تهدئة الصراعات بشكلٍ مسؤول. سمحت شركة فيسبوك في ميانمار بنشر محتويات إبادة جماعية، واستمرار مشاهدَتها، وتضخيم رسائل الكراهية ضد الأقلية المسلمة من شعب الروهينغا. أدّى ذلك إلى انتشار عنفٍ عام بتوجيهاتٍ من الجيش سنة 2016-2017. في سنة 2018، اضطرت شركة فيسبوك للاعتذار عن دورها في تسهيل الإبادة الجماعية. على الرغم من أن شركة فيسبوك قد سمحت بنشر محتوياتٍ تشجّع على التطهير العِرقي، وبقائها على منصّتها في أثيوبيا، وذكَرت أنها ستُحسّن ذلك، إلا أن باحثين من مكتب الصحافة الاستقصائية وجريدة الأوبزرفر وجدوا عددًا كبيرًا من هذه المحتويات على الإنترنت سنة 2022(457). وجد تقريرٌ من منظمة العفو الدولية سنة 2022 أن شركة فيسبوك كانت "تعرف، أو كان يجب أن تعرف" أن برمجيات خوارزمياتها زادت من الكراهية ضد شعب الروهينغا سنة 2017، وطالب أن تدفع الشركة تعويضات للمتضررين(458).

أدّت حربُ روسيا ضد أوكرانيا سنة 2022 إلى تحرّك فوري في وادي السيليكون من أجل تقييد،

أو حجب، أو مراقبة صفحات الحكومة الروسية. تم تحذير الأشخاص الذين أرادوا مشاركة روابط مع مواقع الحكومة الروسية قبل أن يفعلوا ذلك من أنهم يَنشرون معلومات من مواقع تدعمها موسكو. تمَت هذه الأعمال دون أي شفافية، مثلما تفعل غالبية منصَات وسائل التواصل الاجتماعي.

كان غزو فلاديمير بوتين لأوكرانيا وحشيٌ وغير قانوني، ومع ذلك لم تتم مراقبة كثير من صفحات أنظمة قمعية أخرى تفضّلها الولايات المتحدة في ظروفِ مماثلة. ربما كان أغرب دورٍ قامت به شركة فيسبوك هو السماح للمستخدِمين بمَدح وحدة كتيبةِ آزوف النازية الجديدة على الرغم من أنها كانت ممنوعة من قَبل. فجأة، أصبح تأييد هذه الجَماعة مقبولًا (وتمكّنت من تجنيد عناصر عن طريق فيسبوك لفترة طويلة) (459). بدا هذا وكأنه قرارٌ متماسِك ومنسَجِم مع الأهداف الخارجية الأمريكية المتطورة دائمًا. وظّفت شركةُ فيسبوك عشرات من مسؤولين سابقين في المخابرات الأمريكية للعمل على سياسات محتوياتها، كما وظّفت شركةُ تيك توك مسؤولين سابقين في حِلف الناتو، ولدى شركة تويتر عملاء سابقون لمكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي(460).

في مارس 2022، قرّرت فيسبوك بالمثل السّماح بنشر تعليقات على فيسبوك وإنستغرام في بعض الدول للدعوة إلى العنف ضد الجنود الروس، وضد روسيا في سياق حربها ضد أوكرانيا، وضد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والرئيس البيلاروسي ألكساندر لوكاشينكو في روسيا وأوكرانيا وبولندا وغيرها من الدول المجاورة(461). ذكر متحدّث

باسم شركة ميتا لقناة CNN "في ضوء الغزو الجاري لأوكرانيا، قمنا بوضع استثناءٍ مؤقتٍ للذين تأثروا بالحرب من أجل التعبير عن مشاعرهم العنيفة ضد غزو القوات المسلحة، مثل قولهم (الموت للغزاة الروس). هذه إجراءات مؤقتة تقصد إلى المحافظة على الصوت وحق التعبير عن الرأي لمن يتعرّضون إلى الغزو".

على الرغم من أن المشرفين على صفحات فيسبوك كانوا يتركون نداءات العنف منشورةً في العادة على المنصّة حول العالم، إلا أن شركة ميتا توقّفت في لحظةٍ ما عن تقييم ما إذا كان المشرفون البشريون كانوا يحذفون المحتويات بشكل مناسب فيما يتعلّق بالصراع الأوكراني، لأن القواعد كانت تتغيّر باستمرار دون سبب واضح؛ ولكن السّماح لشركةٍ غير خاضعة للمساءلة باتخاذ هذا القرار كان خطوة غير مسبوقة(462). كان من الواضح أن الشركة لم يكن لديها سياسة حقيقية بشأن الحرب، ووضعت القواعد يومًا بيوم.

لاحظت الناشطة الفلسطينية منى شتيّة ازدواجيةً واضحة في المعايير بين فلسطين وأوكرانيا، وكيف نظرت شركات وسائل التواصل الاجتماعي إلى هذين الصراعين. اعتبر أحدهما شرعيًا وأخلاقيًا، بينما استحقّ الآخر الصّمت. كان أحد المحتلين شريرًا، بينما استحقّ الآخر الاحترام. كتبت: "الخطوات السريعة لشركات التواصل الاجتماعي من أجل حماية حرية التعبير الأوكرانية، خاصة في زمن الحرب، كانت صادمة لكثير من الفلسطينيين"، وذلك لأنهم واجهوا سياسةً معاكسة تمامًا أثناء الحرب بين حركة حماس وإسرائيل سنة 2021. ومع ذلك فقد أيدت المنصّات الرّقمية ودعمت

مكتبة ياسمين

أوكرانيا، إلا أنها كانت تأمل بأن ذلك سيؤدي إلى إعادة النظر في قواعد الإنترنت من أجل "مساعدة جماعاتٍ مضطَهدة أخرى حول العالم - سواء كانت فلسطينية، أو كشميرية، أو إيغورية، أو من السكان الأصليين في كولومبيا أو في الصحراء الغربية، أو أهل ميانمار، أو غيرها من المجتمعات"(463).

تضغط حكوماتٌ قوية وتتنمّر على شركات التواصل الاجتماعي، مع وجود ردّ فعل ضعيف من جهة مجتمعات الأقليات لأن هذه الجماعات لا تمتلك القوة ولا القدرة على فِعل ذلك(464). عيّنت شركة فيسبوك جوردانا كتلر Jordana Cutler في منصِب مدير سياستها العامة في إسرائيل والشّتات اليهودي سنة 2016، وهي مستشارة سابقة لرئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، ومديرة الموظفين في السفارة الإسرائيلية في واشنطن. قالت في سنة 2020: "واجبي هو... التحدّث مع فيسبوك بالنيابة عن إسرائيل والشّتات اليهودي. لدينا اجتماعات كل أسبوع للحديث عن كل شيء، من رسائل البريد العشوائي، إلى المواد الإباحية، إلى خطاب الكراهية، والتّنمّر والعنف، وكيف تتعلّق جميعها بمعايير مجتمعنا. أمثّل إسرائيل في هذه الاجتماعات"(465).

لا يوجد مُمثّل لفلسطين في شركة فيسبوك، ويتم تمثيل شعبها، ومئات الملايين من العرب الآخرين في 25 دولة في المنطقة من جهة عزّام علم الدّين، مدير السياسات لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا المُقيم في دبي. كان المدير التنفيذي السابق في شركة فيسبوك الذي كان يقوم بعمل علم الدّين هو أشرف زيتون، وقد تذكّر مناقشة مع كتلر بشأن اعتبار الضفة الغربية "مناطق محتلّة" في سياسات

مكتبة ياسمين

الشركة. كما قالت مي المهدي، الموظفة السابقة الأخرى التي كانت تُشرف على المحتوى، إن أعضاء إسرائيليين في فريق السياسات العالمية ضغطوا على زملائهم بشأن احتمالات الحذف وتوجُّهات السياسات العامة. لم توجد وجهات نظرٍ فلسطينية في هذه المداولات(466).

كانت ماريا موظفة سابقة في فيسبوك كانت تعمل في عمليات المجتمع، وقد أخبرت جيليان يورك Jillian C. York من مؤسسة الحدود الإلكترونية أن الإشراف على المحتوى كان يستند إلى نظامِ عملٍ معيبٍ للغاية. كشفت وثائق نشرتها صحيفةُ الغارديان سنة 2017 كيف تم كَتمُ أصوات الفلسطينيين. كان عنوان إحدى هذه الوثائق: "العنف الجَدير بالثقة: مَعايير الإساءة"، وقد وَردت فيها لائحةُ جماعاتٍ "مُعرّضة" شملت الأجانب والسكان الأصليين والصهاينة. قالت ماريا: "نقولُ إن كَون المرء صهيونيًا لا يُشبه كَونه هندوسيًا أو مسلمًا أو أبيض أو أسود - إنه مثل كَون المرء اشتراكيًا ثوريًا، إنها إيديولوجية. ويتم الآن حَذف كل شيء يتعلق بفلسطين تقريبًا"(467).

حصلت منظمةُ إنترسبت سنة 2021 على وثيقةٍ داخلية أخرى سردت القواعد التي تتعلّق بكيفية التعامل مع كلمة "صهيوني". لم يكن هناك مجال كبير يسمح بانتقاد الصهيونية لأن ذلك اعتبر خطاب كراهية. وثيقةٌ أخرى استخدمها عددٌ ضخم من المشرفين على المحتويات الرخيصة من أصحاب الرواتب المنخفضة، طُلب منهم اتّخاذ القرار فيما إذا كانت صفة الصهيونية تُستخدم كبديل لليهود، بما فيها الكتابات عن المستوطنات الإسرائيلية. قدّمت مثالًا واحدًا استحقّ الحذف: "احذف:

المحتوى الأساسي الذي ينصّ على أن مستوطنين إسرائيليين رفضوا مغادرة البيوت التي تم إنشاؤها في المناطق الفلسطينية؛ مع التعليق، اللعنة على الصهاينة"(468). بينما يمكن أن تُستخدم كلمة "الصهيوني" في سياق وصمة لا ساميّة، إلا أنها تحرم الفلسطينيين من قدرتهم على شجب العنف اليومي والقمع الذي يقوم به بعض الصهاينة. يستخدم كثيرٌ من الفلسطينيين والعرب كلمة "صهيوني" عندما يتحدّثون عن استعمار أرض فلسطينية، وليس من أجل شيطنة اليهود.

واجهت شركة فيسبوك ضغطًا هائلًا من جماعاتِ الصهاينة والمسيحيين الإنجيليين في أمريكا للحَدّ من كمية المحتوى المؤيّد للفلسطينيين على منصّاتِها(469). في سنة 2020، أرسلت أكثر من 120 منظمة رسالةً إلى مجلس إدارة فيسبوك تَحثّهم على "التبنّي الكامل" لتعريف مُعاداة الصهيونية وفق التحالف الدولي لإحياء ذِكرى المَحرقة. تُعتبَر وثيقةُ هذا التحالف إشكاليةً لأنها تَهدف إلى حَظر معظم انتقادات إسرائيل بوصفها مُعادية للساميّة، وتَخلط بين مُعاداة الساميّة وكراهية إسرائيل. ومع ذلك، فقد قال التحالف إن فيسبوك يجب أن يَتبنّى إرشاداته "من أجل حماية المُستخدِمين اليهود من خطاب وصور الكراهية التي تحرّض على الكراهية، وغالبا ما تؤدي إلى العنف".

لم تتبع شركةُ فيسبوك رسميًا إرشادات التحالف، ولكن يبدو أنها تستخدم بعض توصياته. قامت مونيكا بيكيرت Monika Bickert، نائبة رئيس فيسبوك لشؤون سياسات المحتوى، بالرّدّ على المطالب، وكتبت أن الشركة "تستلهم روح - ونص

- التحالف الدولي لإحياء ذكرى المحرقة"، وأنه حسب سياسات فيسبوك "يتم التعامل مع اليهود والإسرائيليين على أنها صفات محميّة"(470).

يكمن التناقض في الإعدادات الافتراضية عند فيسبوك بشأن الصراع في فشلها في الحذف التام بنجاح لمحتويات إنكار المحرقة ومعاداة الساميّة الحقيقية على موقعها، وهي قضايا ذات أصداء أعمق بكثير بالنسبة لليهود وغيرهم من الأقليات. تُنظّمُ جماعاتُ الهيمنة البيضاء أنفسها صراحةً على منصّة فيسبوك، وهناك أسئلة شرعية فيما إذا كان على منصّات وسائل التواصل الاجتماعي أن تَحذف محتويات أصلًا حينما تَطرَح رأيًا ببساطة دون أن تحرّض على العنف(471). لا يُسبّب فيسبوك صعود اليمين المتطرف، والعنف في مُعاداة الساميّة، ومراجعة المَحرقة اليهودية، غير أنها تزداد حرارةً بسبب قدرة هذه المنصّة على نشر الرسالة بسرعة وبشكلٍ واسِع.

نعم، إنني كيهودي لا أرتاح، بل إنني قَلِقٌ بشأن قدرة فيسبوك وتويتر وغيرهما على تضخيم مواد خشِنة على مستوى عالمي تنفي الحقيقة التاريخية أن المَحرقة أو أي إبادَة جماعية أخرى قد حدَثت. أشعرُ بمثل ذلك بشأن شيطنة اليهود أو أي أقلية أخرى. ومن ناحية أخرى، من الذي يمنح المشرفين على فيسبوك، أو خوارزميات الذكاء الاصطناعي الغامضة، الحقّ باتّخاذ القرار عمّا يُعتبر مناسبًا أم لا؟ لا شك بأن تذكُّر المحرقة هو أمرٌ مُعقّد؛ فما يعتبره شخصٌ ما أمرًا جارحًا، ربما يجذب شخصًا آخر، ومع ذلك فإن كثيرًا من المنصات تجد صعوبةً في التعامل معه.

قام عددٌ من مُستخدمي تيك توك في السنوات

مكتبة ياسمين

الأخيرة، معظمهم من الشابات، بارتداء ملابس ضحايا المحرقة، والتظاهر بأنهنّ في معسكر اعتقالٍ نازيّ، واستخدمن مستحضرات تجميل ملوّنة تشبه الدّم، أو يرتدين ثياب السجن. وجد بعض الناس أن ذلك مزعجًا جدًا، وأنه يسترخص الإبادة الجماعية، إنما بالنسبة لآخرين، بمن فيهم أنا شخصيًا، أرى علاقة هذا بجيلٍ جديد يريد أن يتذكّر الحدث بطريقة حديثة. لا يُعتبر هذا إنكارًا للمحرقة، إلا أن كثيرًا من المستخدمين واجهوا انتقاداتٍ شديدة بعد نشر أفلامهم القصيرة عن ذلك(472).

يتزامن الضغط على فيسبوك من جهةِ جماعات الضغط المؤيّدة لإسرائيل مع المحاولات المتزايدة الناجحة لإقناع الدول بتبنّي التحالف الدولي لإحياء ذكرى المحرقة، وتشجيع الولايات المتحدة الأمريكية على إصدار مزيد من القوانين لمَنع المقاطعة، وتطبيق هذه القوانين الجديدة على أي شخصٍ يرفض التعامل مع المستوطنات غير الشرعية في الضفة الغربية. بينما أصبحت تصرفاتُ إسرائيل في فلسطين أكثر تطرفًا، فإن مؤيديها في الغرب قد صعّدوا جهودهم لمحاولة قمع وإسكات انتقادِها. وبدلًا من التركيز على الاحتلال المتعمّق وإنهائه، فإن وزارة الشؤون الاستراتيجية الإسرائيلية صنعت جماعةً على الإنترنت وبرنامجًا اسمه ACT.IL، وهم جيشٌ من المتصيّدين لمضايقة شركات وسائل التواصل الاجتماعي وقنوات الإعلام عند نشر محتوياتٍ تنتقد إسرائيل.

بعد مواجهة سيلٍ من الانتقادات بشأن دورها الملموس في انتخاب دونالد ترامب لرئاسة أمريكا سنة 2016، ردّت شركةُ فيسبوك بإنشاء مجلسٍ إشرافيٍ، هيئة تُشبه المحكمة الدستورية العليا، تم

انتخاب أعضائه من أرجاء العالم، وضمّ إيمي بالمور Emi Palmor، المدير العام السابق لوزارة العدل الإسرائيلية. لا يوجد تمثيلٌ للفلسطينيين حتى الآن في المجلس الإشرافي. عندما تم الإعلان عن بالمور بصفتها عضوًا مؤسّسًا، ردّ الفلسطينيون بغضب، وذكّروا بدورها السابق في وزارة العدل، وضغطها على منصّات التواصل الاجتماعي من أجل حذف محتوياتٍ تنتقد إسرائيل(473).

نفت بالمور أي دورٍ لها في هذه النشاطات، وأملت أن تكون حاضرة عندما يحكم المجلس الإشرافي في أي قضية تتعلّق بمعاداة الساميّة. صرّحت لصحيفة الجيروزالم بوست: "من الواضح أن كوني إسرائيلية ويهودية... لديّ رأي في هذه القضايا، ولديّ فهمٌ أعمق من أيّ شخص آخر في المجلس"(474).

سلطة المجلس الإشرافي مشكوك بها، لأنه مستقلٌ شكليًا، إلا أنه يُموّل من موازنة شركة فيسبوك. أصرّت متحدّثةٌ باسمِ المجلس أنه كان "مستقلًا، ويعمل بشكل منفصِل عن شركة ميتا"، ومع ذلك فإن إدارة الشركة كان لها دور في انتقاء أعضاء المجلس. في سبتمبر 2021، صدر قرارٌ توجّه إلى قلب قدرات المجلس. وجد المجلس نشرةً من شهر مايو 2021 تتحدّث عن المسجد الأقصى وحيّ الشيخ جراح، وتم حذفها خطأً، وأعادت منصّةُ فيسبوك نشرها. علّق المجلس على "الادّعاءات" بأن فيسبوك كان يُمارس رقابة على المنشورات الفلسطينية بناءً على طلبٍ من الحكومة الإسرائيلية، وسألوا فيسبوك "فيما إذا كانت الشركة قد تلقّت طلبات رسمية وغير رسمية من إسرائيل بحذف المحتوى الذي يتعلّق بصراع

أبريل/مايو. ردّت شركة فيسبوك أنها لم تستلم أي طلبٍ قانونيّ مُعتمد من سلطة حكومية يتعلّق بمحتوى المُستخدم في هذه الحالة، إلا أن الشركة رفضت أن تقدّم المعلومات المتبقّية التي طلبها المجلس"(475).

يجب على منصّة فيسبوك أن تحترم قرارات المجلس، إنما لا يجب عليها تنفيذ توصياته. يُحسب للمجلس الإشرافي توصيته بأن توظّف الشركة "هيئةً مستقلَة لا ترتبط بأي طرف من أطراف الصراع لإجراء تقييمٍ مفصّل واتخاذ القرار بشأن قيام المشرفين على المحتوى في منصّة فيسبوك باللغتين العربية والعِبرية، وتطبيقاتها للذكاء الاصطناعي بتطبيقِ سياسات المنصّة دون تحيُّز".

حسب وثائق نشرتها سنة 2021 فرانسيس هوغن Frances Haugen، المُبلِّغة عن شركة فيسبوك، أن الشركة التي كانت تعمل فيها سابقًا قد أنفقت موارد قليلة بشكل ملحوظ على مراقبة المحتوى الذي يصدر خارج الولايات المتحدة الأمريكية. عرفت فيسبوك أنها لم تكن تستثمِر بدرجة كافية في توظيف عاملين وتعليم الذكاء الاصطناعي لفك تركيب أكثر من 160 لغة مُستخدَمة على المنصة. قالت هوغن إن 87% من المبالغ المصروفة على مكافحة الأخبار الكاذبة موجّهة نحو المحتوى باللغة الإنكليزية، على الرغم من أن 9% فقط من المستخدمين يتحدّثون الإنكليزية. قالت هوغن: ربما يكون العنف الجماعي والإبادة الجماعية والقتل في ميانمار وإثيوبيا يتعلّق بهذا النقص بشكل مباشر، لأن المحتوى الذي حقّق مشاركاتٍ ضخمة كان يُعطى أولويةً دون وجود اختبارات سلامة مناسبة.

يبدو أن شركة فيسبوك ترتجل عندما تتعلّق الأمور

مكتبة ياسمين

بقمع أصوات الفلسطينيين، على الرغم من أنه يستحيل معرفة فيما إذا كانت إسرائيل قد ضغطت عليهم. عندما تمَ ظُلمًا حبس الناشطة الفلسطينية السياسية خالدة جرّار سنة 2021، رفضت إسرائيل طلبها حضور جنازة ابنتها. نشر صديقٌ لجرّار، هو عمر نزّال، رسالةً منها على فيسبوك. كانت جرّار قد كتبت: "جاءت سُهى إلى العالم بينما كان والدها في السجن، وهي تُغادر هذا العالم بينما والدتها في السّجن". بعد خمس ساعات، أخبرت فيسبوك نزّال أن حِسابه سيتم حجبه لمدة شهرين لأن المحتوى المنشور "يتعارَض مع معاييرنا بشأن الأفراد الخطِرين والمنظمات الخطرة، بحيث لا يمكن لأحد أن يَراه سواكَ".

ما كان موجودًا في تلك اللائحة السريّة من "الأفراد الخطِرين والمنظمات الخطِرة" ظلَ سرًا لسنوات عديدة، وكأنها صندوقٌ أسود من المجهولين لم يمنح ملايين المستخدِمين أية إشارة عمّا سيتمَ حذفه أو نشره. حصل موقع إنترسبت على اللائحة والقواعد المتعلّقة بها، ونشرَها سنة 2021. كتب المَوقع أنها "تجسيدٌ واضح لمخاوف أمريكية، ومخاوف سياسية، وقِيم سياسة خارجية تم اتباعها بعد أحداث 11 سبتمبر. وقال خبراء إن ذلك على الرغم من أن السياسة تهدف لحماية جميع مستخدِمي فيسبوك، وتنطبق على من يُقيمون خارج الولايات المتحدة (وهم الغالبية العظمى)".

تابع الموقع: "اعتبرت أمريكا أو حلفاؤها أن جميع الأفراد والأشياء في اللائحة عدوًا أو تهديدًا: تألّف أكثر من نصفها من أجانب يُزعم أنهم إرهابيون، أو حوارات حرّة لمواضيع تخضع لرقابة شديدة من فيسبوك"(476). كان معظم الإرهابيين في

مكتبة ياسمين

اللائحة من المسلمين، ومن سكان جنوب اسيا، والشرق الأوسط، ومنحت ميليشيات من البيض المناهضين للحكومة حرية أكبر مما منح لأفراد محظورين من غير البيض.

إذا لم يسترجع المجتمع شكلًا من أشكال الضبط والسيطرة على شركات التقنيات العالية ومنصات التواصل الاجتماعي، فقد وضّحت شوشانا زوبوف في ختام كتابها "عصر الرقابة الرأسمالية" ما سيكون على المحك، فكتبت: "الهدف الآن (لهذه الشركات) ليس السيطرة على الطبيعة، بل السيطرة على طبيعة الإنسان. انتقل التركيز من آلاتٍ تتجاوز قيود الأجسام، إلى آلاتٍ تُغيّر سلوك الأفراد والجماعات والشعوب وتضعها في خدمة أغراض السوق"(477).

ما يعنيه هذا عمليًا، خاصة بالنسبة لفئاتٍ ليس لديها تأثيرٌ سياسي مهمٌ على العواصم الغربية، بما فيها الفلسطينيون، هو أن عليهم المقاومة لئلا يكونوا أكثر بقليل من مجرد طريقة لكي تكسب بها شركاتُ التقنيات العالية أموالًا هائلة. لم يعبّر أحدٌ عن إيديولوجيةِ فيسبوك بطريقةٍ أفضل ممّا قاله المدير التنفيذي لشركة فيسبوك آنذاك، أندرو بوزورث Andrew Bosworth، وهو الآن المدير التنفيذي للتقنيات في شركة ميتا، الذي سرّب مذكّرة سنة 2016 اعترفت بأن الهدف الوحيد للشركة كان "تواصل الناس مع بعضهم (وجمع البيانات)... وهذا هو سببُ أن كل ما نقوم به من أجل النمو هو أمرٌ مبرّر... ويمكن أن يصبح سيئًا إذا جعلوه سلبيًا. وربما تُكلّفُ شخصًا حياته بتعريضه للتنمُّر... وقد يموتُ شخص في هجمةٍ إرهابية تم تنسيقها بأدواتنا... الحقيقة المرّة هي أن إيماننا

عميقٌ بتوصيل الناس مع بعضهم لدرجة أن أي شيء يسمح لنا بتوصيل مزيد من الناس أكثر هو أمرٌ جيد بحكم الأمر الواقع".

يبدو أن خسارة الأرواح بسبب فيسبوك كانت مخاطرةً تستحقُ المجازفة. يستطيع الفلسطينيون أن يُجادلوا بحقٍ أن كونهم تحت الاحتلال الإسرائيلي لا يهمّ الشركة، لأنه لا شيء يمكن أن يقف أمام النمو اللانهائي. نظامُ الفصل العنصري ليس إلا عقبة تخفيف السرعة على الطريق نحو ارتفاع سعر السّهم.

على الرغم من أن بوزورث قد سحب المنشور بعد أن أصبح علنيًا سنة 2018، وانتقده مارك زوكربيرغ على محتوياته، إلا أنها كانت لحظةَ أمانةٍ نادرة في الشركة. بدون وسائل بديلة للتواصل عبر منصات أكثر تنوعًا، وبدون رفضٍ للقواعد المزوّرة التي كتبتها في السرّ شركاتُ فيسبوك، وغوغل، وغيرها من شركات التقنيات الكبيرة، لن يُتاح للفلسطينيين وغيرهم من الفئات المهمّشة الحصول على العدالة، أو على جلسات استماع مُنصِفة.

مكتبة ياسمين

الخاتمة

"سيصبح الناس مثلنا أكثر مما سنصبح مثلهم"

بنيامين نتنياهو، رئيس الوزراء الإسرائيلي

خلال الأسابيع التي تلت غزو روسيا لأوكرانيا في أوائل 2022، ذكّر الصحفي الإسرائيلي جدعون ليفي قراءه بحقيقة غير مريحة. أخبرهم أن اعتقادهم الطويل الأمد بأن القوة العسكرية هي كل ما يحتاجه الأمر من أجل استمرار حياتنا وازدهارنا كان مجرد كذبة. كتب: "الدّرس الذي يجب على إسرائيل أن تتعلّمه من أوكرانيا هو العكس. القوة العسكرية لا تكفي، ومن المستحيل أن نبقى أحياء وحدنا. نحن نحتاج إلى دعمٍ دوليّ حقيقي لا يمكن شراؤه بمجرد تطوير طائرات مسيّرة تقصِف القنابل".

فسّر ليفي أن العصر الذي تشلُّ فيه الدولةُ اليهودية العالم عندما تصرخ: "معاداة الساميّة" قد شارف على نهايته. أمل أن "شعور العالم بالذّنب" بسبب المحرقة اليهودية سينتهي قريبًا، وسيسمح للعالم أخيرًا بتحدّي عنف إسرائيل واحتلالها. أنذرَ قائلًا: "إذا استمرّتْ إسرائيل بالاعتماد كثيرًا على قوتها العسكرية، فإن الشعور بالذّنب، والابتزاز العاطفي، والنفوذ الذي يرافقها سيضعُف"(478).

كانت هذه وجهة نظر نادرًا ما تظهر في الإعلام الغربي. مازالت إسرائيل تُصوّر عادةً كديموقراطية مزدهرة مُحاصرة، وحليف رئيسي في الصراع ضد التطرف. وتصور منزلتها كمصدّر أسطوري للأسلحة، ومُستعدٍ للمساعدة العسكرية، أو لتقديم السلاح، أو تدريب معظم الدول في الأرض. هناك عدد قليل جدًا من الدول الأخرى ممن يمكنها المنافسة على هذه

المنزلة.

في سنة 2018، كتب مركز الأبحاث الإسرائيلي اليميني معهد القدس للاستراتيجية والأمن "نمو وازدهار الصناعات العسكرية الإسرائيلية هي قصة نجاح لا يُمكن فصلها عن تاريخ دولة إسرائيل والمشروع الصهيوني بكامله. الصناعات العسكرية الإسرائيلية مصدر فخرٍ قوميّ - وهي كذلك باستحقاق"(479).

لا تتمزّق هذه الصورة إلا نادرًا. مثلما حدث عندما اتهمت منظمة العفو الدولية، ومنظمة مراقبة حقوق الإنسان إسرائيل بأنها دولة فصل عنصريّ. أو عندما قام الجنرال المتقاعد لورنس ويلكرسن Lawrence Wilkerson، ورئيس الأركان في عهد وزير الدفاع الأمريكي كولن باول Colin Powell، بالتصريح سنة 2021 أن إسرائيل ربما لن توجد خلال عشرين سنة لأنها "عبء استراتيجي من الدرجة الأولى بالنسبة للولايات المتحدة"، وأنها تُصبح "دولة فصل عنصري"(480).

ومع ذلك، فإن مَنزلة إسرائيل كرائدة عالمية في مجال الرقابة، والطائرات المسيّرة، والحماس القومي العرقي، لن تَخبت أو تتلاشى في المستقبل القريب. لا يوجد حاليًا ثمن سياسي أو مالي تدفعه إسرائيل للمحافظة على هذه المنزلة. بل ربما أدّت أفعال روسيا في أوكرانيا إلى تغذية سباق التسلّح العالمي، خاصة في أوروبا، لاستثمار مزيد من الأموال في أكثر الأسلحة الهجومية والدفاعية فتكًا من الطائرات المسيّرة، إلى الصواريخ وتقنيات الرقابة وأدوات اختراق الهواتف المحمولة، وإسرائيل هي مستفيدٌ مباشر من هذه الاستثمارات المتصاعدة.

أتقنت إسرائيل وقادت "صناعة التهدئة العالمية"، وهو مصطلح صاغه الكاتب الإسرائيلي-الأمريكي الأكاديمي جيف هالبر Jeff Halper في كتابه "الحرب ضد الجماهير: إسرائيل، الفلسطينيون، والتهدئة العالمية". يفسّر أن الاحتلال ليس عبئًا ماليًا على الدولة، بل على العكس من ذلك، سواء من ناحية كون فلسطين أرض اختبار لا تقدّر بثمن للمعدات الجديدة لصالح هيمنة عسكرية عالمية تخدم جيوشًا أخرى عبر العالم. يكتب هالبر "إسرائيل دولة صغيرة تسعى جاهدة لاقتطاع مكانة في المركّب العسكري-الصناعي الدولي"(481).

يزدهر مختبر فلسطين الإسرائيلي وينمو على الصراع والعنف في العالم. سيستفيد قطاع الدفاع الإسرائيلي من تفاقم أزمة المناخ في مستقبلٍ لا تستجيب فيه الدول القومية بإجراءاتٍ فعّالة لتخفيف آثار ارتفاع الحرارة، بل تنغلق على نفسها وفق النمط الإسرائيلي. ما يعنيه هذا عمليًا هو جدرانٌ أعلى، وحدودٌ محكَمة، ومراقبة أكثر للاجئين، واستخدامٌ أكثر لبرامج التّعرف على الوجوه، والطائرات المسيّرة، والحواجز الذكية، وقواعد البيانات الحيوية. مع حلول سنة 2025، يُقدّر أن صناعات مراقبة الحدود ستبلغ قيمتها 68 بليون دولار، ومن المؤكّد أن شركات إسرائيلية، مثل شركة إلبيت، ستكون ضمن أكبر المستفيدين(482).

من المتوقّع أن يوجد في الضفة الغربية نحو 1.1 مليون يهودي مع حلول سنة 2050، مما سيغذّي الصراع المستمر بين اليهود والفلسطينيين(483). تبحث جماعات المستوطنين باستمرار عن فرصٍ جديدة لزيادة أعدادها، ومن الممكن أن مسيحيين

مكتبة ياسمين

إنجيليين، وهم من أكثر الجماعات دعمًا للدولة اليهودية، مستعدون ليكونوا فئة كبيرة تبحث عن الهجرة إلى الضفة الغربية في السنوات القادمة، مما سيزيد عدد السكان لأكثر من مليون شخص قبل سنة 2050. حسب رأي أرنون سوفر Arnon Soffer، الباحث السكاني الإسرائيلي سنة 2022، إن اليهود أقلية الآن في إسرائيل والمناطق الفلسطينية المحتلّة، ويشكّلون أقلّ من 47 بالمئة من مُجمل عدد السكان في فلسطين.

عندما استقبلت إسرائيل آلافًا من يهود أوكرانيا بعد الغزو الروسي سنة 2022، وزّع المستوطنون نشرات باللغة الروسية عرَضت المساعدة في "توطِينهم في قُرى ومستوطَنات في يهوذا والسامرة (اسم الضفة الغربية في الكِتاب المقدّس)". حثّ أحد المعلّقين على إعادة صياغة النشرة إلى: "هاربون من الاحتلال؟ دعونا نساعدكم لكي تُصبحوا أنتم مُحتلّين"(484).

يتطوّر برنامج الاستعمار الإسرائيلي باستمرار، ويبدو أن الحدود مفتوحة لتوسّع لانهائي. في كتابه "الأرض الفارغة "هندسة إسرائيل للاحتلال" كتب إيال وايزمان Eyal Weisman، المعماريّ البريطاني الإسرائيلي ومدير جماعة بحث العمارة الجنائية Forensic Architecture، سنة 2012: "بدلًا عن ذلك، إنها مرنة وفي تغيّر مستمر... هذه الحدود متحرّكة، وتتحوّل وتنحسر وتتدفّق باستمرار؛ تزحف خلسة على طول القُرى والطُرق الفلسطينية المحيطة"(485).

ستزيد الأعداد المطّردة من المستوطنين التوتر مع الفلسطينيين، وتُساعد على تطوير أساليب جديدة من السيطرة والفصل من أجل عزل وإخضاع

مكتبة ياسمين

سكان فلسطين المحتلّة. فكّر بالأسلحة، والحدود والجدران المتطورة، والرقابة الشاملة. مع حلول سنة 2050، سيكون ثُلث اليهود الإسرائيليين من الأرثودوكس المتشدّدين، وربما يبلغ عددهم نحو 16 مليون شخص في كامل البلاد، مما يؤكّد تقريبًا وجود مستقبل أكثر تحفظًا.

ما تأمل به إسرائيل هو استمرار توسيع جاذبيتها فيما وراء دولٍ ترغب ببعض معداتها العسكرية الأكثر اقتحامًا وفتكًا في هذا الكوكب، وزيادة الدول التي تشارِكها الالتزام بالقومية العرقية. تُساند مثل هذه الدول بفخر تطبيق الشعائر الدينية، وضد التعددية الثقافية والقِيَم الليبرالية. وهي توجّه اللوم إلى يَسارٍ مُتساهِل اجتماعيًا في تقويض المُثل التقليدية، واستِبدالها بآراء مشوّشة أخلاقيًا بشأن العِرق، والجنس، والزواج، والتوجُّه الجنسي.

شرحَ يورام هازوني Yoram Hazony، المُنظِّر السياسي الإسرائيلي المحافِظ، وجهةَ نظره التي تَرسُم صورةً مخيفة للأقليات. إنها رؤيةٌ تُشارِكه فيها كتلةٌ ضخمة من اليهود الإسرائيليين. يناقِش أن أمريكا دولة مسيحية ذات غالبية مسيحية، وبالتالي يجب أن يختار المسيحيون قوانين البلاد وقواعدها الاجتماعية. قد تحصل الأقليات على بعض المكاسب، ولكن الأكثرية يجب أن تَسود(486). في إسرائيل، يقتضي هذا أن تُسيطر الغالبية اليهودية بقوة على غير اليهود بوسائل متزايدة القسوة لقمع أي مقاومة. القوة المفرطة والرقابة والتقنيات اللازمة لتحقيق ذلك هي ما تأمل إسرائيل أن يُحافظ على كون خبرتها ذات علاقة بدولٍ تحمل أفكارًا مماثلة لها.

لم يذكر هازوني الفلسطينيين سوى مرة واحدة

مكتبة ياسمين

في كتابه "فضائل القومية" سنة 2019، واشتكى من أن العالم يُضايق إسرائيل لمنح الفلسطينيين دولة (نظريًا ضد رغبة إسرائيل). وبدلًا عن ذلك، يُهاجم هازوني معارضي الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، ومعارضي صربيا في عهد المستبدّ سلوبودان ميلوشيفيتش Slobodan Milosevic. يحتجّ بأن "سبب انتقاء هؤلاء لتوجيه الكراهية والبغضاء لهم بشكلٍ خاص، وتطبيق عقوبة خاصة، هو أن البيض في جنوب أفريقيا وصربيا يُعتبرون أوروبيين، ويتم تقييمهم وفق معايير أخلاقية لا تتعلق أبدًا بما هو متوقع من جيرانهم الأفريقيين أو المسلمين". من الواضح أن هازوني يخشى أن إسرائيل ستعاني من المصير نفسه، الذي واجهته هاتان الدولتان المارقتان، لأنها أوروبية بكل بساطة(487).

ثغذي مثل هذه الأفكار السامّة الوقائع الإسرائيلية اليومية في فلسطين بنشر الكذبة أن طبيعة الفلسطينيين عنيفة ولاعقلانية: لا يستطيعون إلا يكونوا إرهابيّين. في هذا السّياق، يُعتبَر خضوعهم للاحتلال لأكثر من نصف قرن مجرد ملاحظة هامشيّة. يجب أن يخضع الفلسطينيون للرقابة والحبس والتعذيب والقتل. يجب على إسرائيل أن تبقيهم داخل قفص تكنولوجي، لأن الخيار الآخر هو الإبادة الجماعية لليهود.

كانت الحاجة واضحة لأن يعيش الإسرائيليون والفلسطينيون معًا بسلام، ولكن معارضيها في الغالب يحتجّون بأن ذلك أمرٌ غير واقعي. ذكر المثقف الفلسطيني إدوارد سعيد لصحفيّ في جريدة غلوب أند ميل الكندية سنة 1986 "يُدرك كل إسرائيلي أنه ليس لديهم خيار عسكري ضدّنا.

فما الذي سيفعلونه؟ هل سيقتلون كل شخص؟ ولذا يقول بعضنا سنتابع القتال، ونستمرُ في القول إننا سنعيش معكم. ومهما يفعلونه سيظلُّون مجرد ظلال"(488).

ومع ذلك، يظلّ التحريض والأمل بالطّرد الجماعي للعرب موقفًا شعبيًا متزايدًا. في سنة 2022، بينما يُعلن ميكي زوهار Miki Zohar، عضو الكنيست الإسرائيلي عن حزب الليكود، تشريعًا مقترحًا جديدًا شمل حُكمًا بالسجن ضد رفع العلم الفلسطيني، وترحيلًا للعائلات الفلسطينية لمن يُفترض أنهم إرهابيون، ادّعى أن "العرب يسيطرون على البلاد. نرى هذا كل يوم. إنهم يُسيئون إلى اليهود، ويفعلون ما يريدون. يَخرجون في مظاهرات عنيفة تؤدي أحيانًا إلى عمليات إعدام خارج القانون، ويَدوسون على الأعلام الإسرائيلية".

مجرد رؤية العلم الفلسطيني تُثير السياسيين الإسرائيليين. قامَ السياسي إسرائيل كاتز Israel Katz من حزب الليكود بتحذير الفلسطينيين من أنهم سيُصابون بِنكبَة أخرى. ألقى خِطابًا في الكنيست الإسرائيلي في مايو 2022 قائلًا: "البارحة، حذّرتُ الطلاب العرب الذين يرفعون الأعلام الفلسطينية في الجامعات. تذكّروا حرب استقلالنا ونَكبتكم. لا تمدُّوا الحبل كثيرًا... إذا لم تهدؤوا، سنُعلّمكم درسًا لا يُنسى".

في سنة 2022، قام سياسيٌ اسرائيلي آخر هو ماتان كاهانا Matan Kahana، نائب وزير الشؤون الدينية، بالدعوة إلى التطهير العرقي. قال لطلاب مدرسة ثانوية في المستوطنة غير القانونية غوش عتصيون التابعة لإفرات إنه "لو كان هناك زرٌ يمكن ضغطه يستطيع إزالة جميع العرب من هنا، ويُرسلهم

مكتبة ياسمين

في قطارٍ سريع إلى سويسرا - حيث يستطيعون أن يعيشوا حياةً مذهلة، فإنني أتمنى لهم الأفضل في سويسرا - وسأضغط على هذا الزرّ".

دفعَ التحريضُ العنصري المتزايد، والأفعالُ السيئة ضد الفلسطينيين رئيس تحرير صحيفة الجيروزالم بوست ياكوف كاتز Yaakov Katz، ورئيس إحدى وسائل الإعلام المؤيدة للمستوطنين، إلى الإقرار سنة 2022 بأن "نسبة عالية في إسرائيل قد توجّهوا نحو اليمين المتطرف. ويستخدمون لغةً مستعارة من البيض المتعصّبين في الولايات المتحدة"(489). كان ذلك اعترافًا غير عادي أدّى إلى أن تُقدّم الصحيفةُ بعض الاقتراحات أبعَد من مجرد المطالبة بتحسين التعليم والثقافة.

من المفارَقة أن أصدَق تقييم لإسرائيل لا يظهَر إلا في الصحافة الإسرائيلية، خاصة صحيفة هآرتس، وليس في الإعلام الأمريكي (الرئيسي على الأقل). كان الإعلام الفلسطيني، وفي كثير من الدول العربية، ينشر تقارير صحيحة عن الوَضع منذ عقود. في سنة 2022، كتبت الصحفيةُ اليهودية أميرة هاس Amira Hass، التي تعيش في رام الله، في جريدة هآرتس أن إسرائيل قد أصبحت الآن "طفرة يهودية" في تبنّيها فكرةَ التفوق اليهودي المسيحاني. تُحذّر هاس من أنه مع مرور الوقت سيُصبح هؤلاء اليهود أكثريةً في الكنيست الإسرائيلي"(490).

التطور الأسوأ الذي كان يخشى منه زمنًا طويلًا ولكنه لم يتحقّق أبدًا هو التطهير العرقي ضد الفلسطينيين الموجودين تحت الاحتلال، أو نقل السكان والتهجير الاجباري بحجّة الأمن القومي. ربما تؤدي حربٌ كارثية بين إسرائيل وإيران أو

حزب الله لتقديم حجّة قوية داخل إسرائيل أن الفلسطينيين المعارضين ربما يؤيدون إخوانهم العرب، ويقوّضون سلامة كيان الدولة. قد يؤدي ذلك للقيام بعملية عسكرية إسرائيلية آنذاك والطّرد الجماعي الكبير، والتأكّد من أن احتمال عودة الفلسطينيين إلى بيوتهم سيكون احتمالًا بعيدًا(491).

في استبيانٍ قام به مركز بيو للأبحاث والدراسات سنة 2016، ظهر أن نحو نصف يهود إسرائيل يؤيدون نقل العرب أو تهجيرهم. كما أظهرت دراسةٌ أجراها المعهد الديموقراطي الإسرائيلي سنة 2022 أن حوالي 60 بالمئة من يهود إسرائيل أيّدوا الفصل التامَ عن العرب. وفي استبيانٍ على الإنترنت سنة 2022، أيّد معظم اليهود الإسرائيليين تهجير الأشخاص الذين يتم اتهامهم بخيانة الدولة، وهي سياسةٌ يدعمها السياسي اليميني المتطرف المعروف إيتمار بن غفير.

إعادةُ انتخاب بنيامين نتنياهو إلى منصب رئيس الوزراء في نوفمبر 2022، مع التحالف اليميني الأكثر تطرفًا في تاريخ البلاد، أشار إلى تصاعد في التهديدات التي تواجه الفلسطينيين. أصبح التحالف الديني الصهيوني اليميني المتطرف ثالث أكبر كتلة سياسية في الكنيست، وهو يدعو إلى التفوّق والسيطرة اليهودية والتهجير القسري للفلسطينيين. إنه تحالفٌ يُشبه قيام جمعية الكوكلاكس كلان من المتعصّبين البيض بتحطيم الباب وهم يلوّحون بأسلحةٍ هجومية.

تم تأليف هذا الكتاب بمثابة إنذار من العالم المخيف الذي قد يولد في قرنٍ تسيطر فيه منذ الآن قوة دول غير مسؤولة، من روسيا وإسرائيل

مكتبة ياسمين

إلى الصين والولايات المتحدة. يُشير غزو فلاديمير بوتين لأوكرانيا سنة 2022، والطبيعة غير المسبوقة للغضب الغربي والعقوبات التي تمَت ضد روسيا، إلى ما يُمكن أن يحدُث عندما لا يتوفَّر رأيٌ موحّد ضد تصرفات دولةٍ عدوَة.

باعث إسرائيل كثيرًا من المعدات العسكرية إلى كثير من الدول، وتأمل أن تحمي نفسها من أي ردود فعلٍ سياسية لاحتلالها اللانهائي. لقد قدّم حلفاءً لإسرائيل، سواء كانوا حلفاء في الحقيقة أو بالتعامل، الحماية التي تريدها من الرقابة الدولية، أو من الظُّهور أمام المحكمة الجنائية الدولية. وإن بيع إسرائيل برنامج بيغاسوس الذي تُنتِجه شركة NSO لاختراق الهواتف المحمولة، وتصديرها لعددٍ كبير من الأسلحة التكنولوجية المتقدمة الأخرى، هو نوعُ السياسةِ العسكرية التي تضمَن لها جميع التحالفات والصداقات، سواء كانت مع دولٍ تسلُّطية أو ديموقراطية. تفتخر إسرائيل بنفسِها بأنها دولةٌ لا يمكن الاستغناء عنها.

لقد نجَحت هذه الاستراتيجية حتى الآن لأنَ إسرائيل لا تَخشى شيئًا أكثر مِن أن يتمّ وَصفُها بأنها مِثل روسيا في غزوها واحتلالها مناطق أجنبية، وأن تواجِه طوفانًا من الإدانات والعقوبات. تواجِه موسكو نتائج اقتصادية بسبب تصرفاتها. وفي الوقت نفسه، قضت إسرائيل عقودًا من السنوات في نزع الشرعية عن "محادثات السلام" مع الفلسطينيين دون أن تهتمّ مُطلقًا بعقد الصُلح وتحقيق السلام. إنها تطلُب من العالم أن يُضفي الشرعية على احتلالها، وأن تبيع التقنيات التي تستخدمها في المحافظة على ذلك الاحتلال بمثابة ورقة تفاوض(492).

ستستمر هذه الصناعة في النمو والازدهار طالما أنه لا توجد حملة دولية ضخمة لعزل إسرائيل بسبب انتهاكاتها لحقوق الإنسان، أو رفع قضايا موجّهة في المحاكم ضد شركات السلاح الإسرائيلية التي تبيع معدات إلى دول قمعية(493). يكمُن الإغراء في الأرباح الهائلة. ولا علاقة للوفيات بكل ذلك "لأن صفقات السلاح الإسرائيلية تُعقد في دول العالم الثالث، وهو ميدانٌ يحيط به الغموض"، كما قال مسؤولٌ كبير سابق في الصناعات العسكرية سنة 2020، "وقد حصلت على سمعة سيئة على مرَ السنين، إلا أن الحقيقة هي أن كل ما تستفيده إسرائيل من تصدير السلاح يؤمّن الحياة لعشرات الآلاف من الناس هنا"(494).

لا بد من الرقابة من أجل نزع البريق عن مختبر فلسطين. في سنة 2020، أصدر مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة لائحةً من الشركات المحلية والأجنبية التي تعمل بشكلٍ غير شرعي في مستوطنات الضفة الغربية والقدس الشرقية. ضمّت هذه اللائحة شركات Airbnb، Bookings، Expedia، JCB، TripAdvisor، Motorola Solutions. لم تتوقّف أي من هذه الشركات عن العمل هناك لأنه لم يكن هنالك أي ضغط شعبي أو سياسي عليها تقريبًا. لم تكن إسرائيل مثل روسيا بوتين. قال برونو ستانيو Bruno Stagno، نائب المدير التنفيذي للدفاع في منظمة مراقبة حقوق الإنسان، إن تقرير الأمم المتحدة عن الشركات المخالفة يجب أن "يضع جميع الشركات تحت الإنذار: بأن التعامل مع المستوطنات غير الشرعية هو مشاركةٌ في ارتكاب جرائم حرب"(495).

على كل حال، وبقليل من الضّجة، بدأ كثيرٌ من

مكتبة ياسمين

المستثمرين المؤسّسين سحب استثماراتهم في الشركات الإسرائيلية، وعبّروا عن قلقهم بشأن المشاركة في الانتهاكات الإسرائيلية. قامت مؤسسة KLP، وهي أكبر صندوق نرويجي للتقاعد بأصولٍ تبلغ نحو 95 بليون دولار بسحب استثماراتها في 16 شركة سنة 2021 بسبب "مساهمة غير مقبولة في انتهاكات حقوق الإنسان" في مستوطنات الضفة الغربية. في السنة ذاتها، باع الصندوق النيوزيلاندي الأكبر 6.5 بليون دولار من مساهماته في خمسة بنوك إسرائيلية مدّعيًا وجود "أدلة موثوقة على أن الشركات التي تم الانسحاب منها تُقدّمُ تمويلًا لمشاريع إنشاء مستوطنات إسرائيلية غير شرعية"(496).

ربما يكون التيار قد بدأ في التحوّل. في سنة 2021، اكتشف موقعُ المستثمِر المسؤول أن 67 بالمئة من مديري الاستثمار يعتقدون بأن حقوق الإنسان ستصبح سريعًا ضمن دائرة الاهتمام الرئيسية في الاستثمار، وبطريقةٍ لا تختلف عن المركزية الحالية للتغيّر المناخي. وبشكلٍ متزايد، أصبح الاستثمار في شركات تتواطأ مع القمع في الصين، أو ميانمار، أو فلسطين، أمرًا لا يمكن الدفاع عنه.

يقول الإسرائيلي إيتاي ماك، محامي حقوق الإنسان، وواحد من أكثر المدافعين إصرارًا على كشف صفقات السلاح الإسرائيلية السابقة والحالية، إن أمله هو إقناع عددٍ كافٍ من الإسرائيليين بأن بيع الموت والبؤس في أنحاء العالم هو أسوأ أنواع الشهرة. أخبرني قائلًا: "هناك إرثٌ تقليدي في إسرائيل لسماع شهادات بشأن الحقيقة التي تتعلّق بالمذبحة اليهودية، وربما سيكون الإعلام، أو الناس،

مكتبة ياسمين

مستعدين للقراءة عن مُعاناة دولٍ أخرى، وعن دور إسرائيل في تلك المُعاناة".

تابع قائلًا: "من الطبيعي أن يكون ذلك متناقضًا مع كون معظم الإسرائيليين غير مُهتمّين بالاحتلال، إلا أنني وجدتُ أن كثيرًا منهم يستطيعون التفاعل مع قضية مبيعات السلاح وأضرارها، كما أنهم يرون الروابط بينها وبين الأخلاقيات والتاريخ اليهودي. يُدرك كثيرٌ من الإسرائيليين هذه العلاقة، سواء كانوا من أقصى اليمين أو من أقصى اليسار". إنما لا توجد سوى نسبة مئوية قليلة من اليهود الإسرائيليين الذين يُطالبون بقطع العلاقات العسكرية الإسرائيلية. يقول ماك إن الأمل بالمُحاسَبة عن طريق عدالةِ المحكمة الإسرائيلية قد انتهى "وقد حان الوقت للتقدُّم من الجانب القانوني، وتَحريك الحملة إلى ميدان آخر لأن نظامَ المحاكم الإسرائيلية لن يُحقّق العدالة".

يجب أن تختار إسرائيل ومؤيدوها بين التزامِهم بالصهيونية وموالاتهم للقِيَم الليبرالية. من المستحيل استمرار الإيمان بكِليهما بالنّظر إلى حالةِ الفصل العنصري في إسرائيل وفلسطين(497). تعتمد الصناعات العسكرية الإسرائيلية على قُدرتها في الاستمرار بإثارة إعجاب زبائن في العالم، وفي زمن الصراع، وانعدام الأمن، وازدياد القلق بشأن التغيّر المناخي، يُعتبر هذا الرّهان آمنًا. تمتلك إسرائيل الأدوات لمساعدة أية دولة تستطيع الدّفع من أجل تجنّب الجوانب الأسوأ من الانهيار الاجتماعي في الوقت الحالي على الأقل.

ومع ذلك فستحتاج إسرائيل لأن تكون مستعدَة دائمًا لتجنّب العدد اللانهائي المرهق من النتائج الكارثية التي قد تهوي بها، من النمو المطّرد عالميًا

في تأييد حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وتطبيق العقوبات، إلى قيام قيادة فلسطينية ملهمة وغير قابلة للفساد(498). إن خسارة إسرائيل لسمعتها كأمَة مضطهدة، وتحوَل الرأي العام في كثير من الدول باطّراد ضد الدولة اليهودية، سيكون أمرًا صعبًا جدًا إذا لم يحدث تحوَلٌ حاسم في سلوكها وسياساتها العسكرية.

شكر وتقدير

يحتاج تأليف كتاب إلى قريةٍ بأكملها. بدأت التفكير بقضايا هذه الصفحات قبل نحو عشرين سنة عندما زُرت إسرائيل وفلسطين سنة 2005. منذ ذلك الحين، وبفضل مجموعةٍ من الأصدقاء، والمعارف، والمصادر، واللقاءات، اكتشفت الجوانب المعقدة المتداخلة التي أصبح فيها الاحتلال أرض الاختبار المثالية للأساليب الجديدة في السيطرة والفصل؛ العالم سوقٌ غير محدودة، ودائمة التوسع. لن يكون هذا الكتاب ممكنًا دون هؤلاء الناس، وأنا أتقدّم لهم بالشكر على إلهاماتهم وملاحظاتهم وصبرهم.

لقد منحني هؤلاء الأفراد معلومات ثمينة، واقتباسات، وولائم عظيمة، وأخبار ساعدتني على فهم القضية. لقد عمّقت المحادثات مع أصدقاء، ومعارف، ومصادر، من معرفتي لموضوعٍ مازال يحظى بتغطية قليلة جدًا في وسائل الإعلام الغربية. أشكرهم جميعًا:

Anas Algomati, Nick Ahlmark, Yahya Assiri, Ronen Bergman, Anuradha Bhasin, David Brophy, John Brown, Darren Byler, Jonathan Cook, Dan Davies, Ron Deibert, Eran Efrati, Andrew Feinstein, the late Robert Fisk, Apostolis Fotiadis, Ulrike Franke, Natalie Gruber, Claudio Guarnieri, Jeff Halper, Jonathan Hempel, Patrick Hilsman, Guy Hirschfeld, Daniel Howden, Alana Hunt, David Kaye, Alaa Mahajna, Bill Marczak, Haroon Matiullah, Yossi Melman, Todd Miller,

مكتبة ياسمين

Farida Nabourema, Amal Nazzal, Edin Omanovic, Arif Ayaz Parrey, Nelofer Pazira, Jack Poulson, Nihalsing Rathod, Ophelia Rivas, Raphael Satter, Michael Sfard, Yehuda Shaul, David Sheen, Hagar Shezaf, Ahmed Shihab-Eldin, Mona Shtaya, Daniel Silberman, Phevos Simeonidis, Mehul Srivastava, Robel Tesfahannes, Griselda Triana, Felix Weiss, Roy Yellin, Jillian York, Amitai .Ziv, and Oren Ziv

شكرًا لدانييل، المنشّق عن الوحدة الإسرائيلية 8200، لتحدُّثه عن وحدةٍ استخباراتية مازالت مُحاطة بالسرِّية والغموض.

وكذلك للإسرائيلي الناشط إيتاي ماك، محامي حقوق الإنسان الذي التقيته شخصيًا لأول مرَة في سجنٍ في القُدس الشرقية منذ سنوات عديدة، وهو واحد من أكثر الأشخاص الذين عرفتهم إلهامًا ممَن يحاولون محاسبة إسرائيل بسبب دعمها لديكتاتوريات حول العالم. أُقدِّر صداقتنا، وقد استفاد هذا الكتاب كثيرًا من وثائقه وتعليقاته.

قضى الباحث شير هيفر Shir Hever سنوات عديدة في استقصاء الاحتلال الإسرائيلي والمجمّع العسكري-الصناعي في البلاد. أشكره على تفكيره النقدي.

هناك كثير من مصادر المعلومات من الذين لا يمكن تسميتهم بسبب حساسية المادة. نحن نعلم أكثر عن مختبر فلسطين بفضل جهودهم الشجاعة.

تعرفتُ على جدعون ليفي، أبرز الصحفيين المعارضين في إسرائيل، منذ سنة 2005. وهو

يؤمن بأن الفلسطينيين هم كائنات بشرية تستحق حقوقًا متساوية، مما يجعله صوتًا نادرًا في الدولة اليهودية. لقد ألهمتني أعماله أكثر من أي شخص اخر - الاسم الأوسط لأول أبنائي هو جدعون - وأتوجه بالشكر إلى جدعون ليفي على صداقته وشجاعته.

مثل كل كتاب اخر كتبته، كانت وثائق ويكي ليبيكس WikiLeaks لا تقدر بثمن في إدراك كيفية ممارسة السلطة في هذا العالم. شكرًا للشجاع جوليان أسانج Julian Assange ومصادره الكثيرة من الذين يؤمنون بحقنا في المعرفة.

أصدقائي الأعزاء وأسرتي يحفظون عليّ عقلي، وتغذيتي، وترويتي، ومحبتي، وتحدياتي، وأنا أشكرهم لإيمانهم بي:

Reuben Brand, Peter Cronau, Paul Farrell, Luke Fletcher, Benjamin Gilmour, Brietta Hague, Emily Howie, Mark Jeanes, Matt Kennard, David Leser, Caitlin Marks, Ross Martin, Mary Martin, Peter Morgan, Lizzie O'Shea, Catrin Ormestad, Mike and Jess Otterman, Selena Papps, Justin Randle, Jeff Sparrow, Helga Svendsen, and Clare Wright.

مصطفى قدري وياسمين أحمد وأولادهما الرائعون زين، وإيمان، كانوا مصدرًا ثابتًا للمحبة والصداقة. شكرًا لكونكم أنتم.

شكرًا لناشري، فيرسو Verso، ومحرري الرائع ليو هوليس Leo Hollis، والفريق الكامل على رعايتهم لهذا الكتاب في هذا العالم.

 مكتبة ياسمين

شكرًا لهنري روزن Henry Rosen ناشري الأسترالي في Scribe، وكامل الفريق لأيمانهم بأهمية هذه المادة.

كانت وكالة Zeitgeist Agency وكيلي اللغوي والسينمائي التي كانت معي لسنوات، وأتوجّه بالشكر إلى Benython Oldfield, Sharon Galant, and Thomasin Chinnery لدعمهم عملًا يهدف للتحرّيض.

قدّم إلي والدي جيفري دائمًا الدّعم القوي في عملي، وأشكره على محبته اللا محدودة وتفهمه اللانهائي. تطورّث وجهات نظره كثيرًا على مرّ السنين بشأن إسرائيل وفلسطين، ويسعدني أننا على المسار ذاته. للأسف، فإن والدتي فيوليت لم تعد معنا الآن، إلا أن روح تعاطفها مازالت حيّة.

وأخيرًا وليس آخرًا بكل تأكيد، شكرًا لشريكتي الرائعة أليسون مارتن Alison Martin وولدينا الجميلين رافائيل وأطلس لأنهم منحوني المحبة والوقت والدّعم لإنهاء هذا الكتاب. حياتُنا دوّامةُ مزيجٍ من المغامرة، والأبطال الخارقين، وعناقات عائلية، ووجبات خالية من الغلوتين، وإيمان بعالم أفضل وأكثر عدلًا. أحبكم من كل قلبي، وإن محبتكم تحفظني وتُلهمني.

بصفتي إنسان ويهودي، أدرك أن المساواة والعدل بين الإسرائيليين والفلسطينيين هي الطريقة الوحيدة لحلّ هذا لصراع. وهذا الكتاب هو مساهمتي في إنهاء عقودٍ من التمييز، وكشف الأساليب السرّية التي حافظت عليه.

المستقبلُ لم يُكتب بعد.

قراءات إضافية مفيدة

Abunimah, Ali. One Country: A Bold Proposal to End the Israeli-Palestinian Impasse. New York: Metropolitan Books, 2006.

Ben-Menache, Ari. Profits of War: Inside the Secret US-Israeli Arms Network. New York: Sheridan Square Press, 1992.

Bergman, Ronen. Rise and Kill First: A Secret History of Israel's Targeted Assassinations. London: John Murray, 2019.

Bresheeth-Zabner, Haim. An Army Like No Other: How the Israeli Defence Force Made a Nation. London: Verso, 2020.

Bridle, James. New Dark Age: Technology and the End of the Future. London: Verso, 2019.

Byler, Darren. In the Camps: China's High-Tech Penal Colony. New York: Columbia Global Reports, 2021.

Cain, Geoffrey. The Perfect Police State: An Undercover Odyssey into China's Terrifying Surveillance Dystopia of the Future. New York: Public Affairs, 2021.

Chomsky, Noam. Fateful Triangle:

مكتبة ياسمين

The United States, Israel and the Palestinians. London: Pluto Press, .1999

Cook, Jonathan. Blood and Religion: The Unmasking of the Jewish and Democratic State. London: Pluto Press, 2006.

Deibert, Ronald J. Reset: Reclaiming the Internet for Civil Society. Toronto: Anansi, 2020.

Farrow, Ronan. Catch and Kill: Lies, Spies and a Conspiracy to Protect Predators. London: Fleet, 2019.

Feinstein, Andrew. The Shadow World: Inside the Global Arms Trade. London: Penguin Books, 2012.

Fisk, Robert. Pity the Nation: Lebanon at War. Oxford: Oxford University Press, 2001.

Foster, Kevin. Anti-Social Media: Conventional Militaries in the Digital Battlespace. Melbourne: Melbourne University Press, 2021.

Friedman, Thomas. From Beirut to Jerusalem: Second Edition. London: HarperCollins Publishers, 1998.

Grandin, Greg. Empire's Workshop: Latin America, the United States and the Making of an Imperial Republic.

مكتبة ياسمين

.New York: Picador, 2021

Halper, Jeff. War against the People: Israel, the Palestinians and Global Pacification. London: Pluto Press, 2015.

Hever, Shir. The Privatisation of Israeli Security. London: Pluto Press, 2018.

Hubbard, Ben. MBS: The Rise to Power of Mohammed bin Salman. London: William Collins, 2020.

Kimmerling, Baruch. Politicide: Ariel Sharon's War against the Palestinians. London: Verso, 2003.

Meier, Barry. Spooked: The Secret Rise of Private Spies. London: Sceptre, 2021.

Miller, Todd. Empire of Borders: The Expansion of the US Borders around the World. London: Verso, 2019.

Perlroth, Nicole. This Is How They Tell Me the World Ends: The Cyber Weapons Arms Race. London: Bloomsbury Publishing, 2021.

Polakow-Suransky, Sasha. The Unspoken Alliance: Israel's Secret Relationship with Apartheid South Africa. New York: Pantheon Books, 2010.

Reinhart, Tanya. Israel/Palestine: How

مكتبة ياسمين

to End the War of 1948. Sydney: Allen .and Unwin, 2003

Said, Edward W. Power Politics and Culture: Interviews with Edward W. Said, edited and with an introduction by Gauri Viswanathan. London: Bloomsbury, 2004.

Weizman, Eyal. Hollow Land: Israel's Architecture of Occupation. London: Verso, 2012.

Yizhar, S. Khirbet Khizeh. London: Granta, 2008.

York, Jillian. Silicon Values: The Future of Free Speech under Surveillance Capitalism. London: Verso, 2021.

Zertal, Idith and Akiva Eldar. Lords of the Land: The War over Israel's Settlements in the Occupied Territories, 1967-2007. New York: Nation Books, 2007.

Zuboff, Shoshana. The Age of Surveillance Capitalism: The Fight for a Human Future at the New Frontier of Power. London: Profile Books, 2019.

 مكتبة ياسمين

Notes

[1I]]

Peter Beinart, "Why American liberals heid state," Thenow call Israel an apart Beinart Notebook (blog), February 15, 2022, peterbeinart.substack.com.

[2I]]

Amos Schocken, "A lesson in Zionism for MK Amichai Chikli," Haaretz, December 8, 2021.

[3I]]

Haggai Matar, "IDF censorship hits an 11-year low," +972 Magazine, June 28, 2022.

تشجب قلة قليلة من الصحفيين الإسرائيليين الطبيعة المتطرفة للرقابة الإسرائيلية، غير أن يوسي ميلمان كتب سنة 2022 أنه "لا توجد أية دولة غربية أخرى تمنع إعلامها من نشر معلومات عن مبيعات الأسلحة". هارتس، 31 يوليو 2022.

[4I]]

Maha Nasser, "US media talks a lot about Palestinians—just without Palestinians," +972 Magazine, October 2, 2020.

[5I]]

Ben Lorder, "How the Israeli flag became a symbol for white nationalists," +972 Magazine, January 22, 2021.

[6I]]

Edward Said, "Permission to Narrate," London Review of Books 6, no. 3, February 16, 1984.

[7I]]

Noam Sheizaf, "An Israeli home for America's New Right," +972 Magazine, July 18, 2022.

[8I]]

Max Fisher and Amanda Taub, "Netanyahuism is winning in Israel and globally," The

مكتبة ياسمين

Interpreter, New York Times, April 11, 2019.

[9IJ]

Peter Beinart, "Benjamin Netanyahu, father of our illiberal age," The Beinart Notebook (blog), June 14, 2021, peterbeinart.substack.com.

[10IJ]

Gideon Levy, "An overwhelming one-man theater performance by Benjamin Netanyahu," Haaretz, August 18, 2016.

[11IJ]

Anat Peled and Milan Czerny, "How Israel has become a dangerous model for Russia and Ukraine," Haaretz, February 14, 2022.

[12IJ]

Greg Grandin, Empire's Workshop: Latin America, the United States, and the Making of an Imperial Republic, New York: Picador, 2021, p. 5.

[13IJ]

Yossi Melman, "A wild, dangerous military-security complex has wielded power in Israel," Haaretz, January 20, 2022.

[14IJ]

Sam Sokol, "Zelenskyy says post-war Ukraine will emulate Israel, won't be 'liberal, European,'" Haaretz, April 5, 2022.

[15IJ]

Daniel B. Shapiro, "Zelenskyy wants Ukraine to be a 'big Israel.' Here's a road map," Atlantic Council, April 6, 2022.

[16IJ]

Eitay Mack, "How Israel is helping Putin," Haaretz, March 7, 2022.

[17IJ]

مكتبة ياسمين

Eitay Mack, "Israel's support to Ukraine involves no policies, only disgrace and shticks," Wire, March 23, 2022, thewire.in.

[18IJ]

James Bridle, New Dark Age: Technology and the End of the Future, London: Verso, 2019, pp. 243-4.

[19IJ]

Jeff Sommer, "Russia's war prompts a pitch for sible' military stocks," New York'socially respon Times, March 4, 2022.

[20IJ]

Yossi Verter, "Israel has failed this week's test of humility and enlightenment," Haaretz, March 4, 2022.

[21IJ]

Yoram Gabison, "An early winner of Russia's invasion: Israel's defense industry," Haaretz, March 1, 2022.

[22IJ]

Richard D. Paddock, "Infiltrated 30 groups, ADL figure says: Spying, Roy Bullock, admits selling information to South Africa was wrong but insists he never acted dishonestly," Los Angeles Times, April 21, 1993.

[23IJ]

Alex Kane and Jacob Hutt, "How the ADL's Israel advocacy undermines its civil rights Spring 2021.work," Jewish Currents,

[24IJ]

Ben Hartman, "American law enforcement learns anti-terror tactics from Israeli experts," Jerusalem Post, September 9, 2015.

[25IJ]

Richard Silverstein, "Israeli Border Police

مكتبة ياسمين

demonstrates riot control methods, tear gas drone to US Border Patrol," Tikun Olam, September 19, 2022.

[26IJ]

"An empire of patrolmen: An interview with Stuart Schrader," Jacobin, October 18, 2019, jacobin.com.

[27IJ]

Mara Hvistendahl and Sam Biddle, "Use of controversial phone-hacking tool is spreading across federal government," Intercept, February 9, 2022, theintercept.com.

[28IJ]

Sari Horwitz, "Israeli experts teach police on ington Post, June 12, 2005.terrorism," Wash

[29IJ]

Jewish Voice for Peace, deadlyexchange.org.

[30IJ]

Alex Kane and Sam Levin, "Internal ADL memo recommended ending police delegations to Israel amid backlash," Jewish Currents, March 17, 2022.

[31IJ]

Daniel Silberman, "One Chilean's story," Guardian, October 28, 1998.

[32IJ]

Philip Shenon, "US releases files on abuse in Pinochet era," New York Times, July 1, 1999.

[33IJ]

Giles Tremlett, "Operation Condor: The cold war conspiracy that terrorised South America," Guardian, September 3, 2020.

[34IJ]

جرت محاولات كثيرة لمحاسبة المتواطئين مع بينوشيه في

مكتبة ياسمين

سنة 2021، أمرت محكمة أسترالية امرأة تشيلية تعيش في أستراليا هي أدريانا ريفاس، بالخروج إلى تشيلي لمواجهة محاكمة بشأن خطف 7 أشخاص في تشيلي في الفترة 1976-1977.

[35IJ]

قال وزير الخارجية الأمريكي جورج شولتز سنة 1984 في وثيقة إن بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وألمانيا كانت تورد السلاح إلى تشيلي.

[36IJ]

John Brown, "Investigate Israel's complicity with Pinochet's crimes," +972 Magazine, March 2, 2017; Grace Livingstone, "Torture 'for your amusement': How Thatcher's government misled MPs and public about its dealings with the Pinochet regime," Declassified UK, April 21, 2020.

[37IJ]

Colin Shindler, "When Jews made friends with Pinochet the tyrant," Jewish Chronicle, March 1, 2018.

[38IJ]

Judy Maltz and Jonathan Gorodischer, "Under Pinochet's nose: The Israeli diplomats who rescued hundreds of dissidents from Chile," Haaretz, June 13, 2022.

[39IJ]

Eitay Mack, "He is not a follower of the nations of the world: Pinochet knew why he loved the Israeli ambassador," Haaretz, June 30, 2022.

[40IJ]

Eitay Mack, "The kibbutz that sells riot control weapons to war criminals," +972 Magazine, November 8, 2017.

[41IJ]

Ayelett Shani, "I won't stop until Israel admits its ties with the Pinochet regime," Haaretz, November 5, 2015.

مكتبة ياسمين

[42IJ]

بعد أن اقترب دانييل جودو، السياسي التشيلي المعروف، من أن يصبح مرشحا متقدما في الانتخابات العامة لرئاسة البلاد سنة 2021، أدانته كثير من الجماعات اليهودية في تشيلي بأنه معاد للسامية. غضبت المؤسسات اليهودية بسبب أصوله الفلسطينية ومواقفه المعارضة للصهيونية.

[43IJ]

George Biddle, "Israel: Young, Blood and Old," Atlantic, October 1949.

[44IJ]

Jon Schwartz, "New documentary, Exterminate All the Brutes, was 500 years of genocide in the making," Intercept, May 2, 2021, theintercept.com.

[45IJ]

Shira Pinhas, "The imperial roots of 'shrinking the conflict,'" +972 Magazine, May 17, 2022.

[46IJ]

Haim Bresheeth-Žabner, An Army Like No Other: How the Israeli Defense Force Made a Nation, London: Verso, 2020, p. 290.

[47IJ]

نشر كتاب سنة 2021 تلقى دعما ماليا من شركة إلبيت. "الجيش البلغاري وإنقاذ يهود بلغاريا، 1941-1944" وهو تاريخ تحريفي يدعي خطأ أن الدولة البلغارية قد أنقذت اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية. أرادت شركة إلبيت أن تضع قدمها في سوق الأسلحة البلغاري.

Raz Segal and Amos Goldberg, "Distorting the Holocaust to Boost the International .Arms Trade," Nation, July 26, 2022

[48IJ]

Thomas L. Friedman, "How Israel's economy got hooked on selling arms abroad," New York Times, December 7, 1986.

[49IJ]

مكتبة ياسمين

رقم اخر نشر سنة 1981 في صحيفة الفاينانشيال تايمز ادعى أن تلك الصناعة وظفت أكثر من 300.000 عامل، أي ربع القوة العاملة في البلاد (على الرغم من أن هذا الرقم شمل الجيش).

[50IJ]

Benjamin Beit-Hallahmi, "Israel's global ambitions," New York Times, January 6, 1983.

[51IJ]

Like No Other, p. 294.Bresheeth-Žabner, Army

[52IJ]

Ibid., p. 293.

[53IJ]

"Israel's Latin American trial of terror," Al Jazeera English, June 5, 2003, aljazeera.com.

[54IJ]

Ofer Aderet, "Zionist Arabs, trains from Berlin: What Herzl got wrong about Israel," Haaretz, May 26, 2022.

[55IJ]

David Horovitz, "A Passover prayer, to safeguard the modern miracle of Israel," Times of Israel, April 15, 2022.

[56IJ]

The Fateful Triangle: TheNoam Chomsky, United States, Israel, and the Palestinians, London: Pluto Press, 1999, p. 110.

[57IJ]

Sasha Polakow-Suransky, The Unspoken Alliance: Israel's Secret Relationship with Apartheid South Africa, New York: Pantheon, 2010, p. 5.

[58IJ]

More details are available at armyupress.army.mil.

[59IJ]

Polakow-Suransky, Unspoken Alliance, p. 6.

[60IJ]

Ofer Aderet, "Publicly, Israel is a boycotted enemy: But behind the scenes, a great deal happens," Haaretz, March 31, 2022.

[61IJ]

Eitay Mack, "The unwritten history of Israel's alliance with the Shah's dictatorship," +972 Magazine, June 24, 2019.

[62IJ]

Aderet, "Publicly, Israel is a boycotted enemy."

[63IJ]

Mack, "Israel's alliance with the Shah's dictatorship."

[64IJ]

Eitay Mack, "How Israel helped whitewash Indonesia's anti-leftist massacres," +972 Magazine, September 9, 2019.

[65IJ]

Eitay Mack, "Israel embraced Romanian dictator's support—knowing he was anti-Semitic," +972 Magazine, December 3, 2019.

[66IJ]

في القرن الحادي والعشرين، تظل رومانيا قريبة من إسرائيل، وهي مشتري كبير للطائرات المسيرة وغيرها من المعدات العسكرية. خلال الخمس والعشرين سنة الفائتة، اشترت رومانيا ما قيمته بليون دولار من الأسلحة الإسرائيلية، معظمها من شركتي إلبيت ورافائيل. دفع الغزو الروسي لأوكرانيا سنة 2022 رومانيا لشراء مزيد من الأسلحة.

Yossi Melman, "Romania looks set to be the first European country to buy Israel's Iron .Dome," Haaretz, September 2022

مكتبة ياسمين

[67IJ]

Lahav Harkov, "From Gaza to Paraguay? The Israeli government's transfer plans," Jerusalem Post, August 12, 2020.

[68IJ]

Margo Gutierrez and Milton Jamail, "Israel in Central America," Middle East Report 140, May/June 1986, merip.org.

[69IJ]

How aEitay Mack, "The Zionist James Bond? Mossad agent helped a brutal dictator retain power," Haaretz, March 25, 2021.

[70IJ]

John Brown, "Israel cooperated with the Argentine regime that murdered thousands of Jews," Haaretz, September 13, 2017.

[71IJ]

Azriel Bermant, "Israel's long history of cooperation with ruthless, anti-Semitic dictators," Haaretz, July 4, 2018.

[72IJ]

Public lecture by Yohanah Ramati, member of the Foreign Relations Committee during the Likud government (1977-84), Florida International University, March 6, 1985.

[73IJ]

Victor Perera, "Uzi Diplomacy," Mother Jones, July 1985.

[74IJ]

Jan Nederveen Pieterse, Israel's Role in the ing West Bank Expertise,Third World: Export Amsterdam: Emancipation Research, 1984.

[75IJ]

Cheryl Rubenberg, "Israel and Guatemala: Arms, Advice and Counterinsurgency," Middle

مكتبة ياسمين

East Report 140, May/June 1986, merip.org.

[76IJ]

Rubenberg, "Israel and Guatemala."

[77IJ]

John Brown, "The relocation of the Guatemala embassy is steeped in many weapons from the past," Haaretz, September 25, 2018.

[78IJ]

Gabriel Schivone, "Israel's shadowy role in Guatemala's dirty war," Electronic Intifada, January 20, 2017, electronicintifada.net.

[79IJ]

Schivone, "Israel's shadowy role."

[80IJ]

Amos Harel, "'We arrested countless Palestinians for no reason,' says ex-top Shin Bet officer," Haaretz, February 17, 2022.

[81IJ]

Chomsky, Fateful Triangle, p. 181. The full quote is available at:

twitter.com/edokonrad/status/1516699173483024386.

[82IJ]

Remotely Piloted Drones in the Third World: A New Military Capability, Washington, DC: CIA, 1986.

[83IJ]

أظهرت وثائق كشفها الإسرائيلي إيتاي ماك، محامي حقوق الإنسان، سنة 2022 أن الموساد تواطأت مع قوى عنيفة في لبنان على مدى عقود منذ الخمسينيات، وكانت مقربة من حزب الكتائب والميليشيات المسيحية.

Ofer Aderet, "What historical Mossad files reveal about Israel's 'most planned war,'" Haaretz, September 8, 2022.

مكتبة ياسمين

[84IJ]

Lizzie Porter, "A legacy of torture: Inside Lebanon's Khiam jail," Al Jazeera English, August 14, 2017, aljazeera.com.

[85IJ]

Ofer Aderet, "Documents expose torture, hunger in Israeli-run prison in south Lebanon," Haaretz, March 23, 2022.

[86IJ]

Thomas Friedman, From Beirut to Jerusalem: One Man's Middle East Odyssey, New York: HarperCollins, 1998, p. 159.

[87IJ]

Greg Myre, "High-Tech industry in Israel goes from boom to bust," New York Times, December 26, 2005.

[88IJ]

Max Fisher, "As Israel's dependence on US shrinks, so does US leverage," New York Times, May 24, 2021.

[89IJ]

أظهرت وثائق ويكيليكس المسربة من وزارة الخارجية الأمريكية سنة 2010 أن اللواء عاموس جلعاد، رئيس المكتب السياسي في وزارة الدفاع الإسرائيلية، قال إن العلاقات الوثيقة بين إسرائيل وأمريكا كانت تساهم في عدم الثقة العالمية بنوايا واشنطن، وعدم قدرتها على تحقيق المصالح الأمريكية.

[90IJ]

Fisher, "As Israel's dependence on US shrinks."

[91IJ]

Douglas Farah, "Israeli rifles have tortuous trail, turn up with Colombian trafficker," Washington Post, July 18, 1990.

[92IJ]

Ibid.

مكتبة ياسمين

[93[]]

Belen Fernandez, "Private security and the 'Israelites of Latin America,'" Al Jazeera English, January 8, 2012, aljazeera.com.

[94[]]

James Bennett, "A day of terror: The Israelis; spilled blood is seen as bond that draws two nations together," New York Times, September 11, 2001.

[95[]]

"Report: Netanyahu says 9/11 terror attacks good for Israel," Haaretz, April 16, 2008.

[96[]]

The Shock Doctrine: The Rise ofNaomi Klein, Disaster Capitalism, New York: Penguin, 2007, p. 435.

[97[]]

Sam Adler-Bell, "The capitalist's kibbutz," Spring 2020.Jewish Currents,

[98[]]

An interview with Saul Singer, co-author of the book Start-up Nation and one of Israel's greatest thinkers, Tech N' Marketing (blog), December 25, 2014, technmarketing.com.

[99[]]

Dan Senor and Saul Singer, Start-up Nation: The Story of Israel's Economic Miracle, New York: Twelve, 2009, chapter 4.

[100[]]

Omer Benjakob, "'Make drones, not porn': Top Israeli defense firm seeks moral high ground over tech industry," Haaretz, May 24, 2022.

[101[]]

Gil Press, "6 reasons Israel became a house leading the $82cybersecurity power

مكتبة ياسمين

billion industry," Forbes, July 18, 2017.

أثناء المؤتمر السنوي حول الإنترنت في تل أبيب في يونيو 2022 وهو تجمع لصناديق الاستثمار الحكومية والشركات الخاصة وصناديق رأس المال الاستثمارية، كان الحديث عن تزايد استعانة الصناعات العسكرية الحكومية بمصادر في القطاع الخاص.

Sophia Goodfriend, "At Israel's Cyber Week, generals and CEOs sell warfare as techno-utopia," +972 Magazine, August 15, 2022.

[102I]

Krisna Saravanamuttu, "Israel advises Sri Lanka on slow-moving genocide," Electronic Intifada, July 30, 2013, electronicintifada.net.

[103I]

Eitay Mack, "Myanmar's genocidal military is still a friend to Israel," +972 Magazine, April 23, 2021.

[104I]

لم تكن إسرائيل وحدها هي التي تبيع أسلحة إلى ميانمار، فقد باعت بكين تقنيات التعرف على الوجوه، وتم تشغيلها في البلاد لمراقبة الجماهير.

[105I]

Noa Landau, "Israeli envoy wishes Myanmar leaders 'good luck' on Rohingya genocide trial," Haaretz, November 27, 2019.

[106I]

Eitay Mack, "Israel saw brutal Myanmar regimes as a business opportunity, documents reveal," Haaretz, October 6, 2022.

[107I]

Oren Ziv, "Despite international sanctions, Myanmar officials attend Tel Aviv weapons expo," +972 Magazine, June 4, 2019.

[108I]

العمل مع أنظمة إبادة جماعية حالية لا يزعج إسرائيل

بل إنها رفضت أيضا الاعتراف بإبادات جماعية حدثت في الماضي. الإبادة الجماعية للأرمن التي اعترف بها رسميا الرئيس الأمريكي جو بايدن، قد حدثت في 1915-1916. وبسبب علاقاتها مع تركيا، فقد رفضت إسرائيل الاعتراف بالإبادة الجماعية الأرمنية. تثبت وثائق نزعت عنها السرية أن مسؤولين إسرائيليين قد عملوا على مر عقود للضغط على دول وأفراد حول العالم ممن أرادوا الاعتراف بذلك.

[109IJ]

Mack, "Israel saw brutal Myanmar regimes as a tunity, documents reveal."business oppor

[110IJ]

Mack, "Myanmar's genocidal military."

[111IJ]

Gidi Weitz and Hilo Glazer, "How Israel tried to dump African refugees in blood-drenched dictatorships," Haaretz, December 25, 2020.

[112IJ]

Eitay Mack, "A classy government: Wrapping the Zionist left ministers in sushi rolls," Haaretz, November 27, 2021.

[113IJ]

David Lyon, ed., Surveillance as Social Sorting: Privacy, Risk and Digital Discrimination, London: Routledge, p. 11.

[114IJ]

Neve Gordon, "Working paper III: The political economy of Israel's homeland security/ parencysurveillance industry," The New Trans Project, April 28, 2009.

[115IJ]

Sophia Goodfriend, "The start-up spy state," +972 Magazine, April 6, 2022.

[116IJ]

Ibid.

[117IJ]

مكتبة ياسمين

The Privatisation of Israeli Security,Shir Hever, London: Pluto Press, 2018, p. 1.

[118IJ]

Antony Loewenstein and Matt Kennard, "How Israel privatized its occupation of Palestine," Nation, October 27, 2016.

[119IJ]

Jessica Buxbaum, "Privatizing the occupation: porations came to police theHow Israeli cor Palestinians," MintPress News, September 7, 2021. The Israeli NGO Who Profits has a list of companies that are complicit in the maintenance, growth, and sustainability of the occupation: whoprofits.org.

[120IJ]

Hever, Privatisation of Israeli Security, pp. 97-8.

[121IJ]

Ibid., pp. 176-7.

[122IJ]

"The private equity opportunity in aerospace and defense," KPMG International, July 2021.

[123IJ]

Keren Assaf and Jonathan Hempel, "Israel's annual weaponry festival is inseparable from occupation in Palestine," Mondoweiss, April 29, 2022, mondoweiss.net.

[124IJ]

Goodfriend, "Start-up spy state."

[125IJ]

"World military spending rises to almost $2 trillion in 2020," Stockholm International Peace Research Institute, April 26, 2021, sipri.org.

[126IJ]

",Joe Roeber, "Hard wired for corruption

مكتبة ياسمين

Prospect, August 28, 2005.

[127IJ]

Amitai Ziv, "How Israeli firearms fall into the hands of Mexican drug cartels," Haaretz, December 9, 2020.

[128IJ]

Olivia Solon, "Why does Microsoft fund veils West Bankan Israeli firm that sur Palestinians?" NBC News, October 28, 2019.

[129IJ]

Melissa Hellmann, "A tale of two AI cities," Seattle Times, April 18, 2020.

[130IJ]

Avi Bar-Eli, "Israeli exports arms endangering human rights because it serves our interests, top defense official admits," Haaretz, December 7, 2021.

[131IJ]

Ali Abunimah, "Biden spokesperson Jen Psaki worked for Israeli spy firm," Electronic Intifada, March 25, 2021, electronicintifada.net.

[132IJ]

Jonathan Hempel, "The watchful eye of Israel's surveillance empire," +972 Magazine, May 3, 2022.

[133IJ]

"Israeli firm develops body-cams with facial recognition," AFP, January 23, 2022.

[134IJ]

Elizabeth Dwoskin, "Israel escalates surveillance of Palestinians with facial recognition program in the West Bank," Washington Post, November 8, 2021.

[135IJ]

Yaniv Kubovich, "Israelis troops' new quota: tinians to tracking database everyAdd 50 Pales shift," Haaretz, March 24, 2022.

[136IJ]

Gideon Levy, "Another star is born but the Shin Bet remains a cruel organization," Haaretz, October 13, 2021.

[137IJ]

Eitay Mack, "As descendent of Auschwitz est in the Yad VashemVictims, I've no inter laundromat," Haaretz, January 22, 2020.

[138IJ]

Orly Noy, "Foreign Ministry to High Court: War criminals welcome at Yad Vashem," +972 Magazine, April 24, 2020.

[139IJ]

Nir Hasson, "A settler's quixotic battle against Israeli arms exports to murderous regimes," Haaretz, May 10, 2018.

[140IJ]

Amos Harel, "Ukraine war: While some countries take a moral stance, Israel expects an arms bonanza," Haaretz, July 1, 2022.

[141IJ]

Chen Maanit, "Israel's Supreme Court calls ments for arms dealing,"for harsher punish Haaretz, October 26, 2021.

[142IJ]

David Cronin, "App makes killing Palestinians as easy as ordering pizza," Electronic Intifada, December 2, 2020, electronicintifada.net.

[143IJ]

Baruch Kimmerling, Politicide: The Real Legacy of Ariel Sharon, London: Verso, 2003, p. 3.

مكتبة ياسمين

[144IJ]

Adam Raz, "When the Shin Bet chief warned that educated Arabs are a 'problem' for Israel," Haaretz, September 16, 2021.

[145IJ]

Jennifer Byrne, "Interview with Martin van Creveld," ABC Australia Foreign Correspondent, March 20, 2002.

[146IJ]

Kimmerling, Politicide, p. 169.

[147IJ]

Stephen Farrell, Dan Williams, and Maayan Lubell, "Palestinians out of sight and out of mind for Israelis seared by 2000 uprising," Reuters, September 29, 2020.

[148IJ]

Gideon Levy, "The Second Intifada, 20 years on: Thousands died in a struggle that failed," Haaretz, September 26, 2020.

[149IJ]

Ben White, "Israel-Palestine: Normalising apartheid under the guise of 'shrinking the conflict,'" Middle East Eye, September 24, 2021, middleeasteye.net.

[150IJ]

Yaniv Kubovich, "Israel completes vast, billion-dollar Gaza barrier," Haaretz, December 7, 2021.

[151IJ]

Byrne, "Interview with Martin van Creveld."

[152IJ]

Zach Mortice, "Why the Gaza Strip may be the city of the future," Bloomberg City Labs, September 27, 2021.

مكتبة ياسمين

[153IJ]

Kevin Foster, Anti-Social Media: Conventional Militaries in the Digital Battlespace, Carlton, Vic.: Melbourne University Press, 2021, pp. 172-3.

[154IJ]

Sophia Goodfriend, "Naked gun," Jewish Currents, December 5, 2019.

[155IJ]

Marisa Tramontano, "State social media and national security strategy: Israel's Operation Protective Edge," E-International Relations, April 20, 2021, e-ir.info.

[156IJ]

Neve Gordon, "How Israeli opponents of the Israeli occupation are losing the digital war," Haaretz, March 6, 2022.

[157IJ]

Tramontano, "State social media."

[158IJ]

"A lab and a showroom: Israeli military industries and the oppression of the Great March of Return in Gaza," Coalition of Women for Peace, June 2018.

[159IJ]

Daniel A. Medina, "An Israeli drone conference ing a product recently used on Gaza,"is featur Quartz, September 17, 2014.

[160IJ]

Ali Abunimah, "Snipers ordered to shoot children, Israeli general confirms," Electronic Intifada, April 22, 2018, electronicintifada.net.

قال جنود سابقون للنشرة الإسرائيلية +972 إنه حسب القيادة العليا للجيش الإسرائيلي إن قتل مدنيين فلسطينيين في غزة أثناء أي حرب هو أمر مقبول طالما أنه لا يزيد عن

مكتبة ياسمين

رقم محدد.

Yuval Abraham, "'We killed a little boy, but it was within the rules,'" +972 Magazine, .August 11, 2022

[161IJ]

Oren Ziv, "The Israeli army is now using a 'talking' drone to disperse West Bank protests," +972 Magazine, February 3, 2020.

[162IJ]

Coalition of Women for Peace, "A lab and a showroom."

[163IJ]

Ibid.

[164IJ]

Anna Ahronheim, "Israel's operation against Hamas was the world's first AI war," Jerusalem Post, May 27, 2021.

[165IJ]

Urban civilian harm in"Why did they bomb us? Gaza, Syria and Israel from explosives weapons use," Airwars, December 9, 2021, airwars.org.

[166IJ]

Mohammed Abu Mughaisib and Natalie Thurtle, "Born under attack to be buried under attack, a life without rest in Gaza," Médecins Sans Frontières, August 10, 2021.

[167IJ]

"Gaza: Apparent war crimes during May fighting," Human Rights Watch, July 27, 2021.

[168IJ]

بعد صراع سنة 2021 بين إسرائيل وغزة، حاول ثلاثة مشرعون تقدميون في الكونغرس الأمريكي وقف تصدير أسلحة شركة بوينغ إلى إسرائيل التي استخدمتها أثناء الهجوم على غزة. فشل النواب: ألكساندريا أوكاسيو-كورتيز، ورشيدة طليب، ومارك بوكان في تلك المحاولة. على الرغم

مكتبة ياسمين

من معارضتهم، وافقت إدارة بايدن على بيع ما قيمته 735 مليون دولار من القنابل لإسرائيل بمنح تصريح بالتصدير لشركة بوينغ. كما وافقت واشنطن على دفع أكثر من 5 مليون دولار لإعادة بناء غزة بعد حرب مايو 2021.

[169I]]

Seth Frantzman, "Innovations in the US-Israeli security alliance," Tablet, July 9, 2019.

[170I]]

Shir Hever, "Gaza war: Hamas reveals new capability as it reduces Israel's military edge," Middle East Eye, May 30, 2021, middleeasteye.net.

[171I]]

Ali Abunimah, "Justin Trudeau buys drones ians," Electronic Intifada,'tested' on Palestin February 11, 2021, electronicintifada.net.

[172I]]

Umar A Farooq, "Pro-Palestinian groups urge Canada to cancel purchase of Israeli drone," Middle East Eye, March 17, 2021, middleeasteye.net.

[173I]]

بيان صحفي لحركة فلسطين، 2 فبراير 2021. في سنة 2020، بدأت الشرطة في بريطانيا استخدام الطائرة المسيرة هرمس 900 من صنع شركة إلبيت الإسرائيلية من أجل أغراض المراقبة وتتبع المتظاهرين.

[174I]]

Patrick Hilsman, "How Putin uses Israeli ians in Syria," Haaretz,drones to bomb civil May 9, 2021. After Russia's invasion of Ukraine in 2022, Moscow lacked a significant drone capability and reportedly looked to Iran for help.

[175I]]

Patrick Hilsman, "How Israeli-designed drones became Russia's eye in the sky for defending Bashar al-Assad," Intercept, July 16, 2019, theintercept.com.

مكتبة ياسمين

[176IJ]

"After six years of Russian airstrikes in Syria, still no accountability for civilian deaths," Airwars, September 30, 2021, airwars.org.

[177IJ]

Sagi Cohen, "Israel's army recruited 15 drone operators for a special mission. It turned into a multi-million dollar start-up," Haaretz, November 19, 2021.

[178IJ]

Sagi Cohen, "US military tests Israeli VR-controlled drone-intercepting drones," Haaretz, September 8, 2020.

[179IJ]

Imogen Piper and Joe Dyke, "Tens of thousands of civilians likely killed by the US in 'Forever Wars,'" Airwars, September 6, 2021, airwars.org; Spencer Ackerman and ligence's Wiki,Laura Poitras, "On US intel anxiety about legal challenges to drones," Forever Wars (blog), October 23, 2021, foreverwars.substack.com.

[180IJ]

Murtaza Hussain, "The psychological tolls and moral hazards of drone warfare," Intercept, October 25, 2021, theintercept.com.

[181IJ]

Cohen, "Israel's army recruited 15 drone operators."

[182IJ]

Nicky Hager, "Israel's omniscient ears," Le Monde Diplomatique, September 2010. A shared NSA/Unit 8200 base is also based at Ora, southwest of Jerusalem; Richard Silverstein, "New IDF Unit 8200 secret spy base ,identified in Ora," Tikun Olam, June 13, 2018

مكتبة ياسمين

richardsilverstein.com.

[183I]

James Bamford, "Edward Snowden," Wired, August 2014.

[184I]

Glenn Greenwald, "Cash, weapons and surveillance: The US is a key party to every Israeli attack," Intercept, August 4, 2014, theintercept.com.

[185I]

Ibid.

[186I]

عمل 1.2 بالمئة فقط من الموظفين العرب في شركات التقنيات المتقدمة سنة 2019، مقارنة بنسبة 10.7 بالمئة من اليهود الإسرائيليين حسب بيانات دراسة بنك إسرائيل المنشورة سنة 2021.

[187I]

Adi Pink, "Veterans of Unit 8200 are feeling like a million bucks (a year)," Calcalist, November 2, 2018.

[188I]

Seth Adler, "Inside the elite Israeli military Unit 8200," Cyber Security Hub, June 11, 2020.

[189I]

Alex Kane, "How Israel became a hub for ogy," Intercept, October 18,surveillance technol 2016, theintercept.com.

[190I]

"Africa gives Israeli firms IAI, Elbit and Mer a backdoor into the worldwide UN base security market," Africa Intelligence, November 9, 2020, africaintelligence.com.

[191I]

Amos Harel, "Top Israeli intel officer goes where no one's gone before. And you can find it

مكتبة ياسمين

on Amazon," Haaretz, October 1, 2021.

[192IJ]

Peter Beaumont, "Israel's Unit 8200 refuseniks: 'You can't run from responsibility,'" Guardian, September 12, 2014.

[193IJ]

"Any Palestinian is exposed to monitoring by the Israeli Big Brother," Guardian, September 13, 2014.

[194IJ]

Amos Barshad, "Inside Israel's lucrative—and surveillance industry," Rest ofsecretive—cyber World, March 9, 2021, restofworld.org.

[195IJ]

Lubna Masarwa, "Israel can monitor every phone call in West Bank and Gaza, says intelligence source," Middle East Eye, November 15, 2021, middleeasteye.net.

[196IJ]

Ronen Bergman, Rise and Kill First: The Secret History of Israel's Targeted Assassinations, London: John Murray, 2019, pp. 529-37.

[197IJ]

Richard Behar, "Inside Israel's secret start-up machine," Forbes, May 30, 2016; Asa Winstanley, "UK Labour Party hires former Israeli spy," Electronic Intifada, January 19, 2021, electronicintifada.net.

[198IJ]

John Reed, "Unit 8200: Israel's cyber spy agency," Financial Times, July 10, 2015.

[199IJ]

Rory Cellan-Jones, "Coronavirus: Israeli spyware firm pitches to be Covid-19 saviour," BBC News, April 2, 2020.

[200IJ]

"NSO Group's breach of private data with 'Fleming': A Covid-19 contact-tracing software," Forensic Architecture, December 30, 2020.

[201IJ]

Joel Schectman, Christopher Bing, and Jack Stubbs, "Special report: Cyber-intel firms pitch governments on spy tools to trace coronavirus," Reuters, April 29, 2020.

التعرض العلني الواسع لشركة NSO الإسرائيلية للاختراق الإلكتروني دفع المنافسين للبحث عن فرصة في السوق. انتعشت شركة إنتلكسا التي أنشأها المدير السابق للمخابرات الإسرائيلية تال ديليان لأنها غير خاضعة لأي دولة قومية، وبالتالي تستطيع بيع أسلحتها الرقمية لعدد من الدول مثل سريلانكا والسعودية وعمان.

Omer Benjakob, "As Israel reins in its cyberarms industry, an ex-intel officer is building an empire," Haaretz, September 20, 2022. Crofton Black, Tasos Telloglou, Eliza Triantafillou, and Omer Benjakob, "Flight of the Predator: Jet Linked to Israeli Spyware Tycoon Brings Surveillance Tech from EU to Notorious Sudanese Militia," Haaretz, November 30, 2022.

[202IJ]

David Halbfinger, Isabel Kershner, and Ronen Bergman, "To track coronavirus, Israel moves to tap secret trove of cellphone data," New York Times, March 16, 2020.

[203IJ]

Eitay Mack and the Seventh Eye, "For Israeli press, surveillance is only a problem with zine,targeting Jewish citizens," +972 Maga June 19, 2020.

[204IJ]

Amira Hass, "Cyberbullying: The Shin Bet's new pastime in Palestine," Haaretz, November 26, 2021.

مكتبة ياسمين

[205IJ]

Refaella Goichman, "Shin Bet tracking, police demic spurs rise in Israel's bigcheck-ups: pan coronavirus brother," Haaretz, April 9, 2020.

[206IJ]

"Who Profits" tweet, May 12, 2021.

[207IJ]

Nir Hasson, "'We'll settle the score': Shin Bet admits misusing tracking system to threaten Israeli Arabs, Palestinians," Haaretz, February 3, 2022.

[208IJ]

Deniz Cam and Thomas Brewster, "To fight coronavirus, this city is asking 911 callers to agree to self-surveillance," Forbes, March 17, 2020.

[209IJ]

Sam Biddle, "Coronavirus monitoring bracelets flood the market, ready to snitch on people who don't distance," Intercept, May 25, 2020, theintercept.com.

[210IJ]

Yaniv Kubovich, "Israel eyes expanding export of surveillance systems in shadow of coronavirus," Haaretz, May 13, 2020.

[211IJ]

Ronen Bergman, "Israel's not-so-secret weapon in coronavirus fight: The spies of Mossad," New York Times, April 12, 2020; Yossi Melman, "The Mossad is flaunting too much during the coronavirus crisis," Haaretz, April 19, 2020.

[212IJ]

Noa Shpigel, "Missiles out, ventilators in: Israeli tors answer the coronavirusdefence contrac call," Haaretz, April 15, 2020.

[213IJ]

David Halbfinger, "Israeli army's idea lab aims at a new target: Saving lives," New York Times, May 7, 2020.

[214IJ]

David Halbfinger, "Ultra-Orthodox enclave in Israel opens to outsiders to fight a virus," New York Times, April 15, 2020.

[215IJ]

Damien Radcliffe, "Here's how Israeli tech companies are helping tackle Covid-19," ZDNet, September 22, 2020.

[216IJ]

Eitay Mack, "Israeli High Court ready approval topia' measures in Bnei Brekof corona 'dys exposes Palestinian playbook," Mondoweiss, April 12, 2020, mondoweiss.net.

[217IJ]

Antony Loewenstein, "Australia's brutal refugee ing the far-right in the EU andpolicy is inspir beyond," Nation, June 29, 2018.

[218IJ]

Gidi Weitz and Hilo Glazer, "How Israel tried to dump African refugees in blood-drenched dictatorships," Haaretz, December 25, 2020.

[219IJ]

David Sheen, "Black lives do not matter in Israel," Al Jazeera English, March 29, 2018, aljazeera.com.

[220IJ]

بدأت إسرائيل تدريب طيارين ألمان في قاعدة للقوات الجوية قرب تل أبيب سنة 2019. كانت مناورات "الراية الزرقاء" العسكرية في إسرائيل سنة 2021 أكبر مناورات جوية عقدت في البلاد وضمت ألمانيا والأردن وأمريكا وإيطاليا واليونان وفرنسا والهند وبريطانيا.

مكتبة ياسمين

[221IJ]

Jasper Jolly, "Airbus to operate drones searching for migrants crossing the Mediterranean," Guardian, October 21, 2020.

[222IJ]

Umar Farooq, "'The drone problem': How the US has struggled to curb Turkey, a key exporter of armed drones," Pro Publica, July 12, 2022, propublica.org.

[223IJ]

Keren Assaf, "The Israeli arms companies that will profit from the latest assault on Gaza," +972 Magazine, August 16, 2022.

[224IJ]

Sara Creta et al., "How Frontex helps haul migrants back to Libyan torture camps," Spiegel International, April 29, 2021.

[225IJ]

Ian Urbina, "The secretive prisons that keep migrants out of Europe," New Yorker, November 28, 2021.

[226IJ]

بدأت الوكالة الأوروبية للسلامة البحرية استخدام الطائرات المسيرة سنة 2021 تحمل معدات إنقاذ لثمانية أشخاص. خشيت منظمة مراقبة البحر من أن هذه المعدات قد تزيد المخاطر على المهاجرين في البحر لأن شركة Frontex ربما تستخدم معدات الإنقاذ كوسيلة لسحب المهاجرين إلى ليبيا وتسليمهم إلى حرس السواحل الليبي.

[227IJ]

Judith Sunderland and Lorenzo Pezzani, "EU's drone is another threat to migrants and refugees," Human Rights Watch, August 1, 2022.

[228IJ]

Kaamil Ahmed and Lorenzo Tondo, "Fortress lions spent on military-gradeEurope: the mil

مكتبة ياسمين

tech to deter refugees," Guardian, December 6, 2021.

[229IJ]

Daniel Howden, Apostolis Fotiadis, and Antony Loewenstein, "Once migrants on the Mediterranean were saved by naval patrols. Now they have to watch as drones fly over," Observer, October 4, 2019.

[230IJ]

"European arms in the bombing of Yemen," Forensic Architecture, June 22, 2021.

[231IJ]

Apostolis Fotiadis and Niamh Ní Bhriain, Smoking Guns: How European Arms Exports Are Forcing Millions from Their Homes, Amsterdam: Transnational Institute, 2021.

[232IJ]

Bill Goodwin, "EU aid funds used to train ligence agencies' in'unaccountable intel high-tech surveillance," Computer Weekly, November 11, 2020.

[233IJ]

مشروع الطائرات المسيرة الأوروبية الذي يدعمه الاتحاد الأوروبي ومتعهدون فرنسيون وإيطاليون يهدف إلى تقديم عشرين مجموعة من ثلاث طائرات مسيرة سنة 2028 إلى فرنسا وألمانيا وإيطاليا واسبانيا.

[234IJ]

Zach Campbell, Caitlin Chandler, and Chris Jones, "Hard power: Europe's military drift causes alarm," Guardian, May 19, 2021.

[235IJ]

Zach Campbell, Caitlin Chandler, and Chris veillance: Europe's secretiveJones, "Sci-fi sur push into biometric technology," Guardian, December 11, 2020; David Cronin, "EU funds ,Israeli spies," Electronic Intifada, June 26, 2020

مكتبة ياسمين

electronicintifada.net.

[236IJ]

Differentiation Tracker, European Council on Foreign Affairs,

ecfr.eu/special/differentiation-tracker.

[237IJ]

Campbell, Chandler, and Jones, "Sci-fi surveillance."

[238IJ]

Maeve Higgins, "How the $68 billion border trial complex affects us all,"surveillance indus Vice, June 11, 2021.

[239IJ]

"Coordinating a maritime disaster: Up to 130 drown off Libya," Alarm Phone, April 22, 2021.

[240IJ]

Apostolis Fotiadis, Ludek Stavinoha, Giacomo Zandonini, and Daniel Howden, "A data 'black hole': Europol ordered to delete vast store of personal data," Guardian, January 10, 2022.

[241IJ]

Derek Gatopoulos and Costas Kantouris, "In post-pandemic Europe, migrants will face digital fortress," Associated Press, June 1, 2021.

[242IJ]

كان باتريك بريير السياسي في حزب القراصنة قلقا بشأن الأعداد المتزايدة من مشاريع الأبحاث التي يدعمها الاتحاد الأوروبي في التجسس، بما فيها المراقبة الشاملة للمقاييس الحيوية. هدفت إحدى الأفكار، وهي iBorderCtrl لقراءة "تعابير الوجه الدقيقة" عندما يكذب الشخص. تم التشكيك بمدى دقتها على الرغم من أنها تلقت 4.5 مليون جنيه إسترليني في جهود الاتحاد الأوروبي لدعم التطوير من خلال مبادرة هورايزون. في أكتوبر 2021، قرر البرلمان الأوروبي لمنع المراقبة الشاملة للمقاييس الحيوية، إنما أراد الاحتفاظ بالتعرف على الوجوه وأمثالها من التقنيات المستعملة.

[243IJ]

"Surveillance company Cellebrite finds a new exploit: Spying on asylum seekers," Privacy International, April 3, 2019.

[244IJ]

Matthias Monroy, "Frontex and Europol: How refugees are tracked digitally," Security Architectures in the EU (blog), October 25, 2021, digit.site36.net.

[245IJ]

نشرت جميع هذه المعلومات سنة 2021 جماعة ملفات شركة Frontex، وهي جماعة من الصحفيين الأوروبيين: frontexfiles.eu/en.html.

[246IJ]

Matthias Monroy, "Border drones (Part 1): veillance of the EU's externalUnmanned sur borders by Frontex," Security Architectures in the EU (blog), July 22, 2021, digit.site36.net.

[247IJ]

Urbina, "Secretive Prisons."

[248IJ]

"Frontex failing to protest people at EU borders," Human Rights Watch, June 23, 2021.

[249IJ]

Daniel Howden and Giacomo Zandonini, "Niger: Europe's migration laboratory," News Deeply: Refugees Deeply, May 22, 2018.

[250IJ]

Thanasis Koukakis, "Why every democracy should fear Israeli spyware," Haaretz, April 27, 2022.

[251IJ]

Sabby Mionis, "Israel-Greece relations reach salem Post, March 10, 2021.new heights," Jeru

[252IJ]

Gur Megiddo, "Will Greek islands become a 'haven for the Jewish people' in case of an emergency?" Haaretz, March 15, 2022.

[253IJ]

الأدلة ضخمة على أن السلطات اليونانية تتجاهل أو تتخلى عن اللاجئين في البحر. انظر

Petra Molnar, "Inside new refugee camp like a 'prison': Greece and other countries prioritize surveillance over human rights," Conversation, September 27, 2021, .theconversation.com

[254IJ]

تنسجم عسكرة الحدود مع نمط عالمي للدول التي تحيط نفسها بحواجز. حسب تقرير من المنظمة غير الحكومية Transnational Institute سنة 2020 تحت عنوان "عالم وراء جدران" فقد تم بناء 63 جدارا في العالم أثناء الخمسين سنة الفائتة. أنفقت أكبر دول العالم على أمن الحدود أكثر من ضعف ما أنفقته على التخفيف من آثار التغير المناخي في الفترة 2013-2018 حسب تقريرها الذي صدر سنة 2021 تحت عنوان "جدار المناخ العالمي".

[255IJ]

Isobel Cockerell, "Greece aims long-range sound cannons at migrants across its border," Coda, July 28, 2021.

[256IJ]

Hebh Jamal, "German broadcaster requires employees to 'support Israel's right to exist,'" +972 Magazine, September 8, 2022.

[257IJ]

كان من المفروض أن يقوم معهد غوته بعقد مناسبة عامة سنة 2022 بمشاركة الفلسطيني البارز محمد الكرد، ولكنها ألغت وجوده "لأنه ذكر عدة تعليقات بشأن إسرائيل بطريقة لا يجدها معهد غوته مناسبة".

[258IJ]

Peter Beinart, "What Germans owe Palestinians and Jews," Beinart

مكتبة ياسمين

Notebook (blog), June 14, 2022, peterbeinart.substack.com.

[259I]]

Judy Maltz, "'Just Jewish': Most European Jews don't belong to any denomination, new study reveals," Haaretz, February 2, 2022.

[260I]]

Cnaan Liphshiz, "41 percent of young sidered emigratingEuropean Jews have con due to anti-Semitism," Jewish Telegraphic Agency, July 4, 2019.

[261I]]

Liran Friedmann, "Despite Bennett's pleas, emigrate to Israel,"Western Jews don't want to Ynet News, October 11, 2021.

[262I]]

Phillip Connor, "A majority of Europeans favor gees, but most disapprove of EU'staking in refu handling of it," Washington, DC: Pew Research Center, September 19, 2018.

[263I]]

Douglas Bloomfield, "Israel may profit from Ukraine-Russia war," Jerusalem Post, May 25, 2022.

كانت إيباك ذراعا أساسيا لتأييد إسرائيل في الخمسينيات، تسعى للحصول على تأييد الحزبين الرئيسيين للدولة اليهودية خلال الصراع، وجرائم الحرب، والاحتلال اللانهائي.

Doug Rossinow, "The dark roots of AIPAC, 'America's pro-Israel lobby,'" Washington Post, March 6, 2018.

[264I]]

Haim Bresheeth-Žabner, An Army Like No Other: How the Israel Defense Forces Made a Nation, London: Verso, 2020, p. 10.

[265I]]

Eitay Mack, "Wait for the Uzi's Israeli relations

مكتبة ياسمين

in the 60s with MLK and African leaders were hardly idealistic, despite nostalgia," Mondoweiss, July 21, 2020, mondoweiss.net.

[266IJ]

Eitay Mack, "When Israel supported boycotts against a white supremacist regime," +972 Magazine, March 10, 2021.

[267IJ]

Sasha Polakow-Suransky, The Unspoken Alliance: Israel's Secret Relationship with Apartheid South Africa, New York: Pantheon, 2010, p. 8.

[268IJ]

Chris McGreal, "Brothers in arms: Israel's secret pact with Pretoria," Guardian, February 7, 2006; Eitay Mack, "NSO's employees sleep soundly geted byeven as journalists, rights activists tar Pegasus do not," The Wire, August 9, 2021.

[269IJ]

McGreal, "Brothers in arms."

[270IJ]

Ibid.

[271IJ]

Ari Ben-Menashe, Profits of War: Inside the Secret US-Israeli Arms Network, New York: Sheridan Square Press, 1992, p. 210.

[272IJ]

Chris McGreal, "Revealed: How Israel offered to sell South Africa nuclear weapons," Guardian, May 24, 2010.

[273IJ]

Barak Ravid, "Biden and Israel PM renewed agreement on covert nuclear program," Axios, September 1, 2021, axios.com.

مكتبة ياسمين

[274IJ]

C.L. Sulzberger, "Foreign Affairs," New York Times, April 30, 1971.

[275IJ]

Carl Bernstein, "The CIA and Media," Rolling Stone, October 20, 1977.

[276IJ]

Eitay Mack, "One year after Pegasus revelations, the state of Israel continues to evade scrutiny," Wire, July 18, 2022, thewire.in.

[277IJ]

Ali Abunimah, "Occupation good for Palestinians, says Israeli opposition chief," Electronic Intifada, September 10, 2019, electronicintifada.net.

[278IJ]

Ran Greenstein, "What lessons can Palestinians really take from the struggle ?," +972 Magazine,of black South Africans September 11, 2022.

[279IJ]

Ilan Baruch and Alon Liel, "Former Israeli ambassadors to SA say Israel took inspiration ick, June 8,from apartheid regime," Daily Maver 2021.

[280IJ]

Akiva Eldar, "People and politics: Sharon's Bantustans are far from Copenhagen's hope," Haaretz, May 13, 2003.

شرح الدار "خريطة سابقة لدولة فلسطين وفق اقتراح شارون"، وكانت مشابهة كثيرا لخطة جنوب أفريقيا في تأسيس بانتونات (لم ينشأ منها سوى أربعة). أراد شارون تأسيس 10 في الضفة الغربية وواحدا في غزة.

[281IJ]

Polakow-Suransky, Unspoken Alliance, p. 219.

مكتبة ياسمين

[282IJ]

Miller, Empire of Borders, pp. 11-12.

[283IJ]

Arif Ayaz Parrey, "Kashmir banega Palestine?" Wande Magazine, August 5, 2020.

[284IJ]

Arif Ayaz Parrey, "Storm in a Teacup," prelude to Alana Hunt, Cups of Nun Chai, 2020, cupsofnunchai.com.

[285IJ]

Hilal Mir, "Israel's annexation plan 'immoral': ist," Anadolu Agency, July 7,Kashmiri activ 2020.

[286IJ]

"Anger over India's diplomat calling for 'Israel model' in Kashmir," Al Jazeera English, November 28, 2019, aljazeera.com.

[287IJ]

Armin Rosen, "As its conflict with Pakistan heats up, India looks to Israel for arms, tactics," Tablet, March 8, 2019.

[288IJ]

Jimmy Johnson, "India employing Israeli oppression in Kashmir," Electronic Intifada, August 19, 2010, electronicintifada.net.

[289IJ]

Somdeep Sen, "India's alliance with Israel is a model for the world's illiberal leaders," Foreign Policy, September 10, 2020.

[290IJ]

Siddiqa Ahmad and Aabida Ahmed, "Mourning over empty graves in Indian-controlled Kashmir," Haaretz, November 21, 2021.

[291IJ]

Abhinav Pandya, "Israel's Fauda vs Turkey's Ertugrul: In India, the battle between two hit TV series is more than a culture war," Haaretz, July 17, 2020.

[292IJ]

Avi Bar-Eli, "Netanyahu allows Israeli arms dealers to fly to India, despite Covid lockdown," Haaretz, February 1 2021.

[293IJ]

Abhijit Iyer-Mitra, "India needs tips from Israel on how to handle Kashmir. Blocking network is not one of them," The Print, August 19, 2019.

[294IJ]

Aakash Hassan, "Kashmir's vanishing newspaper archives," Coda, November 23, 2021.

[295IJ]

Abdulla Moaswes, "Hindu nationalists are transforming India into an Israel-style ethnostate," +972 Magazine, January 8, 2020.

[296IJ]

Samaan Lateef, "India's intifada: Why Modi is arresting pro-Palestinian protesters," Haaretz, May 23, 2021.

[297IJ]

Saudamini Jain, "In India, the latest India-Hamas war became a battle on social media," Haaretz, June 12, 2021.

[298IJ]

Rana Ayyub, "India is a fascist state," Rana Ayyub (blog), October 21, 2021, ranaayyub.substack.com.

[299IJ]

Kumar Sambhav and Nayantara Ranganathan, "How a Reliance-funded firm boosts BJP's

campaigns on Facebook," Al Jazeera English, March 14, 2022, aljazeera.com.

[300I]]

Aakash Hassan, "'My phone haunts me': Kashmiris interrogated and tortured by cyber police for tweeting," Intercept, December 6, 2020, theintercept.com.

[301I]]

'The damage done to IndianArundhati Roy, " democracy is not reversible,'" CNN, June 22, 2022.

[302I]]

Ross Anderson, "The panopticon is already tember 2020.here," Atlantic, Sep

[303I]]

Paul Mozur, Muyi Xiao, and John Liu, "'An invisible cage': How China is policing the future," New York Times, June 25, 2022.

[304I]]

Omar Shakir and Maya Wang, "Mass surveillance fuels oppression of Uighurs and Palestinians," Al Jazeera English, November 24, 2021, aljazeera.com.

[305I]]

تهدف الصين إلى ترسيخ علاقتها مع الشركات الإسرائيلية المتقدمة عن طريق الشراكة المتزايدة مع عدد أكبر من الشركات الإسرائيلية، على الرغم من أن الولايات المتحدة تعارض ذلك بسبب خشيتها من سرقة الصين الأسرار والتقنيات.

Didi Kirsten Tatlow, "China targets Israeli technology in quest for global dominance as US frets," Newsweek, August 10, 2022.

[306I]]

ضخامة السوق الصينية تجذب المتعاقدين الإسرائيليين. اتهمت ثلاث شركات إسرائيلية سنة 2021 لأنها باعت صواريخ موجهة إلى بكين دون ترخيص.

مكتبة ياسمين

[307IJ]

Jimmy Johnson, "China imports Israel's ganda and repression,"methods of propa Electronic Intifada, December 28, 2010, electronicintifada.net.

[308IJ]

Thomas Friedman, "What comes after the ?," New Yorkwar on terrorism? War with China Times, September 7, 2021.

[309IJ]

Ian Birrell, "Revealing: How taxpayers' aid money is still being used to fund despotic regimes in North Korea and China," Daily Mail, December 22, 2019.

[310IJ]

Lourdes Medrano, "'Virtual' border fence ?,"revived: Another billion-dollar boondoggle Christian Science Monitor, March 19, 2014.

[311IJ]

Will Parrish, "The US border patrol and tractor are putting aan Israeli military con Native American reserve under 'persistent surveillance,'" Intercept, August 26, 2019, theintercept.com.

[312IJ]

Geoffrey Boyce and Sam Chambers, "Robotic dogs patrolling the US border will not stop migrants. But they may lead to more deaths," Washington Post, February 23, 2022.

[313IJ]

John Reed, "Israel's Magal sees Mexican wall as no barrier to business," Financial Times, November 18, 2016.

[314IJ]

A US based website that collates global contracts for multinationals is Tech Inquiry. See

مكتبة ياسمين

the entry for Rafael at techinquiry.org.

[315I]]

حصلت شركة ماغال على عقود مع الحكومة الهندية لضمان أمن حدودها، إلا أن الولايات المتحدة كانت السوق الأعظم الذي لم تتمكن من دخوله.

[316I]]

Ryan Devereaux, "Indigenous activists arrested municado following borderand held incom wall protest," Intercept, September 16, 2020, theintercept.com.

[317I]]

قوبلت البنية التحتية لشركة إلبيت غالبا بالصمت بين السياسيين، مع استثناء جدير بالذكر للنائبة فيرونيكا إسكوبار التي تمثل المنطقة الانتخابية رقم 16 من ولاية تكساس في إلباسو. كتبت رسالة في أغسطس 2022 إلى زعامة الحزب الديموقراطي في واشنطن وعبرت عن قلقها بشأن "تقنيات المراقبة الاجتياحية" التي تؤثر سلبيا على ناخبيها في "المجتمعات الحدودية".

[318I]]

Todd Miller, "How border patrol occupied the Tohono O'odham nation," In These Times, June 12, 2019.

[319I]]

Parrish, "Native American reserve under 'persistent surveillance.'"

[320I]]

Sam Biddle, "Start-up pitched tasing migrants from drones, video reveals," Intercept, December 14, 2021, theintercept.com.

[321I]]

Ken Klipperstein and Alex Emmons, "Border police want a bite of burgeoning anti-drone industry," The Intercept, May 4, 2021, theintercept.com.

[322I]]

Petra Molnar and Todd Miller, "Robo dogs

مكتبة ياسمين

and refugees: The future of the global border cle, Februaryindustrial complex," Border Chroni 18, 2022.

[323IJ]

Todd Miller, More Than a Wall: Corporate Profiteering and the Militarization of US tuteBorders, Amsterdam: Transnational Insti and No More Deaths, 2019.

[324IJ]

Mark Akkerman, Financing Border Wars: The Border Industry, Its Financiers and Human Rights, Amsterdam: Transnational Institute, 2021.

[325IJ]

Todd Miller and Nick Buxton, Biden's Border: The Industry, the Democrats and the 2020 Election, Amsterdam: Transnational Institute, 2021.

[326IJ]

Isaac Scher, "The right of return is landback," Jewish Currents, April 5, 2022.

[327IJ]

Jimmy Johnson, "A Palestine-Mexico border," Nacla, June 29, 2012, nacla.org.

[328IJ]

Todd Miller and Gabbriel Schivone, "Gaza in Arizona," TomDispatch, January 25, 2012, tomdispatch.com; Nick Esquer, "Israeli tech start-up lands in Arizona, strengthening ties," Chamber Business News, March 6, 2019.

[329IJ]

Michael D. Shear and Julie Hirschfeld Davis, "Shoot migrants' legs, build alligator moat: Behind Trump's ideas for border," New York Times, October 1, 2019.

[330IJ]

William M. Arkin, "Joe Biden inches toward war with Iran, makes Israel full military power," Newsweek, December 21, 2022.

[331IJ]

William M. Arkin, "Joe Biden inches toward war with Iran, makes Israel full military power," Newsweek, December 21, 2022. James Bamford, "Shady companies with ties to Israel wiretap the US for the NSA," Wired, April 3, 2012.

[332IJ]

عارض عدد كبير من اتحادات العمال في ولاية أورغون علنيا أي دعم من الولاية لمجموعة NSO، وطلبوا سنة 2022 أن يسحب صندوق التقاعد في الولاية استثماراته في هذه الشركة.

[333IJ]

"British Gas pensions cash used to buy Israeli spyware group NSO," Financial Times, February 17, 2022.

انهارت مجموعة نوفالبينا للاستثمار سنة 2021 بعد أن واجهت ضغطا بسبب دعمها لمجموعة NSO. قبل انهيارها، حاول أحد مؤسسيها تغيير صورة الشركة بأنها تدعم انتهاكات حقوق الإنسان عن طريق الاستثمار في شركة إزالة الألغام تعمل في السعودية واليمن.

Kaye Wiggins, "From spyware to landmine clearance: How Novalpina Capital fell apart," Financial Times, February 18, 2022.

[334IJ]

Edward Snowden, "The insecurity industry," Continuing Ed with Edward Snowden (blog), July 27, 2021, edwardsnowden.substack.com.

[335IJ]

Ronen Bergman and Mark Mazzetti, "The battle for the world's most powerful cyberweapon," New York Times, January 28, 2022.

مكتبة ياسمين

[336IJ]
"Revealing Europe's NSO," Lighthouse Reports, August 28, 2022.
[337IJ]
Guy Megiddo, "'We're on the blacklist because of you': The dirty clash between Israeli cyberarms makers," Haaretz, December 17, 2021
عرضت الشركة الإسرائيلية QuaDream تقنية مشابهة لشركة NSO وباعتها للسعودية والمكسيك.
Christopher Bing and Raphael Satter, "iPhone flaw exploited by second Israeli spy firm— sources," Reuters, February 4, 2022.
[338IJ]
Mark Mazzetti, Ronen Bergman and Matina Stevis-Gridnef, "How the global spyware industry spiraled out of control," New York Times, December 8, 2022.
[339IJ]
Avi Bar-Eli, "Israel exports arms endangering human rights because it serves our interests, top defence official admits," Haaretz, December 7, 2021.
[340IJ]
Ronan Farrow, "How democracies spy on their citizens," New Yorker, April 25, 2022.
[341IJ]
مالماب لديها تاريخ من إخفاء وثائق من سجلات الدولة الإسرائيلية التي تحرج الدولة، وتخفي تاريخها الحقيقي، بما فيه محتوى الأيام الأولى من سنة 1948.
[342IJ]
Eitay Mack, "One year after Pegasus revelations, the state of Israel continues to evade scrutiny," The Wire, July 18, 2022, thewire.in.

مكتبة ياسمين

[343IJ]

نشرت ويكيليكس وثائق سنة 2015 كشفت كيف اخترقت وكالة الأمن الأمريكية هواتف عدد كبير من المسؤولين الألمان بمن فيهم المستشارة أنجيلا ميركل على مدى سنين.

[344IJ]

Bergman and Mazzetti, "Battle for the world's most powerful cyberweapon."

[345IJ]

Roula Khalaf and Helen Warrell, "UK spy chief raises fears over China's digital renminbi," Financial Times, December 11, 2021.

[346IJ]

Raphael Satter, "Exposed Israeli spy linked to apparent effort by NSO Group to derail lawsuits," Associated Press, February 11, 2019.

[347IJ]

Alex Kane, "A top progressive consulting firm is doing PR for an Israeli spy company," The Intercept, April 6, 2019, theintercept.com.

[348IJ]

Tomer Ganon and Hagar Ravet, "The dodgy framework and the middlemen: How NSO sold its first Pegasus licence," Calcalist, February 24, 2020.

[349IJ]

Mark Mazzetti et al., "A new age of warfare: cenaries do battle forHow internet mer authoritarian governments," New York Times, March 21, 2019.

[350IJ]

Ronen Bergman, "Weaving a cyber web," Yedioth Ahronoth, January 11, 2019.

[351IJ]

Eitay Mack, "Honduras and the Jerusalem anyahu backed arms andembassy: How Net

مكتبة ياسمين

cocaine deals," Haaretz, May 1, 2022.

[352IJ]

Nicole Perlroth, "Spyware's odd target: Backers of Mexico's soda tax," New York Times, February 11, 2017.

[353IJ]

Oded Yaron, "The secret of NSO's success in Mexico," Haaretz, November 30, 2020.

[354IJ]

Cecile Schilis-Gallego and Nina Lakhani, "'It's How high-tech ended up in thea free-for-all': hands of Mexico's cartels," Guardian, December 8, 2020.

[355IJ]

Nina Lakhani, "Revealed: Murdered journalist's number selected by Mexican NSO client," Guardian, July 19, 2021.

[356IJ]

Ibid.

[357IJ]

Nina Lakhani, "Fifty people linked to Mexico's president among potential targets of NSO clients," Guardian, July 20, 2021.

[358IJ]

العدد الحقيقي للهواتف التي اخترقها برنامج بيغاسوس غير معروف، ومن المؤكد أنه أكبرمن هذا العدد، غير أن تقريرا في صحيفة هاارتس ومختبر الأمن التابع لمنظمة العفو الدولية سنة 2022 وجد أن 450 هاتفا على الاقل قد تم تأكيدها في العالم.

Omer Benjakob, "The NSO file: A complete (updating) list of individuals targeted with Pegasus spyware," Haaretz, January 19, 2022.

[359IJ]

كانت الإمارات المتحدة غاضبة بعد اغتيال إسرائيل لمسؤول كبير في حركة حماس ضمن أراضيها سنة 2010. ..

مكتبة ياسمين

العلاقات بين الدولتين، ولم ترجع إلا بعد أن عرضت إسرائيل برنامج بيغاسوس على ذلك النظام سنة 2013.

Ronen Bergman and Mark Mazzetti, "The battle for the world's most powerful cyberweapon," New York Times, January 28, 2022.

[360I]]

Elizabeth Dwoskin and Shira Rubin, "'Somebody has to do the dirty work': NSO founders defend the spyware they built," Washington Post, July 21, 2021.

[361I]]

Ibid.

[362I]]

غضب كثير من الإسرائيليين عندما أعلنت شركة Ben & Jerry أنها ستتوقف عن بيع المثلجات في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وكان اهتمامها أقل بكثير عندما اتهمت شركة NSO عالميا بمساعدة الطغاة.

[363I]]

"Digital violence: How the NSO Group enables state terror," Forensic Architecture, July 3, 2021.

[364I]]

Cole Stangler and Abdellatif El Hamamouchi, co's surveillance machine," Intercept,"Moroc October 21, 2021, theintercept.com.

[365I]]

حاولت شركة NSO، (وفشلت) في بيع برنامجها لاختراق الهواتف إلى إدارات الشرطة في أمريكا، وإلى إدارة مكافحة المخدرات لأن الكلفة كانت عالية جدا.

Joseph Cox, "NSO Group pitched phone hacking tech to American police," Vice, May 13, 2020.

[366I]]

Omer Benjakob, "Pegasus spyware maker NSO has 22 clients in the European Union. And it's not alone," Haaretz, August 9, 2022.

مكتبة ياسمين

[367IJ]

Bergman and Mazzetti, “Battle for the world’s most powerful cyberweapon.”

حاولت شركة NSO أساليب عدة لاختراق السوق الأمريكية، بما فيها عرض "أكياس من المال" للوصول إلى شبكات الهواتف المحمولة الأمريكية. كان هذا حسبما ذكره المبلغ Gary Miller الذي قال إن شركة NSO قد عرضت أموالا على شركته في ذلك الحين Mobileum

“NSO offered ‘bags of cash’ for access to US cell networks, whistle-blower claims,” Washington Post, February 2, 2022.

[368IJ]

Bergman and Mazzetti, “Battle for the world’s most powerful cyberweapon.”

[369IJ]

Patrick Kingsley, Isabel Kershner, and Ronen Bergman, “War in Ukraine forces Israel into a delicate balancing act,” New York Times, February 27, 2022; Stephanie Kirchgaessner, “Israel blocked Ukraine from buying Pegasus spyware, fearing Russia’s anger,” Guardian, March 24, 2022

[370IJ]

Thomas Brewster, “Ukraine starts using facial recognition to identify dead Russians and tell their relatives,” Forbes, March 23, 2022.

[371IJ]

Eitay Mack, “The Uganda files: How Israeli arms brutal dictators who recruit child soldiers,” Haaretz, December 24, 2021.

[372IJ]

Mehul Srivastava, “The secret Uganda deal that has brought NSO to the brink of collapse,” Financial Times, December 22, 2021.

[373IJ]

Ibid.

مكتبة ياسمين

[374IJ]

Nicole Perlroth, This Is How They Tell Me the World Ends: The Cyber-Weapons Arms Race, New York: Bloomsbury, 2021, p. 186.

[375IJ]

Uri Blau, "Pegasus spyware maker NSO is conducting a lobbying campaign to get off US blacklist," Pro Publica, July 12, 2022; Mark Mazzetti and Ronen Bergman, "Defence firm said US spies backed its bid for Pegasus spyware maker," New York Times, July 10, 2022.

[376IJ]

Nick Cleveland-Smith, "Israeli spyware floods Washington with lobbyists despite blacklist," Responsible Statecraft, July 29, 2022.

[377IJ]

Bar-Eli, "Israel exports arms endangering human rights."

[378IJ]

Kaye Wiggins et al., "NSO's cash dilemma: Miss debt repayment or sell to risky customers," Financial Times, June 1, 2022.

[379IJ]

Lily Hay Newman, "Google warns that NSO hacking is on par with elite nation-state spies," Wired, December 15, 2021.

[380IJ]

Bergman and Mazzetti, "Israeli companies aided Saudi spying."

[381IJ]

Eitay Mack, "'Trust the dictator': Israel's new vising' cyber arms exports,"methods of 'super Haaretz, December 8, 2021.

[382IJ]

مكتبة ياسمين

Joanna Slater and Niha Masih, "Indian activists jailed on terrorism charges were on list with surveillance targets," Washington Post, July 20, 2021.

[383IJ]

Andy Greenberg, "Police linked to hacking campaign to frame Indian activists," Wired, June 16, 2022.

[384IJ]

Arundhati Roy, "This is no ordinary spying. Our most intimate selves are now exposed," Guardian, July 27, 2021.

[385IJ]

Farida Nabourema, "In Togo, there is nowhere to hide," New York Times, October 6, 2020.

[386IJ]

Stephanie Kirchgaessner and Jennifer Rankin, "WhatsApp spyware attack: Senior clergymen ists targeted,"in Togo amongst among activ Guardian, August 3, 2020.

[387IJ]

Amitai Ziv, "Where Netanyahu went, NSO followed: How Israel pushed cyberweapon sales," Haaretz, July 20, 2021.

[388IJ]

Ibid.

[389IJ]

Mehul Srivastava, "How Israel used NSO as diplomatic calling card," Financial Times, July 21, 2021.

[390IJ]

Shay Aspril, "Why Israelis don't care about the NSO scandal," Haaretz, August 19, 2021.

[391IJ]

مكتبة ياسمين

"Substantial majority of Jewish Israelis feel unregulated cyberarms sales are 'immoral,'" Haaretz, August 9, 2021.

[392IJ]

Sever Plocker, "NSO's software isn't dangerous, people who use it are," Ynet, November 4, 2021.

[393IJ]

Ramon Eshkar, "NSO is not just about cyber calist, November 4, 2021.intelligence," Cal

[394IJ]

Shuki Sadeh, "Israeli military vs. NSO: The battle for talent is getting dark," Haaretz, June 29, 2021.

[395IJ]

Richard Silverstein, "Israel's Unit 8200 produces spyware far more powerful than Pegasus; and Mossad, Shin Bet use it," Tikun Olam, July 27, 2021, richardsilverstein.com.

[396IJ]

Ron Deibert, Reset: Reclaiming the Internet for Civil Society, Toronto: Anansi, 2020, p. 329.

[397IJ]

أثيرت شكوك حول كفاءة أداة شركة سيلبرايت لاختراق الهواتف من جهة موكسي مارلينسبايك، مؤسس برنامج Signal، الذي ادعى سنة 2021 أنه وجد نقاط ضعف في النظام. نتيجة لذلك، طلب نشطاء في عدد من الدول مثل بريطانيا وإسرائيل وأستراليا من قوات الشرطة لديهم بوقف استخدام هذا البرنامج لأن البيانات معرضة للتزوير فيه.

[398IJ]

Oded Yaron, "Putin investigators targeting LGBTQs, Navalny, use Israeli phone-hacking tech," Haaretz, September 23, 2020.

[399IJ]

تحتاج معدات شركة سيلبرايت أن يكون الهاتف بحوزة شخص ما، في تباين مع برنامج بيغاسوس الذي تنتجه شركة NSO والذي يستطيع اختراق الأجهزة عن بعد.

 مكتبة ياسمين

[400IJ]

أصبحت فييتنام واحدة من أكبر الأسواق للمعدات العسكرية الإسرائيلية في العقد الأخير، بصفقات بلغت قيمتها 1.5 بليون دولار على الأقل.

[401IJ]

Yarno Ritzen and the Al Jazeera Investigative Unit, "Bangladesh bought phone-hacking tools from Israel, documents show," Al Jazeera English, March 8, 2021, aljazeera.com. Oded Yaron, "Ethiopia obtains phone-hacking tech rite," Haaretz, Decemberfrom Israeli firm Celleb 18, 2022.

[402IJ]

Gur Megiddo, "Revealed: Israel firm provided phone-hacking services to Saudi Arabia," Haaretz, September 16, 2020.

[403IJ]

Mara Hvistendahl and Sam Biddle, "Use of controversial phone-cracking tool is spreading across federal government," The Intercept, February 9, 2022, theintercept.com.

[404IJ]

Mara Hvistendahl, "Chinese police kept buying Cellebrite phone hackers after the company said it ended sales," The Intercept, August 17, 2021, theintercept.com. Hong Kong democracy ist Joshua Wong, whose phone wasactiv hacked by Cellebrite, alleged in 2020 that Cellebrite technology had been used by authorities in Hong Kong to crack at least 4,000 mobile phones "without consent," twitter.com/joshuawongcf.

[405IJ]

المنافس الرئيسي لشركة سيلبرايت هي شركة الهواتف المحمولة السويدية MSAB. وهي تعمل أيضا في دول قمعية، بما فيها ميانمار. تلقت الشركة تمويلا من الاتحاد الأوروبي عبر Horizon Europe، وهو برنامج البحث التقني الذي استثمر أيضًا في إسرائيل.

مكتبة ياسمين

Zach Campbell and Caitlin L. Chandler, "Tools for repression in Myanmar expose gap between EU tech investment and regulation," Intercept, June 15, 2021, theintercept.com.

[406IJ]

Megiddo, "Revealed."

[407IJ]

Jack Nicas, "The police can probably break into your phone," New York Times, October 21, 2020.

[408IJ]

Anonymous, "I worked at Israeli phone-hacking firm Cellebrite. They lied to us," Haaretz, July 27, 2021.

[409IJ]

intel genius, hisShuki Sadeh, "A shady Israeli cyber spy van and million dollar deals," Haaretz, December 31, 2020.

[410IJ]

Bill Marczak et al., "Pegasus vs. Predator: Dissident's doubly infected iPhone reveals Cytrox mercenary spyware," Citizen Lab, December 16, 2021, citizenlab.ca.

[411IJ]

Mark Mazzetti, Nicole Perlroth, and Ronen Bergman, "It seemed like a popular chat app. It's secretly a spying tool," New York Times, December 22, 2019.

[412IJ]

Adam Entous, "How a private Israeli intelligence firm spied on pro-Palestinian activists in the US," New Yorker, February 28, 2019.

[413IJ]

Intel firm denies it wasOliver Holmes, "Israel

hired by Trump aides to discredit Obama officials," Guardian, May 8, 2018.

[414IJ]

Gur Megiddo, "Black Cube, a late Mossad chief and a rogue op against a top Romanian official," Haaretz, October 21, 2020.

[415IJ]

Barry Meier, Spooked: The Secret Rise of Private Spies, London: Sceptre, 2021, pp. 108-9.

[416IJ]

"Israeli private intelligence company Black Cube out of control," Real News Network, June 11, 2019.

[417IJ]

Kadhim Shubber and Tom Burgis, "Black Cube executive says UK austerity helped business," Financial Times, February 8, 2021.

[418IJ]

Meier, Spooked, p. 109.

[419IJ]

Madeline Earp, "David Kaye on the Pegasus Project and why surveillance reform should reach beyond NSO and Israel," Committee to Protect Journalists, August 2, 2021, cpj.org.

[420IJ]

Danna Ingleton, "NSO blacklisting: Global reckoning begins for spyware and its tools of repression," Haaretz, November 6, 2021.

[421IJ]

Snowden, "Insecurity industry."

[422IJ]

Billy Perrigo, "Inside's Facebook's meeting with cials over posts inaccuratelyPalestinian offi

flagged as incitement to violence," Time, May 21, 2021.

[423IJ]

Avani Dias, "'There's not enough brutality': Former TikTok moderator says workers left up 'disturbing' violence against Palestinians," ABC Radio, November 9, 2021, abc.net.au/triplej/programs/hack.

[424IJ]

Linah Alsaafin, "Palestinians criticize social media censorship over Sheikh Jarrah," Al Jazeera English, May 7, 2021, aljazeera.com.

[425IJ]

Elizabeth Dwoskin and Gerrit De Vynck, "Facebook's AI treats Palestinian activists like it treats American black activists. It blocks them," Washington Post, May 28, 2021.

[426IJ]

Elizabeth Dwoskin, Nistasha Tiku, and Craig book's race-blind practicesTimberg, "Face around hate speech came at the expense at black users, documents show," Washington Post, November 21, 2021.

[427IJ]

Chris Looft, "Facebook employees questioned tions on Palestinian activist'sapparent restric account: Documents," ABC News, October 29, 2021.

[428IJ]

Dwoskin and De Vynck, "Facebook's AI."

[429IJ]

أدى أشخاص متحمسون أو برنامج ذكاء اصطناعي إلى حذف صفحة وزارة الصحة الفلسطينية على فيسبوك سنة 2020. على الرغم من أنها قد أعيدت فيما بعد - وكانت ثالث مرة يحدث فيها ذلك.

[430IJ]

Mona Shtaya, "Who gets to speak out against their occupier on social media?" +972 Magazine, March 22, 2022.

[431IJ]

Ryan Mac, "Instagram censored posts about one of Islam's holiest mosques, drawing employee ire," BuzzFeed News, May 13, 2021, buzzfeednews.com.

[432IJ]

Zoe Schiffer, "Google employees call for company to support Palestinians and protect anti-Zionist speech," Verge, May 18, 2021, ,com.theverge

[433IJ]

Hannah Murphy, "Facebook employees demand changes around Palestinian content," Financial Times, June 2, 2021.

[434IJ]

Ameera Kawash, "The occupation enters the Metaverse," +972 Magazine, February 22, 2022.

[435IJ]

Sam Biddle, "Facebook report concludes company censorship violated Palestinian human rights," The Intercept, September 22, 2022, theintercept.com. Meta commissioned the report and it was carried out by the independent consultancy, Business for Social Responsibility.

[436IJ]

Sam Biddle, "Documents reveal advanced AI tools Google is selling to Israel," The Intercept, July 24, 2022, theintercept.com.

[437IJ]

Sam Biddle, "Google and Amazon face shareholder revolt over Israeli defense work," The Intercept, May 19, 2022, the intercept.com.

مكتبة ياسمين

[438I]]

Anonymous Google and Amazon workers, "We are Google and Amazon workers. We condemn Project Nimbus," Guardian, October 13, 2021; Charmaine Chua, Jake Alimahomed-Wilson, and Spencer Louis Potiker, "Amazon's investments in Israel reveal complicity in settlements and military operations," Nation, June 22, 2021.

[439I]]

في رفض نادر لطلب إسرائيلي في أبريل 2022، رفضت شركة فيسبوك إزالة صفحة اعتبرتها إسرائيل "مرتبطة بحركة حماس بكل وضوح" لأن شركة التواصل الاجتماعي قالت إنها لم تجد أي دليل يدعم هذا التأكيد.

[440I]]

Sam Biddle, "Facebook anti-terror policy lands head of Afghan Crescent Society on censorship list," The Intercept, May 22, 2022, theintercept.com.

[441I]]

Emanuel Maiberg, "Israeli mob organized destruction of Arab businesses on WhatsApp," Vice, May 20, 2021.

[442I]]

Ran Shimoni, Kahanism, "Arab 'occupation,' violence: Far-right stronghold emerges outside Tel Aviv," Haaretz, February 15, 2022.

[443I]]

Haya Haddad and George Zeidan, "Why do Google and Apple Maps recognize illegal Israeli settlements, but not Palestine?" Haaretz, September 29, 2020.

[444I]]

"Systematic efforts to silence Palestinian content on social media," 7amleh, June 7, 2020, 7amleh.org.

[445IJ]

Marwa Fatafta, "Elections or not, the PA is intensifying its authoritarian rule online," +972 Magazine, April 29, 2021.

[446IJ]

Mariam Barghouti, "Survey: 52% of Palestinians believe their personal data isn't protected adequately," Mondoweiss, July 21, 2022, mondoweiss.net.

[447IJ]

Shoshana Zuboff, "The coup we are not talking about," New York Times, January 29, 2021.

[448IJ]

Amal Nazzal, "YouTube's violations of Palestinian digital rights: What needs to be done," Al-Shabaka, December 27, 2020, al-shabaka.org.

[449IJ]

في سنة 2022، نشرت نتائج دراسة قام بها مركز إسرائيل للعمل الديني، وجدت أن نحو 77 بالمئة من جميع الاتهامات بالتحريض على العنصرية والعنف كانت مقدمة ضد العرب في الفترة 2014-2021.

Or Kashti and Chen Maanit, "77% of incitement charges in Israel filed against Arabs, study reveals," Haaretz, August 1, .2022

[450IJ]

Joseph Cox and Emanuel Maiberg, "YouTube removes Israeli government-linked ad that justified bombing of Gaza," Vice, May 19, 2021.

[451IJ]

Marc Owen Jones, "Amnesty apartheid report: How Israel is using Google Ads to whitewash its record," Middle East Eye, February 10, 2022, middleeasteye.net.

 مكتبة ياسمين

[452IJ]

Hillel Cohen, "Via Facebook, Israel is trying tinian perception of theto change Pales occupation," Haaretz, August 8, 2020; John Brown and Noam Rotem, "Exclusive: The IDF is monitoring what Israeli citizens say on Facebook," +972 Magazine, July 15, 2015.

[453IJ]

Yossi Gurwitz, "When Kafka met Orwell: Arrest by algorithm," Mondoweiss, July 3, 2017, mondoweiss.net.

[454IJ]

الحجز الإداري هو فعل إسرائيلي شائع لحبس الفلسطينيين. في أكتوبر 2022، تم حبس 798 شخصًا، غالبيتهم العظمى من الفلسطينيين، وكان ذلك أعلى رقم منذ سنة 2008. كان القمع الإسرائيلي موجها إلى جوانب أخرى أيضًا. كانت سنة 2022 أكثر السنوات القاتلة بالنسبة للفلسطينيين في الضفة الغربية منذ 2005، وقد قتل 120 فلسطينيا مع أواخر أكتوبر في الضفة الغربية والقدس الشرقية.

[455IJ]

Orr Hirschauge and Hagar Shezaf, "How Israel jails Palestinians because they fit the 'terrorist profile,'" Haaretz, May 31, 2017.

[456IJ]

Sheera Frankel and Mike Isaac, "India and Israel inflame Facebook's fights with its own employees," New York Times, June 3, 2021.

[457IJ]

Jasper Jackson, Lucy Kassa, and Mark Townsend, "Facebook 'lets vigilantes in Ethiopia incite ethnic cleansing,'" Guardian, February 20, 2022; "Pro-military death squad rallies openly on social media," Frontier mar.net.Myanmar, June 2, 2022, frontiermyan

[458IJ]

"Myanmar: Facebook's systems promoted violence against Rohingya; Meta owes

مكتبة ياسمين

reparations," Amnesty International, September 28, 2022.

[459IJ]

Sam Biddle, "Facebook allows praise of talion if it fights Russianneo-Nazi Ukrainian bat invasion," Intercept, February 25, 2022, theintercept.com.

[460IJ]

Alan Macleod, "Meet the ex-CIA agents deciding Facebook's content policy," MintPress News, July 12, 2022, mintpressnews.com.

[461IJ]

Munsif Vengattil and Elizabeth Culliford, "Facebook temporarily allows posts on Ukraine war calling for violence against invading Russians or Putin's death," Reuters, March 11, 2022. Facebook moderators were told to treat graphic imagery from the Russian war on Ukraine with a light touch (but this didn't apply to conflict in Palestine). Sam Biddle and Alice Speri, "Facebook tells moderators to allow graphic images of Russian airstrikes but censors Israeli attacks," Intercept, August 27, 2022, theintercept.com.

[462IJ]

Ryan Mac, Mike Isaac, and Sheera Frenkel, "How war in Ukraine roiled Facebook and Instagram," New York Times, March 30, 2022.

[463IJ]

Mona Shtaya, "Who gets to speak out against their occupier on social media?" +972 Magazine, March 22, 2022.

[464IJ]

Alice Speri and Sam Biddle, "Zoom censorship inars spark fight overof Palestine sem academic freedom," Intercept, November 14, 2020, theintercept.com; Yarden

مكتبة ياسمين

Katz, "How Microsoft is invested in Israeli settler-colonialism," Mondoweiss, March 15, 2021, mondoweiss.net.

[465IJ]

Perrigo, "Inside's Facebook's meeting."

[466IJ]

Ryan Mac, "Amid Israel-Palestinian ees are accusingviolence, Facebook employ the company of bias against Arabs and Muslims," BuzzFeed News, May 27, 2021, buzzfeednews.com.

[467IJ]

Jillian C. York, Silicon Values: The Future of Free Speech Under Surveillance Capitalism, London: Verso, 2020, p. 44.

[468IJ]

Sam Biddle, "Facebook's secret rules about the word 'Zionist' impede criticism of Israel," The Intercept, May 15, 2021, theintercept.com.

[469IJ]

Lara Friedman, "Israel-advocacy groups urge Facebook to label criticism of Israel as hate speech," Jewish Currents, August 19, 2020.

[470IJ]

Neve Gordon, "Redefining anti-Semitism on Facebook," Al Jazeera English, September 22, 2020, aljazeera.com.

[471IJ]

تصدر شركة فيسبوك كل ربع سنة تفاصيل عن نوع المحتويات التي تحررها (دون ذكر التفاصيل). في الربع الأخير من سنة 2021، قالت شركة فيسبوك أنها اتخذت قرارات بشأن 21.7 مليون نص بسبب التحريض على العنف (بزيادة عن 12.4 مليون نص في الربع السابق). لم تحدد فيسبوك فيما إذا كان أي من هذه النصوص تتعلق بإسرائيل/فلسطين.

[472IJ]

مكتبة ياسمين

Neta Halperin, "The memory of the Holocaust enced by TikTok. Here's how,"is being influ Haaretz, February 15, 2022.

[473IJ]

"Palestinian civil society organizations issue a statement of alarm over the selection of Emi Palmor, former general director of the Israeli Ministry of Justice to Facebook's Oversight Board," 7amleh, May 14, 2020, 7amleh.org.

[474IJ]

Lahav Harkov, "Emi Palmor: The Israeli watchdog in Facebook's ban on Trump," Jerusalem Post, May 1, 2021.

[475IJ]

Case decision 2021-009-FB-UA, Facebook Oversight Board, September 14, 2021.

[476IJ]

Sam Biddle, "Revealed: Facebook's secret ous individuals andblacklist of 'danger organizations,'" Intercept, October 13, 2021, theintercept.com.

[477IJ]

The Age of SurveillanceShoshana Zuboff, Capitalism: The Fight for a Human Future at the New Frontier of Power, New York: PublicAffairs Books, 2019, p. 515.

[478IJ]

Gideon Levy, "Israel is strong—at extortion and pity," Haaretz, March 10, 2022.

[479IJ]

Uzi Rabin, Israel's Defense Industries: From shops to Global Giants,Clandestine Work Jerusalem Institute for Strategy and Security, 2018.

[480IJ]

Philip Weiss, "Israel will be 'gone' in 20 years—says Wilkerson, former State Dept. aide," Mondoweiss, September 22, 2021, mondoweiss.net.

[481IJ]

Jeff Halper, War against the People: Israel, the Palestinians and Global Pacification, London: Pluto Press, 2015, p. 4.

[482IJ]

Maeve Higgins, "How the $68 billion border trial complex," Vice Worldsurveillance indus News, June 11, 2021.

[483IJ]

Gili Melnitcki, "A third of Israeli Jews will be ultra-Orthodox by 2050, forecast finds," Haaretz, November 22, 2022.

[484IJ]

Arkadi Mazin, "Israeli settlers' grim offer to Ukraine's Jewish refugees," Haaretz, March 27, 2022.

[485IJ]

Eyal Weizman, Hollow Land: Israel's tion, London: Verso,Architecture of Occupa 2012, pp. 6-7.

[486IJ]

Kathryn Joyce, "The new right's grim, increasingly popular fantasies of an international nationalism," New Republic, January 6, 2022.

[487IJ]

Murtaza Hussain, "Right-wing Israeli author writes the 'virtue of nationalism'—and accidently exposes its pitfalls," The Intercept, May 5, 2019, theintercept.com.

[488IJ]

Edward Said interview with Timothy Appleby, Globe and Mail, Toronto, 1986, in Said, Power, Politics and Culture: Interviews with Edward W. Said, New York: Bloomsbury, 2004, p. 288.

[489IJ]

Yaakov Katz, "Israel has a racism problem—and it comes out on Jerusalem Day," Jerusalem Post, May 29, 2022.

[490IJ]

Amira Hass, "Will someone finally say Israel has lost it?" Haaretz, May 31, 2022.

[491IJ]

Jack Khoury, "Ukraine war is warning to Palestinians," Haaretz, March 23, 2022. Another nightmare scenario for the Palestinians is a rogue US President like Donald Trump who reportedly told a shocked King of Jordan that it would be a "great deal" if his country took control of the West Bank.

[492IJ]

Haggai Matar, "From Israel to Russia, occupiers are remaking the world," +972 Magazine, March 27, 2022.

[493IJ]

فيما هو أكثر من العدد الهائل من الأسلحة التي تبيعها إسرائيل، فإن الدولة اليهودية تحرص على بيع الفائض في معداتها بوضع دعاية في صحيفة إسرائيلية سنة 2022 وضعت لائحة من الخيارات المتاحة، بما فيها صواريخ وألغام وقذائف هاون.

Oded Yaron, "Any buyers? Israeli army looking to sell leftover weapons," Haaretz, September 4, 2022.

[494IJ]

Shuki Sadeh, "Inside the shadowy world of Israeli arms dealers," Haaretz, January 11, 2020.

مكتبة ياسمين

[495]

Areeb Ullah, "UN releases list of companies with ties to illegal Israeli settlements," Middle East Eye, February 12, 2020, middleeastyeye.net.

[496]

David Rosenberg, "In the BDS fight, 'D' is the letter Israel should really worry about," Haaretz, October 31, 2021.

[497]

David Hearst, "Amnesty apartheid report: Why Israel fully deserves its place as a pariah state," Middle East Eye, February 2, 2022, middleeastyeye.net.

[498]

عند كتابة هذا، لم يكن واضحا متى أو ما إذا كانت المحكمة العليا في الولايات المتحدة ستحكم على قانونية حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وتطبيق العقوبات بعد أن أصدرت ولايات كثيرة أحكاما ضدها. في يونيو 2022، قررت محكمة الاستئناف الثامنة أن مقاطعة إسرائيل لا تخضع لحماية التعديل الأول في الدستور الأمريكي، مما يضع تحديا مماثلا أمام المحكمة العليا.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook